

فضائل أهل البيت عليهم السلام

بين تحريف المدوّنين وتناقض مناهج المحدّثين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

لسنة ٢٠١١ ـ ١٥٨

BP
٥٠٨ / ٣٦
٨ ب /
٦ ف

البلداوي، وسام، ١٩٧٤ - م.

فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين: دراسة لإثبات وقوع التحريف والتناقض في مصادر الحديث وقواعده عند العامة وأثر ذلك على فضائل أهل البيت عليهم السلام / تأليف وسام برهان البلداوي؛ [تقديم اللجنة العلمية، محمد علي الحلو]. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٣ق. = ٢٠١٢م.

٧١٩ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٥٨).

المصادر : ص ٦٧١ ـ ٦٩٥ ؛ وكذلك في الحاشية.

١ . أهل البيت - فضائل - أحاديث أهل السنة - شبهات وردود. ٢. أهل البيت - فضائل - تأثير محدثون أهل السنة. ٣. الصحابة - فضائل - تأثير محدثون أهل السنة. ٤ . تدوين التاريخ الإسلامي - تأثير محدثون أهل السنة. ٥. أحاديث أهل السنة - مصادر - شبهات وردود. ٦. الحديث - علم الرجال - شبهات وردود. ٧. الحديث - منع التدوين. ٨. أحاديث مختلقة. ٩. الحديث - جرح وتعديل. ألف. الحلو، محمدعلي، ١٩٥٧ - م، مقدم. ب. العنوان.

BP ٣٦ / ٥٠٨ / ٨ ب ٦ ف

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

فضائل أهل البيت عليهم السلام

بين تحريف المدوّنين وتناقض مناهج المحدّثين

دِراسةٌ لإثباتِ وُقُوعِ التَّحْرِيْفِ والتَّناقُضِ في مَصادِرِ الحَدِيثِ وقواعدِه عنْدَ العامَّةِ وأثرُ ذلكَ في فَضائِلِ أهْلِ البَيْتِ عليهِمُ السَّلامُ

تأليف

الشيخ وسام برهان البلداوي

إصدار

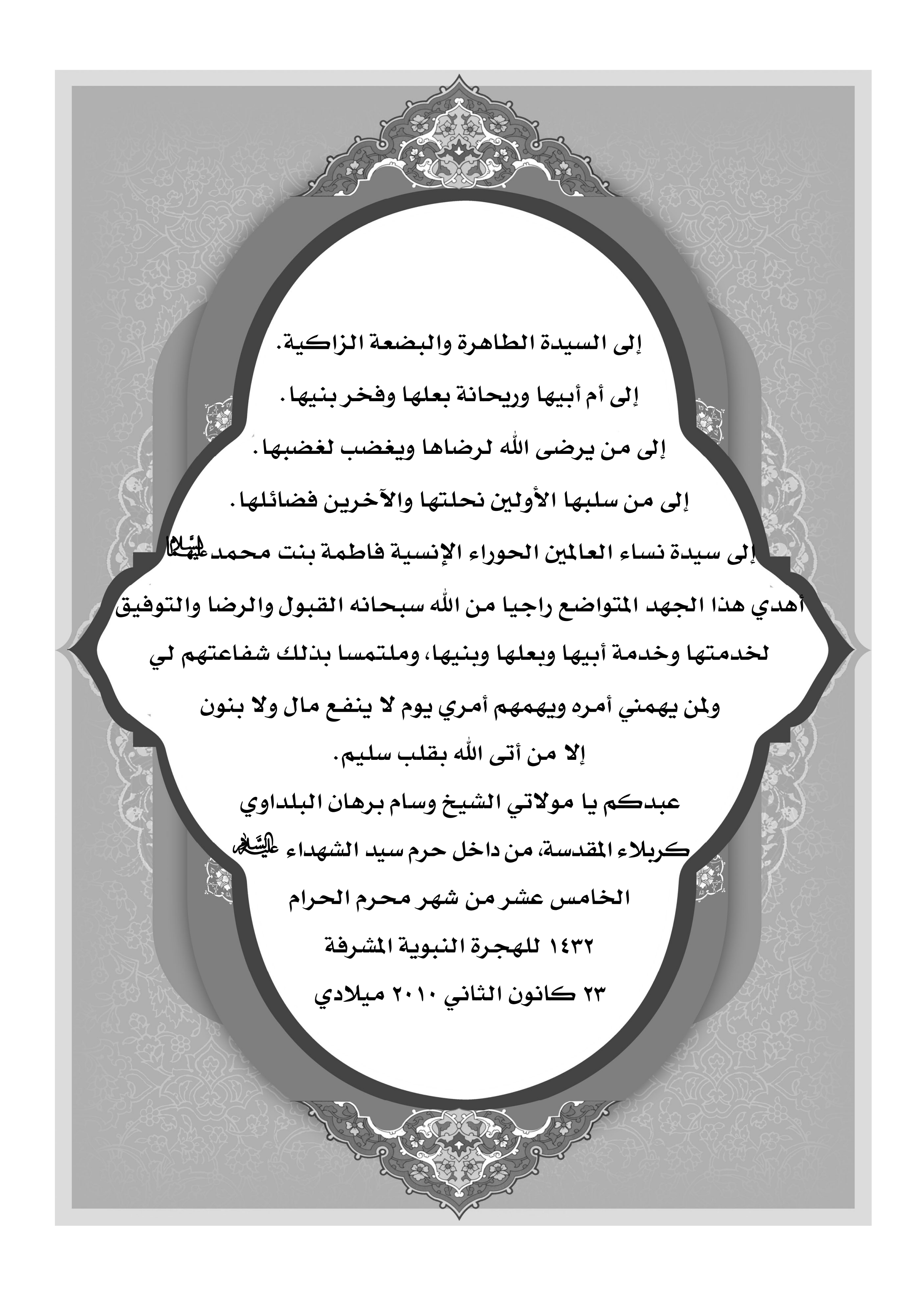
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م



العراق: كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩
Web: www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com



إلى السيدة الطاهرة والبضعة الزاكية.

إلى أم أبيها وريحانة بعلها وفخر بنيها.

إلى من يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها.

إلى من سلبها الأولين نحلتها والآخرين فضائلها.

إلى سيدة نساء العالمين الحوراء الإنسية فاطمة بنت محمد عليها السلام

أهدي هذا الجهد المتواضع راجيا من الله سبحانه القبول والرضا والتوفيق

لخدمتها وخدمة أبيها وبعلها وبنيها، وملتمسا بذلك شفاعتهم لي

ولمن يهمني أمره ويهمهم أمري يوم لا ينفع مال ولا بنون

إلا من أتى الله بقلب سليم.

عبدكم يا مولاتي الشيخ وسام برهان البلداوي

كربلاء المقدسة، من داخل حرم سيد الشهداء عليه السلام

الخامس عشر من شهر محرم الحرام

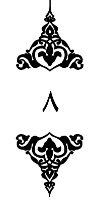
١٤٣٢ للهجرة النبوية المشرفة

٢٣ كانون الثاني ٢٠١٠ ميلادي

مقدمة اللجنة العلمية

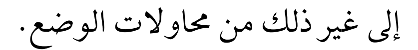
شغلت بحوث الحديث النبوي ودراساته مجالاً واسعاً من اهتمام الباحثين، ونتجت من ذلك جهود أثمرت في تمتين القواعد الحديثية بما ينسجم ومعطيات المدرسة الحديثية التي رعاها أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد أن اكتسبت مشروعيتها من خلال رعايتهم للحديث النبوي الذي طورد على مدى عقود الصدر الأول الإسلامي، وتمخضت هذه المطاردات عن تغيير طائفة كبيرة من الأحاديث النبوية لصالح الرؤية السياسية التي تزعّمها معاوية بن أبي سفيان الذي لاحق رواة الفضائل — فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام — بعد أن وِرثَ محاولات التشذيب والمطاردة «اللاشرعية» والتي حاولت السلطات إلباسها اللبوس الشرعي متكئة على فتاوى فقهاء السلطة ورواة «فضائلها الموضوعية».

ولم تزل محاولات المطاردة تأخذ مكانتها «التقديسية التقليدية» في ذهنية المتلقي المرهوبة من سطوات الحاكم؛ وتحذيرات فقهائه الذين يدورون مدار توجهاته وينشّطون «ماكينة الوضع» التي تنتج أحاديث الفضائل بقياسات الحاكم وذوقه ليرتديها بحلتها «الشرعية» متى ما اقتضت الحاجة إلى ذلك، وتنهال توجيهات السلطة على الحديث لتطال المحدّث ليجد نفسه مرغوماً على ترسيم الحديث بما ينسجم ورؤية الحاكم في سلب التراث الروائي أحاديث الفضائل أو إدخال ما ليس منها، ولم يقتصر الوضع على ذلك بل زجت الكثير من الأحاديث المنسوبة إلى



النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مطولات حديثية لأسباب:

منها التقرب إلى الخليفة كما في رواية غياث بن إبراهيم الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «لا سبق الا في خفٍ أو حافر أو فصل أو جناح»، فأمر له المهدي العباسي بعشرة آلاف درهم بعد أن كان مولعاً بالحمام، ولما خرج الراوي قال المهدي: أشهد أن قفاه قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت دواعي هذا الوضع الارتزاق بعد أن وجد الراوي مجالاً خصباً في نشر مثل هذه الأحاديث. ومنها كان بعضهم يرغّبون الناس على قراءة القرآن فوضعوا الأحاديث المرغبة في ذلك كما عند ميسرة بن عبد ربه الذي وضع أصناف الأحاديث المرغبة في قراءة القرآن، فلما عوتب على ذلك قال وضعتها بعد أن رأيت الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث لينصرفوا إلى القرآن.



إلى غير ذلك من محاولات الوضع.

الا أن أهم الأحاديث النبوية التي طالها الوضع والتحريف هي أحاديث الفضائل التي خضعت لجملة «تجريف» منظمة أسّسَ قواعدها رواد مدرسة التحريف الأولى والتي نجمت عن تحولات سياسية مقيتة اقتضت الحاجة إلى شطب الكثير من الفضائل واستبدالها بفضائل أخرى تقلل من هيمنتها على المشروع الإسلامي وتَئِد التأصيلات الرائدة في هذا المجال، واقتضت عمليات المشروع البديل أن تُعلن عن حظر تام على حديث فضائل أهل البيت عليهم السلام الذي يُعد إحدى آليات المعارضة وسلب الشرعية عن النظام، واستطاعت هذه المحاولات أن توقف العمل إلى وقت محدود بأحاديث الفضائل لكنها لم تستطع الاستمرار فحاولت أن تُحبط الجهود الروائية للفضائل بإيجاد آليات أخرى واختيار محاولات جديدة توهن من انتشار الفضائل ألا أنها لا تستطيع إيقافها وحدها، وعممت

صيغاً لمعالجة الأحاديث بطرق التضعيف أو محاولات الإهمال، أو أساليب الترهيب من أجل انحسار المد الجارف لهذه الفضائل التي احتلت مساحات واسعة من مدونات الحديث وملاحمه الروائية وذلك من خلال وضع فضائل بديلة أخرى لهذه الأحاديث من أجل تقليل نفوذها ومحاولات خطرها المحدق بالمشروع السلطوي الحاكم.



وفي محاولة الشيخ وسام برهان البلداوي في كتابه الموسوم فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين حاول تسليط الضوء على واقع تاريخي ينساق خلف رغبات السلطة ويعزز من محاولتها في التقليل من أهمية روايات الفضائل الا أنها جوبهت هذه المحاولات برفضٍ يفرضه الواقع العلمي ويعززه التراث النبوي الذي ما زال يسدد هذه الأحاديث ويمتّن علاقتها بالأمة كونها التراث النبوي الذي أريقت من أجله دماء الخيرين.

السيد محمدعلي الحلو

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي اجتبى من عباده الأنبياء والمرسلين ثم لم يجعل الناس بعدهم هملا تتقاذفهم أمواج الفتن فجعل لهم برحمته حججا وأوصياء وسفنا يأمن من ركبها ويغرق ويهلك من تخلف عنها، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين المعصومين سفن النجاة وساسة العباد وأركان البلاد، واللعنة الدائمة التامة على أعدائهم من الإنس والجن أجمعين، آمين يا رب العالمين.

وبعد: فقد كنت ومنذ مدّة بعيدة، أحدث نفسي بكتابة بحث أجمع فيه بعض اللآلئ المكنونة من بحر فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويشدني إلى ذلك الأحاديث الحاثة على كتابة فضائلهم، ومدارسة مناقبهم، والنظر إلى أخبارهم، ورواية ما لهم من المنازل المنيفة، والمراتب الجليلة.

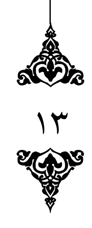
ولكن كان يصرفني عن ذلك، وجود كتب كثيرة قديمة وحديثة، تكفلت بذكر مثل هذا الموضوع، فارتأيت أن أتناول فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، من زاوية لم يتم تناولها من قبل، أو ندر تناولها بهذه الكيفية والطريقة، وقد وفقني



الله سبحانه إلى تناول فضائلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من زاوية الحرب الضروس التي أججت بوجه تلك الفضائل الشريفة، تلك الحرب التي بدأت شرارتها الأولى في اليوم الأول لرحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولم تخمد إلى يوم الناس هذا، ولا أظنها ستطفأ إلى خروج الإمام صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه.

والكتاب الذي بين يديك وان كان مكرسا لدراسة عدة فضائل مختارة من فضائل الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وإثباتها، إلا أني لا أحذو فيه حذو المحدثين الذين يجمعون في كتبهم الغث والسمين، ولا انتهج فيه منهج السرد الروائي الخالي من التحقيق والمعمول به في كثير من كتب الفضائل والمناقب، بل أسير فيه على وفق قواعد وأسس ومبادئ ارتضاها محدثو أهل السنة وعلماؤهم، لأني طالعت في أثناء عملي في هذا الكتاب ما يقارب الخمسمائة مصدر وأكثر ما بين كتاب ومقالة، فضلاً عن ذلك المواضيع التي هنا وهناك على صفحات الانترنت، والأقراص الكمبيوترية، لأصل بالقارئ العزيز ومن خلال قواعد المخالفين إلى القناعة القطعية بوجود حرب ضروس شنّها محدثو أهل السنة على فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومناقبهم، وان مطارقهم ومعاولهم منذ رحيل النبي الأعظم والى يومنا هذا ما زالت تعمل ليل نهار في سبيل تحطيمها وإماتتها، وفي المقابل وجود تعاضد وتلاحم لجهود محدثي أهل السنة في سبيل إعلاء وترميم وإرساء فضائل باقي الصحابة وبالخصوص رموز الدولة الثلاثة وعائشة بنت أبي بكر ومناصريهم وجميع من له يد ساعدت السلطة آنذاك لتثبيت كيانها وتدعيم أسسها.

وهو وان احتوى على عدد محدد ومختصر من الفضائل، بسبب من صعوبة استقصاء جميع فضائل أهل البيت الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالطريقة التي انتهجناها في هذا الكتاب وربما كان مستحيلا، لان فضائلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا



يمكن الإحاطة بها عددا لكثرتها وترامي أطرافها من جهة، ومن جهة أخرى لكثرة الشبهات والطعون والمطارق التي وجّهها لها علماء أهل السنة ومحدثوهم بهدف تضعيفها وإماتتها أو تحريف مقاصدها، فكل فضيلة من فضائلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تحتاج إلى كتاب مستقل حتى يمكن استيعاب جميع طعونهم وأقوالهم فيها، وهو جهد لا طاقة لي به، بل هو جهد مؤسساتي ينبغي على مؤسساتنا الشيعية تسليط الضوء عليه أكثر وبذل الغالي والنفيس في سبيل تحقيقه نصرة منهم لأهل بيت نبيهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين ما زالوا يظلمون قديما وحديثا، والذين ما زالت مطارق أهل الحديث تضرب وبقبضة من حديد على كل ما من شأنه أن يرفع شأنهم ويعلي نجمهم، إذن فهذا البحث الذي بين يديك وان كان قد احتوى على عدد قليل من فضائل هؤلاء الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إلا انه وباعتقادي يستطيع إيصال حقيقة ما تعرضت له فضائل أهل بيت العصمة والطهارة من الحرب الضروس والمطارق الثقيلة الموجعة من أناس يتبجحون أو يتبجح أتباعهم بأنّ لهم قواعد ومباني ليست عند غيرهم من المذاهب والأديان والتي تسمى بقواعد الجرح والتعديل.

وقد قسمنا هذا البحث على خمسة فصول، فكرّسنا الفصل الأول للبحث عن معنى السنة النبوية المطهرة وأهميتها في القرآن وعند المسلمين، وما تعرضت له من اضطهاد وتعسف بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أحرقت وأُتلفت ومنع تدوينها وروايتها وحبس كثير من الصحابة بسبب روايتهم لها ونشرهم إياها، إلى أن نشأت سنة أو مجموعة من السنن الأخرى البديلة التي حلت مكان السنة النبوية المطهرة، وقد استعرضنا ملامح هذه السنن وأهدافها وغاياتها التي أسست على أساسها، وقد مشينا بالقارئ الكريم في هذا الفصل خطوة فخطوة، وأوضحنا



له مصير السنة النبوية منذ رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومرورا بزمن أبي بكر ومن بعده عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، وبعدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، ومن ثم معاوية، ومن بعد حكام بني أمية، والى زمن هشام بن عبد الملك الأموي، الذي كان ومن قبله عمر بن عبد العزيز أول من دون وكتب السنة النبوية المطهرة، ومن ثم ختمنا الفصل بما للإمامين الصادق والباقر صلوات الله وسلامه عليهما من الأثر في تدوين السنة النبوية المطهرة، والذي لولاهما ولولا جهودهما في هذا المضمار لبقيت السنة النبوية المطهرة حبيسة الصدور ومحجوراً عليها إلى يوم الناس هذا.

ثم استعرضنا في الفصل الثاني مصير السنة النبوية خلال العصر العباسي الذي نشأت فيه جميع المذاهب الأربعة باستثناء المذهب الحنفي الذي كانت ولادته مبكرة قليلا، وفي هذا العصر أيضا دونت فيه جميع الصحاح والمسانيد والسنن الموجودة الآن، وقد أوضحنا في هذا الفصل بما لا يقبل الشك استغلال السلطة العباسية لعملية التدوين لدس كثير من الأخبار والفضائل والمعتقدات المكذوبة على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في داخل المدونات والكتب التي صارت فيما بعد مصادر للسنة النبوية يأخذ منها المسلمون أحكامهم ومعالم دينهم، ثم أوضحنا حقيقة مهمة هي عدم نزاهة عملية التدوين التي قام بها أهل الحديث السنة في ذلك العصر فضلاً عن عدم هياديتها، فقد تدخلت الأهواء والعصبية والتمذهب كعناصر أساسية قامت عليها عملية التدوين، أضف إلى ذلك عمليات السرقة والسطو على كتب بعض أهل الحديث من بعضهم الآخر، فضلا عن وجود بيوت كاملة تعمل ليل نهار بهدف اختلاق الحديث، ومن ثم أخذنا بيد القارئ الكريم في جولة قصيرة ومهمة للغاية للبحث في أهم الصحاح والمسانيد والكتب الروائية الموجودة



والمشهورة في عصرنا هذا، فأخذنا على عجالة أربعة نماذج هي؛ موطأ مالك بن أنس، ومسند احمد بن حنبل، وصحيحا مسلم والبخاري، وأثبتنا بما لا يقبل الشك تعرض هذه الكتب إلى التحريف والتزوير والدس والتلاعب من النساخ والناقلين والتلاميذ والرواة، وان ليس للقوم كتاب واحد لم يتعرض لكل ذلك، كما انهم لا يستطيعون أن يجزموا بصحة صدور جميع هذه الكتب، وكذلك لا يستطيعون أن يقطعوا بأن هذه الكتب التي بين أيدينا هي نفسها التي كتبها أصحابها من دون زيادة ولا نقيصة، وهذه مصيبة عظيمة وطامة كبيرة تقضي على مصداقية جميع مدونات أهل السنة الروائية ووثاقتها.

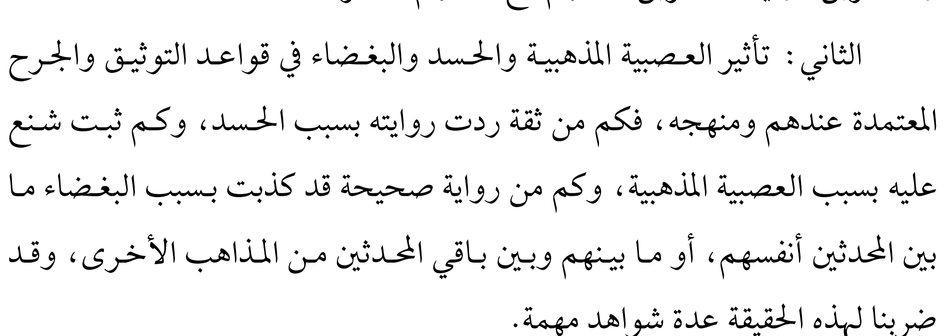
وهذا المبحث ما كنا لنثيره ونتعرض له لولا تلك الهجمة الشرسة التي تتعرض لها مدونات الشيعة وكتبهم الروائية من كثير من علماء أهل السنة ومحدثيهم ومثقفيهم، وبالخصوص تلك الهجمات التي تشنها الفرقة الوهابية المارقة، فيكون إثارة هذا الأمر بناءً على هذا ردا ودفاعا عن أهم مقدساتنا، لان مدوناتنا الروائية هي التي نقلت جميع الكلمات والأحاديث والعقائد والأحكام التي ورثناها عن أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فضربهم لها وحربهم عليها معناه ضرب جميع تلك الأحكام والعقائد والأحاديث، كما ان الدفاع عنها يعدّ بمنزلة الدفاع عن جميع تلك الأمور المهمة.

وقد كرسنا الفصل الثالث لدراسة تناقض علماء أهل السنة ومحدثيهم وتضاربهم في قواعد الجرح والتعديل التي على أساسها قيموا جميع أحاديث الفضائل ورواياتها لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفضائل غيرهم من الصحابة، وقد استطعنا بحمد الله إثبات شيئين مهمين:

الأول: هو عدم وجود قواعد واضحة ومتفق عليها بين علماء أهل السنة



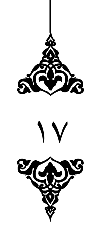
ومحدثيهم في مسألة التقييم والتصحيح والتضعيف للروايات النبوية الشريفة، فكل محدث له قواعد خاصة به تختلف عن قواعد باقي المحدثين وضوابطهم، وكل محدث له موازين للتوثيق والجرح تختلف عن غيره، فترى الراوي الواحد تختلف فيه الأقوال بشكل متضارب وملفت للانتباه، فشخص يوثقه وآخر يكذبه وثالث يتوقف بأمره وآخر يرميه بالبدعة وهكذا، وكذلك فعلوا مع الأحاديث والروايات الشريفة، فكل محدث يحكم على الرواية من جهة ما وضع من موازين خاصة به،لذلك ترى بعض يحكم على رواية ما بأنها صحيحة، بينما يحكم بعض الآخر بأنها مكذوبة ضعيفة لا يحل ذكرها ولا روايتها، ولم يقتصر هذا التضارب في القواعد والمناهج بين المتقدمين حتى سرت نار الاختلاف والتضارب بين المتقدمين والمتأخرين، وبين المتأخرين بعضهم مع بعضهم الآخر.



الثاني: تأثير العصبية المذهبية والحسد والبغضاء في قواعد التوثيق والجرح المعتمدة عندهم ومنهجه، فكم من ثقة ردت روايته بسبب الحسد، وكم ثبت شنع عليه بسبب العصبية المذهبية، وكم من رواية صحيحة قد كذبت بسبب البغضاء ما بين المحدثين أنفسهم، أو ما بينهم وبين باقي المحدثين من المذاهب الأخرى، وقد ضربنا لهذه الحقيقة عدة شواهد مهمة.

ومن ثم ختمنا هذا الفصل باستعراض مجموعة من التناقضات في مناهج بعض المحدثين الذين عليهم المعول في علم الجرح والتعديل كالبخاري وابن حبان وابن معين وغيرهم، ثم أوردنا تعجب بعضهم من بعض على عدم مراعاتهم للقواعد التي أسسوها، ومن تضارب أقوالهم في مسألة واحدة، ومن اختلاف أقوالهم في ثوثيق راو واحد وغير ذلك من الطامات.

ولم نكن لنخوض في هذا الفصل لولا ارتباط هذا الموضوع بموضوع كتابنا



ارتباطا وثيقا؛ لان هذه القواعد المتضاربة والمتناقضة هي التي استغلت في سبيل ضرب أحاديث فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتحطيمها، وكذلك لم نكن لنخوض هذا المبحث لولا الهجمة الشرسة التي شنها كثير من علماء أهل السنة وكتّابهم ومحدثيهم على مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكثير ما كتب علماء أهل السنة وشنعوا وروجوا بأن علماء الشيعة لا موازين لهم في علم الحديث، ولا قواعد لهم في علم الرجال والدراية، وان أهل السنة وعلماءهم هم من أسس أساس هذا العلم ووضع قواعده، وأنّهم أصح حديثا وأسلم قواعد من علماء الشيعة ومحدثيهم، وهذا الفصل فيه فصل لهذه الفرية فهو يثبت ان القوم لا قواعد لهم ولا هم يحزنون، وانهم لا يملكون سوى آراء متضاربة، ومذاهب وقواعد متشعبة مختلفة لا يجمع بينهم جامع.

أما الفصل الرابع فقد استعرضنا فيه أربعة من فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأوضحنا موقف علماء أهل السنة ومحدثيهم تجاهها، وكيف حاولوا بكل جهد وحيلة، أن يحطموا هذه الفضائل بما أوتوا من قوة ووسيلة، وكيف سخروا معاولهم ومطارقهم لهدم هذا الصرح الذي أسس أساسه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يخل هذا الفصل من شرح لكثير من القواعد الرجالية، وتراجم كثير من الرواة، والرد على كثير من إشكالات ابن تيمية وغيره من المتعصبين وشبهاتهم، ومسائل أخرى كثيرة وجديرة بالمطالعة.

أما الفصل الخامس والذي ختمنا به هذا الكتاب فقد كرسناه للحديث عن تساهل علماء أهل السنة ومحدثيهم في تعاملهم مع أحاديث فضائل الصحابة من غير أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فأخذنا بعض أحاديث فضائل كل من أبي بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب كنموذج من نماذج الازدواجية في تعاملهم مع أحاديث



الفضائل، ففي الوقت الذي نراهم يتعاملون مع فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بكل تصلب وشدة ويدوسون معها على كل قيمة وقاعدة علمية، فيكذبون تارة ويدلسون أخرى ويحرفون ويحذفون ويرتكبون كل عظيمة في سبيل تحطيمها وتكذيبها، لكنهم وحينما يأتون إلى فضائل الصحابة عموما وفضائل أبي بكر وعمر وعائشة على وجه الخصوص يتغيرون وتتبدل تلك الشدة وذلك التصلب إلى لين وسهولة وتسامح، فنراهم يصححون الضعيف، ويقوون الهالك، ويوصلون المنقطع، ويجعلون أوضح قواعد الجرح والتعديل تحت أقدامهم، كل ذلك وغيره قد تم إثباته في هذا الفصل.

نسأل الله أن يوفقنا وجميع القراء الكرام إلى كل خير إنّه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على نبينا الكريم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

الشيخ وسام برهان البلداوي

كربلاء المقدسة، من داخل حرم سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه

الخامس عشر من شهر محرم الحرام ١٤٣٢ للهجرة النبوية المشرفة

٢٣ كانون الأول ٢٠١٠ ميلادي



الفصل الأول:

السنة النبوية المطهرة أهميتها ومراحل تدوينها حتى العصر العباسي

لا يمكن لنا الكلام عن الفضائل من دون الكلام عن الحديث الشريف والسنة النبوية المطهرة، كيف لا والفضائل قسم من أقسام الحديث الشريف وجزء من أجزاء السنة النبوية المطهرة، فما يجري عليه يجري عليها، وما يلزم منه يلزم منها، وعليه فلا يصبح الكلام عن أصل موضوع الحديث الشريف والسنة المطهرة حديثاً عن أمر جانبي عارض على بحثنا في الفضائل، بل هو حديث عن جوهر هذا الموضوع وصلبه، لذا سنستعرض فيما يأتي تعريف السنة النبوية وأهميتها والمراحل التي مر بها تدوين الحديث وكتابة السنة المطهرة حتى بداية العصر العباسي.

ماذا نعني بالسنة النبوية؟

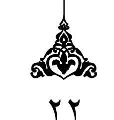
السنة لغة: هي الطريقة والسيرة والنهج، قال الجوهري في (الصحاح): (السنن: الطريقة. يقال: استقام فلان على سنن واحد)[1]، وقال ابن منظور: (وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها، والأصل فيه الطريقة والسيرة)[2]، أو هو الفعل الذي يقتدى به قال ابن منظور: (وكل من ابتدأ أمرا عمل به قوم بعده قيل: هو الذي سنه)[3]. وقال ابن منظور: (وسَنَنُ الطريق وسُنَنُهُ وسُنُنُهُ: نهجه)[4].

(١) الصحاح للجوهري ج ٥ ص ٢١٣٨.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١٣ ص ٢٢٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه ص٢٢٦.



والسنة في الشرع هي: (ما شرعه رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قولا، أو فعلا، أو تقريرا. وهي ما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام. ونهى عنه، وندب إليه. مما لم ينطق به الكتاب العزيز)[١].

والسنة باصطلاح أهل الأصول والحديث: (ما جاء عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من أقواله، وأفعاله، وتقريره، وما همّ بفعله)[٢].

وفي اصطلاح أهل الفقه: (هي الطريقة الشرعية. وهي أعم من الواجب. والمندوب، وقد تطلق كثيرا على المفروض)[٣].

أهمية السنة النبوية المطهرة في القرآن الكريم

ان منزلة السنة النبوية وأهميتها نابعة من منزلة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهميته، لأنها ثمرة من ثمرات وجوده المقدس، وعليه فلا يمكن معرفة أهميتها إلا إذا تعرفنا على منزلة نفس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهميته، وهذا الأمر قد تكفلت به الآيات القرآنية وعلى أكمل وجه، فقد تحدّث كثير من آيات الكتاب العزيز عن الموقعية الدينية التي يمثلها شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعن قداسة كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، وعن التأسي والاقتداء بكل حركات هذه الشخصية العظيمة وسكناتها، فوصفته بأكمل أنواع الوصف وبما لم

---

(١) القاموس الفقهي للدكتور سعدي أبو حبيب ص ١٨٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

ملاحظة مهمة: ان هذه التعاريف للسنة النبوية المطهرة هي من وجهة نظر أهل السنة، لان موضوع الكتاب يدور حول السنة والحديث من وجهة نظرهم، وعليه فليس بالضرورة أن يكون تعريف السنة المطهرة عند الإمامية هو عينه ما ورد آنفا.

يوصف به نبي ولا رسول قبله، فوصفته بأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على خلق عظيم، ووصفته بالعبودية لله سبحانه كما في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[1].

وهو أرقى مقام يمكن أن يعطى لإنسان وهو أرفع من مقام الرسالة كما قيل، ووصفته بالسراج المنير الذي يمد المكلفين بالهداية، كما تنير الشمس لأهل الأرض وتمدهم بالحياة، فالشمس سبب لإدامة الحياة المادية، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سبب لإدامة الحياة المعنوية كما قال سبحانه: ﴿شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2].

وتوجد آيات أُخر تعرف بالتتبع.

ولم يكتف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنْ عظم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القرآن الكريم بأرفع أنواع التعظيم والتبجيل، حتى أوجب على المؤمنين تعظيمه وتبجيله وتوقيره فرفض رفضا قاطعا التعامل معه على انه فرد عادي كسائر أفراد المجتمع، فأمر المؤمنين ألاّ يخاطبوه كمخاطبة بعضهم لبعض وألزم عليهم أن يوقروه ويفخموه ويشرفوه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[3].

وأمرهم بألاّ يرفعوا أصواتهم فوق صوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم هدد من يرفع صوته بحبط العمل وضياع الإيمان كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[4].

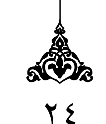
---

(١) سورة الجن الآية رقم ١٨ ـ ١٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٤٥ ـ٤٦.

(٣) سورة النور الآية رقم ٦٣.

(٤) سورة الحجرات الآية رقم ٢.



ووصف من يغض صوته توقيرا لشخص نبيه العظيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بغفران الذنب والأجر العظيم وجعل خفض الصوت وغضه في محضر النبي الأعظم من علامات التقوى كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وكذلك أوجب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الأمة المؤمنة برسالة خاتم الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن تطيعه بشكل مطلق كي لا تفشل وتذهب قوتها كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

وقـــال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[3].

ولان النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بلغ من الكمال منتهاه، صار أهلا لان يأمر الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جميع المؤمنين بالسير على خطاه والتأسي به، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4].

والأمر بالتأسي عام يشمل كل فعل من أفعاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأقواله، في مجال الأحكام وتبيان الشريعة وفي غيرها.

وهذا الكمال والرفعة والتربية الإلهية هي التي جعلت من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طريقا موصلا لمحبة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

(١) سورة الحجرات الآية رقم ٣.

(٢) سورة الأنفال الآية رقم ٤٦.

(٣) سورة النساء الآية رقم ٥٩.

(٤) سورة الأحزاب الآية رقم ٢١.

(٥) سورة آل عمران الآية رقم ٣١.

وقـــال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

والأمر بالاتباع في هاتين الآيتين كما لا يخفى مطلق يشمل اتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بكل جزء من جزئيات الحياة، هذا لمن يريد ان يكون محبا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أما من لا يريد أن يصل إلى هذه الثمرة فهذا شأنه.

ولان النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بلغ من صفات الكمال أعلاها وأرقاها وبعد أن صنع على عين الله ورعايته وبعد أن أدبه ربه فأحسن تأديبه، فقد وصل إلى مرتبة ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[2].

فصار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خلقه إلهيا ومنطقه إلهيا وتفكيره إلهيا، فكيف لا يقتدى به ويسار على أثره.

أهمية السنة النبوية المطهرة عند المسلمين

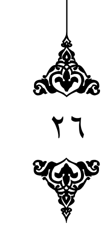
تحتل السنة النبوية المطهرة من حيث الأهمية الدينية عند المسلمين المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، فهي المفسرة والموضحة والمبينة للكتاب العزيز ولولاها ما عرف المسلمون أبسط شأن من شؤون دينهم، فلولا السنة النبوية المطهرة ما عرف المسلمون عدد ركعات الصلاة المفروضة، لان الله سبحانه أمر بأداء الصلاة وجعلها كتابا موقوتا حيث قال سبحانه: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٨.

(٢) سورة النجم الآية رقم ٣ ـ ٤.

(٣) سورة النساء الآية رقم ١٠٣.



ولكنه سبحانه لم يبين للمكلفين كم هي هذه الصلاة، وكيف تؤدى، ومتى تجب، وما هي شروطها وأحكامها، وأوكل إيضاح كل ذلك للسنة النبوية المطهرة، وعلى ذلك فقس باقي أحكام الشريعة، ابتداء من أوضح الأحكام وأصغرها، وانتهاء بأدق المسائل وأكثرها تعقيدا وغموضا، فالإسلام وكل فرد من أفراد المسلمين مدينون لشخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومدينون لكل كلمة خرجت منه وكل حركة صدرت عنه، لان كل واحدة من هذه الأشياء كانت بمنزلة حكم شرعي استفاد منه المسلمون لمعرفة أحكام دينهم ودنياهم.

وقد وردت كلمات لا تحصى من علماء أهل السنة وغيرهم توضح جميعها أهمية السنة النبوية ومكانتها عند المسلمين، ومن تلك الكلمات ما نقله الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية في علم الرواية) حيث قال: (أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم قال ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا الأوزاعي عن مكحول قال القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن)[١].

وعن: (الفضل بن زياد قال سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذي روى أن السنة قاضية على الكتاب قال ما أجسر على هذا أن أقوله ولكن السنة تفسر الكتاب وتعرف الكتاب وتبينه)[٢].

وعن: (حسان بن عطية قال كان جبرائيل ينزل على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن)[٣].

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه ص٢٧، وراجع أيضا ما قاله ابن حجر عند إيراده الحديث: (واخرج البيهقي بسند ←

وقد ذكرت في كتب أهل السنة ومصنفاتهم أمثلة كثيرة توضح مقدار ما للسنة النبوية المطهرة من أهمية وهيمنة شرعية وفيما يأتي استعراض لبعض تلك الأمثلة:

١: قال الخطيب البغدادي: (قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾[١]

فكان ظاهر هذه الآية يدل على أن كل والد يرث ولده وكل مولود يرث والده حتى جاءت السنة بأن المراد ذلك مع اتفاق الدين بين الوالدين والمولودين وأما إذا اختلف الدينان فإنه مانع من التوارث واستقر العمل على ما وردت به السنة في ذلك)[٢].

٢: وقال الخطيب البغدادي أيضا: (وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾[٣].

فكان ظاهر هذا القول يوجب القطع على كل سارق بسرقته كثرت أو قلت حتى دلت السنة أن المراد به بعض السراق وهو من بلغت سرقته في القيمة ربع دينار فصاعدا وأما من لم تبلغ قيمة سرقته هذا القدر فلا قطع فيه... ولما ذكرناه نظائر كثيرة في الكتاب والسنة اقتصرنا منها على ما أوردناه)[٤].

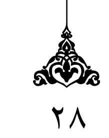
صحيح عن حسان بن عطية أحد التابعين من ثقات الشاميين... ـ ثم ذكر الخبر) راجع فتح الباري لابن حجر ج١٣ ص٢٤٨

(١) سورة النساء الآية ١١.

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٢٨ باب تخصيص السنن لعموم محكم القرآن وذكر الحاجة في المجمل إلى التفسير والبيان.

(٣) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٤) المصدر نفسه ص٢٩ ـ ٣٠.



٣: وعن (علي بن زيد عن الحسن أن عمران بن حصين كان جالسا ومعه أصحابه فقال رجل من القوم لا تحدثونا إلا بالقرآن. قال: فقال له أدنه فدنا، فقال أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعا وصلاة العصر أربعا والمغرب ثلاثا تقرأ في اثنتين أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعا والطواف بالصفا والمروة ثم قال أي قوم خذوا عنا فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلن)[١].

فيتمخض مما سبق:

* ان السنة شأنها في الأهمية شأن القرآن الكريم، لان مصدرهما واحد، فكلاهما كان ينزل بهما جبرائيل عليه السلام إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك من حيث الإلزامية والوجوب لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٢].

* وان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو المعبر الحقيقي والواقعي للمفاهيم الشرعية فإذا ما وسع أو ضيق مفهوما من المفاهيم أو حكما من الأحكام الشرعية فإننا نستدل بذلك على ان الله سبحانه هو الذي أراد تضييق ذلك المفهوم أو توسعته، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[٣].

وليس القول بأهمية السنة النبوية المطهرة وتخصيصها وتفسيرها وتبيينها للقرآن الكريم من القول الجزاف وبلا دليل شرعي يركن إليه، فقد وردت أحاديث كثيرة تقرر هذه الحقيقة وتشدد عليها، منها أحاديث الأريكة التي أخبر بها النبي الأعظم

(١) المصدر نفسه ص٣٠ ـ ٣١.

(٢) سورة الحشر الآية رقم ٧.

(٣) سورة النجم الآية ٣ ـ ٥.



صلى الله عليه وآله وسلم أمته عن قوم كانوا موجودين فعلا في أيام حياته الشريفة، أو أنهم سيأتون بعد ذلك، لا يرتضون السنة النبوية الشريفة، ولا يعتقدون بحرمتها وأهميتها، ويطالبون بالاكتفاء بالقرآن الكريم فقط، وهم المقصودون من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (بحسب امرئ قد شبع وبطن وهو متكئ على أريكته لا يظن أن لله حراما إلا ما في القرآن وإني والله قد حرمت ونهيت ووعظت بأشياء انها لمثل القرآن أو أكثر)(١).

وعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه أبي رافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا أعرفن الرجل يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول ما أدري ما هذا، عندنا كتاب الله ليس هذا فيه)(٢).

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا عسى رجل ان يبلغه عني حديث وهو متكئ على أريكته فيقول لا أدري ما هذا عليكم بالقرآن فمن بلغه عني حديث فكذب به أو كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)(٣).

وعن الحسن بن جابر قال سمعت المقدام بن معد يكرب يقول: (حرم رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أشياء يوم خيبر ثم قال يوشك رجل متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مثل ما حرم الله عز وجل)(٤)(٥).

---

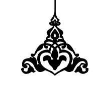
(١) سنن أبي داود لابن الأشعث السجستاني ج٢ ص٤٥.

(٢) صحيح ابن حبان ج١ ص١٩٠.

(٣) الكفاية في علم الدراية للخطيب البغدادي ص٢٦.

(٤) مسند احمد بن حنبل ج٤ ص١٣٢.

(٥) وأقول مستفهما بعد معرفة هذه الأحاديث الأخيرة: إذا كان الصحابة قد سمعوا هذا الكلام من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعلموا يقينا ان القرآن لا يستغني عن السنة المطهرة، وان ←

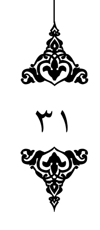




إذا كانت السنة النبوية بهذه الأهمية فلماذا أحرقت ولم تدون كالقرآن؟

بعد أن تعرفنا على الأهمية البالغة للسنة النبوية المطهرة في القرآن الكريم وعند المسلمين، يبقى سؤال مهم يطرح نفسه، وهو إذا كان للسنة النبوية هذه المرتبة الجليلة والمنزلة الرفيعة، وإذا كانت تعد في نظر المسلمين عدل القران، وان من دونها لا يمكن للمسلم فهم القرآن على وجه الدقة، وان القرآن يحتاج إلى السنة أكثر من احتياج السنة للقران، فلماذا يا ترى لم يهتم المسلمون بحفظها وتدوينها وتقييدها كما تم تقييد آيات القرآن الكريم وسوره، مع ان وسائل التقييد والكتابة كانت متوفرة وممكنة، وعلى اقل التقادير فانها متوفرة ممكنة بالنسبة للدولة التي تملك بيت المال تنفقه في المصالح العامة للمسلمين، ولا اعتقد أن هنالك مصلحة عامة أهم

← من يستغني بأحدهما دون الآخر فقد باء بالخسران المبين، فما معنى قول عمر بن الخطاب حينما كان النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على فراش موته: (ان النبي صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله) والذي رواه البخاري في صحيحه وغيره بقوله: (لما حضر رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر إنّ النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم قوموا قال عبيد الله وكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم) صحيح البخاري ج ٧ ص٩ كتاب المرضى والطب.



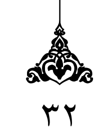
وانفع للمسلمين من حفظ تراث نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وسنته التي ما تركت شيئا من أمور الدين والدنيا إلا وأوضحته؟.

والسؤال الأخطر من ذلك هو لماذا عمدت الدولة وحكامها بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى إحراق ما قد كان كتبه بعض الصحابة من السنة النبوية المطهرة التي سمعوها أو شاهدوها أو نقلت له وإتلافه، فلماذا فرطت الدولة بهذه الكنوز التي كانت ستنجي الأمة من ويلات الاختلاف في الآراء والاجتهاد والقياس والاستحسان وغير ذلك؟.

وهذان السؤالان وان تم طرحهما من قبل عدة من الباحثين والكتاب والمفكرين إلا أننا وجدنا أنّ عدم ذكرهما غير ممكن في بحثنا هذا، للاعتقاد بأن أساس الظلم والحيف والاضطهاد الذي مورس ضد فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد ابتدأ من هذه المرحلة بالتحديد، وان أول مطرقة وجهت لسحق فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي مطرقة إحراق السنة من حكام الدولة الإسلامية، ومن اجل الاطلاع على حقيقة ما جرى في تلك الحقبة التاريخية المهمة سنستعرض للقارئ الكريم بعض النصوص التي تحدثت عن فاجعة إحراق مدونات السنة النبوية المطهرة والأمر بترك كتابتها.

١: إتلاف السنة النبوية المدونة في عهد أبي بكر

ولعل أوضح وثيقة تاريخية تحدثت وبشكل صريح عن إتلاف السنة النبوية المدونة هي التي روتها عائشة بنت أبي بكر، حيث قالت: (جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيرا قالت فغمني فقلت أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال



أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها، فقلت لم أحرقتها؟ قال خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك)[١]. لكن الذهبي وبعد إيراده لهذا الحديث قال: (فهذا لا يصح والله أعلم)[٢].

واعترض عليه ابن كثير كما نقل المتقي الهندي في كنز العمال بان: (الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أكثر من هذا المقدار بألوف ولعله إنما اتفق له جمع تلك فقط ثم رأى ما رأى لما ذكرت قلت قال الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى أو لعله جمع ما فاته سماعه من النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وحدثه عنه به بعض الصحابة كحديث الجدة ونحوه والظاهر أن ذلك لا يزيد على هذا المقدار لأنه كان أحفظ الصحابة وعنده من الأحاديث ما لم يكن عند أحد منهم كحديث «ما دفن نبي إلا حيث يقبض» ثم خشي أن يكون الذي حدثه وهم فكره تقلد ذلك وذلك صريح في كلامه)[٣].

أقول: ان الذهبي لم يبين سبب عدم صحته واكتفى بقوله (والله أعلم) وهو لا يكفي كدليل علمي لتفنيد الروايات والوثائق التاريخية أوردّها، أما ابن كثير فالواضح من كلامه انه لم ينفِ أصل إحراق أبي بكر لأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما اعترض على مقدار ما تم إحراقه، لأنه يعتقد بان السنة النبوية كانت أكثر من خمسمائة حديث، ونحن أيضا نعتقد انها كانت أكثر من ذلك بكثير، لكنها كانت متفرقة بين الصحابة، فيصبح اعتراض ابن كثير على الرواية مبنياً على وجه غير وجيه.

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٠ ص٢٨٦.



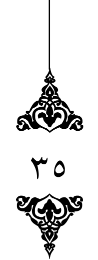
ثم وبغض النظر عن دواعي تكذيب الذهبي لهذا الحديث وأسبابه، ولو فرضنا ان اعتراض ابن كثير على الرواية مبني على القواعد العلمية ولم يكن مبنيا على قاعدة «انصر خليفتك ظالما أو مظلوما»، فان الواقع التاريخي يثبت رواية عائشة ويقوي حصول مثل هذا الاعتداء على سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحاديثه، وإذا لم يحرقوا سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأين هي سنته؟، ولِمَ لَمْ يجمعها أبو بكر وبيده جميع أسباب جمعها، فالكتاب موجودون، والصحابة متوفرون لم يمت منهم أحد، وبيت المال فيه ما يكفي لتمويل هذا المشروع العظيم، الذي يعود بالنفع على المسلمين جميعا والى يوم القيامة، ثم هل يكفي دفاعهم بأن أبا بكر كان أحفظ الصحابة، أو كان لديه من العلم والحديث ما ليس لدى باقي الصحابة، جوابا على تماهل أبي بكر وجهاز حكمه في جمع السنة والحديث النبوي، وما قيمة ما لدى أبي بكر من العلم أو الحديث إذا لم يدون ويخرج للناس، فالاعتذار عنه بهذه الأعذار الركيكة فيه حجة عليه وعليهم لا لهم، ثم إذا كان أبو بكر كما يقول السيوطي (أحفظ الصحابة وعنده من الأحاديث ما لم يكن عند أحد منهم) فأين أحاديثه؟ ولماذا لم ترو الصحاح والمسانيد وباقي كتب الحديث عنه إلا النزر القليل من الحديث؟ ولماذا كان غيره أروى للحديث منه؟ كعائشة وأبي هريرة وابن عمر وأمثالهم، فاللوم إما أن يكون على السيوطي؛ لأنه كذب هذه الكذبة الشنعاء، أو على الرواة السنة لأنهم لم ينقلوا أحاديث أبي بكر ورواياته، أو على المدونين وأصحاب الصحاح والمسانيد لأنهم لم يدونوا ذلك، أو ان اللوم على أبي بكر لأنه لم يخرج هذه الروايات إلى العامة وتركها تموت بموته، وكل واحدة من هذه الافتراضات تكفي لإدانتهم وتثبت تقصيرهم تجاه سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.



٢: إتلاف السنة النبوية ومنع تدوينها وروايتها في عهد عمر بن الخطاب

الأحاديث التي نصت على إتلاف السنة النبوية والمنع من روايتها في زمن أبي بكر تكاد تكون عزيزة أو نادرة كما عرفنا آنفا، إلا أنها كثيرة ومتنوعة في زمن حكومة عمر بن الخطاب، ولعل ذلك يعود إلى الطبيعة الشخصية التي كان يتمتع بها كل من أبي بكر وعمر، لان عمر بن الخطاب كما هو معروف عنه تاريخيا، كان اشد من أبي بكر في تطبيق ما يعزم على فعله، فلعل المنع الذي صدر في عهد أبي بكر كان فيه بعض الاستثناءات أو التراخي في التطبيق، لكن في عهد عمر لم يكن فيه استثناء لأحد من الصحابة وكانت الشدة ديدنه مع الجميع.

أو لعل السبب في ندرة أخبار المنع من تدوين السنة النبوية وإتلافها في عهد أبي بكر، يرجع إلى ان فكرة المنع يومئذ كانت عبارة عن بذرة وأساس لقانون غير منظم، لذلك جاء تطبيقها على مستوى شخصي، فأحرق أبو بكر أحاديثه الشخصية، وأحاديث أخرى لم تصل إلينا أخبارها، بسبب ان التطبيق لمبدأ إلغاء التدوين ومحو السنة كان محدودا في دائرة ضيقة، لعدم تمكن السلطة آنذاك من فرض سيطرتها ونفوذها على جميع الصحابة، وإجبارهم على إتلاف السنة النبوية أو التوقف عن تدوينها بشكل شخصي، بسبب الوضع المتخلخل الذي عاشه أبو بكر أيام ولايته، ولكثرة انشغاله بنزاعاته مع بني هاشم والأنصار وغيرهم من المناوئين لإمارته وحكومته، فمن جهة كان أبو بكر مشغولا بإرساء قواعد حكومته الجديدة، ومن جهة ثانية فانه وكما ذكرنا لو أمر وعزم على إحراق السنة جميعها وإتلافها لما استطاع لعدم سماع أمره من قبل كثير من الصحابة كبني هاشم وكثير من الأنصار، ولهذا وغيره جاء التطبيق العملي لإتلاف السنة النبوية والمنع من تدوينها تطبيقا محدودا وشخصيا.



ولكن هذا الوضع المتخلخل للدولة الحاكمة قد تغير شيئا فشيئا إلى أن استقر في أيام عمر بن الخطاب، لأسباب ليس هاهنا محل تفصيلها، فخرجت فكرة محو تدوين السنة من نطاقها الضيق والمحدود، لتصبح في زمن حكومة عمر بن الخطاب قانونا يسري على الجميع بلا أدنى تهاون أو استثناء، لذلك اشتهر أمرها ونقلها لنا بروايات متعددة رواة متعددون، ومن هذه الروايات:

الشاهد الأول: حديث عروة بن الزبير

روى الخطيب البغدادي في (تقييد العلم) عن عروة بن الزبير: (أن عمر بن الخطاب، أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله تعالى، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا)[١].

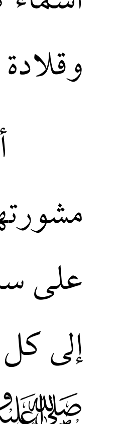
الشاهد الثاني: عن الزهري عن عروة بن الزبير

ونقل الخطيب البغدادي أيضا عن الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير: (أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه فأشار عليه عامتهم بذلك فلبث عمر شهرا يستخير الله في ذلك شاكا فيه ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال إني قد كنت ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا فترك كتابة السنن)[٢].

---

(١) تقييد العلم للخطيب البغدادي ج١ ص٧٦.

(٢) المصدر السابق ص٥٠.



وعلى هذه الحادثة علق الكاتب طه حسين : (وكان الصواب ما رأى عمر، فالعصر عصر صحابة للنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لا عصر تابعين، وهم أشبه ما يكون بحواري عيسى عليه السلام، ولنا في أهل الكتاب تجربة حين سجل أصحاب النبي عيسى عليه السلام ما سمعوه وما رأوه، نسبت الأناجيل إليهم لا إلى عيسى ولا إلى الله، . . .فكان الحذر والحيطة من عمر رضي الله عنه بالعدول عن التدوين، إذ لو فعل لم يأمن أن تتعدد كتب السنة بتعدد قائليها، وتتنوع بتنوع أسماء كاتبيها، فتكون أناجيل في الأمة، ويهمل الكتاب الأصلي الذي هو درة التاج وقلادة العقد)(١).

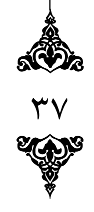
أقول: لماذا يا ترى خالف عمر بن الخطاب رأي الصحابة الذين أجمعوا في مشورتهم على تدوين السنة وكتابتها؟، ولماذا استشارهم أصلا إذا لم يكن عازما على سماع مشورتهم؟، ولماذا بقي يستخير الله شهرا كاملا؟، وهل هذا الأمر يحتاج إلى كل هذه الحيرة؟ وهل يشك مسلم عاقل بأهمية أن يصان كلام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ويحفظ لتستفيد منه الأجيال؟، وكيف غاب عن باله الأحاديث التي رويت في صحاح أهل السنة من أن الأمة لا تجمع على خطأ أو باطل، وأن الصحابة جميعهم كالنجوم بأيهم اقتدى الإنسان اهتدى، فكيف إذا اجتمعوا كلهم على رأي واحد، فمن هذين الحديثين(٢) وغيرهما يصبح معلوما للجميع صواب ما

---

(١) السنة في مواجهة أعدائها ص ٢٤٣، ٢٤٤.

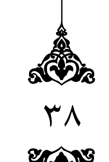
(٢) حديث لا تجتمع الأمة على خطأ وحديث أصحابي كالنجوم هي من الأحاديث التي عليها مؤاخذات كثيرة من وجهة نظر الشيعة الإمامية أعزهم الله لكننا أوردناها لاعتقاد أهل السنة بصحتها فحجيتها أعظم، فيكون ذكرنا لها ولأمثالها في هذا الكتاب هو من باب الإلزام وهو أمر جرت عليه العادة قديما وحديثا.

أجمع عليه الصحابة المشيرون بضرورة كتابة السنة النبوية، وأن مخالفتهم قد جرت على الأمة ويلات لا يحصي مضارها سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



ثم أي حجة ضعيفة هذه التي اتخذها عمر بن الخطاب لمنع التدوين؟، وهل يصح أن يتخذ فعل بني إسرائيل لعنهم الله ذريعة لتضييع التراث النبوي؟، وهل يكفي هذا الاحتمال الضعيف والنادر في محو المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم؟، فهب أن بني إسرائيل حرفوا كتبهم فإن كتاب الله محفوظ قد تكفل الله سبحانه بحفظه وعدم تزويره وتحريفه، وهب ان أهل الكتاب عكفوا على كتب أحاديث أنبيائهم فهل يكون هذا مبررا لان لا نعكف ونتدارس أحاديث نبينا الأعظم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم من أين جاء عمر بن الخطاب بفكرة ان أهل الكتاب قد عكفوا على كتب أحاديث أنبيائهم؟! لان القرآن الكريم لم يتعرض لهذا الأمر ولم يعبه عليهم، وإنما عاب عليهم تحريف التوراة والإنجيل، وهو أمر لا يمكن أن يقع في القرآن الكريم.

فضلاً على ذلك فان عمر بن الخطاب لو كان قد دون السنة النبوية الشريفة، لكان دون من ضمنها الأحاديث الكثيرة جدا التي حث فيها النبي الأعظم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الاعتناء بالقرآن وحفظه وتلاوته ومدارسته وعدم إهماله ونسيانه وغير ذلك الكثير الكثير، فتكون السنة النبوية بهذا التدوين سببا ودافعا لحفظ القرآن والاهتمام به وعدم تفضيل شيء آخر عليه، لا أنها تكون سببا لنسيان القرآن وإهماله، فعمر بفعله لا حفظ السنة النبوية ولا حفظ القرآن الذي هو درة التاج وقلادة العقد كما نعته طه حسين، لان المسلمين حينما ضاعت السنة أضاعوا نفس الكتاب العزيز، إذ إن الكتاب بقي وحيدا تتلاعب به آراء المفسرين والمحدثين



وطلاب الجاه والدنيا، ويستفيد منه كل صاحب بدعة على حسب مزاجه وهواه، فالخوارج كانوا يتخذونه دليلا على صدق حركتهم وكذب من يخالفهم، وكذلك فعل أصحاب الجمل وأهل النهروان وبنو أمية وبنو العباس والى يوم الناس هذا، فبالقضاء على السنة النبوية قضوا على نفس الكتاب فوقعوا بأمر وأدهى مما خافوا منه.

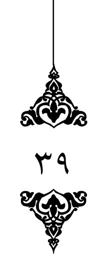
ومن هنا يعلم مقدار التعصب الذي حدا بالمؤلف طه حسين إلى تصويب رأي عمر بن الخطاب وتسفيه رأي جميع الصحابة الذين أشاروا عليه بضرورة كتابة السنة وتدوينها، فهو قد انتفض لعمر بن الخطاب وفعله، ولم ينتفض لسنة نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أو لمصادرة جميع آراء الصحابة ومخالفة أقوالهم المؤيدة لجمع السنة النبوية وكتابتها والحفاظ عليها.

الشاهد الثالث: حديث الصحابي قرظة بن كعب

ومن الأحاديث الأخرى التي ذكرت قرار منع تدوين السنة بل منع الحديث بغير القرآن الكريم حديث قرظة بن كعب حيث قال:

(خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر إلى صرار فتوضأ فغسل اثنتين ثم قال أتدرون لم مشيت معكم قالوا نعم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مشيت معنا فقال إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم جودوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم امضوا وأنا شريككم فلما قدم قرظة قالوا حدثنا قال نهانا عمر بن الخطاب)[1].

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ١٢٠ ـ ١٢١.



وقد علق أبو حاتم على هذه الرواية بالقول: (لم يكن عمر بن الخطاب ـ وقد فعل ـ يتهم الصحابة بالتقول على النبي ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ ولا ردهم عن تبليغ ما سمعوا من رسول الله ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ... ولكنه علم ما يكون بعده من التقول على رسول الله «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» لأنه عليه السلام قال: «إن الله ـ تبارك وتعالى ـ نزل الحق على لسان عمر وقلبه» وقال: «أن يكون في هذه الأمة محدثون فعمر منهم» فعمد عمر إلى الثقات المتقنين الذين شهدوا الوحي والتنزيل فأنكر عليهم كثرة الرواية عن النبي «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» لئلا يجترئ من بعدهم ممن ليس في الإسلام محله كمحلهم فيكثر الرواية فيزل فيها...)[1].

أقول: إن توجيه أبي حاتم لمنع عمر بن الخطاب الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهون من بيت العنكبوت، وأعجب ما فيه زعمه بأن سبب منع تدوين السنة هو علم عمر بن الخطاب بما ستؤول إليه حال الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهو لكي يحول دون كثرة الرواية من التابعين منع الصحابة من الرواية، وهذا كما يقول المثل عذر أقبح من فعل، وذلك لان عمر بن الخطاب بمنعه لهؤلاء الثقات المتقنين الذين شهدوا الوحي والتنزيل من الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهد إلى ظهور رواة ليسوا من أهل الإتقان ولم يشهدوا الوحي والتنزيل حدثوا بآلاف الأحاديث والروايات المكذوبة المفتعلة، ولو ان السنة النبوية المطهرة قيدت ودونت عن لسان هؤلاء الثقات الذين شهدوا الوحي والتنزيل، لما اجترأ الذين جاؤوا من بعدهم على الكذب والتزوير والوضع ولما احتجنا إلى الأسانيد وعنعنتها.

---

(١) كتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص ٣٦ ـ ٣٧.



الشاهد الرابع: تهديد عمر بن الخطاب لبعض الصحابة بالضرب

وعن أبي هريرة أنه قال: (لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرة)(١).

وعن أبي سلمة عن أبي هريرة: (وقلت له أكنت تحدث في زمان عمر هكذا؟ فقال لو كنت احدث في زمان عمر مثلما أحدثكم لضربني بمخفقته)(٢).

أقول: وسبب ضرب عمر بن الخطاب بالدرة لأبي هريرة لو كان حدث بتلك الأحاديث في أيامه، لا يخلو من فرضين:

فإما أن يضربه بسبب كذبه وافترائه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أمر يستحيل على أبي هريرة وغيره فعله لو كانت السنة النبوية مدونة محفوظة مكتوبة، لان السنة لو كانت مكتوبة مدونة لافتضح كذب كل من يحاول أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما يفتضح اليوم كل من يحاول أن يدعي بأن هنالك آية في القرآن زائدة غير مدونة.

وإما أن يضربه بسبب رواية الحديث الصادق عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهو اشد وأمر من الفرض الأول، فلماذا يضرب عمر بدرته من يحدث صادقا عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟ وما الضير في ذلك؟ وهل نقل الحديث الصادق عن النبي الأعظم يستلزم الضرب بالدرة؟ فلو كان كذلك لكانت عائشة وابن عمر وغيرهما المئات من الصحابة يستحقون الضرب والتنكيل بسبب نقلهم لأحاديث قالها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج٢ ص١٢١.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص٧.



الشاهد الخامس: حبس عمر بن الخطاب لبعض الصحابة بسبب إكثارهم للرواية

وعن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه: (ان عمر حبس ثلاثة ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري فقال قد أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم)[١].

ويشهد على صحة حديث حبس عمر بن الخطاب لابن مسعود ما قاله ابن حزم في تشنيعه على أصحاب المذهب المالكي بسبب إيمانهم واعتقادهم بان عمر بن الخطاب قد حبس وضرب بعض الصحابة لكثرة روايتهم عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

إن المالكيين المحتجين بأن عمر رضي الله عنه حبس ابن مسعود، وأبا موسى وأبا الدرداء بالمدينة، على الإكثار من الحديث ينبغي لهم أن يحاسبوا أنفسهم فيقولوا: إذا أنكر عمر على ابن مسعود وأبي موسى وأبي الدرداء، الإكثار من الحديث، وسجنهم على ذلك، وهم أكابر الصحابة وعدول الأمة، وليس لابن مسعود إلا ثمانمائة حديث ونيف، فقط لعله إنما يصح منها عنه أقل من النصف وليس لأبي الدرداء إلا مائة حديث ونيف، لعله لا يصح عنهما إلا أقل من نصف هذين العددين ماذا كان يصنع بمالك لو رأى موطأه، قد جمع فيه ثمانمائة حديث ونيفا وثلاثين حديثا من مسند ومرسل)[٢].

أقول: ويرد على هذا الحديث نفس ما ورد في حديث أبي هريرة السابق حذو القذة بالقذة.

---

(١) المصدر السابق ص٨، وراجع الحد الفاصل للرامهرمزي ص٥٥٣.

(٢) الأحكام لابن حزم ج ٢ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١.



الشاهد السادس: عمر بن الخطاب يمنع الصحابة من الرحيل عن المدينة لمنعهم عن الرواية

عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: (والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فجمعهم من الآفاق عبد الله بن حذافة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في الآفاق؟ قالوا: أتنهانا؟ قال: لا أقيموا عندي لا والله لا تفارقوني ما عشت فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكم فما فارقوه حتى مات)[١].

أقول: وهل توجد تهمة للصحابة اكبر من قول عمر بن الخطاب لهم: (فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكم) فان كان الذي يرد عليهم من الباطل الذي يقولونه وينسبونه إلى رسول الله فهو مصيبة ما بعدها مصيبة، وان كان ما يرده عليهم من الحق الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو أكثر مرارة من سابقه وفيه ما فيه، وهو كما قال ابن حزم: (لأنه لا يخلو عمر من أن يكون اتهم الصحابة، وفي هذا ما فيه، أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ سنن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إلى المسلمين، وألزمهم كتمانها وجحدها وأن لا يذكروها لأحد، فهذا خروج عن الإسلام...)[٢].

ولا يخفى ان جميع هذه الإشكالات كان يمكن لها ان تحل فيما لو حسمت مادة النزاع عن طريق تقييد السنة الشريفة وتدوينها ليسد الباب في وجه كل متقول

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٠ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣، وراجع أيضا تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٠ ص ٥٠٠ ـ ٥٠١.

(٢) الأحكام لابن حزم ج ٢ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

بغير الحق، ولكن وللأسف فان المسلمين لم يعوا أو حال دون جمعهم سيف السلطة ومخافة الحبس والضرب فمات كثير من أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وانقرض، وفتح الباب بعمد أو بغير عمد إلى الكذابين والوضاعين ليدخلوا في السنة ما شاؤوا وأحبوا.



الشاهد السابع: عمر بن الخطاب يكتب لجميع الأمصار بمحو السنة النبوية

قال ابن عبد البر: (عن عمر بن دينار عن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء فليمحه)[1].

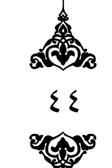
هذه بعض الشواهد الدالة وبصراحة على وقوع الإتلاف العمدي للسنة النبوية المطهرة والمنع من تدوينها.

ما حقيقة بعض الأخبار التي صرحت باهتمام عمر بن الخطاب بالسنة النبوية المطهرة؟

إنّ الأخبار التي تحدثت عن تعامل عمر بن الخطاب مع السنة النبوية جاءت على صنفين، الصنف الأول هي تلك الأحاديث التي تقدمت وصرحت بوقوع النهي والضرب والحبس لكل من تسول له نفسه بتدوين السنة النبوية الشريفة أو روايتها.

بينما نجد صنفاً آخر من الأخبار صرحت بان عمر بن الخطاب كان يوصي عماله وولاته بتعليم السنة النبوية والعمل بما فيها، كما في مسند أحمد بن حنبل

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ١ ص ٦٥.



حيث روى عن عمر بن الخطاب قوله: (واني اشهد الله على أمراء الأمصار فإنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم ويقسموا فيهم فيأهم...)[١].

وعن الشعبي عن شريح أنه كتب إلى عمر يسأله فكتب إليه: (أن اقض بما في كتاب الله فإن لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم فان لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فاقض بما قضى به الصالحون فان لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ولم يقض به الصالحون فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر ولا أرى التأخر إلا خيرا لك والسلام عليكم)[٢] أفي هذا تناقض بين هاتين الطائفتين من الأخبار أم أن للحقيقة وجهاً آخر؟.

والصحيح أن لا تناقض ما بين تلك الأخبار، لان التي ذكرت منع عمر بن الخطاب للصحابة من التدوين والرواية للسنة النبوية ومعاقبته لمن يخالف ذلك قد اشتهر أمرها وذاع ووردت من أكثر من مصدر تاريخي وتناقله أكثر من صحابي فلا يمكن والحال هذه رفع اليد عن القول بحصوله على نحو اليقين.

وأما الطائفة الثانية من الأخبار التي يستشعر منها اهتمام عمر بن الخطاب بالسنة النبوية فليس فيها تناقض مع أخبار المنع السابقة، وان هذا التضارب نتج عن الطريقة الانتقائية التي تعاملت فيها الدولة مع السنة النبوية المطهرة، لان السنة النبوية كانت في نظر الدولة تنقسم على قسمين، فكانت تتعاطى مع كل قسم بما يناسبه.

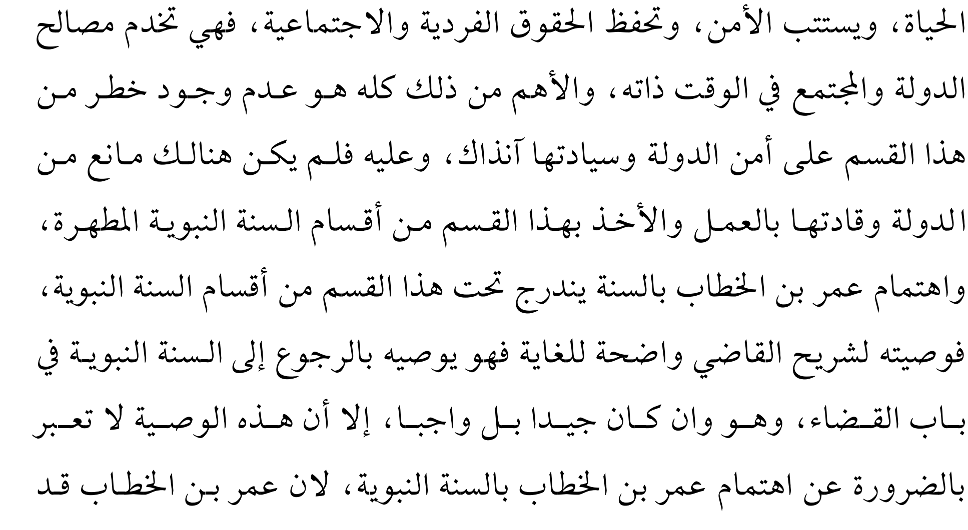
---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٨، والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٥٠.

(٢) سنن النسائي ج ٨ ص ٢٣١.



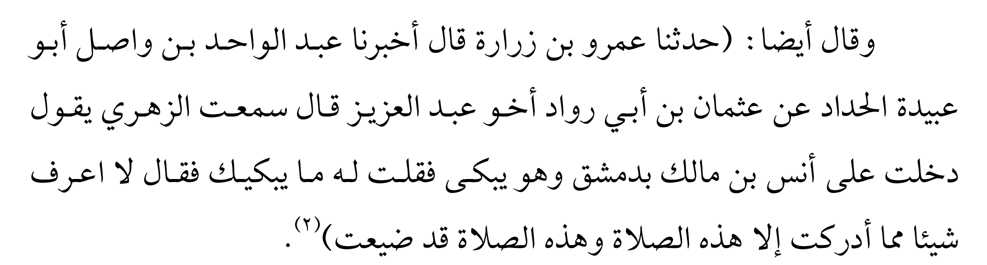
القسم الأول من أقسام السنة والمتعلق بالأحكام والتشريع والقضاء



والذي كان يعد ضرورة ملحة، فبه تنتظم شؤون الرعية، وتستقيم الحياة، ويستتب الأمن، وتحفظ الحقوق الفردية والاجتماعية، فهي تخدم مصالح الدولة والمجتمع في الوقت ذاته، والأهم من ذلك كله هو عدم وجود خطر من هذا القسم على أمن الدولة وسيادتها آنذاك، وعليه فلم يكن هنالك مانع من الدولة وقادتها بالعمل والأخذ بهذا القسم من أقسام السنة النبوية المطهرة، واهتمام عمر بن الخطاب بالسنة يندرج تحت هذا القسم من أقسام السنة النبوية، فوصيته لشريح القاضي واضحة للغاية فهو يوصيه بالرجوع إلى السنة النبوية في باب القضاء، وهو وان كان جيدا بل واجبا، إلا أن هذه الوصية لا تعبر بالضرورة عن اهتمام عمر بن الخطاب بالسنة النبوية، لان عمر بن الخطاب قد أدخل في وصيته هذه بابا خطيرا للغاية، فتح على الأمة الإسلامية أبوابا من الويلات لم تكن موجودة فيما سبق، لأنه قد أعطى في وصيته هذه مجالا للاستحسان والاجتهاد والقياس، وجعلها في مصف واحد مع كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فعمر بن الخطاب قد أعطى الضوء الأخضر لشريح القاضي بالأخذ بآراء الصلحاء في حالة عدم وجود أصل للحكم في الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، ولا أدري من هم الصلحاء؟ إذ إن مفهوم الصلاح مفهوم واسع ومقياسه نسبي، فلرب رجل صالح عند شريح القاضي ولكنه طالح عند غيره، وكذلك فتح له مجال الرأي والاستحسان حينما لا يجد حكما في كتاب الله وسنة نبيه وحكم الصالحين، فساوى بين كتاب الله وسنة نبيه وبين حكم الصالحين واجتهاد شريح القاضي وهو أمر خطير للغاية لا يخفى على متدبر.



ولكن لا ينبغي ان نغفل عن أمر مهم للغاية وهو ان محافظة الدولة على السنة النبوية المطهرة المتعلقة بمسائل التشريع والأحكام بدأت تضعف كلما قويت شوكتها وسطوتها، وبدأ تدخّل الحاكم وبعض مؤيديه في معارضة سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بسنة ثانية يزداد يوما بعد يوم، وصار التدخل يطال الأحكام التي كانت تُعَدّ من الأمور المسلّم بها والبديهية، حتى بلغ الحال ببعض الصحابة والتابعين البكاء على الحالة المزرية التي بلغتها الأمة الإسلامية من حيث التغيير والتبديل لبديهيات الأحكام الشرعية فضلا عن غيرها من الأحكام، فقد روى البخاري في صحيحه: (حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا مهدى عن غيلان عن أنس قال: ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم؟ قيل: الصلاة، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها؟)[1].



وقال أيضا: (حدثنا عمرو بن زرارة قال أخبرنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد عن عثمان بن أبي رواد أخو عبد العزيز قال سمعت الزهري يقول دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكى فقلت له ما يبكيك فقال لا اعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت)[2].

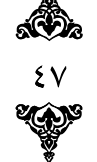
وروى البخاري أيضا: (حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبي قال حدثنا الأعمش قال سمعت سالما قال سمعت أم الدرداء تقول دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما اعرف من أمة محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم شيئا إلا أنهم يصلون جميعا)[3].

---

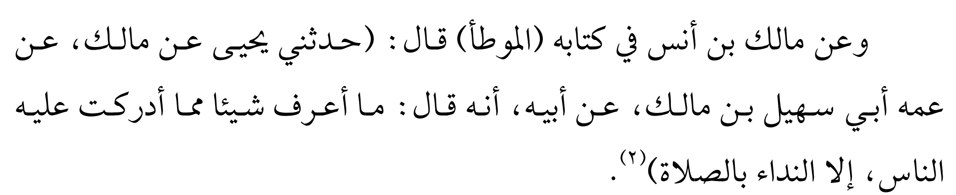
(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٤ باب تضييع الصلاة عن وقتها.

(٢) صحيح البخاري ج ١، ص ١٣٤ باب تضييع الصلاة عن وقتها.

(٣) المصدر السابق ج ١، ص ١٥٩ باب وجوب صلاة الجماعة.



وعن البخاري أيضا قال: (حدثني أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت طوبى لك صحبت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وبايعته تحت الشجرة فقال يا ابن أخي انك لا تدري ما أحدثنا بعده)[1].



وعن مالك بن أنس في كتابه (الموطأ) قال: (حدثني يحيى عن مالك، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال: ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس، إلا النداء بالصلاة)[2].

وبهذه الطريقة ضاعت سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم المتعلقة بالأحكام والتشريعات والقضاء ليحل محلها سنن الحكام وتشريعاتهم التي كانت تختلف عن تلك السنن والتشريعات التي اعتادها المسلمون في أيام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، حتى لم يبق من الدين إلا قشره، وهذا الضياع للسنة هو الذي أبكى أعين الصحابة وأدمى أفئدتهم.

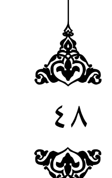
القسم الثاني: السنة المتعلقة بفضائل بعض الذين عاصروا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أو مثالبهم

مثلما أعطى الله سبحانه لنبيه العظيم صلى الله عليه وآله وسلم مهمة التبليغ لإحكام الشرع الحنيف، والحكم بين الناس بما انزل الله سبحانه، كذلك أعطاه مهمة إرشاد الأمة وتقويمها والأخذ بيدها وإخراجها من الظلمات إلى النور، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بحكم كونه قائدا ربانيا حكيما مؤيدا بنور الله سبحانه وتأييده، تعايش مع أمته في مختلف الظروف والأحوال، فخبرهم وسبر مكنون ضمائرهم، فعرف

---

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٦٥ ـ ٦٦ باب غزوة الحديبية.

(٢) كتاب الموطأ للإمام مالك ج ١ ص ٧٢ كتاب الصلاة باب ما جاء في النداء للصلاة.

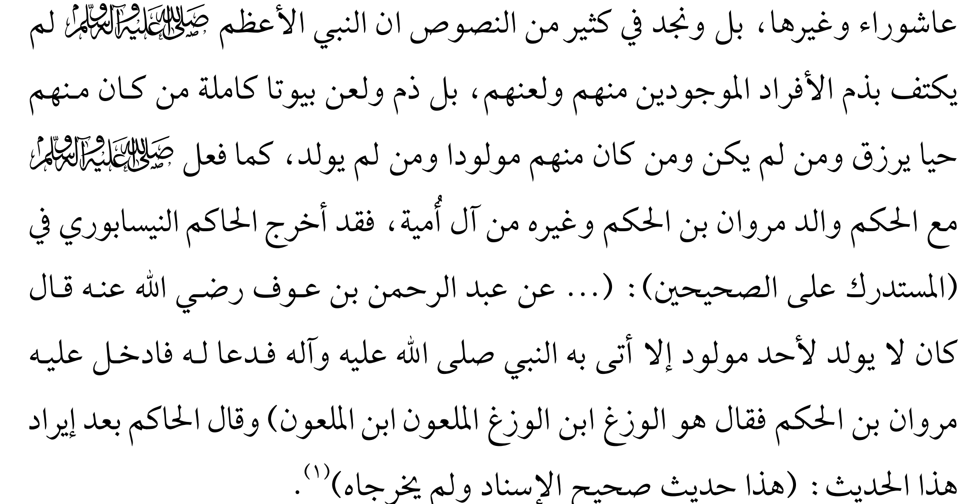


ومن خلال تجربته معهم في السراء والضراء، وحين الحرب والبأساء، وفي أوقات الشدة والرخاء، المصلح منهم والمفسد، والمؤمن والمنافق، والصالح والطالح، فكان يتعامل مع كل فرد من أفراد أمته على حسب حاله وما تنطوي عليه نفسه من الكفر أو الإيمان أو النفاق، فيشكر محسنهم، ويذم إساءة مسيئهم، ويعفو عن كثير، ويمكن لنا من خلال الاستقراء لكثير من النصوص التاريخية أن نقسم الأمة الإسلامية على ثلاث فئات:

الفئة الأولى: فئة أجمعت الأمة الإسلامية وعلى اختلاف مذاهبها بان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكرهم إلا بالمدح والتعظيم والتقديم ورفعة المنزلة وعلو الشأن، وتكاد هذه الفئة تقتصر على أربعة أنفار من الأمة هم كل من الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والسيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها، والإمامين الهمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، فهؤلاء الأطهار اجتمعت كلمة الأمة على القول بفضلهم، لذا ترى جميع الفرق الإسلامية تختلف مع بعضها البعض في تقييم الصحابة وتفضيلهم، ففرقة تمدح وأخرى تقدح، وفرقة توالي وأخرى تكفر، ولم تجتمع كلمتهم إلا على هؤلاء الأربعة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلا تجد مسلما يغمزهم أو يطعن فيهم بسابقة أو فضل، ومن يفعل هذا فليس بمسلم بإجماع أقوال علماء الإسلام.

الفئة الثانية: وهم قوم لم يؤثر عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حقهم سوى القدح والذم لأشخاصهم وأفعالهم، والتأخير والحط من مراتبهم ومنازلهم، والفضح لمخططاتهم وألاعيبهم، وهؤلاء كثير، لكننا نخص بالذكر منهم آل أمية وآل مروان وأمثالهم من الذين لعنهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في كل موطن وموقف وقفه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، كما وردت الإشارة إلى هذا المعنى في زيارة





عاشوراء وغيرها، بل ونجد في كثير من النصوص ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتف بذم الأفراد الموجودين منهم ولعنهم، بل ذم ولعن بيوتا كاملة من كان منهم حيا يرزق ومن لم يكن ومن كان منهم مولودا ومن لم يولد، كما فعل صلى الله عليه وآله وسلم مع الحكم والد مروان بن الحكم وغيره من آل أُمية، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في (المستدرك على الصحيحين): (... عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي صلى الله عليه وآله فدعا له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون) وقال الحاكم بعد إيراد هذا الحديث: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)(١).

وعن النسائي في (السنن الكبرى) عن عائشة بنت أبي بكر انها قالت: (ولكن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لعن مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله)(٢)، وقد علق ابن حجر على هذا الحديث وغيره بقوله في (فتح الباري): (وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد أخرجها الطبراني وغيره غالبها فيه مقال وبعضها جيد)(٣).

وقال الحاكم النيسابوري: (عن أبي حمزة قال سمعت حميد بن هلال يحدث عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة الأسلمي قال: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)(٤).

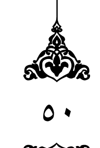
---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٤ ص ٤٧٩.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٤٥٩.

(٣) فتح الباري لابن حجر ج ١٣ ص ٩.

(٤) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٤ ص ٤٨٠ ـ ٤٨١.



الفئة الثالثة: وهم من لم تجتمع الأمة على القول بصلاحهم واختلفت أقوالهم في مقدار مدح النبي الأعظم وذمه لهم، ويدخل في هذا القسم سائر الصحابة، فلا يوجد إجماع من سائر مذاهب الأمة الإسلامية على التزكية المطلقة لأفراد هذه الفئة، فأهل السنة مثلا ينسبون لبعض رموزهم بعض الفضائل فتكذبهم الشيعة الإمامية أو الزيدية أو المعتزلة وغيرهم فيرون مقابلها كثيراً من المثالب، وبالعكس فقد تروي الشيعة أو الزيدية أو الخوارج وغيرهم فضيلة لأحد أفراد هذه الفئة فيكذبهم أهل السنة، فهذه الفئة على اقل التقادير مختلف في أمر قدحها ومدحها فاستحقت ان تكون فئة ثالثة تختلف عن تلك الفئتين السابقتين.



وبعد معرفة هذه الفئات الثلاث من فئات الأمة نقول: إنّ الدولة ومنذ اللحظة الأولى لنشوئها كانت توجس في نفسها خيفة من تثبيت أقوال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تجاه هذه الفئات الثلاث، وجعلها في متناول أيدي الناس جميعا، لان الدولة لو كتبت فضائل الفئة الأولى التي لم تصدر في حقهم مثلبة ولا منقصة، وكتبت معها مثالب الفئة الثانية والثالثة، لفتحت على نفسها بابا عظيما لا يُسَد إلى يوم القيامة، فكل جيل من أجيال المسلمين سيأتي فيتساءل لماذا أخّر الصحابة أشخاصاً لا توجد فيهم منقصة ولا مثلبة بإجماع المسلمين، بينما تقدمهم وتقدم المسلمين من هم اقل منهم مرتبة وشأنا وفضيلة، ومن اختلف المسلمون في تزكيتهم وعدالتهم ـ على اقل التقادير ـ إن لم نقل بعدم ثبوت عدالتهم أصلا، فلماذا تركوا ما هو متيقن العدالة والوثاقة والنزاهة وتمسكوا بمن هو مشكوك في فضله ـ قسم يفضله وقسم آخر يقدح فيه ـ.

ولو كانت الدولة دونت وثبتت مثالب الفئة الملعونة وجعلت أقواله صلى الله عليه وآله وسلم في حق آل أمية وأمثالهم في متناول أيدي الناس، لتساءل أجيال

المسلمين كيف وصل هؤلاء الملعونون على لسان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى كرسي الحكم على رغم وجود هذه اللعنات الكثيرة لهم حتى قبل ولادتهم ومجيئهم إلى هذه الدنيا، ولتساءل المسلمون كيف سمحت الدولة في زمن كل من أبي بكر وعمر وعثمان بالاستعانة بهؤلاء الملعونين وجعلهم ولاة وأمراء على بلاد المسلمين، بينما لم توكل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أي ولاية أو إمارة في طول مدّة حكم أبي بكر وعمر وعثمان.

وعليه وللحفاظ على ماء الوجه، ولكي لا تستغل هذه المثالب وتلك الفضائل ورقة إدانة توجهها الأجيال الإسلامية ضد حكومة الثلاثة، ارتأت الدولة آنذاك ضرورة تغييب القسم الثاني من أقسام السنة النبوية وطمسها، مع محاولة المجيء بسنة جديدة تقفل تلك الصفحات وتمحو تلك الأقوال وتؤسس لعالم جديد من الفضائل والمثالب كما سيأتي شرحه في موضعه إن شاء الله تعالى.

الملامح العامة لسنة الشيخين والتي صارت بديلا عن السنة النبوية

المشكلة التي تواجه الباحث انه لا يوجد شيء مدون مكتوب بعنوان سنة الشيخين، فسنة الشيخين وغيرها من السنن قد اندمجت مع سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واختلطت مع بعضها في كتب الحديث، فان السنن النبوية لما دونت في سنة ١٢٥ للهجرة لم يكتف الرواة المدونون بكتابة السنة النبوية وحدها حتى خلطوا معها سنة باقي الصحابة، ففي (الطبقات الكبرى) لابن سعد عن صالح بن كيسان قال: (اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن. قال: وكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، قال: ثم قال ـ أي الزهري ـ نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة، قال: قلت ـ والقائل هو صالح بن كيسان ــ إنه ليس

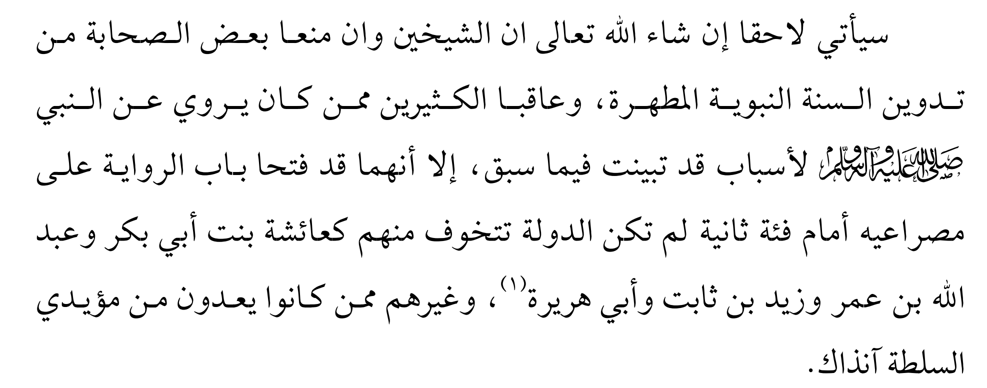
بسنة فلا نكتبه، قال فكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت)[1]، وفي هذا النص المهم تصريح واضح بان الزهري، وهو كما سنعرف فيما بعد يمثل بمدوناته الحجر الأساس لكتابة السنة النبوية وتدوينها ـ قد زج مع سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم سنة الصحابة أيضا وأقوالهم وأفعالهم لاعتقاده بان هذه أيضا سنة كسنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا عرفنا أيضا بان الزهري كان لا يهتم بقضية الأسانيد واتصال بعضها ببعض، حيث كان يرفع ويرسل ويدلس ويروي بالمعنى ما يشاء، نصل إلى نتيجة قطعية بان كثيرا من السنن التي هي سنن الصحابة وأقوالهم وأفعالهم انقلبت فيما بعد لتصبح من ضمن السنة النبوية، وانقلبت من كونها قولاً لأحد الصحابة إلى قول من أقوال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومما يؤكد هذا المعنى إننا والى الآن نرى علماء الحديث من أهل السنة يترددون في الحكم على كثير من الأحاديث الموجودة في صحاحهم وسننهم ومسانيدهم، ولا يستطيعون التمييز بين كونها من كلام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أم من كلام احد الصحابة، وهو ما يسمى بمشكلة التمييز ما بين المرفوع والموقوف.

فاختلطت بذلك أقوال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأقوال أصحابه، وسنته صلى الله عليه وآله وسلم بسننهم، وأصبح التمييز فيما بين السنتين مع مرور الوقت وتطاول السنين عسيراً جدا، وأصبح في وقتنا أعسر وأصعب لدخول كثير من الروايات والنصوص المزيفة والمكذوبة وإلصاقها عنوة بكتب السنة النبوية، ونحن وان كنا لا نستطيع تحديد المكذوب والذي تم إضافته على انه من ضمن السنة النبوية إلا أننا نستطيع إيجاد ملامح عامة لهذه السنة المزورة التي تم إضافتها وإقحامها في ضمن السنة النبوية الحقيقية، وفيما يأتي عدة من تلك الملامح:

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٢ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩.

أولا: التأكيد على بشرية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بشكل مبالغ فيه



سيأتي لاحقا إن شاء الله تعالى ان الشيخين وان منعا بعض الصحابة من تدوين السنة النبوية المطهرة، وعاقبا الكثيرين ممن كان يروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأسباب قد تبينت فيما سبق، إلا أنهما قد فتحا باب الرواية على مصراعيه أمام فئة ثانية لم تكن الدولة تتخوف منهم كعائشة بنت أبي بكر وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبي هريرة[1]، وغيرهم ممن كانوا يعدون من مؤيدي السلطة آنذاك.

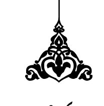


وهؤلاء المؤيدون الذين سمحت الدولة لهم بالرواية قد أكدوا في أحاديثهم المنقولة وبشدة على موضوع بشرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من دون أن يعطوا لشخصيته مصداقية غيبية، إلا في جانب يسير من جوانب حياته المباركة، وهو الجانب التبليغي للأحكام الشرعية، وأما ما يتعلق بتدبير سياسة البلاد، وإدارة شؤون الناس، وبقية الأمور المتعلقة بدنيا المكلفين، فقد جعلوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشرا كسائر البشر بل دون سائر البشر يرى فيها الرأي ثم يتبين له خطأه فيطلب من المسلمين السماح والغفران[2]، ويصلي بأصحابه فيتوقف فجأة

---

(١) أبو هريرة قد سمح له بالحديث على عهد الشيخين لكن المشكلة التي كانت تحرج السلطة هي ان أبا هريرة لم يدخل في الإسلام إلا في السنة أو السنتين الأخيرتين من عمر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لكنه مع هذا كان يحدث عنه آلاف الأحاديث بما لا يتناسب ومدة لقائه بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فمنعته السلطة من الإكثار الذي يجذب انتباه بقية المسلمين، ويثير التساؤل عن مصداقية هذه الأحاديث.

(٢) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم، وصحتها. (شرح مسلم النووي ج ٥ ص ٦١ ــ ٦٢): (قوله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ولكن إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني فيه دليل على جواز النسيان عليه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في أحكام الشرع وهو مذهب جمهور ←





ويأمرهم بالانتظار وسط الصلاة ثم يذهب إلى بيته ليغتسل ويعود ليخبرهم بأنه كان جنبا ونسي ان يغتسل[(١)]، ويصلي بهم فلا يدري كم صلى وكم ركع وسجد فيعتذر بأنه بشر مثلهم ينسى كما ينسون ويسهو كما يسهون[(٢)]، ويأمرهم بعدم تلقيح نخل المدينة ثم يتبين له ان النخلة لكي تثمر فانها لا يمكن ان تستغني عنه، فيعتذر لهم ويفوض لهم أمر التصرف بما يتعلق بأمور دنياهم لأنهم اعرف بها منه[(٣)].

والظاهر ان هذا التأكيد المبالغ فيه على بشرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وانه كغيره من سائر الناس ينسى ويسهو، ويلعن ويسب، ويصلي مجنبا، بل ويترك صلاة الصبح، ويبول واقفا، وأمثال ذلك، الهدف منه هو سلب قدسية النبي

←

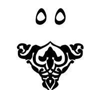
العلماء وهو ظاهر القرآن والحديث... قال القاضي واختلفوا في جواز السهو عليه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في الأمور التي لا تتعلق بالبلاغ وبيان أحكام الشرع من أفعاله وعاداته وأذكار قلبه فجوزه الجمهور).

(١) في مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٤١: (عن أبي بكرة ان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم استفتح الصلاة فكبر ثم أومأ إليهم أن مكانكم ثم دخل فخرج ورأسه يقطر فصلى بهم فلما قضى الصلاة قال إنما أنا بشر واني كنت جنبا).

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٤٢٠: (عن عبد الله بن مسعود قال صلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم خمسا الظهر أو العصر فلما انصرف قيل له يا رسول الله أزيد في الصلاة قال لا قالوا فإنك صليت خمسا قال فسجد سجدتي السهو ثم قال إنما أنا بشر أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون).

(٣) صحيح مسلم ج٧ ص ٩٥: (عن رافع بن خديج قال قدم نبي الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم المدينة وهم يأبرون النخل يقولون يلقحون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت أو فنقصت قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما انا بشر).

صلى الله عليه وآله وسلم من نفوس المسلمين، وتحطيم مصداقية أقواله وأفعاله، وبمعنى آخر تحطيم السنة النبوية، حتى يمكن للسلطة وأتباعها مناقشتها ومعارضتها وعدم الاعتقاد بإلزاميتها، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من مراحل المخطط وهو ما سنتكلم عنه في النقطة الثانية.



ثانيا: تضخيم شخصية السلطة وإعطاؤها مقام الأنبياء

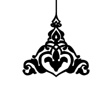
بعد أن نجحت السلطة مع مرور الوقت في سحق قداسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقتلها إعلاميا، جاءت الخطوة المكملة لهذه المهمة وهي تضخيم شخصية الخليفة وبعض الحاشية المشاركة له في الأهداف والمصالح، لجعله وإياهم مرجعا يرجع إليه في كل صغيرة وكبيرة، ولم يكتفوا بان جعلوا من الخليفة ـ وبالخصوص الشيخين ـ أفضل الصحابة حتى صيروهم أفضل أهل السماوات والأرض، كما نقل عن أبي هريرة قوله: (إن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: أبو بكر وعمر خير أهل السماوات والأرض، وخير الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين)[(١)].

ومنحوهما مقام الإفتاء في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كما نقل عن ابن عمر: (أنه سئل عمن كان يفتي في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما)[(٢)].

---

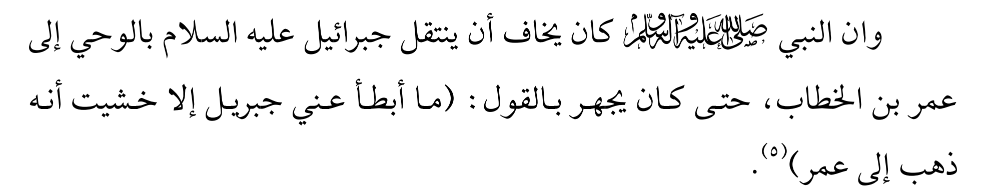
(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٢ ص٣٣٣، وكنز العمال للمتقي الهندي ج١١ ص٥٦٧ فضائل أبي بكر وعمر من الإكمال.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ج٩ ص٧٧، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل كان المسلمون بحاجة إلى من يفتيهم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قيد الحياة وهو صلى الله عليه وآله وسلم معروف بعدم رد أي سائل يطلب التفقه في الدين، فإذا كان الحال هذا فما الداعي إلى ان يسأل الناس الفتوى من ابي بكر وعمر؟!.





وجعلوا الخليفة يلقى في روعه ولا يتكلم إلا بإلهام من الملائكة، فعن عائشة: (عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم)[١] قال العيني: (المحدث الملهم الذي يلقى الشيء في روعه فكأنه قد حدث به يظن فيصيب، ويخطر الشيء بباله فيكون، وهي منزلة جليلة من منازل الأولياء، وقيل: المحدث هو من يجري الصواب على لسانه، وقيل: من تكلمه الملائكة...وقد وقع ذلك بحمد الله تعالى. وفيه منقبة عظيمة لعمر بن الخطاب)[٢] وقال المناوي: (كأنه جعله في انقطاع قرينه في ذلك كأنه نبي)[٣] وقال الشيخ الأميني نقلا عن الحافظ محب الدين الطبري: (ويجوز أن يحمل على ظاهره وتحدثهم الملائكة لا بوحي وإنما بما يطلق عليه اسم حديث، وتلك فضيلة عظيمة)[٤].



وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخاف أن ينتقل جبرائيل عليه السلام بالوحي إلى عمر بن الخطاب، حتى كان يجهر بالقول: (ما أبطأ عني جبريل إلا خشيت أنه ذهب إلى عمر)[٥].

وان الخليفة أعطي تسعة أعشار العلم وترك بقية أحياء العرب يتشاركون في جزء واحد، وان مجلسا واحدا يجلسه الإنسان بين يدي عمر بن الخطاب أفضل من عبادة أو عمل سنة كاملة، قال ابن مسعود: (لو وضع علم أحياء العرب في كفة

---

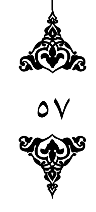
(١) صحيح مسلم ج٧ ص١١٦ باب من فضائل عمر.

(٢) عمدة القاري للعيني ج ١٦ ص ٥٥.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج٤ ص٦٦٤ حرف القاف.

(٤) الغدير للشيخ الاميني ج٥ ص٤٤ نصوص العامة حول المحدث.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج١٢ ص١٧٨ ذكر الأحاديث الواردة في فضل عمر.



ميزان ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم ولمجلس كنت أجلسه مع عمر أوثق في نفسي من عمل سنة)[١].

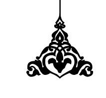
وفي مقارنة سريعة بين ما سطروه هنا للسلطة من صفات ترتفع بهم عن مرتبة سائر المخلوقين، وبين ما نسبوه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من موبقات عظام تحط به دون مراتب بقية المخلوقين، تتضح اللعبة وتتبين تفاصيلها، ويتيقن المسلم ان ذلك التمجيد للسلطة، وهذا الانتقاص من مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كان الهدف منه استبدال القدسية ليتسنى للخليفة أن يتمتع بمقام التشريع، وحتى إذا ما سن سنة يطاع ويتبع، وكيف لا يتبع وقد صوروه خير أهل السماوات والأرض، وما دام ملهما محدثا من قبل الملائكة، ولكي إذا ما خالفت سنة الحاكم سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقدم سنة الخليفة وتشريعاته لأنه ملهم بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما صوره إعلام الدولة يسهو وينسى ويخطئ ويعتذر بأنه بشر مثل غيره من البشر.

ثالثا: إيجاد التغطية الإعلامية وشراء ذمم المغطين

ان الحديث عن سنة الشيخين لا ينبغي أن ينفصل عن مسألة مهمة للغاية، وهي ان الشيخين ما كانا لينجحا لولا إيجادهما لشبكة إعلامية قوية وفعالة، تروج ما يسن ويبتدع من فتاوى وسنن، وتعطيه زخما شرعيا، وتغطية إسلامية، وقد وقع اختيار السلطة على مجموعة من الأشخاص الذين كانوا يتمتعون بمزايا خاصة وفريدة فضلاً على اشتراكهم مع السلطة بالمصالح والغايات، فعلى سبيل المثال اختيرت عائشة بنت أبي بكر لتغطية الجانب الشرعي وإعطاء الأحكام والفتاوى، وقد منحت مرتبة من قبل السلطة لم يمنح مثلها إنسان، كل ذلك بسبب الخدمات الجليلة التي

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣ ص ١١٤٩ ـ ١١٥٠.



بذلتها في هذا المجال، وفي مقابل هذه الخدمات منحتها الدولة مقاما رفيعا للغاية، ورفعتها لتصبح ثالث شخصية مهمة بعد أبي بكر وعمر بن الخطاب، وأوكلت إليها مقام المرجعية في الفتوى والأحكام، فعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: (كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر)[١].

وقد منحتها السلطة مباركتها وأيدتها بنصوص مكذوبة على لسان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كروايتهم بأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أوصى أمته بقوله: (خذوا ثلثي دينكم من هذه الحميراء)[٢] يقصد بذلك عائشة.

ولم تكتف السلطة بذلك حتى فتحت أمامها أبواب بيت المال وميزتها براتبها الشهري، عن جميع نساء المسلمين، قال ابن سعد: (عن مصعب بن سعد أن عمر أول من فرض الأعطية فرض لأهل بدر والمهاجرين والأنصار ستة آلاف ستة آلاف وفرض لأزواج النبي عليه السلام ففضل عليهن عائشة فرض لها في اثني عشر ألفا ولسائرهن عشرة آلاف عشرة آلاف غير جويرية وصفية فرض لهما في ستة آلاف ستة آلاف)[٣].

وأعطت الدولة القضاء لزيد بن ثابت فعن سليمان بن يسار قال: (ما كان عمر ولا عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحدا في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة)[٤] مع العلم أنّ زيد بن ثابت يصرح بما لا يقبل الشك أن

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٢ ص ٣٧٥.

(٢) تفسير الرازي ج٣٢ ص٣٢ في تفسير قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) وقريب من هذا اللفظ تجده في المبسوط للسرخسي ج٤ ص٢١٣ باب نكاح الصغير والصغيرة.

(٣) المصدر السابق ج٣ ص٣٠٤ ذكر استخلاف عمر.

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٥٩.



جميع ما كان يقضي به هو اجتهادات شخصية لا تمت للشريعة بصلة فعن الشعبي قال: (إن مروان دعا زيد بن ثابت، وأجلس له قوما خلف ستر، فأخذ يسأله، وهم يكتبون؛ ففطن زيد، فقال: يا مروان، أغدرا، إنما أقول برأيي)[١].

وقد استفاد زيد بن ثابت أيضا من بحبوحة بيت المال كما استفادت عائشة بنت أبي بكر قبله، لان الدولة لم تكن تبخل على من يخدمها بإخلاص، قال ابن حجر: (وروى البغوي بإسناد صحيح عن خارجة بن زيد كان عمر يستخلف زيد ابن ثابت إذا سافر فقلما رجع إلا أقطعه حديقة من نخل)[٢] ولا نريد الدخول بتفصيل القول حول طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وآل أبي سفيان وغيرهم ممن قدم خدمات للدولة فمنحتهم الدولة من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس.

ولم تكن السلطة في قوانين سنتها الجديدة ترى بأسا في ان يرى رجالها المعتمدون ما يشاءون ما دامت هذه الآراء لا تخل بأمن الدولة ولا تزعزع كرسي الخليفة، قال ابن عبد البر: (وعن ابن عمر أنه سئل عن شيء فعله أرأيت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يفعل هذا أو شيء رأيته قال بل شيء رأيته وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان إذا قال في شيء برأيه قال هذه من كيسي ذكره ابن وهب عن سليمان بن بلال عن كثير بن زيد عن وليد بن رباح عن أبي هريرة وعن ابن مسعود أنه قال في غير ما مسألة أقول فيها برأي)[٣].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢ ص ٤٣٨.

(٢) الإصابة لابن حجر ج٢ ص٤٩٢.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٨.

كما ان السلطة وأعوانها لم تكن ترى بأسا في أن تطمس كثيرا من النصوص النبوية فيما تعلقت مصلحة الدولة بطمسها وإخفائها، قال ابن أبي الحديد المعتزلي:

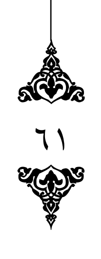


(وقد أطبقت الصحابة إطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك كإسقاطهم سهم ذوي القربى وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم وهذان الأمران أدخل في باب الدين منهما في باب الدنيا وقد عملوا بآرائهم أمورا لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة، كحد الخمر فإنهم عملوه اجتهادا، ولم يحد رسول الله صلى الله عليه وآله شاربي الخمر وقد شربها الجم الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم ولقد كان أوصاهم في مرضه أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر، وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك باستصلاحهم وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة وحولوا المقام بمكة، وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة ولم يقفوا مع موارد النصوص، حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد، فرجح كثير منهم القياس على النص، حتى استحالت الشريعة وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة)[1].

وكذلك كانت السلطة وأتباعها يرون جواز إخفاء الحقائق والأحاديث التي تؤدي إلى تفرق الناس عنهم كما جاء على لسان عثمان بن عفان حيث خطب في أيام إمارته فقال: (أيها الناس إني كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كراهة تفرقكم عني...)[2].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ٨٣ ـ ٨٤ نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٦٥ مسند عثمان بن عفان.

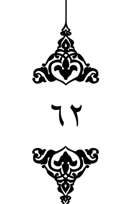


رابعا: إيجاد طبقة اسمها أهل الحل والعقد

لم يكن في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم شيء اسمه أهل الحل والعقد، وهو مصطلح أُنشئ بعد السقيفة، وأطلق على من أيد حكومة أبي بكر بن أبي قحافة، وبالتحديد على عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف، ثم وسع في عهد عمر بن الخطاب ليدخل فيه طلحة والزبير وغيرهما، ثم اخذ يتوسع أكثر فأكثر مع مرور الأيام، وأهل الحل والعقد هم الذين يملكون شعبية عند الناس ويملكون رصيدا اجتماعيا يستطيعون من خلاله تغيير موازين القوى وتحشيد الجماهير على أمر معين، ولكن من يرجع إلى تاريخ الكثير من أهل الحل والعقد في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يجد بأنهم لم يكونوا في أيامه يمتلكون مثل هذه الشعبية وهذه الجماهيرية، وان هذه الجماهيرية والشعبية قد حصلت لهم بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم من دار الدنيا.

وذلك لان التاريخ لم يذكر بان أبا بكر وعمر بن الخطاب وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعائشة كانوا يملكون مدا جماهيريا وشعبيا كبيرا في أيام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مثل المد والشعبية التي كان يمتلكها أمثال سعد بن عبادة الأنصاري أو سعد بن معاذ الأنصاري، وهذا دليل على ان هذه الشعبية والجماهيرية التي صارت لأهل الحل والعقد قد منحت لهم بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبعد تولي الشيخين زمام حكم الدولة الإسلامية ومقاليده.

وعليه فمن حق الباحث أن يتساءل كيف تحول أهل الحل والعقد فجأة من أفراد عاديين لا يملكون إلا أنفسهم إلى طبقة خاصة اسمها أهل الحل والعقد، فصاروا لا تنعقد إمامة إلا بموافقتهم، ولا يمضى شيء يخص مصير المسلمين إلا بمباركتهم، قال النووي: (وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف وعلى



انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة ...)[١].

ولعلنا لا نجد صعوبة إذا قلنا بأن الدولة ـ أي دولة كانت ـ تستطيع ان ترفع من تشاء بشيئين:

أحدهما: إعطاؤه الأموال التي يستطيع من خلالها شراء طاعة الناس وتأييدهم، فان الناس قديما وحديثا نفس الناس وهم يميلون إلى من يعطيهم ويقضي حوائجهم ويساعدهم على نوائب دهرهم وهو أمر يكاد يكون بديهيا.

والآخر: التغطية القانونية والتأييد الحكومي، لان الناس إذا ما علمت بان فلانا يملك تغطية دولية وتأييدا حكوميا وله كلمة مسموعة عند السلطان فانهم ينقادون له ومع مرور الأيام يصبح مطاعا لا ترد له كلمة ولا يناقش في فعل.

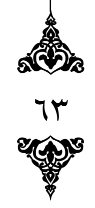
وبالعكس فإذا ما أرادت الدولة سلب شعبية شخص ما سحبت وجماهيريته عنه التأييد والتغطية الحكومية، وقطعت عنه الموارد المالية، فترى الناس بعد ذلك يفرون منه كفرارهم من المجذوم.

وهذا ما حصل بالفعل مع طبقة أهل الحل والعقد، فالدولة وسياسة الشيخين وسنتهما هي التي صنعتهم، فمنحتهم المال والتأييد فارتفع شأنهم، وعلا نجمهم وصاروا أولي حل وعقد في عشائرهم وأقوامهم، ومن باب المثال لا الحصر نعرض للقارئ الكريم مجموعة من هؤلاء الذين درت عليهم الدنيا ببركات سنة الشيخين، فوصلوا إلى حد التخمة، ومن هؤلاء:

١: الزبير بن العوام: قال البخاري (خلف إحدى عشرة دارا بالمدينة، ودارين بالبصرة، ودارا بالكوفة، ودارا بمصر)[٢]، وقال البخاري وغيره: (وكان له

(١) شرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٢٠٥.

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص٥٢



أربع نسوة أصاب كل واحدة من الثمن بعد رفع الثلث ألف ألف ومائتا ألف)[١]، وقال المسعودي: (خلف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططا)[٢].

٢: طلحة بن عبيد الله: وقد (كان طلحة يغل بالعراق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف، ويغل بالسراة عشرة آلاف دينار أو أكثر أو أقل)[٣]. وقال ابن قتيبة وغيره: (وكانت غلته كل يوم ألف درهم وافي)[٤]،قال ابن الأثير وغيره: (والوافي وزنه وزن الدينار)[٥]، وعن موسى بن طلحة ان طلحة (ترك ألفي ألف درهم ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار)[٦]، وعن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: (كان قيمة ما ترك طلحة من العقار والأموال وما ترك من الناض[٧] ثلاثين ألف ألف درهم، وترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض[٨]، وعن عمرو بن العاص: أن طلحة ترك مائة بهار في كل بهار ثلاث قناطر ذهب وسمعت أن البهار جلد ثور[٩]، وقال ابن عبد ربه: وجدوا في تركته ثلاثمائة بهار من ذهب وفضة.

(١) المصدر السابق ج٤ ص٥٣، السنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٢٨٧، فتح الباري ج٦ ص١٦٣، سير أعلام النبلاء للذهبي ج١ص٦٧.
(٢) مروج الذهب ج١ ص٤٣٤.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٢١، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٢٥ ص١٠١.
(٤) المعارف لابن قتيبة ص٢٣١، الفايق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري ج٣ ص٤٢١، المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص٣٧٨، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٢٥ ص١٠٢، سير أعلام النبلاء للذهبي ج١ ص٣٣.
(٥) الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص٧٧٠، أُسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص ٦١.
(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٢١، سير أعلام النبلاء للذهبي ج١ ص٣٣.
(٧) الناض: النقود من الدراهم والدنانير. من هامش تهذيب الكمال للمزي: ج١٣، ص٤٢٣.
(٨) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٢٢، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٢٥ ص١٢٠.
(٩) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٢٢.



وقال ابن الجوزي: خلف طلحة ثلاثمائة جمل ذهبا)[١].

٣: زيد بن ثابت: قال المسعودي: (خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار)[٢].

٤: عبد الرحمن بن عوف الزهري: وقد (ترك عبد الرحمن بن عوف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالنقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحا)[٣]. وقال محمد بن سعد في الطبقات الكبرى وغيره: (ان عبد الرحمن بن عوف توفي وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه)[٤]، قال ابن خلدون: (وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم)[٥].

ولا عجب بعد هذا أن يصبح هؤلاء من أهل الحل والعقد وممن يملكون التصرف في مقدرات المسلمين وشؤونهم الخاصة والعامة، ولا عجب أيضا في أن يطالب عبد الرحمن بن عوف كما سيأتي بسنة الشيخين وان لا يكتفي بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، لان هذه القارونية والطبقية لم يكن لها وجود على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكن من سنته أن يعطي إنسان الملايين بينما لا يجد أكثر المسلمين لقمة تشبع بطونهم.

فسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي التي سمعها الناس بأجمعهم وسمعها أصحاب الحل والعقد أيضا وهو يحدد أفضل الناس وأحبهم إليه بقوله: (إن أغبط

(١) الغدير للعلامة الاميني ج٨ ص٢٨٣.

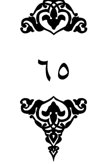
(٢) مروج الذهب ج١ ص٤٣٤، تاريخ ابن خلدون ج١ ص٢٠٥

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص٨٤٧، الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٣٦.

(٤) أُسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص٣١٧، الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٣٦.

(٥) تاريخ ابن خلدون ج١ ص٢٠٥.

أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك)[1].



وهو صلى الله عليه وآله وسلم جعل الفقر من علامات حبه، فالمحب لشخصه المقدس لابد أن يكون فقيرا وإذا لم يكن فقيرا فليستعد للفقر فقد جاء رجل إليه صلى الله عليه وآله فقال له:

(إني لأحبك في الله، قال صلى الله عليه وآله: إن كنت صادقا فيسر للفقر تجفافا فالفقر إلى من يحبني أسرع من السيل إلى منتهاه)[2].

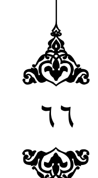
ولا عجب من اتفاقهم واجتماعهم على عدم تدوين سنته صلى الله عليه وآله وسلم والتكتم عليها وتفضيل غيرها عليها، اذ ان سيرته وسنته كانت تذكرهم على الدوام بمقدار بعدهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن سيرته وسنته، فهو الذي ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض[3]، وهو الذي كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء ليلتهم وكان أكثر خبزهم خبز الشعير[4]، فقس هؤلاء عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وقس سنته صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته على سنة الشيخين وسيرتهما، تجد العجب العجاب، وكما قيل قديما تعرف الأشياء بأضدادها.

(١) تفسير البغوي ج١ ص١٧٧، كنز العمال ج٣ ص١٥٣، الجامع الصغير ج١ ص٣٣٧، سنن الترمذي ج٤ ص٦.

(٢) سنن الترمذي ج٤ ص٧، المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٣٣١، رياض الصالحين ص٢٦٩، الجامع الصغير للسيوطي ج١ ص٤١٠.

(٣) سنن الترمذي ج٤ ص٩، مسند أبي داود الطيالسي ص١٩٨، البداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص٥٨.

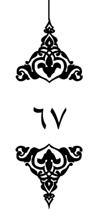
(٤) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٥٥، سنن الترمذي ج٤ ص١٠، المعجم الكبير للطبراني ج١١ ص٢٥٩.



مصير السنة النبوية المطهرة في زمن عثمان بن عفان

لما وضع عمر بن الخطاب قبل موته الأمر في ستة أشخاص، وهم كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، فأوكل كل من سعد وطلحة والزبير عبد الرحمن بن عوف في أن يختار عنه وعنهم احد الرجلين إما علياً أو عثمان، وبعد جدل ومماطلة مذكورة في محلها، اشترط عبد الرحمن بن أبي بكر على من يريد أن يصبح خليفة منهما أن يسير بسيرة الشيخين أبي بكر وعمر بن الخطاب وسنتهما.

فكان جواب الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه هو الرفض القاطع بالسير بغير كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ورأيه بوصفه إماماً مفترض الطاعة، ولكن عثمان بن عفان قبل هذا الشرط فبايعه عبد الرحمن بن عوف وبايعه بقية الصحابة والناس، وقد ذكر الذهبي في (تاريخ الإسلام) هذه الكارثة بقوله: (...ثم نودي الصلاة جامعة وخرج عبد الرحمن عليه عمامته التي عممه بها رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم. متقلدا سيفه، فصعد المنبر ووقف طويلا يدعو سرا، ثم تكلم فقال...قم إلي يا علي، فقام فوقف بجنب المنبر فأخذ بيده وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر قال: اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، فقال: قم يا عثمان، فأخذ بيده في موقف علي فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر قال: اللهم نعم، قال فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يده ثم قال: اللهم اشهد اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان. فازدحم الناس يبايعون حتى غشوه عند المنبر وأقعدوه على الدرجة الثانية، وقعد عبد الرحمن مقعد رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من المنبر. قال: وتلكأ علي، فقال عبد



الرحمن: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما. فرجع علي يشق الناس حتى بايع عثمان وهو يقول: خدعة وأيما خدعة)[١].

وقال البيهقي في (السنن الكبرى): (وأخذ بيد عثمان وقال أبايعك على سنة الله وسنة رسوله والخليفتين من بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون)[٢]، وهو أمر خطير للغاية إذ صارت سنة الشيخين تعدل كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والأخطر منه ما وصل إليه حال المسلمين الذين أصبحوا لا يقبلون بكتاب الله سبحانه وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من دون ضم سنة الشيخين معهما.

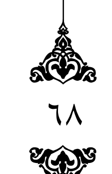
وعلى أي حال فقد وصل عثمان بن عفان إلى السلطة بشرط العمل بسنة الشيخين، ولكن عثمان بن عفان ولاعتقاده بان سنة الشيخين ما هي إلا آراء للحكام الذين سبقوه استحسنوها فدونوها، وانها ما فرضت على الناس ولا سنت ولا روجت إلا لان القائل لها هو الحاكم وليس شخصا آخر، وها هو قد وصل إلى ما وصل إليه كل من أبي بكر وعمر، رأى أنّ مِن حقه حينئذ ان يضع لمساته كخليفة على الفقه والعقيدة والقضاء وغير ذلك، ليكون له اثر يذكر كما لغيره، وليسمي الناس بعده السنة باسم سنة أبي بكر وعمر وعثمان، لذلك حاول بعد مدّة ليست بالطويلة من توليه الإمارة أن يشرع بعض الأحكام التي يناقض فيها كلاً من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر، نظير ما رواه الطبري في (تاريخ الطبري): (عن عبد الملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن عمه قال صلى عثمان بالناس بمنى أربعا فأتى آت عبد الرحمن بن عوف فقال هل لك في أخيك قد صلى بالناس أربعا

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٣٠٥.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٤٧.

فصلى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين ثم خرج حتى دخل على عثمان فقال له ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ركعتين قال بلى قال أفلم تصل مع أبي بكر ركعتين قال بلى قال أفلم تصل مع عمر ركعتين قال بلى قال ألم تصل صدرا من خلافتك ركعتين... فقال عثمان هذا رأي رأيته)[1].



وقال ابن الأثير: (أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم، وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام، ووسعه، وابتاع من قوم فأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان فأمر بهم فحبسوا، وقال لهم: قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به. فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم)[2]. وعن عاصم عن شقيق قال: (لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد ما لي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه فقال له عبد الرحمن أبلغه اني لم أفر يوم عينين قال عاصم يقول يوم أحد ولم أتخلف يوم بدر ولم أترك سنة عمر)[3].

ويمكن لنا بوضوح ملاحظة ما كان يواجهه عثمان بن عفان من المعارضة الشديدة جراء تغييره لبعض الأحكام والسنن وبالخصوص سنة الشيخين، مع ان أكثر هذه الأصوات لم تكن ترفع ضد إضافات أبي بكر وعمر وتغييراتهما للسنة النبوية، مع ان تغييرهما للسنة النبوية وللأحكام الشرعية كان اشد وأعظم من تغيير عثمان لها، وهذا التناقض في ردة فعل الصحابة تجاه هذين التغييرين هو الذي حدا بعثمان بن عفان أن يصرخ بوجه أولئك المعترضين ويواجههم بهذه الحقيقة علانية بقوله في إحدى خطبه: (ألا فقد والله عبتم علي بما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٨٧.

(٣) مسند أحمد لأحمد بن حنبل ج ١ ص ٦٨.



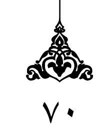
وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ولنت لكم وأوطأت لكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي أما والله لأنا أعز نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عددا)[١].

ولعل سبب هذه المعارضة يعود إلى عدم فهم عثمان بن عفان لقواعد اللعبة، وذلك لان الشيخين أشركوا في الحكم كل قبائل العرب، وادخلوا في جهاز الدولة جميع من كان له مطمع في الإمارة من الصحابة وغيرهم، فأعطوا الأموال العظيمة وقسموا الهدايا الجسيمة، وولوا البلدان لمن كان يتشوق للولاية، فأحبهم الناس وأحبوا بقاءهم وصبروا على ما في إمارتهم من العلل والنقص رجاء أعطياتهم وصلاتهم، والأهم من ذلك كله هو إيجادهم لشبكة إعلامية قوية تغطي جميع تصرفاتهم وتغييراتهم وتبررها وتلبسها لباسا شرعيا.

لكن عثمان بن عفان خالف قواعد اللعبة، وأراد ان يستفرد بالغنيمة كاملة هو وأهل بيته من بني أمية دون أهل الحل والعقد من الصحابة الذين كانوا يمنحون الدولة المساندة مقابل نظام المحاصصة، فصيرهم أسوة بغيرهم من الناس، وأعطى الأموال الجسيمة إلى قرابته وأهل بيته، فثارت لذلك ثائرة الذين تم إقصاؤهم ومساواتهم بغيرهم، فشعروا بان مصالحهم باتت مهددة بالزوال والضياع، وان منازلهم ومقاماتهم التي تمتعوا ببحبوحتها لسنوات طويلة صارت عرضة لانتهاك الأمير الجديد، فلذلك وقفوا بوجه كل محاولة من محاولات تغييره مهما كانت صغيرة وتافهة.

فلو كان عثمان قد فهم اللعبة جيدا، ولو كانت مصالح تلك الشبكة الإعلامية مضمونة لديه، ولو لم ينفرد بالغنيمة وحده مع أهل بيته من الأمويين، ولو تقاسمها وشاركها مع غيره من أهل الحل والعقد لما تجرأ عليه متجري،

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٧٧.



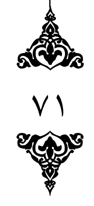
ولدعمت وأسندت وألبست جميع تغييراته للسنة لباسا شرعيا ولاستحدثت فتاوى وأحاديث جديدة تلبي جميع رغباته وتغييراته.

وما ذكره اليعقوبي في تاريخه بقوله: (وكان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وصيرها أسوة بغيرها من نساء رسول الله، فإن عثمان يوما ليخطب إذ دلت عائشة قميص رسول الله، ونادت: يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل، وقد أبلى عثمان سنته فقال عثمان: رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم)(١).

خير شاهد ودليل على ما قدمنا، من ان الصراع ما بين عثمان ومعارضيه لم يكن بداع الخوف على الأمة الإسلامية، أو على سنة نبيها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، بل كان صراع مصالح شخصية ومنافع دنيوية آنية، ولكن المعارضين لعثمان صبغوه بصبغة شرعية، واستغلوا فيه اسم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولوحوا بتغيير عثمان لسنته، من اجل استمالة قلوب الجهال والبسطاء من الناس، لان عائشة لم تبك على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم كان عمر بن الخطاب يفضلها على سائر المسلمين في العطاء، ولم تصرخ يوم لم يبق من الدين ومن سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلا القشر، ولكنها انتفضت صارخة حينما نقصها عثمان بن عفان ما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وفي اليوم الذي صيرها عثمان بن عفان أسوة بغيرها من نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التفتت فجأة إلى ان السنة النبوية في خطر وانها أصبحت بالية قبل أن يبل جلباب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكأنها لم تلتفت إلى ان السنة النبوية قد بليت منذ زمن أبيها وخليفته وان ما فعله عثمان بسنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لا يساوي نقطة من بحر ذلك التزوير والتحريف والإضاعة للسنة النبوية المطهرة في عهد الشيخين.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص١٧٥ أيام عثمان بن عفان.



مصير السنة النبوية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

استمر العمل بسنة الشيخين لسنين طويلة، حتى هرم عليها الكبير، وشاب عليها الصغير، فصارت واقعا معاشا مفروغا منه، لا يعرف المسلمون غيره، فلما جاء الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لم يأت على ارض ممهدة، وقلوب مؤتلفة، وأوضاع متسقة، وهذه الحقيقة لم تكن خافية على أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، لذلك خاطب المسلمين حينما تجمهر الناس عليه للبيعة بعد مقتل عثمان بن عفان بقوله: (دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت. واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب)[1].

ولولا إصرار الأمة على بيعته وإلحاحهم عليه لما قبل الإمارة، وقد بلغ إصرار الناس عليه مبلغا عظيما، حتى انه صلوات الله وسلامه عليه ذكرهم بذلك بعد حين قائلا لهم: (وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداككتم علي تداك الإبل الهيم على حياضها يوم وردها؛ حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب)[2].

ولكن الجميع كان يتشوق إلى معرفة أي السنن سوف يتبعها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في حكومته، أفسيتبع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي اندثرت أو

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٣ ص٣.

أصبحت على وشك الاندثار، أم انه سينتهج منهج من قبله من الولاة ويتخذ من سنة الشيخين سنة لحكومته؟، ولم يكن الوقت طويلا حتى اكتشف الجميع بان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في صدد إرجاع ما اندثر، وبعث ما كاد يقبر من سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فقد صارت بوادر إرجاع السنة النبوية ظاهرة للعيان، فوضوءه وصلاته هو وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلاته، وكذلك باقي الأحكام المتعلقة بالشريعة، كلها كانت تذكر الناس بأحكام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتشريعاته، قال البخاري في صحيحه: (عن غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله قال صليت خلف على ابن أبي طالب رضي الله عنه أنا وعمران بن حصين فكان إذا سجد كبر وإذا رفع رأسه كبر وإذا نهض من الركعتين كبر فلما قضى الصلاة اخذ بيدي عمران بن حصين فقال قد ذكرني هذا صلاة محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أو قال لقد صلى بنا صلاة محمد عليه الصلاة والسلام)[1].

وروى البخاري أيضا قال: (عن عمران بن حصين قال صلى مع علي رضي الله عنه بالبصرة فقال ذكرنا هذا الرجل صلاة كنا نصليها مع رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فذكر أنه كان يكبر كلما رفع وكلما وضع)[2].

وأما ما يتعلق بسياسته المالية وتقسيم العطاء والحقوق، فلعل أول نبأ صدم أنصار سنة الشيخين هو ما أعلنه الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه من عزمه على استرجاع الأموال العامة التي أعطاها عثمان بن عفان إلى بعض أقاربه وغيرهم وردها إلى بيت المال، والتي اقسم الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على استرجاعها بقوله: (والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته، فإن

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٩١.

(٢) المصدر نفسه.



في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)[١].

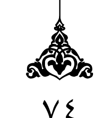
ثم استتبع ذلك بخطوات عملية أخرى، فقد ساوى في العطاء ما بينه وبين خادمه قنبر، وما بين السادة وعبيدهم، وما بين أصحاب الحل والعقد وبين ضعاف المسلمين وفقرائهم، فتيقن أهل الحل والعقد ان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لو بدأ باسترجاع أموال أنصار عثمان فانه سينتهي حتما بإرجاع ما تحت أيديهم من الكنوز والأراضي والذهب الذي يكسر بالفؤوس، والتي جاءتهم من بركات سنة الشيخين، فوقفوا بوجهه وقفة رجل واحد، وأشعلوا نار الفتنة والحروب والهرج والمرج.

فكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

واستشهد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في مسجد الكوفة على يد ابن ملجم أشقى الأولين والآخرين واستشهدت معه السنة النبوية المطهرة، وكان اقتفاؤه أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنته من أهم أسباب استشهاده صلوات الله وسلامه عليه، فلأنه ساوى بالعطاء ولم يفضل أهل الحل والعقد على بقية المسلمين، خرجت عليه عائشة بنت أبي بكر وطلحة والزبير وبقية الناكثين، ولان الناكثين كسروا هيبة دولته تجرأ معاوية بن أبي سفيان وبقية القاسطين على مخالفته والخروج عليه، ولولا فتنة القاسطين ووقوفهم بوجه الحق لما تشكل وتكون كيان الخوارج المارقين، فهم كما ترى حلقة يتبعها حلقة أخرى ليشكلوا بمجموعهم سلسلة كبلت يد الإسلام ورجله وقيدت محاولات إرجاع السنة النبوية ونفخ الحياة فيها مرة أخرى، فالإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه لو أنصفه التاريخ والمسلمون لسمي بشهيد السنة النبوية، وكذلك جميع أولاده المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين بذلوا دماءهم وأعطوا الغالي والنفيس في سبيل إحياء السنة النبوية المطهرة.

---

(١) المصدر السابق ج١ ص٢٦٩.



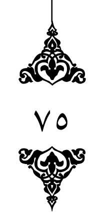
لماذا لم يكتب الإمام علي عليه السلام السنة النبوية في زمن خلافته؟

ولعل سائلا يسأل، لماذا لم يدون الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه السنة النبوية المطهرة في زمن خلافته؟ فإذا كان يعتقد فعلا بضرورتها ووجوب إحيائها ولزوم ترك سنة الشيخين والرجوع إليها، فلماذا لم يكتبها ويضيع الفرصة على من جاء قبله أو يأتي بعده، مستغلا وجوده كحاكم للدولة الإسلامية، ومستفيدا من قيموميته على بيت المال فإذا ما اعترضه معترض ردعه بالوسائل المتاحة له كرئيس للدولة؟.

والإجابة عن هذا التساؤل تكمن في معرفة ان الإمام صلوات الله وسلامه عليه كان قد كتب في حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم السنة النبوية المتعلقة بالأحكام والتشريعات، وكذلك المتعلقة بتفسير القرآن الكريم وتبيان غوامض آياته الشريفة وتوضيح الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه والعام من الخاص وأسباب النزول، وقد كان هذا التفسير من الدقة والشمول ان أوضح فيه الإمام صلوات الله وسلامه عليه نزول كل آية بليل أو نهار بسفر أو حضر في سهل أو في جبل، كل ذلك بإملاء من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبخطه صلوات الله وسلامه عليه.

فعن أبي بصير قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام سترا بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام بابا يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف

باب قال: قلت: هذا والله العلم قال: فنكت ساعة في الأرض ثم قال: إنه لعلم وما هو بذاك.



قال: ثم قال: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب بيده إلي فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا ـ كأنه مغضب ـ قال: قلت: هذا والله العلم قال إنه لعلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك.

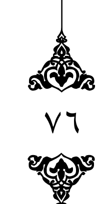
ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات[1]، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم قال: إنه لعلم وما هو بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وليس

---

(١) يقصد صلوات الله وسلامه عليه ان حجمه اكبر من القرآن ثلاث مرات ولكنه ليس فيه من القرآن حرف واحد.

بذاك. قلت: جعلت فداك فأي شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار، الأمر من بعد الأمر، والشيء بعد الشئ، إلى يوم القيامة)[1].



والأحاديث في ذكر الصحيفة الجامعة وغيرها من الصحف الأخرى التي كانت عند الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كثيرة جدا قد عقد لها المحدثون أبوابا خاصة في كتبهم، وهذه الصحيفة هي التي كان يستخرج منها الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه الأحكام والتشريعات أيام ولايته، ولو كان مقدرا لأهل البيت أن يحكموا بعده لما تعدوا عن الحكم بها والتقيد فيها كما في الحديث المروي عن محمد بن مسلم قال: (قال أبو جعفر عليه السلام إن عندنا صحيفة من كتب علي طولها سبعون ذراعا فنحن نتبع ما فيها لا نعدوها)[2].

وفيما يخص تفسير القرآن يروي سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (كنت إذا سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله أجابني وان فنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا ارض ولا دنيا ولا آخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة إلا أقرأنيها وأملاها علي وكتبتها بيدي وعلمني تأويلها وتفسيرها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها وكيف نزلت وأين نزلت وفيمن أنزلت إلى يوم القيمة دعا الله لي ان يعطيني فهما وحفظا فما نسيت آية من كتاب الله ولا على من أنزلت إلا أملاه علي)[3].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠.

(٢) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص١٦٣ باب ١٢ في ان الائمة عندهم الصحيفة الجامعة التي هي املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط علي عليه السلام بيده وهي سبعون ذراع.

(٣) بحار الانوار للعلامة المجلسي ج٤٠ ص١٣٩ في قول امير المؤمنين لو ثنيت لي وسادة لحكمت بين اهل القرآن بالقران....



وعن الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن سليم بن قيس الهلالي قال: (سمعت عليا يقول: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن إلا أقرأنيها أو أملاها علي فأكتبها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها، فلم أنس منه حرفا واحداً)[١].

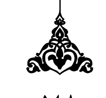
فبعد هذه الأحاديث لا ينبغي ان يشك في ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كتب السنة النبوية بخط علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وأودعها عنده، لكن الأمة الإسلامية ولشديد الأسف لم تكن تعي أهمية هذه السنة حتى في وقت الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فكم من مرة حاول الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أن يشجع باقي المسلمين على استغلال هذه الفسحة من الحرية ويكتبوا عنه سنة نبيهم وأشياء ستندثر بعده، فكان يصيح من على منبر الكوفة حتى بح صوته يسأل الناس من يريد منهم ان يشتري علما بدرهم، والدرهم لا يريده الإمام صلوات الله وسلامه عليه لنفسه حاشاه، بل هو ثمن الصحيفة والقلم يشتريهما المرء ليملي أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه له بها علما بقدرها، ولو جاء بألف صحيفة لملأها له، ولكن المجتمع لم يكن يقدر هذه الفرصة الذهبية، ولم يستغل الظرف للاغتراف من هذا النبع الصافي، فعن محمد بن سعد في الطبقات الكبرى قال: (علباء بن أحمر أن علي بن أبي طالب خطب الناس فقال من يشتري علما بدرهم فاشترى الحارث الأعور صحفا بدرهم ثم جاء بها عليا فكتب له علما كثيرا ثم إن عليا خطب الناس بعد فقال يا أهل الكوفة غلبكم نصف رجل)[٢].

---

(١) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج١ ص٤٧ ـ ٤٨.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٦ ص١٦٨.

وفي كتاب الحد الفاصل للرامهرمزي قال: (حدثنا الحضرمي، ثنا يحيى، ثنا داود بن عبد الجبار، ثنا أبو إسحاق، عن الحارث، عن علي أنه قال: من يشتري علما بدرهم؟ فذهبت فاشتريت صحفا بدرهم فجئت بها فأملى علي حتى كتبت ثم قال علي يا أهل الكوفة أعجزتم أن تكونوا كشطر رجل وكان الحارث أعور)[1].





مصير السنة النبوية في زمن معاوية بن أبي سفيان

ان الحديث عن السنة النبوية المطهرة في زمن معاوية بن أبي سفيان هو حديث عن مرحلة جديدة من مراحل التبديل والتحريف لها، لان معاوية وبقية الأمويين لم يكونوا يرون من السنة النبوية وبالخصوص المتعلقة بالفضائل والمثالب إلا ورقة إدانة تهدد وجودهم الجديد، لان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكما ذكرنا سابقا قد لعنهم وحذر الأمة منهم وأمر أصحابه بان يقتلوا معاوية بن أبي سفيان عند رؤيته على المنبر أميرا للمسلمين، ودعا عليه أن لا يشبع الله بطنه، وغير ذلك الكثير الكثير، وعليه فلا يوجد سبب واحد يدعو معاوية بن أبي سفيان وبقية الأمويين إلى تدوين السنة النبوية المطهرة، بل يكون الداعي إلى طمسها ومواجهتها واستبدالها وتغييرها اشد وأوكد، وهذا ما حصل بالفعل.

الملامح العامة للسنة الأموية الجديدة

حينما لم يكن لمعاوية بن أبي سفيان وبقية الأمويين مصلحة في إخراج السنة النبوية الأصيلة وتدوينها، قرر جهاز الحكم الأموي إنشاء سنة جديدة تنسب إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وليس فيها مطعن واحد على الأمويين، أو تعديل تلك

(١) الحد الفاصل للرامهرمزي ص٣٧٠، وراجع ايضا تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٦ ص٣٠١.

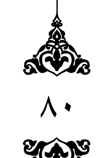
السنة التي كانت موجودة ومتداولة في ذلك العصر، عن طريق وضع أحاديث جديدة مفتريات تخفف من وطأة تلك الأحاديث التي ورد فيها لعن صريح لمعاوية وبقية آل أمية لعنهم الله، أو تحولها من مثالب إلى فضائل[1].



ولكن معاوية بن أبي سفيان كان يعلم ان هذه المهمة الضخمة لا يمكن أن تتم إلا من خلال إرجاع الأوضاع إلى ما كانت عليه مسبقا في عهد الشيخين، لأنه قد اتخذ من أيام عثمان بن عفان درسا له تعلم منه الكثير، فقد تعلم بأنه إن كان يريد لنفسه البقاء والاستمرار في الحكم فيجب عليه أولا العودة إلى العمل بسنة

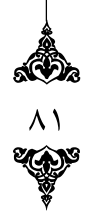
---

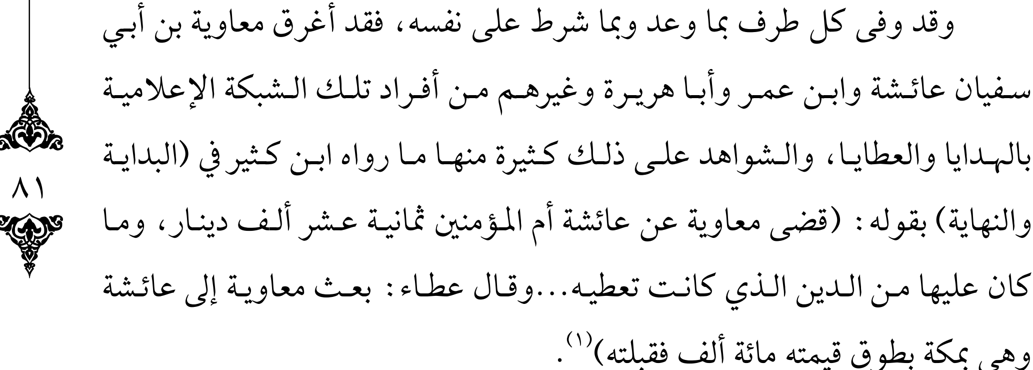
(١) كما فعلوا مع الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه ج ٨ ص ٢٧ : (عن أبي حمزة القصاب عن ابن عباس قال كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فتواريت خلف باب قال فجاء فحطأني حطأة وقال اذهب وادع لي معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل قال ثم قال لي اذهب فادع لي معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل فقال لا أشبع الله بطنه) وهو صريح في ذم معاوية، إلا أن السياسة الأموية صيرت هذا الحديث منقبة من مناقب معاوية وفخرا من مفاخره، وذلك برواياتهم لأحاديث أخرى كاذبة تنص على ان لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض الناس ينقلب وبقدرة قادر إلى كفارة وزكاة وقربة يتقرب بها إلى الله سبحانه، فيكون اللعن لهم رحمة لا نقمة ومنقبة لا مثلبة، قال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص١٢٨ : (وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أما في دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميرا، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير ويصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا ويقول والله ما أشبع وإنما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك. وأما في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة. أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: " اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة ". فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك) فانظر عزيزي القارئ إلى أي مدى يصل التعصب الأعمى بالإنسان فيصبح يرى الحقائق معكوسة والموازين مقلوبة.



الشيخين، والاعتماد من جديد على الشبكة الإعلامية القديمة التي كانت تعطي الدولة في السابق زخما جماهيريا شرعيا، والاهم من ذلك كله إرجاع قانون الامتيازات ونظام الطبقية والبرجوازية التي كانت تتمتع بها بعض الشخصيات من الصحابة والصحابيات في عهد الشيخين، ولم يكن لدى معاوية خيار آخر، خصوصا بعد التحذيرات الصريحة والمباشرة من قبل عائشة بنت أبي بكر، وتشديدها على ضرورة العودة إلى الوضع السابق فيما لو أراد لحكمه البقاء والدوام، وقد روى الزهري تفاصيل هذا اللقاء السري الذي جرى ما بين عائشة ومعاوية، فقال كما في (البداية والنهاية) لابن كثير: (إن معاوية حين قدم المدينة يريد الحج دخل على عائشة فكلمها خاليين لم يشهد كلامهما أحد إلا ذكوان أبو عمر ومولى عائشة، فقالت: أمنت أن أخبأ لك رجلا يقتلك بقتلك أخي محمدا؟ فقال: صدقتِ، فلما قضى معاوية كلامه معها تشهدت عائشة ثم ذكرت ما بعث الله به نبيه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من الهدى ودين الحق، والذي سن الخلفاء بعده، وحضت معاوية على العدل وإتباع أثرهم، فقالت في ذلك فلم تترك له عذرا، فلما قضت مقالتها قال لها معاوية: أنت والله العالمة العاملة بأمر رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، الناصحة المشفقة البليغة الموعظة، حضضت على الخير، وأمرت به، ولم تأمرينا إلا بالذي هو لنا مصلحة، وأنت أهل أن تطاعي)[1]، فعائشة بنت أبي بكر أوضحت له في المقدمة ما يمكنها أن تصنع به إن لم تلبَّ طلباتها، وأفهمته ان باستطاعتها أن ترتب له عملية اغتيال مبررة ومشروعة، وان بإمكانها استغلال مقتل أخيها للثورة عليه والإطاحة به متى ما شاءت وأحبت، ومن ثم طالبته بالرجوع إلى العهد السابق ولم تترك له عذراً، فلم يكن أمام معاوية

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٤٠.





إلا القبول والرضوخ والطاعة لها.

وقد وفى كل طرف بما وعد وبما شرط على نفسه، فقد أغرق معاوية بن أبي سفيان عائشة وابن عمر وأبا هريرة وغيرهم من أفراد تلك الشبكة الإعلامية بالهدايا والعطايا، والشواهد على ذلك كثيرة منها ما رواه ابن كثير في (البداية والنهاية) بقوله: (قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه...وقال عطاء: بعث معاوية إلى عائشة وهي بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته)[١].

وفي المقابل أعلنت هذه الشبكة الإعلامية مساندتها وتأييدها الصريح لإمارته وتغطيتها بالتغطية الشرعية المناسبة، فحينما كان بعضهم يسأل عائشة بنت أبي بكر عن انقلاب موازين الحياة وصيرورة الطليق اللعين خليفة للمسلمين، كانت تجيبهم بجواب يسكت الأفواه ويخرس الألسنة، فعن الأسود قال: قلت لعائشة: (ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة؟ قالت وما العجب؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر. وقد ملك فرعون مصر أربع مئة سنة)[٢]، وكلامها هذا كما لا يخفى كلمة باطل يراد بها باطل، لان السلطان سلطان الله سبحانه وقد أعطاه الله لأنبيائه ومن ينوب عنهم من الأوصياء كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[٣].

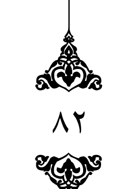
لكن الناس بظلمهم وبجهلهم وبسوء اختيارهم مكنوا الطغاة والكفرة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

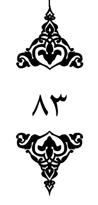
(٣) سورة البقرة الآية رقم ٢١٣.



والفراعنة من مقاليد أمورهم والسيطرة على البلاد ومقادير العباد، ومثل هذا التمكين لا يعد شرعيا ومرضيا لدى الباري جل وعلا كما حاولت عائشة إفهامه للناس، فالله لا يعطي السلطان للفاجر حاشاه، وإنما قدر وقضى ان السلطان هو لأنبيائه فضلاً على ان بقاء فرعون أربعمائة سنة لا يصير حكمه شرعيا، ولا يكون مبررا لوصول معاوية بن أبي سفيان الملعون الطليق إلى منصب الولاية على المسلمين وفيهم الآلاف ممن هم خير منه ومن أبيه.

ثم ان معاوية وبعد ان ضمن الجانب الإعلامي والتغطية القانونية، وبعد أن تأكد من عدم ثورة الناس ضده فيما لو أراد أن يتلاعب بسنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، كشر عن أنيابه، وأسفر عن مقاصده، وجعل يطعن السنة النبوية بكل ما من شأنه أن يزهق روحها، ويجهز على البقية الباقية منها، وقد كان همه وهمته منصرفة إلى تحقيق غرضين أساسين:

أحدهما: هو إرغام أنوف الصحابة والمسلمين بإرجاع سنة عثمان وإضافاته التي قتل من أجلها، لتصبح دين الدولة الجديد، ولتكون مساوية أو منافسة لسنة كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسنة الشيخين، وفي كتب التاريخ شواهد كثيرة على إحياء معاوية بن أبي سفيان لسنة عثمان منها ما رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد): (عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال لما قدم علينا معاوية حاجا قدمنا مكة قال فصلى بنا الظهر ركعتين ثم انصرف إلى دار الندوة قال وكان عثمان حين أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعا فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج فلما صلى بنا معاوية الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان فقالا له ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عبته به فقال لهما ويحكما وهل كان غير ما



صنعت؟ قد صليتهما مع رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ومع أبي بكر وعمر فقالا فان ابن عمك قد كان أتمها وان خلافك إياه عيب له قال فخرج معاوية إلى العصر فصلاها بنا أربعا)[١].

ومنها ما صرح به الشوكاني في (نيل الأوطار) بقوله: (أن أول من ترك تكبير النقل أي الجهر به عثمان، ثم معاوية، ثم زياد، ثم سائر بني أمية)[٢].

وقال المتقي الهندي في (كنز العمال) في معرض حديثه عن حكم القصر في الصلاة عند السفر:

(خرج رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم آمنا لا يخاف إلا الله فصلى اثنتين حتى رجع، ثم خرج أبو بكر لا يخاف إلا الله فصلى ركعتين حتى رجع، ثم خرج عمر آمنا لا يخاف إلا الله فصلى اثنتين حتى رجع، ثم فعل ذلك عثمان ثلثي إمارته أو شطرها ثم صلاها أربعا، ثم أخذ بها بنو أمية)[٣].

وقال ابن حجر في (فتح الباري): (وروى الطبراني عن أبي هريرة أن أول من ترك التكبير معاوية وروى أبو عبيد أن أول من تركه زياد وهذا لا ينافي الذي قبله لأن زيادا تركه بترك معاوية وكان معاوية تركه بترك عثمان)[٤].

وأما الغرض الآخر الذي كرس معاوية له كل جهده وبذل في سبيله الغالي والنفيس، فهو إعادة هيكلية السنة النبوية المطهرة المتعلقة بالفضائل والمثالب،

---

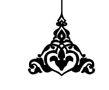
(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٢ ص ١٥٦ ـ ١٥٧وقد علق الهيثمي على هذا الحديث بقوله: (رواه أحمد وروى الطبراني بعضه في الكبير ورجال أحمد موثقون).

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ص ٢٦٩.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج ٨ ص ٢٣٨.

(٤) فتح الباري لابن حجر ج ٢ ص٢٢٤، وراجع نيل الأوطار للشوكاني ج٢ ص٢٦٦.

والسعي لتغيير المعادلة الموجودة في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فحشد الجهود، وسخر بيت المال، واشترى الذمم، وروع الأبرياء، وسفك دماء المعترضين، وأنشأ منظومة جديدة للسنة النبوية المتعلقة بالفضائل والمثالب تقوم على أربع ركائز.



الركيزة الأولى: الحجب والإخفاء لأكبر قدر ممكن من المطاعن والمثالب التي قيلت في شأن بني أمية عموما ومعاوية وآل أبي سفيان على وجه الخصوص، وما لا يمكن حجبه منها لشهرته أو لرسوخه في أذهان الناس فيجب تأويله وإيجاد مخرج له لقلبه من عنوان المذمة والمثلبة إلى عنوان المدح والثناء والمحمدة.

الركيزة الثانية: الاستمرار بالنهج القديم الذي تم العمل به طول مدّة إمارة أبي بكر وعمر وعثمان والذي ينص على إخفاء فضائل الإمام أمير المؤمنين وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومناقبهم وإماتتها، وتحشيد الجهود لإيجاد أخبار جديدة وروايات تنسب زورا إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يذكر فيها مثالب ومطاعن تنسب إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لتمحى من أذهان الناس فكرة أن آل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يرد في حقهم إلا الفضائل.

الركيزة الثالثة: فتح باب الرواية على مصراعيه أمام كل من لديه القدرة على وضع الفضائل والكرامات في حق الشيخين وعثمان بن عفان، والتأكيد على الإكثار في ذلك حتى تتساوى أو ترجح هذه الفضائل والكرامات على روايات فضائل آل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبقية بني هاشم.

الركيزة الرابعة: معارضة الفضائل التي جاءت في حق علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه عن طريق إيجاد فضائل مماثلة تنسب إلى الشيخين وعثمان، ومعارضة الفضائل التي جاءت في حق السيدة فاطمة الزهراء والسيدة خديجة

صلوات الله وسلامه عليها عن طريق إيجاد فضائل مماثلة ونسبتها إلى عائشة وحفصة.

وقد نقل تفاصيل هذا المخطط ابن أبي الحديد المعتزلي نقلا عن أبي الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب (الأحداث) قال: (كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام.

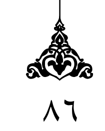
فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق الا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينا.

ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل

وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فان هذا أحب إلي وأقر لعيني وادحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.



فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة انه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه.

فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها.



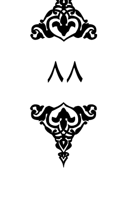
فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض. ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام وولى عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه وموالاة من يدّعي من الناس انهم أيضا أعداؤه فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغض من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له حتى إن إنسانا وقف للحجاج فصاح به أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني عليا وإني فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج فتضاحك له الحجاج وقال للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم)[1].

أقول: وهاهنا توجد ملاحظتان ينبغي التنبيه عليهما:

إحداهما: ان هذا الخبر وان لم يتم تداوله وتدوينه في أمهات كتب أهل السنة ولم يشتهر عندهم وتم إخفاؤه بعمد إلا ان الوقائع التاريخية والشواهد الروائية في صحاح أهل السنة ومسانيدهم وسننهم تثبت وعلى نحو اليقين وقوع ما ذكره ابن أبي الحديد بحذافيره، فكتبهم مشحونة بذكر مئات الروايات في فضائل الشيخين وعائشة وحفصة ومعاوية وغيرهم حكم عليها بالوضع والكذب والافتراء، كما

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١ ص ٤٤ ـ ٤٧.

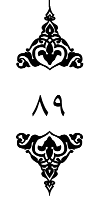


وتوجد مئات الروايات الأخرى التي يتضح من سياقها وتركيبها اللفظي انها وضعت وافتريت في مقابل روايات أخرى صحيحة قالها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حق الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أو السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أو الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما لكنها بدلت ورفعت الأسماء الحقيقية ووضعت مكانها أسماء الشيخين أو عائشة أو غيرهم(١)، ومجموع هذه الأمور تثبت بما لا يقبل الشك وقوع ذلك التدخل الأموي الخبيث في أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسننه.

الملاحظة الأخرى: إن محاولات معاوية بن أبي سفيان لقلب أحاديث فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وطمسها وتزويرها وان لم تكن الأولى من نوعها لان الذين كانوا من قبله حاولوا ذلك وحققوا بعض الانجازات، لكنها كانت انجازات بسيطة بالنسبة لما وصل إليه معاوية وحققه، ويعود سبب ذلك إلى ان المحاولات التي كانت على عهد الشيخين وعثمان كانت محاولات فردية ارتجالية وغير منظمة، أما في زمن معاوية بن أبي سفيان فقد تحولت إلى حركة ذات طابع جماعي منظم ومخطط له مسبقا، لذلك وصلت من حيث التأثير والنتائج إلى ما لم تصل إليه محاولات السابقين.

---

(١) سياسة قلب الاحاديث سياسة معروفة ولها مئات الشواهد الروائية وسيأتي بعض هذه الشواهد في الفصول القادمة، نذكر منها هنا وعلى عجالة روايتهم للفظ (سنتي) بدل لفظ (عترتي) في حديث الثقلين كتاب الله وعترتي، وروايتهم لحديث (فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) في مقابل وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسيدة فاطمة بانها سيدة نساء العالمين او سيدة نساء اهل الجنة، او كروايتهم لحديث ابي بكر وعمر سيدا كهول اهل الجنة، في مقابل حديث (الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة) وغير ذلك الكثير الكثير.



بدء التدوين الرسمي للسنة النبوية المطهرة في عهد عمر بن عبد العزيز

بقيت السنة النبوية المطهرة من غير تدوين لأكثر من مئة سنة تقريبا، ولا نقصد بالتدوين هنا مطلق التدوين، لان التدوين الشخصي للسنة النبوية كان موجوداً فعلا، فعدة من الصحابة كانوا قد دونوا بعض الأحاديث في وريقات أحرقت فيما بعد، أو أبعدت عن أنظار السلطة، وإنما مقصودنا من التدوين الذي تأخر مائة عام وأكثر هو تدوين الدولة للسنة النبوية المطهرة بشكل رسمي وبأمر حكومي.

وقد اختلف في تحديد بدء هذا التدوين الرسمي، لكن المشهور هو أن عمر بن عبد العزيز الأموي هو أول من أمر بتدوين السنة النبوية الشريفة، فقد أخرج البخاري حديثا غير مسند، في باب كيف يقبض العلم جاء فيه: (وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا يقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا)[١].

ولكن جلال الدين السيوطي أخرج حديثا مسندا يذكر فيه أن عمر بن عبد العزيز أمر عامله بعدم الاكتفاء بجمع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمره أن يجمع معها حديث عمر بن الخطاب، قال السيوطي: (فأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أبا بكر الحزمي فيما كتب إليه أن انظر ما كان من سنة أو حديث عمر فاكتبه.

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٣٣ باب كيف يقبض العلم.



وقال مالك في الموطأ: رواية محمد بن الحسن أنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أو سنة أو حديث عمر أو نحو هذا، فاكتبه لي فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء)[١].

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن دينار: (أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم يأمره: أنظر ما كان من حديث رسول الله «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله)[٢].

وعمرة هذه التي في خبر البيهقي هي التي كانت تحفظ حديث عائشة كله، قال البيهقي: (شعبة عن محمد بن عبد الرحمن قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة منها ـ يعني عمرة ـ قال: وكان عمر يسألها. قال أحمد: فعلى هذا الوجه كان حال عمرة بنت عبد الرحمن في التابعين)[٣].

وعن سعيد بن زياد مولى الزبير قال: (سمعت ابن شهاب يحدث سعد بن إبراهيم أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا)[٤]، وهذا النص يوضح أنّ تدوين عمر بن عبد العزيز للسنة النبوية كان تدوينا بسيطا وليس بواسع النطاق، لان السنة النبوية وسنة الشيخين وحديث عائشة كان حتما أكثر من أن يجمع في دفتر واحد أو دفترين،

---

(١) تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي ص ٥.

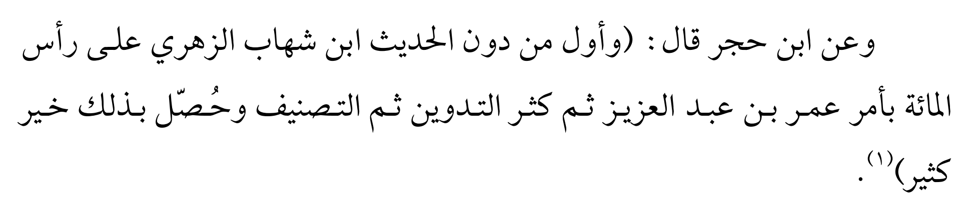
(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٦ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٣) المصدر السابق ج٦ ص٣٩٠.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ج١ ص٧٦.

ولعل هذا التدوين البسيط يرجع إلى انتقاء عمر بن عبد العزيز لبعض ذلك الحديث والسنن وإدخال ما تم انتقاؤه في دفتر أو دفترين ومن ثم إرساله بعد ذلك الى عماله وولاته، ولعله راجع إلى قصر المدّة التي قضاها عمر بن عبد العزيز في الحكم حيث لم يمهله الزمن إتمام هذه المهمة.





وعن ابن حجر قال: (وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز ثم كثر التدوين ثم التصنيف وحُصّل بذلك خير كثير)[١].

وقال الترمذي متحدثا عن ابن شهاب الزهري: (هو واضع علم الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز مخافة ضياعه بضياع أهله)[٢].

ولا تعارض بين هذه الأخبار لأنه ربما كتب أولا إلى عامله بان يجمع له سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أولا، ثم كتب له مرة أخرى بجمع أحاديث عمر بن الخطاب وعمرة بنت عبد الرحمن، أما ابن شهاب الزهري فقد كان من حاشية السلطان فلا حاجة له بالكتابة إليه.

ولعلنا نكتشف من النصوص السابقة وغيرها، ان عمر بن عبد العزيز لم يأمر إلا بكتابة سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنة عمر بن الخطاب، وسنة عائشة، أما سنة عثمان ومعاوية وغيرهما من الأمويين فلم يأتِ على ذكرها ولا طلبها، وهذا يعدّ خروجا منه عن الخط الأموي الذي كان ملتزما وبصرامة في سنة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان، و يعدّ أيضا عودة صريحة منه لتفعيل سنة الشيخين من جديد، وإحيائها بعد سبات طويل، وهنالك شواهد وتصريحات عديدة تؤكد

---

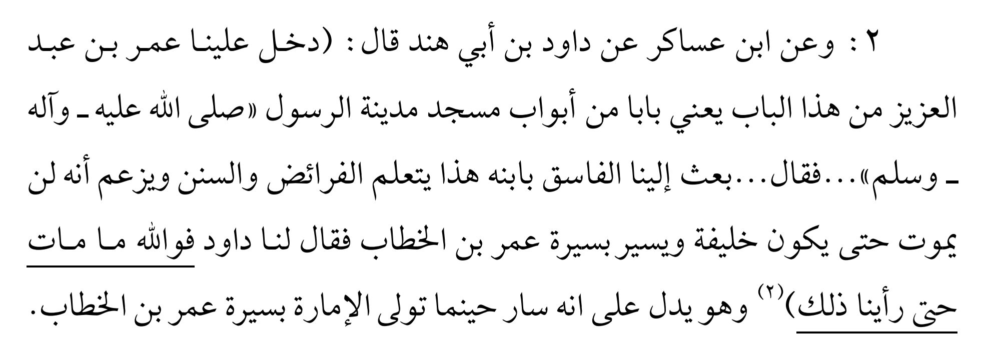
(١) فتح الباري لابن حجر ج١ ص١٨٥ باب كتابة العلم.

(٢) محو السنة أو تدوينها لحسين غيب غلامي ص٥٢ نقلا عن مختصر الشمائل المحمدية ص١٢٥.



هذا المعنى منها :

١ : ما قاله ابن حبان في كتابه (الثقات) : (عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي من الخلفاء الراشدين المهديين الذي أحيا ما أميت قبله من السنن وسلك مسلك من تقدمه من الخلفاء الأربع ... وكانت خلافته مثل خلافة أبي بكر سواء تسع وعشرين شهرا وكانت أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب)[١] . وقوله أحيا ما أميت قبله من السنن وسلك مسلك من تقدمه من الخلفاء الأربع) واضح في ان مسلكه كان مغايرا لعمل من كان قبله من آل أمية ومسلكه.



٢ : وعن ابن عساكر عن داود بن أبي هند قال : (دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب يعني بابا من أبواب مسجد مدينة الرسول «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم»...فقال...بعث إلينا الفاسق بابنه هذا يتعلم الفرائض والسنن ويزعم أنه لن يموت حتى يكون خليفة ويسير بسيرة عمر بن الخطاب فقال لنا داود فوالله ما مات حتى رأينا ذلك)[٢] وهو يدل على انه سار حينما تولى الإمارة بسيرة عمر بن الخطاب.

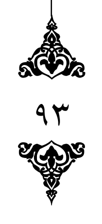
٣ : وعن ابن سعد قال : (قال أخبرنا محمد بن عمر قال سمعت عبد الحكيم ابن عبد الله بن أبي فروة يقول كان عمر بن عبد العزيز يؤمنا بالمدينة فلا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[٣] ومعلوم ان سنة عدم الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم هي سنة الشيخين، أما سنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه فقد كانت الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) الثقات لابن حبان ج ٥ ص ١٥١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٥ ص ١٣٧.

(٣) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ٣٣٥.



وإحياؤه لسنة الشيخين هو الذي أعلى مقامه عند مؤرخي أهل السنة ومحدثيهم، فضخموا شخصيته ونسبوا له أمورا ميزوه عن غيره من الحكام الأمويين، ووضعوا له من الأحاديث ما لا يقبله عقل ولا وجدان وفيما يأتي جملة من هذه النصوص:

فقد روجوا له بأنه المهدي الذي وعد به النبي الأعظم ﷺ، قال محمد بن سعد في (الطبقات الكبرى): (عبد الجبار بن أبي معن قال سمعت سعيد ابن المسيب وسأله رجل فقال له: يا أبا محمد من المهدي؟ فقال له سعيد: أدخلت دار مروان؟ قال: لا. قال: فادخل دار مروان ترى المهدي. قال: فأذن عمر بن عبد العزيز للناس فانطلق الرجل حتى دخل دار مروان فرأى الأمير والناس مجتمعين ثم رجع إلى سعيد بن المسيب فقال يا أبا محمد دخلت دار مروان فلم أر أحدا أقول هذا المهدي. فقال له سعيد بن المسيب وأنا أسمع: هل رأيت الأشج عمر بن عبد العزيز القاعد على السرير قال نعم قال فهو المهدي)(١).

وعن ابن سعد أيضا قال: (أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدثني مسلمة أبو سعيد قال سمعت العرزمي يقول سمعت محمد بن علي يقول النبي منا والمهدي من بني عبد شمس ولا نعلمه إلا عمر بن عبد العزيز قال وهذا في خلافة عمر بن عبد العزيز)(٢).

وزعموا بأنه كان يلتقي بالخضر ويحدثه بأنه سيلي أمر الأمة ويعدل فيها، فعن رياح بن عبيدة قال: (خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده فقلت في نفسي إن هذا الشيخ جافٍ فلما صلى ودخل لحقته فقلت أصلح الله الأمير من الشيخ الذي كان متكئا على يدك؟ فقال: يا رياح رأيته؟ قلت: نعم،

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ٣٣٣.

(٢) المصدر نفسه.

قال: ما أحسبك يا رياح إلا رجلا صالحا ذاك أخي الخضر أتاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة وأني سأعدل فيها)[1].



وجعلوا الجن تناديه وتبشره بإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه خير هذه الأمة، قال ابن عساكر: (بينما عمر بن عبد العزيز يمشي إلى مكة بفلاة من الأرض إذ رأى حية ميتة فقال عليّ بمحفار فقالوا نكفيك أصلحك الله قال لا ثم أخذه فحفر له ثم لفه في خرقة ودفنه فإذا هاتف يهتف لا يرونه رحمة الله عليك يا سرق فأشهد لسمعت رسول الله «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» يقول تموت يا سرق في فلاة في الأرض فيدفنك خير أمتي فقال له عمر بن عبد العزيز من أنت يرحمك الله قال أنا رجل من الجن وهذا سرق ولم يكن ممن بايع رسول الله «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» من الجن غيري وغيره وأشهد لسمعت رسول الله «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» يقول تموت يا سرق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أمتي)[2].

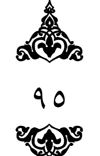
تدوين السنة النبوية في زمن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي

ان الحديث عن التدوين في زمن هشام بن عبد الملك الأموي لا ينفك عن الحديث عن ابن شهاب الزهري، لان الزهري هذا هو الذي دون عنه هشام بن عبد الملك جميع السنن، فلكي نتعرف على مستوى هذه السنن المدونة وأهميتها لابد من الحديث أولا عن ابن شهاب الزهري ومدى ما يتمتع به من صدق ونزاهة وأمانة علمية، لان بمعرفتنا مقدار صدقه ونزاهته نعرف مقدار صدق أخباره ونزاهة مروياته، ومن هذه الأخيرة نتعرف على صدق ما دون عنه وحفظ منه ونزاهته وأمانته.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٥ ص ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه ص١٤٦.



من هو ابن شهاب الزهري؟

هو وكما يعرفه لنا الذهبي بقوله: (محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة الإمام أبو بكر القرشي الزهري المدني)[١].

وكان ينحدر من سلالة معروفة بإساهمها في بعض الفتن، فحينما دخل على عبد الملك بن مروان وطلب منه ان ينتسب ويبين اسمه وأسماء آبائه، قال: (دخلت معه ـ يشير إلى شخص كان برفقته ـ على أمير المؤمنين فأجد بين يديه المصحف قد أطبقه وأمر به فرفع وليس عنده غير قبيصة، فسلمت بالخلافة، فقال: من أنت؟ قلت: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، فقال: أوه قوم نعارون في الفتن، قال: وكان أبي مع ابن الزبير...)[٢].

تضخيم محدثي أهل السنة لشخصية الزهري ومروياته

قال الذهبي: (وقال الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال: ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب. وقال سعيد بن بشر عن قتادة قال: ما بقي أحد أعلم بسنة ماضية من ابن شهاب ورجل آخر، كأنه عنى نفسه.

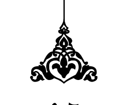
وقال أبو بكر الهذلي مع مجالسته للحسن وابن سيرين: لم أر قط مثل الزهري. وقال سعيد بن عبد العزيز: ما الزهري إلا بحر. سمعت مكحولا يقول: ابن شهاب أعلم الناس.

وقال مالك: بقي ابن شهاب وماله في الناس نظير. وقال موسى بن

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص ٢٢٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣١.



إسماعيل: شهدت وهيبا وبشر بن المفضل وغيرهما ذكروا الزهري فلم يجدوا أحدا يقيسونه به إلا الشعبي. وقال ابن المديني: أفتى أربعة: الحكم وحماد وقتادة والزهري، والزهري عندي أفقههم)[١].

وقال ابن المديني: (دار علم الثقات على ستة: فكان بالحجاز عمرو بن دينار والزهري، وبالبصرة قتادة ويحيى بن أبي كثير، وبالكوفة أبو إسحاق والأعمش)[٢].

وسيأتي فيما سيأتي من سطور شواهد كثيرة تكذب وتعارض هذه الهالة القدسية التي ألقيت على ابن شهاب الزهري لتحسين صورته من جهة ولإبعاد الشبهة عن مروياته ومنقولاته من جهة ثانية.

إكراهه من قبل هشام بن عبد الملك على التدوين

أخرج ابن عساكر عن مرزوق بن أبي الهذيل قال: (كان الزهري لا يترك أحدا يكتب بين يديه قال فأكرهه هشام بن عبد الملك فأملى على بنيه فلما خرج من عنده دخل المسجد فأسند إلى عمود من عمده ثم نادى يا طلبة الحديث قال فلما اجتمعوا إليه قال إني كنت منعتكم أمرا بذلته لأمير المؤمنين آنفا هلم فاكتبوا قال فكتب عنه الناس من يومئذ)[٣].

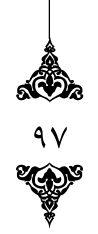
وعن أبي مليح قال: (كنا لا نطمع أن نكتب عن الزهري حتى أكره هشام الزهري فكتب لبنيه فكتب الناس عنه)[٤].

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٢) المصدر السابق ص٢٣٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٥ ص٣٣٣.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ج٣ ص٣٦٣.



وعن ابن عساكر عن سعيد: (أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يملي على بعض ولده فدعا بكاتب فأملى عليه أربع مائة حديث ثم خرج الزهري من عند هشام قال أين أنتم يا أصحاب الحديث فحدثهم بتلك الأربعمائة الحديث)[١].

وعن الذهبي: (وقال ابن عيينة: قال الزهري: كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا عليه السلطان فكرهنا أن نمنعه الناس)[٢].

تلاعب هشام بن عبد الملك بأحاديث ابن شهاب الزهري

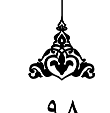
قد نصت الروايات السابقة على ان ابن شهاب الزهري لم يكتب لبني هشام ابن عبد الملك سوى أربعمائة حديث، وبمجرد خروجه على الناس صاح بهم وأمرهم بكتابتها عنه أيضا، أي صار في أيدي الناس نفس الأحاديث التي عند هشام وبنيه، وعلى فرض ان ابن شهاب الزهري قد دون لهشام وبنيه أكثر من أربعمائة حديث، فينبغي على وفق قوله: (إني كنت منعتكم أمرا بذلته لأمير المؤمنين آنفا هلم فاكتبوا) ان يكون كل ما دونه الزهري لهشام وبنيه قد قاله لطلبته ومن كان يكتب عنه من العامة، لان الزهري كان لا يرى ان يحرم الناس من شيء قد بذل للأمراء، فعن معمر قال: (سمعت الزهري يقول كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا عليه الأمراء فرأيت أن لا أمنعه مسلما)[٣].

وبناء على قاعدة ان كل ما كان عند هشام وبنيه، كان أيضا عند سائر الناس بعينه أو قريب منه من حيث العدد والكم، نرى مقدار ما تم التلاعب به من قبل هشام بن عبد الملك أو الذين جاؤوا من بعده من بنيه، لأنهم وبعد موت ابن شهاب

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٥ ص٣٣٢.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص ٢٤٠

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٥ ص ٣٣٤.



الزهري أخرجوا للناس كتبا ودواوين حملت على البغال من كثرتها ادعوا ان الزهري كان قد حدث بها، بينما كان الموجود في أيدي الناس لا يتعدى المجلد أو المجلدين، أو كما يقول البعض ألفي حديث، قال أبو داود: (حديثه ألفان ومائتا حديث النصف منها مسند. وقال ابن المديني: نحو ألفي حديث)[١].

وقال الذهبي: (قد جمع أحمد بن صالح المصري علم الزهري وكذا ألف محمد بن يحيى الذهلي حديث الزهري فأتقن واستوعب وهو في مجلدين)[٢].

وعن عبد الرزاق قال: (سمعت معمرا يقول: كنا نرى ان قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه من علم الزهري)[٣].

وروى ابن عساكر عن الأحوص انه قال: (كنا نرى أن قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزانته يقول من علم الزهري)[٤].

وروى ابن عساكر أيضا: (قال الوليد يعني ابن عبد الملك[٥] للزهري يعني

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٧.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج٢ ص١٧٧.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٥ ص٣٣٤.

(٥) ان ذكر الوليد بن عبد الملك في هذه النصوص هو غلط واضح من فعل النساخ وهو من التصحيف، لان المقصود هو هشام بن عبد الملك، لان الوليد بن عبد الملك توفي كما هو معروف في السنة السادسة والتسعين من الهجرة، أي قبل عمر بن عبد العزيز الذي تولى الإمارة في السنة التاسعة والتسعين من الهجرة، والإجماع من المؤرخين قائم على ان ابن شهاب الزهري لم يدون إلا في زمن عمر بن عبد العزيز بشكل جزئي وبسيط، ثم دون بشكل موسع وعام في إمارة هشام ←



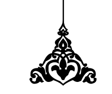
محمد بن مسلم: حدثني ولا تحدث الناس فقال لا أحدثك أو أحدث الناس، قال: حدثني وحدث الناس، قال: فحدثه بأحاديث ثم كتبها وأخرجها إلى الناس فحدثهم بها فاجتمع الناس عليه وكثروا فقال كلكم لا يقدر على أن يأخذ هذه ولكن خذوها من ديوان الوليد. فأتوا ديوان الوليد فأخذوها منه فإذ قد ألصق إليها أربعة أحاديث زيادة لم يحدثه بها...وكان الوليد قال للزهري حين أراد أن يحدثه أروِ حديثا وأسنده قال لا والله إلا أن أنصه إليك فلم يفعل فألزق إلى حديثه أربعة أحاديث كذب فاحتملت من ديوان الوليد ورويت)[1]، وفي هذه النصوص تصريح واضح بوقوع التزوير المتعمد في أحاديث ابن شهاب الزهري من الذين دون لهم من الحكام الأمويين، وان الزيادة كانت أكثر من مجرد أربعة أحاديث فقط، لان علم الزهري كله قد جمع في مجلدين، والذي خرج إلى الناس بعد وفاة الزهري أكثر بكثير حتى احتاجوا إلى البغال لنقله، لكن القوم أرادوا تخفيف الصدمة فقالوا ان الذي تم التلاعب به هو أربعة أحاديث لا غير.

والسؤال المهم هو: اين ذهبت هذه الاحاديث التي حملتها السلطة على البغال من كثرتها؟ ولماذا لم تصل إلينا؟، لان مجموع ما هو مدون الآن في كتب الحديث السنية لا تتعدى اكثر من عدة آلاف مع إسقاط المكرر منها، ثم من يضمن

ابن عبد الملك الذي ولي الإمارة في سنة مائة وخمس للهجرة، والذي بقي إلى سنة مائة وخمس وعشرين والزهري مات قبله بسنة واحدة فقط، فيكون ذكر الوليد بن عبد الملك غير مناسب البتة، والصحيح هو هشام بن عبد الملك لذلك قال ابن عساكر بعد ذكره للرواية الأخيرة: (المحفوظ أن الذي أمر الزهري بذلك هشام بن عبد الملك) راجع تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤١ ص٤٧.

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤١ ص٤٧.

لنا عدم تدخل الدولة ايضا في بقية الصحاح والمسانيد وباقي كتب الحديث، لا سيما اذا عرفنا أنّ كثيرا من هذه الكتب الحديثية كتبت بأمر من السلطة أو تحت إشرافها ورعايتها كما هو الحال مع موطأ مالك بن أنس.





لماذا كان الزهري يكذب في ادعائه عدم الكتابة للأحاديث؟

قد وجهت للزهري أسئلة كثيرة ومن أشخاص عدة حول مسألة حفظ الزهري للحديث وكتابته وهل كان يستعيد الحديث ويستذكره ام لا، فكان الزهري يصر على انه لم يكن يكتب الحديث ولا يدونه وانه كان يحفظه حفظا وانه لا يستعيد الحديث ولا يتذاكر به، حتى عدّت هذه الصفة فيما بعد صفة فريدة امتاز بها الزهري عن غيره، فعن مالك بن انس قال: (حدثنا الزهري بحديث طويل فلم أحفظه فسألته عنه فقال: أليس قد حدثتكم؟ قلت: بلى. ثم قلت: أما كنت تكتب؟ قال: لا، قلت: ولا تستعيد قال: لا)[1].

وعن مالك أيضا قال: (قلت لابن شهاب وأنا أريد أن أخصمه: ما كنت تكتب قال: لا، قلت: ولا تسأل أن يعاد عليك الحديث قال: لا. ولقد سألته عن حديث قال: الذي أعجبني منه قد حدثتكم به)[2].

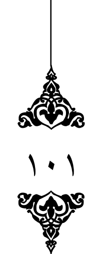
وعن ابن المبارك عن يونس قال: (قلت للزهري: أخرج لي كتبك، فأخذ بيدي فأدخلني ثم قال: يا جارية هاتي تلك الكتب، فأخرجت صحفا فيها شعر، وقال: ما عندي إلا هذا)[3].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص ٢٣٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٧ – ٢٣٨.

(٣)المصدر نفسه ص ٢٤٠.



ومن هذه النصوص وغيرها يتضح لنا أن الزهري كان يصر إصرارا واضحا على عدم كتابته للحديث وعدم امتلاكه للكتب إلا صحفا فيها قصائد شعرية، وانه لم يكن يستعيد حديثا واحدا، والأخطر من ذلك كله هو اعترافه بأنه كان يحدث بالأحاديث التي كانت تعجبه فقط وما لم يعجبه منها أخفاه.

غير أننا إذا تتبعنا أقوال ابن شهاب الزهري نفسه، وأقوال معاصريه، نجد أن ابن شهاب الزهري كان يكذب في ادعائه بعدم كتابته للحديث، وعدم امتلاكه لكتب الحديث، وكذلك كان يكذب في ادعاء الاعتماد على حفظه فقط، وكذبه في عدم إعادة الحديث الذي كان يسمعه واسترجاعه ومدارسته، وبين أيدينا نصوص كثيرة تؤكد وتثبت أكاذيب الزهري نختار منها على سبيل الإيجاز والاختصار ما يأتي:

روى ابن أبي الزناد عن أبيه قال: (كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما سمع)[١].

وعن صالح بن كيسان قال: (اجتمعت أنا والزهري نطلب العلم فقلنا: نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة، فقلت أنا: ليس بسنة، فكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت)[٢].

وعن ابن خلكان قال: (وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا فقالت له امرأته يوما والله لهذه الكتب أشد علي من

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي ج٧ ص٩٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص ٢٤٥.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ج١٦ ص٢٨٠، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٢٣ ص٣٦٨.



ثلاث ضرائر)[١].

وعن الثوري انه قال: (أتيت الزهري فتثاقل علي فقلت له: أتحب لو أنك أتيت مشايخك فصنعوا بك مثل هذا فقال: كما أنت، ودخل فأخرج إلي كتابا فقال: خذ هذا فاروه عني، فما رويت عنه حرفا)[٢].

وروي انه كان يدخل إلى بيته (فيأتي جارية له نائمة فيوقظها فيقول لها: حدثني فلان وفلان بكذا، فتقول: ما لي ولهذا، فيقول: قد علمت أنك لا تنتفعين به ولكن سمعت الآن فأردت أن أستذكره)[٣].

فيثبت بهذا وغيره ان ابن شهاب الزهري لم يكن صادقا في ادعائه بعدم كتابته للحديث، وكذلك لم يكن صادقا في عدم امتلاكه للكتب، وكذلك لم يكن صادقا في عدم استعادته للحديث بهدف الحفظ، فكيف يعقل حينئذ أن يكون مثل هذا الكذاب سببا وأساسا ومصدرا من مصادر تدوين السنة النبوية المطهرة، ويكون منبعا من المنابع التي اخذ عنها مالك بن انس موطأه واحمد بن حنبل مسنده والبخاري صحيحه ومسلم وغيره كتبهم وسننهم؟.

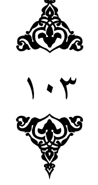
لماذا لم يكن ابن شهاب الزهري يعيد أحاديثه مرتين؟

وردت نصوص كثيرة أكدت جميعها على ان ابن شهاب الزهري كان يرفض إعادة الحديث الواحد لمرتين على من كانوا يحضرون عنده مجالس الحديث، فعن مالك بن أنس قال: (أخذت بلجام بغلة الزهري فسألته أن يعيد علي حديثا فقال ما

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج ٤ ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق ص٢٤٣.



استعدت حديثا قط)[1].

وعن مالك أيضا قال: (حدثني ابن شهاب بحديث فيه طول وأنا آخذ بلجام دابته فقلت له أعد علي فقال لا. قلت له أريت أنت أما كنت تحب أن يعاد عليك قال لا فقلت له كنت تكتب قال لا)[2].

والذي ظهر لي من خلال التأمل في أخبار ابن شهاب الزهري هذا، ان رفضه لإعادة الحديث الواحد وتكريره كان يعود إلى سببين مهمين:

الأول: عدم حفظ الزهري للحديث النبوي الشريف وعدم دقته في النقل، لذلك كان يستصعب إعادة الحديث بنفس إسناده ومتنه، ويرى بان إعادة الحديث الواحد مرتين اشد عليه من نقل الصخر، فعن سفيان بن عيينة عن الزهري انه قال: (إعادة الحديث أشد من نقل الصخر)[3]، فلو كان الزهري حافظا متقنا فلماذا تصبح إعادة الحديث الواحد بنفس الإسناد والمتن أصعب عليه من نقل الحجر؟.

الثاني: ان عدم حفظه وإتقانه للحديث الشريف أدى إلى وقوعه في مشكلة عظيمة، وهي عدم تمكنه من أداء الألفاظ كما سمعها وكما صدرت من فم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واعتماده على رواية الأحاديث بالمعنى، مع اعتقاده بصحة التقديم والتأخير في فقرات الحديث وعباراته وجوازه، فعن أبي أويس قال: (سألت الزهري عن التقديم والتأخير في الحديث فقال: هذا يجوز في القرآن فكيف به في الحديث إذا أصيب معنى الحديث فلا بأس)[4].

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ج٦ ص١٠٧، تاريخ مدينة دمشق ج٥٥ ص٣٢٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٥ ص ٣٢٧.

(٣) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٦ ص٤٣٩.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٥ ص٣٤٧.



فيتلخص مما سبق من كلام أن لا قيمة علمية لتدوين الدولة للسنة النبوية في زمن هشام بن عبد الملك، لعدة أسباب ذكرناها فيما سبق مطولا ونذكرها فيما يأتي باختصار:

١ : لوقوعه على نحو الإكراه وما وقع بالإكراه كانت له عواقب وخيمة.

٢ : لعدم صيانة هذا التدوين من التحريف والتلاعب والتزوير من هشام بن عبد الملك وبقية جهاز الدولة الأموية.

٣ : ان هذا التدوين للسنة النبوية قد تكفل به ابن شهاب الزهري الذي لم يكن على مستوى عالٍ من الصدق والأمانة والنزاهة في النقل، فهو مدلس كبير، يروي المراسيل، حتى صرح غير واحد من أعلام أهل السنة بان نصف أحاديثه كانت مرسلة غير مسندة.

٤ : حتى أحاديثه التي أسندها فانه كان يرويها بالمعنى وليس بالنص، مع تقديم وتأخير في فقراتها، مع روايته للأحاديث التي تعجبه ويترك التي لا توافق هواه.

٥ : ان ابن شهاب الزهري كان يتعمد ولأسباب متعددة تضخيم شأن نفسه، وتصويرها بصورة النابغة الذي لا يدانيه أحد في حفظه وسعة علمه، مما أدى إلى وقوعه في الكذب والخلط والاضطراب في مسائل متعددة أوضحنا قسما منها.

فتدوين يحمل في طياته إكراهاً وتزويراً وقلباً لفقرات الحديث وكتابة بالمعنى دون النص صادرٌ من إنسان لا يتورع عن الكذب والتفاخر وحب الظهور، حري أن لا يعتمد عليه ولا يوثق به ولا يعد مشروعا ومبرئا للذمة.

لماذا دون هشام السنة النبوية ولم يكتف بتدوين عمر بن عبد العزيز لها؟



إن طريقة جمع عمر بن عبد العزيز للسنة وآليته لم تكن مرضية عند بقية الحكام الذين أتوا بعده واعتلوا كرسي الحكم، وسبب عدم رضاهم يعود إلى اقتصار عمر بن عبد العزيز في جمعه للسنة على سنة النبي وسنة الشيخين وأحاديث عائشة بنت أبي بكر فقط، وأغفل ـ أو تعمد ـ عن جمع السنة الأموية التي سنها وشرعها عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهما من الحكام الأمويين، وهذا يعني بدوره أن السنة الأموية قد بقيت بلا تدوين، وهذا ما سيعرضها إلى الضياع والنسيان والاندثار كلما طالت عليها الأيام ومرت السنين، فمن أجل تثبيتها والحفاظ عليها وضمان عدم انتصار السنن الأخرى عليها عمد هشام بن عبد الملك إلى إعادة تدوين السنة مرة أخرى، فزاد فيها ما زاد وحرف فيها ما حرف وادخل فيها كثيراً من الأحاديث التي لم يدونها عمر بن عبد العزيز ولا قالها ابن شهاب الزهري، ومن ثم نشرها في البلدان كي تغطي وتكتسح تلك السنة المدونة من قبل عمر بن عبد العزيز.

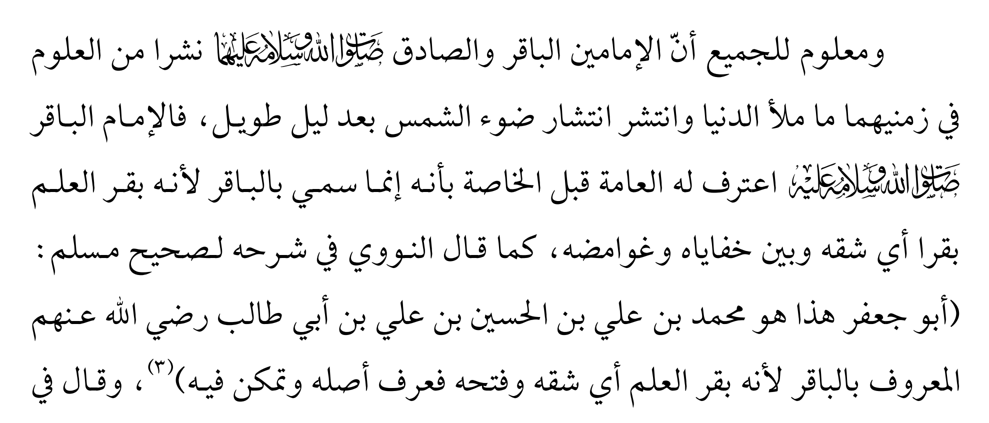
الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام وأثرهما في تدوين السنة

ان الذي يتابع حياة الأمويين، ومقدار ما يكنونه من اهتمام بمسائل الشرع والدين، يجزم قطعا ببعدهم عن روح الحرص والخوف عن كل ما يمت إلى الشريعة بصلة، وكيف يهتمون بأمر سعوا ومنذ أن قامت دولتهم إلى استئصال أصوله وكسر فروعه، فلماذا إذن يعيد مثل هؤلاء تدوين السنة التي سعوا إلى إماتتها واضمحلال شأنها، وإذا لم يكن الحرص عليها هو الذي دفعهم لجمعها، فأي أمر آخر قد



استجد ودفعهم واضطرهم إلى التدوين؟.

وهذا الأمر المستجد الذي اضطرهم إلى التدوين يمكن معرفته من خلال معرفة الظروف والملابسات والشخصيات في الحقبة الممتدة ما بين إمارة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك وما بعده، لأننا وبمعرفة تلك الحقبة الزمنية سنكتشف أنها تتزامن مع عصر الإمامين محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق صلوات الله وسلامه عليهما، ففي السنة الخامسة والتسعين استشهد الإمام علي بن الحسين السجاد صلوات الله وسلامه عليه[1]، وبدأت إمامة الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه، أي قبل إمارة عمر بن عبد العزيز بأربع سنوات تقريبا[2]، واستمرت إمامته إلى سنة مئة وأربع عشرة للهجرة ثم استشهد، فبدأت إمامة الإمام جعفر بن محمد الصادق صلوات الله وسلامه عليه لتستمر إلى سنة مئة وثمانٍ وأربعين للهجرة.



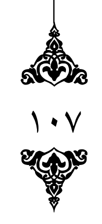
ومعلوم للجميع أنّ الإمامين الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليهما نشرا من العلوم في زمنيهما ما ملأ الدنيا وانتشر انتشار ضوء الشمس بعد ليل طويل، فالإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه اعترف له العامة قبل الخاصة بأنه إنما سمي بالباقر لأنه بقر العلم بقرا أي شقه وبين خفاياه وغوامضه، كما قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (أبو جعفر هذا هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم المعروف بالباقر لأنه بقر العلم أي شقه وفتحه فعرف أصله وتمكن فيه)[3]، وقال في

---

(١) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج ٥ ص ٢١٧.

(٢) لان عمر بن عبد العزيز تولى الحكم في السنة الثامنة والتسعين او التاسعة والتسعين للهجرة، واستمر بها الى سنة ١٠١للهجرة، اما هشام بن عبد الملك بن هشام فقد تولى الحكم في سنة مائة وخمس للهجرة وبقي في الحكم الى سنة مائة وخمس وعشرين للهجرة.

(٣) شرح مسلم للنووي ج١ ص١٠٢.



موضع ثانٍ: (والبقر الشق ومنه قولهم بقر بطنه ومنه سمي محمد الباقر رضي الله عنه؛ لأنه بقر العلم ودخل فيه مدخلا بليغا ووصل منه غاية مرضية)(١).

وقال العيني في عمدة القاري: (وأما محمد بن علي فهو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، الهاشمي المدني، أبو جعفر المعروف: بالباقر، سمي به لأنه بقر العلم أي: شقه بحيث عرف حقائقه، وهو أحد الأعلام التابعين الأجلاء)(٢).

وقال الصفدي: (وكان أحد من جمع العلم والفقه والديانة والثقة والسؤدد وكان يصلح للخلافة وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد الرافضة عصمتهم وسمي بالباقر لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله وخفيه)(٣).

وعدد الذهبي الذين رووا عنه من علماء أهل السنة وغيرهم بقوله: (حدث عنه ابنه ـ أي الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه ـ، وعطاء بن أبي رياح، والأعرج مع تقدمهما، وعمرو بن دينار، وأبو إسحاق السبيعي، والزهري، ويحيى بن أبي كثير، وربيعة الرأي، وليث بن أبي سليم، وابن جريج، وقرة بن خالد، وحجاج بن أرطاة، والأعمش، ومخول بن راشد، وحرب بن سريج، والقاسم بن الفضل الحداني، والأوزاعي، وآخرون...وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد، والشرف، والثقة، والرزانة، وكان أهلا للخلافة...وشهر أبو جعفر بالباقر، من: بقر العلم، أي شقه فعرف أصله وخفيه. ولقد كان أبو جعفر إماما، مجتهدا، تاليا لكتاب الله، كبير الشأن)(٤).

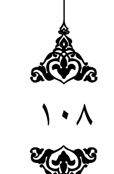
---

(١) المصدر السابق ح٦ ص١٣٧.

(٢) عمدة القاري للعيني ج ٣ ص ٥٢.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي ج٤ ص٧٧.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٤٠١ ـ ٤٠٢



أما الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه فيقول عنه ابن حبان في كتابه الثقات: (جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم كنيته أبو عبد الله يروي عن أبيه وكان من سادات أهل البيت فقها وعلما وفضلا روى عنه الثوري ومالك وشعبة والناس)[1].

وقال عبد الله بن عدي في كتابه الكامل: (ولجعفر بن محمد حديث كبير عن أبيه عن جابر وعن أبيه عن آبائه ونسخا لأهل البيت برواية جعفر بن محمد وقد حدث عنه من الأئمة مثل ابن جريج وشعبة بن الحجاج وغيرهم ممن ذكرت بعضهم ولم أذكر بعضا وجعفر من ثقات الناس كما قال يحيى بن معين)[2].

وقال السمعاني: (روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو عبد الله مالك ابن أنس إمام دار الهجرة، وسفيان بن سعيد الثوري، وأبو بسطام شعبة بن الحجاج العتكي، وسفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي، وسليمان بن بلال، ومحمد بن إسحاق بن يسار، وابنه موسى بن جعفر)[3].

وقال الذهبي معددا لمن روى عنه من علماء العامة وغيرهم: (وعنه مالك والسفيانان وحاتم بن إسماعيل ويحيى القطان وأبو عاصم النبيل وخلق كثير قيل مولده سنة ثمانين فالظاهر أنه رأى سهل بن سعد الساعدي وثقه الشافعي ويحيى بن معين. وعن أبي حنيفة قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، وقال أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله. وعن صالح بن أبي الأسود سمعت جعفر بن محمد يقول سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي)[4].

---

(١) الثقات لابن حبان ج ٦ ص ١٣١.

(٢) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٢ ص ١٣٤.

(٣) الأنساب للسمعاني ج ٣ ص ٥٠٧.

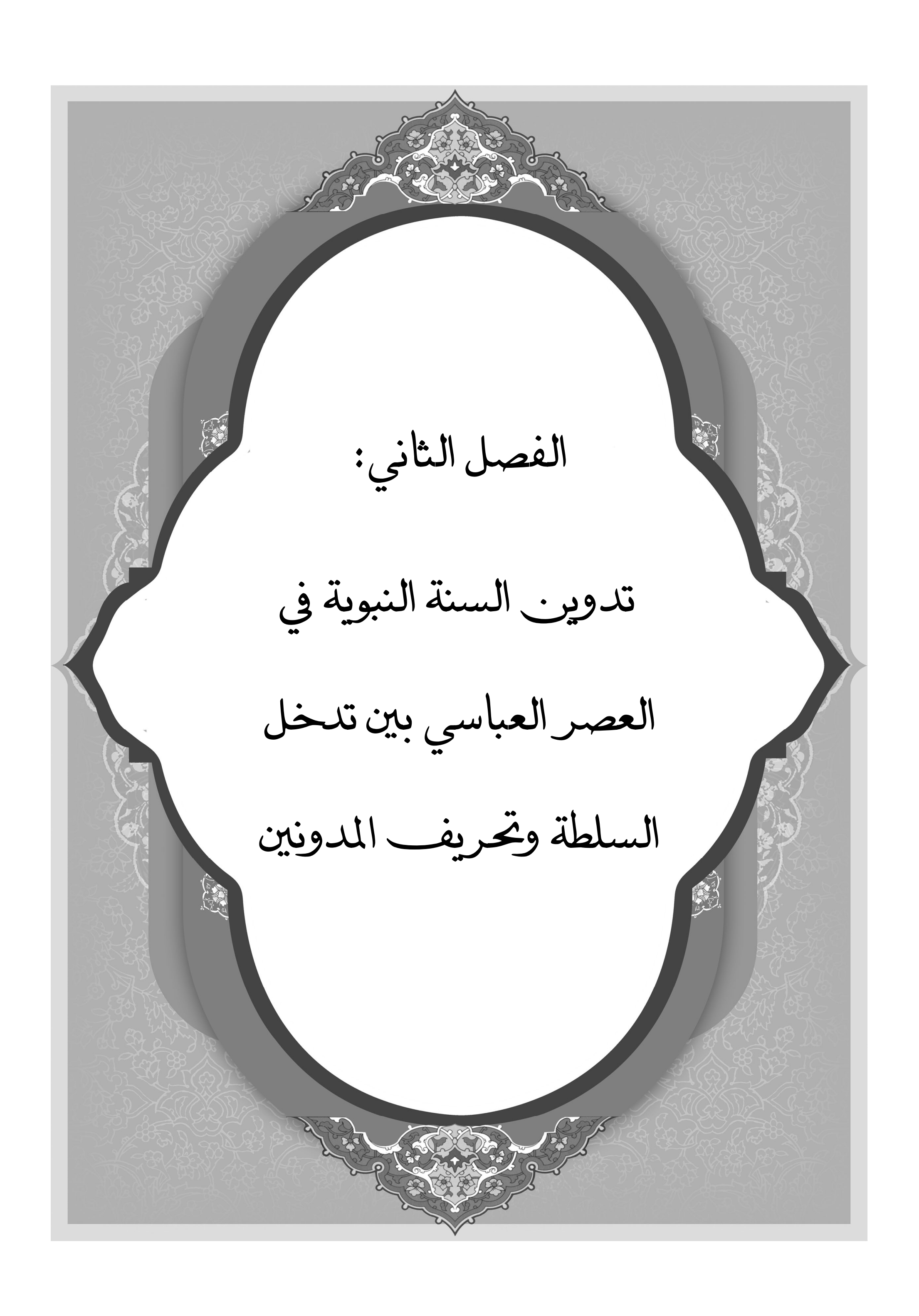
(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٦٦.



فمن هذه الأقوال نعرف أن الإمامين الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليهما قد فتحا باب الرواية والعلم على مصراعيه، وكانا لا يمانعان في تدوين الآخرين لأقوالهما وأحاديثهما بعكس باقي محدثي العامة، فنشرا من السنة النبوية الأصيلة والموروثة في الصحف الجامعة وغيرها، فدونها الطلاب وعامة الخلق، وانتشرت بينهم وتناقلتها أقلام أربعة آلاف طالب كانوا يجلسون تحت منبر الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه، فرأى عمر بن عبد العزيز ان إبقاء باب التدوين للسنة النبوية ـ المتداولة عند أهل السنة ـ ولسنة الشيخين مغلقا سيؤدي إلى هيمنة سنة الإمامين الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليه ونسيان تلك السنن واضمحلالها، لان البقاء إنما يكون للعلم المدون المكتوب أما المحفوظ فيموت مع موت حافظيه.

ولهذا السبب سارع عمر بن عبد العزيز بجمع السنة النبوية التي ارتضتها الحكومات التي سبقت حكومته، ومن هنا أيضا نفهم سبب إصرار عمر بن عبد العزيز بالتأكيد على عماله بجمع سنة عمر وعائشة وأحاديثهما، وهو دليل على انه إنما كان بصدد جمع سنة معينة مخصوصة في مقابل سنة معينة مخصوصة وهي التي كان الإمامان الصادق والباقر صلوات الله وسلامه عليهما يبثانها بين الناس.

أما هشام بن عبد الملك فقد وجد نفسه وجميع ما سنه الأمويون بين سنتين، بين سنة الإمامين الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليهما التي ليس لآل أمية فيها أي رواية أو تشريع، وبين سنة عمر بن عبد العزيز التي أحيت سنة الشيخين وعائشة فقط، والتي لم يكن له ولا لآبائه فيها نصيب يذكر، فلكي يحفظ مآثر آبائه وما ابتدعوه من الأحكام والسنن اجبر ابن شهاب على التدوين والتأصيل لسنة جديدة وأضاف عليها ما الله أعلم به.



الفصل الثاني:

تدوين السنة النبوية في العصر العباسي بين تدخل السلطة وتحريف المدونين

أهمية التدوين للسنة النبوية خلال العصر العباسي

إن الحديث عن التدوين في العصر العباسي طويل ومهم في نفس الوقت، لذلك أفردناه في فصل مستقل، فالمذاهب الثلاثة المالكي والشافعي والحنبلي كلها قد أحدثت وأنشئت في هذا العصر، وحتى المذهب الحنفي الذي كان تاريخ نشوئه في العهد الأموي، فانه كاد أن ينقرض ويتلاشى حينما قتل أبو حنيفة النعمان على يد المنصور العباسي، لولا إحياء أبي يوسف تلميذ ابي حنيفة إياه، حين توليه منصب قاضي القضاة لأحد الحكام العباسيين، فصار لا يعين قاضيا إلا من كان حنفيا، فراج مذهبه وانتشر.

وفي العصر العباسي كتبت ودونت أغلب إن لم نقل جميع المدونات الروائية المشهورة في عصرنا الحاضر، إبتداء من موطأ مالك بن أنس، ومرورا بكتب الشافعي ومسند أحمد بن حنبل، وانتهاء بالمسانيد الأخرى والصحاح المشهورة المعروفة حاليا.

وفي العصر العباسي أيضا خضعت هذه الصحاح والمسانيد والسنن إلى تدخل السلطة التي كانت ترفع شعار العداء والنصب والحرب ضد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذلك خضعت إلى عمليات واسعة من التحريف والتزوير والتلاعب من مؤلفيها أو جامعيها أو من أشخاص آخرين كالتلاميذ والوراقين وغيرهم.

كل هذه الأمور وغيرها استدعتنا لإفراد فصل خاص نتحدث فيه عن جميع هذه المسائل المهمة وغيرها، نسأله تعالى التوفيق لكشف ما ستر وأبهم من الحقائق المغيبة عن أعين الناس إنه ولي كل خير والهادي له.



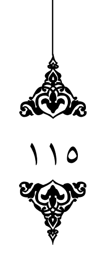


ما هي السنة الرسمية للدولة العباسية؟

حينما سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية، وجدت نفسها أمام مجموعة من السنن، فسنة عمر بن عبد العزيز التي أحيا بها سنة الشيخين مع بعض التدخلات والإضافات التي قام بها عمر بن عبد العزيز، وسنة الأمويين التي دونها الزهري لهم والتي أضافوا إليها أشياء كثيرة لم يقلها أو يدونها والتي تتناغم مع التوجهات والنزعات الأموية، وسنة الإمامين الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليهما والتي كانت تمثل النسخة الأصل من بين تلك السنن المزورة والمحرفة، إضافة إلى سنة القياس التي ابتدعها أبو حنيفة النعمان.

ولكن جميع هذه السنن لم تكن لتلائم طموحات الدولة العباسية الجديدة، فلم يكن من المعقول أن يأخذ العباسيون بالسنة الأموية التي كتبها ابن شهاب الزهري لهشام بن عبد الملك، لان هذه السنة فيها إعلاء لشأن الأمويين، وتسطير لمفاخرهم، وطمس لكل ما من شأنه أن يعيبهم، وينتقص من شأنهم، وهذا ما لم يكن يرتضيه العباسيون، لان بني العباس كانت واحدة من أهم أولوياتهم هي إماتة كل ما من شأنه أن يعلي ذكر الأمويين ويرفع شأنهم، فلهذا السبب وغيره لم يكن بإمكان الدولة العباسية الأخذ بالسنة الأموية.

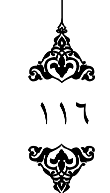
وكذلك لم يكونوا يرغبون بالأخذ بسنة الإمامين الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليهما والتي هي السنة الحقيقية للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لعدم وجود



فضائل أو مواقف مهمة وكبيرة لهم فيها، ولان سنتهما صلوات الله وسلامه عليهما وسنة آبائهما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تقوم على أساس أن الإمامة والخلافة وحق تولي أمور الرعية وإدارة شؤون الدولة وغير ذلك هو من حق الإمام المعصوم المنصوص به من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه فلو اخذ العباسيون بسنة الإمامين الصادق والباقر صلوات الله وسلامه عليهما لوجب عليهم تسليم الخلافة إلى الإمامين الصادق والباقر ومن بعدهما إلى الإمام الذي يليهما وهكذا، وهذا ما لم يكن العباسيون ليسمحوا به، ويضاف إلى ذلك كله ان العباسيين كانوا يعتقدون اعتقادا راسخا أن بني فاطمة عموما وبني الحسين على وجه الخصوص لا يقلون خطرا على دولتهم من الأمويين، بل هم اشد خطرا منهم، وذلك لان الأمويين قد فني سلطانهم وهدمت أركانهم واستؤصلت جذورهم، أما أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فعلى الرغم من كل حروب الإبادة لهم ولشيعتهم، وعلى رغم كل محاولات التعتيم والتضليل والمحو لفضائلهم ومآثرهم فما زال حبهم في قلوب الناس يكبر ويكبر، وما زالت قواعدهم الشعبية تتوسع كل يوم، وعليه فسيكون أي عمل بسنة الإمامين الصادق والباقر صلوات الله وسلامه عليهما من السلطة العباسية هو بمنزلة الانتحار لهم، لأنه سيوسع من رقعة محبي أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويضمن حقوقهم ويقوي سلطانهم ويجر البساط من تحت أرجلهم شيئا فشيئا.

أما سنة القياس والرأي التي ابتدعها أبو حنيفة النعمان، فلم يكن أيضا بإمكان الدولة العباسية الأخذ بها كسنة رسمية للدولة، لان أبا حنيفة كان عدوا لدودا للعباسيين، ومن المحرضين على القيام والثورة ضدهم، حتى أفتى بصحة الخروج على حكمهم، وقتل نتيجة هذه الفتوى، إضافة إلى ان مدرسة القياس والرأي كانت في ذلك الوقت قيد الإنشاء والتكوين، وقد رفعت ضدها آلاف

الأصوات المعرضة لها والمنددة بأسلوبها ومنهجها بل والمكفرة لكل من يعتقد بها او ينتمي إليها، وعليه فلم يكن من المناسب ان تتخذها الدولة العباسية سنة رسمية لها.



فلم يبقَ أمام العباسيين غير الأخذ بسنة الشيخين، لأنها تمتلك ما لا تمتلكها سنة أخرى، إضافة إلى أنها ستوفر لهم مزايا لا توفرها لهم أي سنة من السنن السابقة، فهي:

١: سترغم أنوف معارضيهم من الأمويين، وهي أيضا ضربة قوية لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم وأنصارهم، لان السير على منهج الشيخين وسنتهما يعني استمرار معاناتهم ودوام تغييبهم وهضم حقوقهم وحقوق شيعتهم.

٢: ان سنة الشيخين كما عرفنا سابقا فيها مطاطية ومرونة فيما يتعلق بحقوق الحاكم وإمكانية تغييره لبعض السنن وتشريع بعض الأحكام التي تحتاجها الدولة للتعامل مع المتغيرات التي يمر بها الحاكم وحكومته.

٣: ان سنة الشيخين تعطي للحاكم مقام القيمومة على مصادر الثروة فيعطي ويفضل في العطاء من يشاء على من يشاء، ويعطي ما يشاء لمن يشاء، وهو أمر يفرح به كل حاكم، وهو ما بدا واضحا في إحدى خطب المنصور العباسي التي يقول فيها: (أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه ورشده وخازنه على فيئه بمشيئته أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه وقد جعلني الله تعالى عليه قفلا إذا شاء أن يفتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم وإذا شاء أن يقفلني عليه أقفلني...)[١].

وكنتيجة لصيرورة سنة الشيخين السنة الرسمية للدولة العباسية فتح باب

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٢، ص٣١٠ ـ ٣١١.



التدوين أمامها على مصراعيه، وسمح للمحدثين تدوين الأحاديث لكن من وجهة نظر أنصار الشيخين وأشياعهم، دون غيرهم من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو الأمويين، وفيما لو اضطر أهل الحديث لتدوين شيء عنهم أو لهم فيجب أن لا يكون فيه ذكر لما يؤهلهم لمنصب الخلافة ولا فيه تفضيل لمرتبتهم على مرتبة الشيخين، ولا يكون فيه تقوية لأمرهم أو أمر شيعتهم، وبالجملة فقد أوجبت السلطة على المدونين أن يلتزموا بمبدأ التكتم والإماتة لأمر أهل البيت وهو نفس النظام القديم المعمول به منذ أن تولى الشيخان والى يوم الناس هذا.

استغلال المحدثين لوضع فضائل للدولة الجديدة

لم يكن لبني العباس في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فضل كبير، فالعباس ابن عم المطلب جد العباسيين وعم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أسلم قبل الفتح بقليل، فليس هو من أوائل المسلمين ولا من السابقين للهجرة ولا من أهل بدر وأحد ولا من أصحاب بيعة الشجرة والرضوان، وهو بعد الفتح كغيره من بقية المسلمين من حيث العلم والفقه والإنفاق والجهاد في سبيل الله سبحانه، نعم كان له موقف مشرف بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد دعا الناس علانية إلى مناصرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ومبايعته والرجوع عن بيعة أبي بكر وتركها، ولكن هذا الموقف حجة على بني العباس لا لهم، لان هذا الموقف منه يثبت بما لا يقبل الشك أن العباس بن عبد المطلب كان يعتقد بإمامة علي بن أبي طالب وبنيه من بعده، وان بني العباس حينما اخذوا الخلافة واستولوا على الملك وأقصوا أهل البيت عنها فانهم بذلك خالفوا سنة جدهم العباس ومشوا على غير منهجه، فليس لهم فضل في ذلك ولا كرامة.

وأما عبد الله بن عباس وغيره من أولاد العباس بن عبد المطلب، فقد كانوا صغار السن في عهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فعبد الله بن عباس الذي هو عماد هذه الأسرة وأفضلها قد ولد قبل الهجرة النبوية بثلاث سنين، ولم يشترك في بدر ولا احد ولا غيرهما من الحروب الأولى المهمة، نعم هو حبر الأمة وترجمان القرآن وله علم وافر لا ينكر حتى سمي بالبحر لسعة علمه، ولكن ابن عباس قد اعترف في غير مصدر من مصادر المسلمين وفي غير حديث ان علمه كله وحكمته ومعرفته كلها مستقاة ومأخوذة من علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله وسلم ومعرفته وحكمته، وان نسبة علمه وعلم أصحاب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة إلى علم الإمام أمير المؤمنين كالقطرة إلى البحر، وعليه فجميع ما عند عبد الله بن عباس من الفضل فأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أصله وسببه وأساسه.

فضلاً عن ان عبد الله بن عباس وإخوته كانوا معروفين بالولاء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وأولاده الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، ولابن عباس محاورات ومناقشات طويلة مع عمر بن الخطاب وغيره تدل دلالة لا تقبل الشك على ان أبناء العباس الأوائل كانوا يرون أنفسهم أتباعا ومأمومين لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا الولاء لم يقتصر على عبد الله بن عباس وإخوته، فحتى الذين قاموا بالثورة على الأمويين منهم لم يكونوا سوى جنودٍ من جنود محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية احد أبناء الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه، ولم يستطيعوا أن يستقطبوا الجماهير إلا بعد رفعهم لشعار الأخذ بثارات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم حصل خيانة وانقلاب داخلي معروف أمره ومشهور خبره لا حاجة لنا إلى سرده، غير انا نذكر من باب الشاهد رسالة محمد بن عبد الله الملقب بذي النفس الزكية إلى



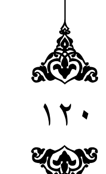
المنصور وفيها يتضح جليا تبعية بني العباس لبني علي أبا عن جد، حيث جاء فيها: (...فإن الحق حقنا وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا وإن أبانا عليا كان الوصي وكان الإمام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة والفضل... وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد)[1].

وبقيت هذه التبعية تؤرق بني العباس، وتقض مضاجعهم، وتنغص عليهم أيام ملكهم، لأنهم كانوا يعدّونها ورقة ضغط وإدانة يرفعها العلويون بوجوههم، كما قرأنا في رسالة محمد ذي النفس الزكية إلى المنصور، وعبد الله هذا اقل شأنا ومنزلة وعلما من الإمام جعفر بن محمد الصادق، فإذا كان هذا الأقل يرى في نفسه الكمال والرفعة والتعالي على العباسيين فكيف سيكون مقام العباسيين فيما لو قسناه بمقام الإمام الصادق صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وغيره من الأئمة صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فلذلك رأى بنو العباس انهم سوف لن يتخلصوا من عقدة التبعية هذه ما لم يمولوا حملة جديدة لوضع أحاديث تصيرهم سادة لا أتباعا، وتجعلهم مؤثرين لا متأثرين، وقد أفلحت جهود الدولة في وضع مجموعة كبيرة من الروايات المكذوبة التي تحدثت عن مناقب وفضائل وهمية للعباس بن عبد المطلب وبنيه، وفيما يلي جملة من تلك الفضائل المكذوبة نقدمها للقارئ كدليل على ما مر من كلام:

١: أخرج النسائي عن: (أحمد بن سليمان قال أنبأنا عبيد الله عن إسرائيل عن عبد الأعلى أنه سمع سعيد بن جبير يقول أخبرني ابن عباس: أن رجلا وقع في أب كان له في الجاهلية فلطمه العباس فجاء قومه فقالوا ليلطمنه كما لطمه فلبسوا

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٦ ـ ١٩٧.



السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فصعد المنبر فقال أيها الناس أي أهل الأرض تعلمون أكرم على الله عز وجل فقالوا أنت فقال إن العباس مني وأنا منه لا تسبوا موتانا فتؤذوا أحياءنا فجاء القوم فقالوا يا رسول الله نعوذ بالله من غضبك استغفر لنا)[١] وهو حديث حكم عليه بالضعف[٢].

وهذا الحديث كما لا يخفى قد وضع في مقابل حديث صحيح روته كتب الحديث في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فعن الذهبي في تاريخ الإسلام: (عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم سرية، واستعمل عليهم عليا، وكان المسلمون إذا قدموا من سفر أو غزوا، أتوا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قبل أن يأتوا رحالهم، فأخبروه بمسيرهم، فأصاب علي جارية فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لنخبرنه، قال: فقدمت السرية فأتوا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فأخبروه بمسيرهم، فقام إليه أحد الأربعة فقال: يا رسول الله قد أصاب علي جارية، فأعرض عنه، ثم قام الثاني فقال: صنع كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم الثالث كذلك، ثم الرابع، فأقبل رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عليهم مغضبا فقال: ما تريدون من علي، علي مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي)[٣]، وقد علق الذهبي بعد إيراده لهذا الخبر بقوله: (أخرجه أحمد في المسند والترمذي، وحسنه، والنسائي)[٤].

---

(١) سنن النسائي ج٨ ص٣٣ القود من اللطمة حديث رقم ٤٧٧٥.

(٢) راجع على سبيل المثال (ضعيف سنن النسائي تأليف محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى سنة الطبع ١٤١١هـ).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٣٠ ـ ٦٣١.

(٤) المصدر نفسه ص٦٣١.



٢ : روي بطرق شتى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : (هبط علي جبريل وعليه قباء أسود، وعمامة سوداء، فقلت : ما هذه الصورة التي لم أرك هبطت علي فيها قط قال : هذه صورة الملوك من ولد العباس عمك، قلت وهم على حق؟ قال جبريل نعم، قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم : اللهم اغفر للعباس ولولده حيث كانوا، وأين كانوا، قال جبريل ليأتين على أمتك زمان يعز الله الإسلام بهذا السواد، قلت رئاستهم ممن؟ قال من ولد العباس، قال قلت وأتباعهم؟ قال من أهل خراسان، قلت وأي شيء يملك ولد العباس؟ قال يملكون الأصفر، والأخضر والحجر، والمدر، والسرير، والمنبر، والدنيا إلى المحشر، والملك إلى المنشر)[١].

وقد أورد ابن الجوزي في الموضوعات جميع طرق هذا الحديث وعلق عليها قائلا : (هذا حديث لا يصح من جميع طرقه)[٢].

٣ : وروى ابن عساكر عن أبي أسيد الأنصاري الخزرجي البدري : (أن رسول الله «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» قال للعباس بن عبد المطلب يا أبا الفضل لا ترم منزلك غدا أنت وبنوك فإن لي فيكم حاجة فانتظروه فجاء فقال السلام عليكم قالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا بخير نحمد الله كيف أصبحت أنت يا رسول الله قال بخير أحمد الله فقال تقاربوا ليزحف بعضكم إلى بعض ثلاثا فلما أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال هذا العباس عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي اللهم استرهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه قال فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين ثلاثا)[٣].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٠ ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي ج ٢ ص ٣٦.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٢٦ ص ٣١١.



وعن الخطيب البغدادي عن ثور بن يزيد عن مكحول بن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: (قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: «لأبي» إذا كانت غداة الاثنين فائتني أنت وولدك قال: فغدا وغدونا معه، فألبسنا كساء له ثم قال: اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة باطنة لا تغادر ذنبا، اللهم أخلفه في ولده)[1].

ثم ذكر الخطيب قائلا: (فكان يحيى بن معين يقول: هذا موضوع. وعبد الوهاب لم يقل فيه حدثنا ثور، ولعله دلس فيه)[2].

وهذه الأحاديث كما لا يخفى قد اختلقت في مقابل حديث الكساء المتواتر الذي روته صحاح أهل السنة وغيرها، منهم مسلم النيسابوري في صحيحه قال: («حدثنا» أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير «واللفظ لأبي بكر» قالا حدثنا محمد بن بشر عن زكرياء عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة خرج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾)[3].

وغير ذلك من النصوص التي يطول استقصاؤها بأجمعها.

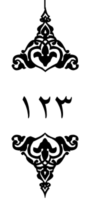
٤ : وعن ابن عساكر: (عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال اللهم إن عمي العباس حاطني بمكة من أهل

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١١ ص٢٥.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١١ ص٢٥.

(٣) صحيح مسلم ج ٧ ص١٣٠.

الشرك وأخذني على الأنصار ونصرني في الإسلام مؤمنا بالله مصدقا بي اللهم فأحفظه وحطه وأحفظ له ذريته من كل مكروه)[1]، قال ابن عساكر بعد إيراده لهذا الخبر: (هذا منقطع)[2].



وهذا الحديث المنقطع أرادوا به التمويه وسلب مقام شيخ البطحاء ومؤمنها أبي طالب رضوان الله تعالى عليه الذي منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن يصل إليه الأذى أيام دعوته في مكة، وهو أمر أشهر من أن يطال الكلام حوله[3]، ثم لماذا لم يحدثنا التاريخ عن تلكم المواقف المزعومة للعباس بن عبد المطلب، فأين مواقفه في شعب أبي طالب وغيره من المواقف التي تتزلزل فيها قلوب الرجال؟.

فبهذه الأحاديث الموضوعة والمنكرة والمنقطعة حاول بنو العباس ان يخرجوا أنفسهم من صفة التبعية والانقياد لآل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولكنهم لم يفلحوا، وبقيت خيانتهم وصعودهم إلى مراكز السلطة باسم المطالبة بمظالم أهل البيت وحقوقهم شاهد حق على كونهم أناساً انتهازيين بلا أي مبدأ ولا ضمير.

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٢٦ ص ٣١٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أخرج الطبري في (تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٧ ـ٦٨) (ويكفي فيه ما رواه الطبري وغيره بقوله: (إن قريشا حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال له يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم انه قد بدا لعمه فيه بداء وانه خاذله ومسلمه وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا... ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب).



فتحهم باب الرواية والتدوين وتقليص فضائل أهل البيت عليهم السلام

في بداية العصر العباسي وبالتحديد في سنة مائة وثلاث وأربعين للهجرة فتحت شهية المدونين للتدوين وأعطت الدولة العباسية الضوء الأخضر أمام كل من يريد أن يحدث أو يدون أو يروي أي شيء.

قال الذهبي: (أحداث سنة ثلاث وأربعين ومائة.... وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج التصانيف بمكة، وصنف سعيد بن أبي عروبة، وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، وصنف الأوزاعي بالشام، وصنف مالك الموطأ بالمدينة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف معمر باليمن، وصنف أبو حنيفة وغيره الفقه والرأي بالكوفة، وصنف سفيان الثوري كتاب الجامع، ثم بعد يسير صنف هشيم كتبه، وصنف الليث بمصر وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب. وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس. وقبل هذا العصر كان سائر الأئمة يتكلمون عن حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة. فسهل ولله الحمد تناول العلم، وأخذ الحفظ يتناقص، فلله الأمر كله)[1].

ولكن الحظر على رواية فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبقية أهل بيته وزوجته الصديقة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كان لا يزال ساري المفعول، وكانت الدولة العباسية لا تسمح بل وتعاقب كل من يتجاهر

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٩ ص ١٢ ـ ١٣.

ويعلن الرواية أو التدوين لفضائلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبالخصوص المحدثين والمدونين الشيعة، وقصة المتوكل مع أحد المحدثين السنة الذين روى منقبة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معروفة مشهورة حيث أمر به ليضرب ألف سوط وما نجا من العذاب حتى قيل للمتوكل انه من أهل السنة فعفا عنه لأجل ذلك، ولو كان يعلم بأنه من الشيعة لما تركه حتى يموت تحت العذاب، قال الخطيب البغدادي: (...حدثني نصر بن علي[1] قال: أخبرني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي، حدثني أخي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة». قال أبو عبد الرحمن عبد الله: لما حدث بهذا الحديث نصر بن علي أمر المتوكل بضربه ألف سوط، وكلمه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له: هذا الرجل من أهل السنة، ولم يزل به حتى تركه، وكان له أرزاق فوفرها عليه موسى. قلت: إنما أمر المتوكل بضربه لأنه ظنه رافضيا، فلما علم أنه من أهل السنة تركه)[2].

وقصة ابن السكيت مع المتوكل مشهورة معلومة أيضا قد رواها ابن خلكان بقوله: (إن المتوكل كان كثير التحامل على علي بن أبي طالب وأبنيه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين وقد تقدم في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن بسام أبيات تدل على هذا أيضا وكان ابن السكيت من المغالين في

---

(١) قال الذهبي: (ونصر بن علي، فمن أئمة السنة الاثبات) راجع: (سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٢ ص١٣٥).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٢٨٩.

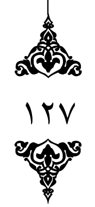
محبتهم والتوالي لهم فلما قال له المتوكل تلك المقالة قال ابن السكيت والله إن قنبر خادم علي رضي الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل سلوا لسانه من قفاه ففعلوا ذلك به فمات)[1].



فبعد هذا الإرهاب والإجرام والاضطهاد لفضائل العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يعقل أن تنتشر فضائلهم وتدون ويتحدث بها مثلما يتحدث وتدون سائر فضائل بقية الصحابة، نعم القوم قد دونوا بعض فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبالتحديد الخمسة أهل الكساء اضطرارا، لان المدونين للحديث والاثر والسنة اهتموا اهتماما بالغا في ذكر فضائل الشيخين وعثمان وعائشة في كتبهم ومدوناتهم، فكان عليهم من باب الإكراه والإجبار ذكر بعض فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنهم لو لم يذكروها لافتضحوا وانكشف أمرهم وبان نصبهم علانية، ولكنهم خرجوا من هذا المأزق بحيلة ماكرة، فقاموا بتثبيت الفضائل التي لا يشم منها رائحة التفضيل على الشيخين وعثمان وعائشة، والتي ليس فيها ذكر ولا إشارة لمسألة الوصية والتقديم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته، كي لا تستغل هذه النصوص ورقة إدانة ودليلاً على أحقية الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بمنصب الخلافة والإمامة بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، نعم قد شذ عن هذه القاعدة بعض الأحاديث كحديث الغدير وأمثاله والتي دونت لتواترها أو اشتهارها إلى الحد الذي لا قدرة لهم على إنكارها، ولكنهم مع تدوينها فسروها بتفسيرات وأولوها بتأويلات أخرجتها عن حقيقتها وجوهرها.

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج٦ ص ٤٠٠ ـ ٤٠١.

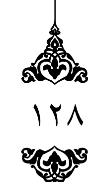


هل دونت السنة النبوية بشكل نزيه وبعيد عن التحريف والتزوير؟

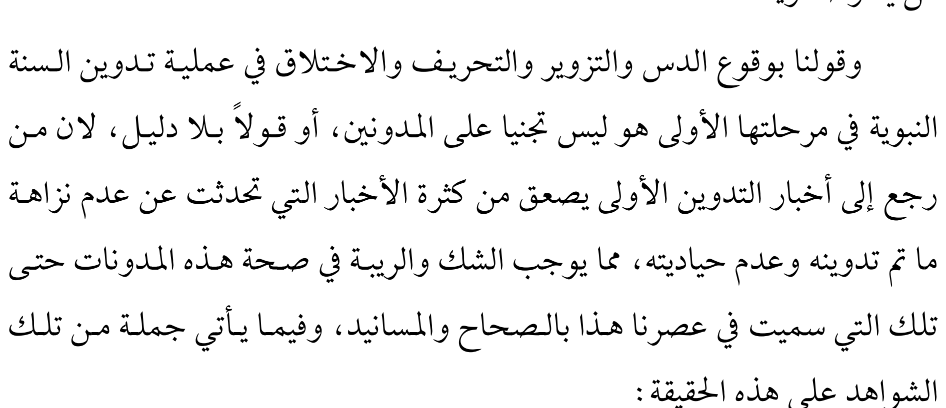
كانت خطوة فتح باب التدوين للسنة النبوية المطهرة والتاريخ خطوة مهمة للغاية، فبالتدوين خرجت السنة النبوية المطهرة من تحت رحمة الحفاظ وما يقعون فيه من السهو والنسيان والغلط والتحريف المتعمد وغير المتعمد، وبالتدوين صار بإمكان عامة الناس الوصول إلى السنة النبوية المطهرة، وبالتدوين أزيحت سلطة الحفاظ وانزلوا من عروشهم العاجية وأزيح الاحتكار الذي كانوا يمارسونه، لان الأمة الإسلامية بقيت ولمدّة قرن ونصف تقريبا تحت رحمة المحدثين الحفاظ يتعطفون عليها بإخراج بعض أحاديث رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ وسننه ويخفون عنها أكثره، مع أن هذا القليل الذي تم إخراجه للأمة مقسم ما بين الصحيح ـ وهو النسبة القليلة منه ـ وما بين الضعيف ـ الذي هو أكثره ـ مع تعرضه للدس والكذب والتدليس ومحاباة السلطة ومراعاة المصالح الشخصية وغير ذلك، وبالجملة فلم تعتق رقبة الأمة من حفاظ السوء والمتاجرين بالرواية إلا بنعمة التدوين، وهذه نعمة من نعم التدوين ومحاسنها ولو بقينا نعدد محاسن التدوين لما وقف بنا الحال عند حد معين.

ولكن هل استغلت الأمة الإسلامية هذه الفسحة والانفراج لتدون السنة النبوية بما يرضي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ونبيه الكريم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ مستفيدين من التجارب السابقة التي وقع فيها حفاظ الحديث، فينزهون السنة النبوية من كل زيف وتحريف ودس، ليقدموها إلى الأجيال القادمة نقية صافية؟.

هذا هو ما كنا نتمناه، وهو الذي كان يفترض أن يكون، إلا أن الحقيقة كانت بعيدة كل البعد عن هذا الذي تمنيناه وتمناه المسلمون، وذلك لان التدوين



الذي كان من المفترض أن يكون رحمة للناس ومتنفسا للحقيقة، صار سببا لتثبيت الأكاذيب وتدوين الروايات المختلقة المتحيزة لوجهة نظر معينة، فتكرر الخطأ نفسه الذي وقع فيه المحدثون قبل التدوين، بل أصبح الخطر اكبر بعد التدوين، لان المحدث قبل ظهور التدوين كان يحدث ويدلس ويختلق لكنه في اغلب الأحيان يموت كذبه واختلاقه مع موت راويه، أما في التدوين فقد كان الأمر مختلفا، فبعد التدوين كان الحديث المختلق يبقى بعد الراوي قروناً وقروناً، ويتناقل في مصنفات أخرى، فينتشر يوما بعد يوم، فيصبح مع مرور الوقت أمرا مفروغا من صحته، يعاب كل من يعارضه ويخالفه.



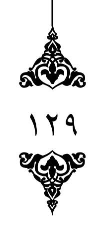
وقولنا بوقوع الدس والتزوير والتحريف والاختلاق في عملية تدوين السنة النبوية في مرحلتها الأولى هو ليس تجنيا على المدونين، أو قولاً بلا دليل، لان من رجع إلى أخبار التدوين الأولى يصعق من كثرة الأخبار التي تحدثت عن عدم نزاهة ما تم تدوينه وعدم حياديته، مما يوجب الشك والريبة في صحة هذه المدونات حتى تلك التي سميت في عصرنا هذا بالصحاح والمسانيد، وفيما يأتي جملة من تلك الشواهد على هذه الحقيقة:

الشاهد الأول: سرقة الكتب وإدخال الزيادات فيها

قال الرازي في الجرح والتعديل بسنده عن: (إسحاق بن الصيف قال سمعت أبا مسهر يقول سمعت سعيدا يعنى ابن عبد العزيز يقول: قدم عليهم ابن سمعان فاخرج إليهم كتبه فزادوا فيها فلما حدثهم بها قالوا: كذاب)[1].

وعن الخطيب البغدادي وهو يتكلم عن عبد الله بن زياد بن سمعان المذكور

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٥ ص ٦١.



آنفا قال: (سمعت أبا مسهر يقول: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: أتى العراق فأمكنهم من كتبه، فزادوا فيها فقرأها عليهم فقالوا كذاب)[١].

وهذان النصّان يدلان على أمرين مهمين الأول هو وجود فئة لا تتورع عن إدخال الأحاديث المكذوبة على مدونات المدونين ودسّها، والثاني عدم انتباه المدونين وغفلتهم عن تلك الزيادات المدسوسة في كتبهم فيرويها احدهم مثلما يروي سائر فقرات مدونته، فيأخذها التلاميذ ويدونونها ومن ثم يروونها لغيرهم في الطبقة الثانية وهكذا تنتقل من طبقة إلى أخرى فتصبح مع مرور الوقت جزءاً من السنة النبوية.

الشاهد الثاني: دسهم لأحاديث مكذوبة في كتاب عطاء بن عجلان

روى العقيلي في كتابه الضعفاء قال: (حدثنا أحمد بن علي قال حدثنا يحيى ابن أيوب قال حدثنا أبو المنذر الكوفي قال كنا بمكة فقدم علينا عطاء بن عجلان من البصرة فأخذ في الطواف فجاء غياث بن إبراهيم وكدام بن مسعر وآخر قد سماه فجعلوا يكتبون حديث عطاء فإذا مروا بعشرة أحاديث أدخلوا حديثا من غير حديثه حتى كتبوا أحاديث وهو يطوف قال فقال لهم حفص بن غياث ويلكم اتقوا الله فانتهروه وماجوا به قال فلما فرغ كلموه أن يحدثهم فأخذ الكتاب فجعل يقرأ حتى انتهى إلى حديث فمر فيه فقرأه قال فنظر بعضهم إلى بعض ثم قرأ حتى انتهى إلى الثالث فانتبه الشيخ واستضحكوا قال فقال لهم إن كنتم أردتم شيني فعل الله بكم وفعل)[٢].

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٩ ص ٤٦٥.

(٢) ضعفاء العقيلي ج ٣ ص ٤٠٢.



فوا حسرتاه إذ صارت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألعوبة بيد هؤلاء يتلاعبون بها ليتضاحكوا فلم يمنعهم من جريمتهم هذه قداسة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وخوف النار التي أوعد الله بها كل من يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا قداسة المكان وحرمة بيت الله الحرام، ثم ومن هوان الدهر أن يصبح مثل هذا الشيخ المغفل أمينا للسنة النبوية ويترك الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه وجميع ما ورثه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الشاهد الثالث: دس حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك بن انس في كتبه وكتب غيره

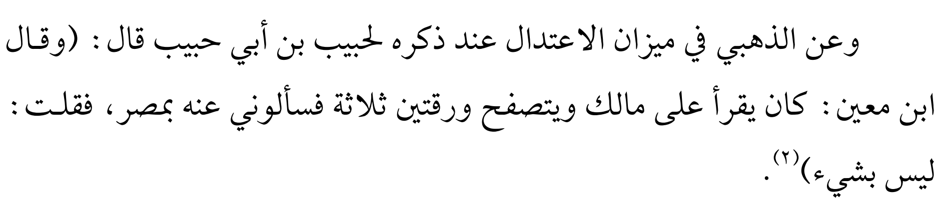
وما روي في حق حبيب بن أبي حبيب أعجب وأعجب، فقد كان حبيب هذا كاتبا لمالك بن انس محدث المذهب المالكي، إضافة إلى انه كان وراقا بالمدينة عند شيوخ الحديث آنذاك، فكان يدخل في كتبهم ما ليس من أحاديثهم، وكان يقرأ الكتاب على المدونين فيقرأ بعضه ويترك بعضه، ثم يعطيه إياهم فيدونونه كله ما قرأه عليهم وما لم يقرأه، والعجيب أكثر من ذلك ان حبيباً هذا كان يستعمل هذا الأسلوب نفسه في التدليس والدس مع مالك بن انس حيث كان يقرأ عليه ثم يتصفح ورقتين أو ثلاثة ثم يقرأ عليه فينسخ مالك كتابه ما قرئ عليه وما لم يقرأ، ثم يعطيه مالك إلى الآخرين ليرووه عنه بوصفها من أحاديثه.

قال ابن حبان:

(حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك بن أنس...يروي عن مالك وربيعة، كان يورق بالمدينة على الشيوخ، ويروي عن الثقات الموضوعات كان يدخل عليهم ما ليس من أحاديثهم...فإنه كان إذا قرأ أخذ الجزء بيده ولم يعطهم النسخ ثم يقرأ

البعض ويترك البعض ويقول: قد قرأت كله ثم يعطيهم فينسخونها...سمعت محمد ابن عبد الله الجنيد يقول: سمعت قتيبة بن سعيد يقول سمعت هذه الأحاديث من مالك وحبيب يقرأ فلما فرغ قلت: يا أبا عبد الله هذه أحاديثك تعرفها أرويها عنك فقال نعم، وربما قال له غيري)[1].





وعن الذهبي في ميزان الاعتدال عند ذكره لحبيب بن أبي حبيب قال: (وقال ابن معين: كان يقرأ على مالك ويتصفح ورقتين ثلاثة فسألوني عنه بمصر، فقلت: ليس بشيء)[2].

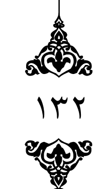
أقول: كيف يبقى وثوق بكتب الثقات والشيوخ ومدوناتهم بعد تعرضها لمثل هذا التلاعب من حبيب بن أبي حبيب وغيره، لان حبيب بن أبي حبيب هو واحد من مئات أولئك المتلاعبين، ثم إني لا أرى فائدة من تضعيف الذهبي وبقية علماء أهل السنة لحبيب بن أبي حبيب، لان رواياته قد دست في كتب الشيوخ على أنها من كتبهم وليست من أحاديث حبيب بن أبي حبيب ليتم تمييزها والتوقي منها، فلما صارت في كتب الشيوخ والثقات تلاقفها الناس على أنها من حديث أولئك الشيوخ فكتبت باسمهم ووصلت إلينا على أنها منهم.

وقد تم تداولها بالفعل ونشرها على أنها من أحاديث الشيوخ، ففي الرواية الأولى نرى ان حبيب بن أبي حبيب يقرأ لمالك ثم يسأله قتيبة بن سعيد فيقول له: (يا أبا عبد الله هذه أحاديثك تعرفها أرويها عنك) فيقول له نعم، بمعنى ان الدس قد خفي حتى على مالك بن انس وانها قد أخذت منه وتم نشرها على أنها أحاديثه وليست أحاديث حبيب بن أبي حبيب.

---

(١) كتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص ٢٦٥.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٤٥٢.



الشاهد الرابع: غالب بن عبيد الله يملي بخلاف ما هو مكتوب عنده

وأخرج مسلم في صحيحه عن: (الفضل بن سهل قال حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرني خليفة بن موسى قال دخلت على غالب بن عبيد الله فجعل يملى علي حدثني مكحول حدثني مكحول فأخذه البول فقام فنظرت في الكراسة فإذا فيها حدثني أبان عن انس وأبان عن فلان فتركته وقمت)[1].

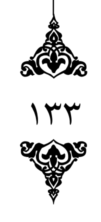
أقول: وفيه دليل قاطع على ان الشيوخ كانوا يكذبون في حديثهم فيغيرون في الأسانيد المرسلة أو المقطوعة ويبدلون في الرواة عامدين بلا خوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالحديث المدون في كتاب غالب بن عبيد الله هو حدثني أبان عن أنس، وأبان هو (أبان بن أبي عياش) وهو ضعيف متروك، فيقلب إسناده ويصيره عن مكحول، وهو (مكحول الشامي) وهو عندهم أحسن حالا ووثاقة من أبان السابق، ثم يلقيه إلى المدونين وكتاب الحديث فيصبح حسنا بعد أن كان ضعيفا، ومسندا بعد أن كان مرسلا، وموصولا بعد أن كان مقطوعا، وخليفة بن موسى وان اكتشف هذه اللعبة إلا أننا نسأل كم واحداً غيره كتب هذه الأحاديث عن غالب ابن عبيد الله ودونها ولم يكتشفها ثم نقلت من واحد إلى آخر وانتشرت ودونت في كتب أخرى بعنوانها الجديد (مكحول عن انس).

الشاهد الخامس: يحيى يحدث بخلاف ما هو مدون عنده ثم يكتشف خطأه بعد ست عشرة سنة

قال القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي: (عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يجمع بين المغرب والعشاء إذا جد به السير بعد ما يغيب الشفق، ويزعم أن

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص١٤.



النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يجمع بينهما، قال يحيى: حدثت بهذا الحديث ست عشرة سنة بمكة، فكنت أقول: قبل أن يغيب الشفق. ثم نظرت في كتابي فإذا هو بعد ما يغيب الشفق)[١].

أقول: أين يذهب يحيى من الله في تحديثه بحديث خطأ لمدة ست عشرة سنة، وكان يكفيه ان ينظر ولو لمرة واحدة في كتابه ليعرف حقيقة الأمر، فكم من الناس قد عملوا بحديثه قبل ان يكتشف خطأه، وكم من الرواة رووه عنه خلال هذه الست عشرة سنة، وكم من الأحاديث التي كان حالها مثل هذا الحديث غاية ما في الأمر أنها غطيت وسكت عنها ودونت وعمل بها بينما كشف النقاب عن هذا الحديث لعلة لا نعلم عنها شيئا.

الشاهد السادس: ابن لهيعة يحذ الوسائط ويأتونه بكتاب مجهول المصدر فيرويه

وابن لهيعة هو الذي يصفه الذهبي بقوله: (لا ريب أن ابن لهيعة كان عالم الديار المصرية، هو والليث معا، كما كان الإمام مالك في ذلك العصر عالم المدينة، والأوزاعي عالم الشام، ومعمر عالم اليمن، وشعبة والثوري عالما العراق، وإبراهيم بن طهمان عالم خراسان)[٢].

وعن الذهبي أيضا قال:

(أبو داود سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة. وقال أحمد بن صالح: كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طلابا للعلم وقال زيد بن

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب ص ٣٨٨.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ ص ١٤.



الحباب قال سفيان الثوري: عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع)[١].

ولكن عالم الديار المصرية هذا ومن عنده الأصول وعند الآخرين الفروع ومن وصفه احمد بن صالح بأنه صحيح الكتاب، كان يكذب في حديثه ويلقي على طلابه خلاف ما هو موجود في كتبه، وكان يجيئون له بكتب فيقولون له هذا من حديثك ـ وهي ليست كذلك ـ فيرويها.

قال أحمد بن حنبل: (كان ابن لهيعة كتب عن المثنى بن الصباح، عن عمرو ابن شعيب، وكان بعد يحدث بها عن عمرو نفسه)[٢]، وهذا يعني ان ابن لهيعة قد تلاعب بالسند فحذف منه المثنى بن الصباح، وهو غير مقبول ألبتة، وهو يدل على عدم وثاقته بل ووضعه وكذبه.

وعن ابن حجر في تهذيب التهذيب: (قال يحيى بن حسان رأيت مع قوم جزءا سمعوه من ابن لهيعة فنظرت فإذا ليس هو من حديثه فجئت إليه فقال ما أصنع يجيئوني بكتاب فيقولون هذا من حديثك فأحدثهم)[٣].

أقول: هل يصح أن يقال عن مثل هذا الشخص بأنه إمام أهل مصر في الحديث فإذا كان الإمام بهذه المنزلة من الغباء فما حال من هو أدنى منه مرتبة، والأعجب من ذلك ان المنصور اتخذه قاضيا على مصر كما نقل الذهبي ذلك بقوله: (ونقلوا أن عبد الله بن لهيعة ولاه أبو جعفر القضاء بمصر، في سنة خمس وخمسين ومائة، تسعة أشهر، وأجرى عليه في كل شهر ثلاثين دينارا)[٤].

---

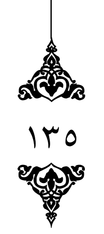
(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ ص ١٥.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٣٣٠.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ ص ٢٦.

الشاهد السابع: عبد الله بن سلمة يحدث بما لا يسمع ويروي غير ما دون



قال الرازي: (عمرو بن علي انه سمع عبد الله بن سلمة الأفطس يقول حدثني موسى بن عقبة، فذكرته ليحيى بن سعيد فقال: قدمنا المدينة وقد مات موسى بن عقبة قبل ذلك عاما لم نسمع منه. وسمعته يقول حدثني عثمان بن حكيم، فذكرته ليحيى بن سعيد فقال: قدمنا الكوفة وقد مات. وسمعته يحدث عن جعفر بن محمد أحاديث فذكرته ليحيى فقال: أنا كتبت بيدي ما سمعنا من جعفر له وبعثت بها إليه ولم تكن هذه الأحاديث فيها)[1].

أقول: فعبد الله بن سلمة الأفطس كذب في ادعائه بان موسى بن عقبة حدثه بحديث لان موسى بن عقبة مات قبل أن يأتي عبد الله بن سلمة الأفطس بعام كما قال يحيى بن سعيد، وكذلك كذب في زعمه ان عثمان بن حكيم حدثه، وكذب أيضا في تحديث الناس أن جعفر بن محمد حدثه بأحاديث بينما لم يسمع من جعفر أي شيء، وكذلك لم تكن من ضمن الأحاديث التي حدث بها جعفر بن محمد.

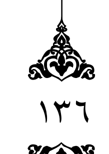
الشاهد الثامن: احدهم يشتري كتب غيره ثم يرويها على أنها كتبه وانطلاء أمره على أئمتهم

وقد بلغت الحال بإبراهيم بن أبي الليث انه اشترى كتبا للأشجعي بعد موته وجلس يحدث بها، من دون ان يذكر انه اشتراها، قال الخطيب البغدادي: (إن إبراهيم ابن أبي الليث خرج إلى مكة مع ولد أحمد بن نصر فمر بالكوفة، ومضى إلى عيال أبي عبيدة بن الأشجعي بعد موته، فاشترى كتب الأشجعي وقعد يحدث بها)[2].

---

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٥ ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٦ ص ١٩١.



وعن الخطيب البغدادي أيضا قال: (أخبرنا أبو علي صالح بن محمد الأسدي قال: إبراهيم بن أبي الليث كان يكذب عشرين سنة، وقد أشكل أمره على يحيى وأحمد وعلي بن المديني حتى ظهر بعد بالكذب فتركوا حديثه)(١).

وعن الخطيب البغدادي: (حدثنا أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز قال: سمعت يحيى بن معين وذكر إبراهيم بن أبي الليث، فذكر عنه شيئا لم أحفظه. فقيل له: يا أبا زكريا إن أحمد بن حنبل يختلف إليه ويكتب عنه! فقال: لو اختلف إليه ثمانون كلهم مثل منصور بن المعتمر ما كان إلا كذابا)(٢).

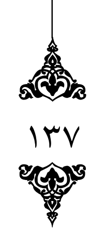
أقول: ليس العجيب أن يشتري هذا الكذاب كتب غيره ويحدث بها فقد وقع مثل هذا الأمر كثيرا، ولكن العجيب أن ينخدع به يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني، وابن معين كما يدعي أهل السنة صار في زمانه علما يقتدى به في الأخبار وإماما يرجع إليه في الآثار، وهو من لم تطلع الشمس على أكبر منه، وهو الذي كان يؤتى بالأحاديث قد خلطت وتلبست فيقول هذا الحديث كذا وهذا كذا فيكون كما قال، وهو الذي كان الناس عيالا عليه.

قال ابن حجر: (وقال محمد بن رافع سمعت أحمد بن حنبل يقول كل حديث لا يعرفه ابن معين فليس هو بحديث... وكثرت عنايته بها وجمعه وحفظه إياها حتى صار علما يقتدى به في الأخبار وإماما يرجع إليه في الآثار وقال العجلي ما خلق الله تعالى أحدا كان اعرف بالحديث من يحيى بن معين ولقد كان يجتمع مع أحمد وابن المديني ونظرائهم فكان هو الذي ينتخب لهم الأحاديث لا يتقدمه منهم أحد ولقد كان يؤتى بالأحاديث قد خلطت وتلبست فيقول هذا الحديث كذا وهذا

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق ص١٩٢.



كذا فيكون كما قال)[١].

ولو رجعنا إلى تراجم كل من أحمد بن حنبل وعلي بن المديني لوجدت توثيقهما ومدحهما قريباً مما ورد في يحيى بن معين، والسؤال المهم هو إذا كان القوم بهذه المنزلة الرفيعة فكيف استمرت غفلتهم وانخداعهم بأحاديث إبراهيم بن أبي الليث مدة عشرين سنة، ولنفرض ان القوم فعلا قد اكتشفوا أمره بعد عشرين سنة، لكن ما مصير الذين رووا عنه في هذه العشرين سنة، وماتوا أو انتقلوا من ذلك البلد، أليست قد دونت أقواله في كتبهم، أليسوا قد رووها لأناس آخرين.

ثم كيف لم ينته أحمد بن حنبل عن الكتابة عنه حتى بعد انكشاف أمره له، لان كلام ابن معين حسب الظاهر كان بعد العشرين سنة وبعد انكشاف أمر إبراهيم ابن الليث له ولغيره، ولكن مع ذلك بقي أحمد بن حنبل يتردد عليه ويكتب عنه.

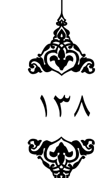
وكدليل آخر على كتابة أحمد بن حنبل عنه حتى بعد معرفته بأنه يكذب ويسرق الأحاديث، هو ان عبد الله بن أحمد بن حنبل قد اخرج له حديثا في مسند ابيه قائلا: (حدثني أبي ثنا إبراهيم بن أبي الليث ثنا الأشجعي عن سفيان عن عمرو بن يعلى بن مرة الثقفي عن أبيه عن جده قال أتى النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم رجل عليه خاتم من الذهب عظيم فقال له النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أتزكي هذا فقال يا رسول الله فما زكاة هذا فلما أدبر الرجل قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم جمرة عظيمة عليه)[٢] وأخرج له حديثا آخر في فضائل عثمان بن عفان تحت اسم (إبراهيم بن نصر الترمذي)[٣].

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

(٢) مسند أحمد ج ٤ ص ١٧١.

(٣) المصدر السابق ج١ ص٥٩.



الشاهد التاسع: حقائق مهمة يذكرها ابن حبان

قال ابن حبان في كتاب المجروحين في معرض حديثه عن الأجناس التي لا تؤخذ عن الثقات مع كونهم ثقات فذكر ستة أجناس نذكر منها ما يتوافق وموضوع بحثنا.

قال ابن حبان: (الجنس الأول وهو الذي كثر في المحدثين، فمنهم من كان يخطئ الخطأ اليسير، إما في الكتابة حيث كتب، ولم يعلم به حتى بقي الخطأ في كتابه إلى أن كبر، واحتيج إليه، مثل تصحيف اسم يشبه اسم، ومثل رفع مرسل أو إيقاف مسند، أو إدخال حديث في حديث أو ما يشبه هذا)[١].

وقال ابن حبان أيضا: (والجنس الثاني: أقوام ثقات كانوا يروون عن أقوام ضعفاء كذابين، ويكنونهم حتى لا يعرفوا، فربما أشبه كنية كذاب كنية ثقة، فيتوهم المتوهم أن راوي هذا الخبر ثقة فيحملون عليه، وليس ذلك الحديث من حديثه، ومن أعملهم بمثل هذا من هذه الأمة الثوري، كان يحدث عن الكلبي، ويقول: حدثنا أبو النضر فيتوهم المستمع أنه أراد به سعيد بن أبي عروبة. أو جرير بن حازم. ومثل الوليد بن مسلم إذا قال: حدثنا أبو عمر، فيتوهم أنه أراد؟ الأوزاعي، وإنما أراد به عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، وقد سمعنا جميعا عن الزهري، ومثل بقية إذا قال: حدثنا الزبيري عن نافع فيتوهم أنه أراد به محمد بن الوليد الزبيري وإنما أراد زرعة بن عمرو الزبيري، وما يشبه هذا)[٢].

وقال ابن حبان أيضا: (الجنس الثالث: الثقات المدلسون الذين كانوا يدلسون في الأخبار مثل قتادة، ويحيى بن أبي كثير، والأعمش وأبو إسحاق، وابن جريج، وابن إسحاق، والثوري، وهشيم، ومن أشبههم ممن يكثر عددهم من

---

(١) المصدر نفسه ص٩٠.

(٢) كتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص ٩١.

الأئمة المرضيين وأهل الورع في الدين. كانوا يكتبون عن الكل، ويروون عمن سمعوا منه، فربما دلسوا عن الشيخ بعد سماعهم عنه عن أقوام ضعفاء لا يجوز الاحتجاج بأخبارهم، فما لم يقل المدلس، وإن كان ثقة: حدثني أو سمعت)[1].



وقال أيضا: (الجنس السادس. أقوام من المتأخرين قد ظهروا يسوقون الأخبار، فإذا كان بين الثقتين ضعيف واحتمل أن يكون الثقتان رأى أحدهما الآخر أسقطوا الضعيف من بينهما حتى يتصل الخبر، فإذا سمع المستمع خبر أسام رواته ثقات اعتمد عليه، وتوهم أنه صحيح، كبقية بن الوليد قد رأى عبيد الله بن عمر، ومالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسمع منهم، ثم سمع عنهم أقوام ضعفاء عنهم فيروي الرواة عنه أخباره، ويسقطون الضعفاء من بينهم، حتى يتصل الخبر في جماعة: مثل هؤلاء يكثر عددهم. سمعت ابن جوصاء يقول: سمعت أبا زرعة الدمشقي يقول: كان صفوان بن صالح، ومحمد بن المصفى يسويان الحديث)[2].

وقال أيضا في موضوع آخر: (ومنهم من امتحن بابن سوء أو وراق سوء كانوا يضعون له لحديث، وقد أمن الشيخ ناصيتهم، فكانوا يقرأون عليه ويقولون له: هذا من حديثك فيحدث به...وجماعة من أهل المدينة امتحنوا: حبيب بن أبي حبيب الوراق، كان يدخل عليهم الحديث...وكذلك كان عبد الله بن ربيعة القدامى بالمصيصة كان له ابن سوء يدخل عليه الحديث عن مالك وإبراهيم بن سعد وذويهم، وكان منهم سفيان بن وكيع بن الجراح وكان له وراق يقال له قرطمة يدخل عليه الحديث في جماعة مثل هؤلاء يكثر عددهم...)[3].

---

(١) المصدر السابق: ج١، ص٩٢.

(٢) المصدر السابق ص٩٤.

(٣) المصدر السابق ص٧٧ ـ٧٨.





الشاهد العاشر: محمد بن عبد الرحيم الذي كتبت عنه آلاف الأحاديث المكذوبة

قال الخطيب البغدادي: (...محمد بن إسحاق السراج قال سمعت أبا يحيى ـ وهو محمد بن عبد الرحيم ـ يقول: كان خالد بن القاسم المدائني كذابا، كان يدعي ما لم يسمع، وكتبت عنه ألوفا، وروى أحاديث لم تكن بمصر، ولم تحدث عن الليث، كان يضع أحاديث من ذات نفسه... كان يعمد إلى الحديث المنقطع فيسنده)[1].

خلاصة هذه الشواهد ودلالاتها

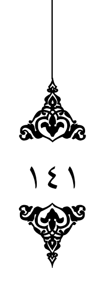
ولكي لا يتشتت الموضوع بكثرة الشواهد لابد من تلخيص النتائج التي يمكن استخراجها من تلك الشواهد المتقدمة:

١: دلت جميع الشواهد المتقدمة على وقوع التزوير والتحريف والدس والتلاعب في تدوين نصوص السنة النبوية أو أسانيدها، وهذا التزوير والدس والتلاعب قد حصل إما بفعل نفس المدونين أو بفعل غيرهم من الوراق والتلاميذ والأبناء وغيرهم.

٢: غفلة المدونين للسنة النبوية في كثير من الأحيان عن تلك الإضافات والتحريفات والدس الذي كان يقوم به الوراق أو التلاميذ، فيأخذها الشيوخ المدونون على أن تلك المدسوسات جزء من أحاديثهم وجزء من مدوناتهم، فيلقونها على طلابهم ويدونونها في كتبهم ثم يكبر هؤلاء الطلاب ويلقونها إلى طلابهم على أنها من مدونات أستاذهم وأحاديثه فتنتشر مع مرور الوقت وتصبح واقعا لا شك فيه مع ان أصلها مدسوس ومزور.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ ص ٣٠٠.



٣ : كان للوراقين والكتاب الذين كانوا يعملون عند شيوخ الحديث أثر مهمٌّ في تزوير الكثير من الأحاديث في كتب شيوخ الحديث، كما عرفنا من حال حبيب بن أبي حبيب الذي كان كاتبا عند مالك بن انس رئيس المذهب المالكي ومحدثه، والذي استطاع ان يدخل في أحاديث مالك بن انس الكثير من المدسوسات الروائية، وكذلك استطاع ان يدخل الكثير من تلك المدسوسات الروائية على غير مالك بن انس من بقية التلاميذ والشيوخ الذين كانوا يكتبون عنه.

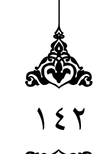
٤ : ان التحريف والدس والتزوير لم يقتصر على صغار المحدثين ومن لا يعتد بمنزلتهم، فقد ابتلي بهذا الفعل أئمة الحديث وشيوخ الرواية مثل ابن لهيعة الذي كان عالم الديار المصرية، والذي كان يسرق الأحاديث ويرويها فيكتب عنه التلاميذ هذه الأحاديث المسروقة ويدونون وتنتقل إلى من يليهم من التلاميذ جيلا بعد جيل.

وابن لهيعة مع انه اشتهر عند الخاص والعام بسرقة الأحاديث إلا ان أحمد ابن حنبل كان يمتدحه ويكتب عنه، وكان أبو داود يقول: (وسمعت أحمد بن حنبل يقول: من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه؟ وحدث عنه أحمد بحديث كثير)[1] وهذا يعني ان أكاذيب ابن لهيعة وسرقاته قد انتقلت إلى أحاديث أحمد بن حنبل ومدوناته.

٥ : ان الرواة الثقات والشيوخ الأثبات قد تورطوا أيضا في قلب الأسانيد وتصحيف الألفاظ والخطأ في التدوين ورفع المراسيل، ولكن أهل السنة ولأنهم احتاجوا إلى كتبهم بعد حين أخذوها على علاتها وانتشرت بين العامة على رغم معائبها ونقائصها.

---

(١) سؤالات الآجري لأبي داود لسليمان بن الأشعث ج٢ ص١٧٦.



٦ : كان هنالك معامل ومصانع خاصة لتصنيع الأحاديث والسنن المكذوبة وتسويقها وروايتها وتدوينها، كتلك البيوت التي عرفت بان عامة أهلها كانوا يضعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انه ربما كان بعضهم يسهر عامة ليله يضع الحديث، فالله سبحانه وحده العالم كم من هذه الأحاديث قد دونت وأدخلت في كتب السنن ووصلتنا على أنها أحاديث رواها فلان في سننه أو فلان في صحيحه أو فلان في مستدركه.

هل الصحاح والمسانيد الموجودة في عصرنا مصانة عن التحريف؟

ان البحث عن مدى ثبوت كتب الحديث والرواية الموجودة في عصرنا الحاضر ومصداقيتها أمر ضروري للغاية، لان باب التدوين والرواية والنقل قد سد بعد صدور هذه المدونات الروائية، ووجب على الأمة أن تقنع بما ورد في هذه الكتب شاءت أم أبت، وتأخذ منها أحكامها وتشريعاتها، وتتعرف من خلالها على كتاب الله وغوامضه، وتصل من خلالها إلى معرفة الأحداث والشخصيات التي عاصرت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أو تلته، وبالجملة فهذه المصادر هي نافذتنا الوحيدة التي تطل بنا على الماضي بجميع جزئياته التاريخية والشرعية وغيرها.

لذا كان لزاما علينا أن نبحث في مدى وثاقتها وسلامتها بشكل كلي، بغض النظر عما احتوته من مسائل جزئية، لنرى أيمكن لنا الوثوق بصحة صدورها عن مؤلفيها ومدونيها، أم ان تسميتها باسم الصحاح تارة والمسانيد ثانية والسنن ثالثة، ونسبتها إلى أشخاص محددين ـ كنسبة صحيح البخاري إلى البخاري ونسبة الموطأ إلى مالك بن انس ـ هي مجرد كذبة كبيرة مورست ضد الجهال، وأخذت صفة الحقيقة والواقعية حينما احتاج الناس إليها ولم يبق بأيدي الناس غيرها.

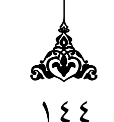
ولنرى أيضا مدى سلامة هذه الصحاح والسنن والمسانيد من التلاعب والتزوير والتدخل من قبل النساخ أو التلاميذ أو غيرهم، وهل هي عين التي كتبها أصحابها أو تم إضافة أشياء فيها لم تكن موجودة كما حذفت منها أشياء كانت موجودة فعلا، كل هذا وغيره سيتم معرفته وإثباته في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.

وهذا الموضوع وان كان يحتاج إلى أن يتم تناوله في كتاب مستقل لكثرة متعلقاته وشواهده وتفريعاته، إلا أننا سنتناوله بشكل مختصر وسنأتي بشواهد تتناسب من حيث العدد مع حجم هذا الكتاب ونترك التفاصيل إلى أبحاث أخرى مستقلة، كما وسنقتصر في كلامنا على أربعة نماذج لتلك الصحاح والمسانيد والسنن ونترك الخوض في جميعها مراعاة للاختصار، لكن هذا لا يعني أن باقي كتب أهل السنة وصحاحهم وأسانيدهم خالية عن الاعتراض وسليمة من هذه الانتقادات التي سترد على هذه النماذج الأربعة.

الأنموذج الأول: موطأ مالك بن انس إمام المذهب المالكي

ألف: مالك بن انس بين المدح والذم

اختلفت آراء معاصري مالك بن انس وتقييماتهم والذين جاؤوا من بعده في شخصية مالك ومنزلته العلمية في الفقه والحديث والضبط ما بين مادح وقادح، وان كانت كلمات المادحين دون القادحين هي الموجود والمشهور في المصنفات الحديثة ، لان القدح في مالك معناه القدح في كتابه الموطأ، والقدح في الموطأ معناه القدح في باقي الصحاح والمسانيد كمسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وغيرها، لان أساس اعتماد هذه المسانيد وتلك الصحاح على الموطأ وعلى رجال الموطأ



وأسانيده، فإذا سقط الموطأ سقط ما في أيديهم من مسانيد وصحاح، لذلك تذكر كلمات المدح والتبجيل وتخفى كلمات القدح والتجريح.

فمن المادحين سفيان بن عيينة حيث كان يقول: (ما كان أشد انتقاد مالك للرجال وأعلمه بهم)[١].

وقال يحيى بن معين عن سفيان بن عيينة: (من نحن عند مالك إنما كنا نتبع آثار مالك ونظر إلى الشيخ ان كان مالك كتب عنه وإلا تركناه)[٢].

وقال يحيى بن معين: (كل من روى عنه مالك بن انس فهو ثقة)[٣].

وعن ابن عيينة قال: (كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحا، ولا يحدث إلا عن ثقة، ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد موته يعني من العلم)[٤].

أقول:

وسيأتي في محله ـ إن شاء الله ـ أنّ مالك بن انس قد روى في كتابه الموطأ عن عدة من المقدوح في عدالتهم والضعفاء في الحديث والمدلسين والكذابين، ومنه يعلم ان القوم يغالون في تضخيم شأن مالك وكتابه، وان العلة في هذا التضخيم هي التي أوضحها سفيان بن عيينة بقوله: (من نحن عند مالك إنما كنا نتبع آثار مالك...) فالقوم قد أدركوا وتيقنوا بان القدح في مالك هو قدح بمن يأتي بعده لان الجميع قد مشى على خطاه واقتدى بمنهجه.

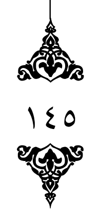
أما القادحون بمالك ومنزلته العلمية، فمثل يحيى بن عبد الله بن بكير الذي

(١) التمهيد لابن عبد البر ج١ ص٦٥.

(٢) إسعاف المبطأ برجال الموطأ لجلال الدين السيوطي ص ١٠.

(٣) المصدر السابق ص٩.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ ص ٧٣.



كان يقول: (الليث أفقه من مالك ولكن كانت الحظوة لمالك)[١].

وعن ابن عساكر عن ابن بكير أيضا انه كان يقول: (يقول أخبرت عن سعيد ابن أبي أيوب قال لو أن مالكا والليث اجتمعا لكان مالك عند الليث أبكم ولباع الليث مالكا فيمن يريد)[٢].

وعن يحيى بن معين:

(سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: سفيان الثوري أحب إلي من مالك في كل شيء يعني في الحديث، وفي الفقه، وفي الزهد)[٣].

وعن ابن عبد البر قال: (وقد تكلم ابن أبي ذؤيب في مالك بن أنس بكلام فيه جفاء وخشونة كرهت ذكره وهو مشهور عنه قاله إنكارا منه لقول مالك في حديث البيعين بالخيار، وكان إبراهيم بن سعد يتكلم فيه ويدعو عليه وتكلم في مالك أيضا فيما ذكره الساجي في كتاب العلل عبد العزيز بن أبي سلمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن إسحاق وابن أبي يحيى وابن أبي الزناد وعابوا أشياء من مذهبه وتكلم فيه غيرهم...)[٤].

قال الهيثم بن جميل: سمعت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بـ«لا أدري»)[٥]، وعن خالد بن خداش قال: (قدمت على مالك بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس مسائل)[٦].

---

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٧ ص ١٨٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٠ ص ٣٥٩.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٩ ص ١٦٤.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ج ٢ ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ ص ٧٧.

(٦) المصدر نفسه.



باء: منزلة مالك عند السلطة، وعلاقة المنصور العباسي بانتشار كتاب الموطأ

نقل الذهبي عن ابن سعد قال: (حدثنا محمد بن عمر، سمعت مالكا يقول: لما حج المنصور، دعاني فدخلت عليه، فحادثته، وسألني فأجبته، فقال: عزمت أن آمر بكتبك هذه يعني الموطأ فتنسخ نسخا، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث، فإني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم. قلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الناس قد سيقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سيق إليهم، وعملوا به، ودانوا به، من اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم. فقال: لعمري، لو طاوعتني لأمرت بذلك)[١].

وقال له في مجلس آخر: (والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف، ولأبعثن به إلى الآفاق، فلأحملنهم عليه)[٢].

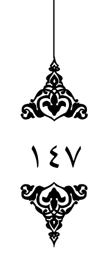
وعن حاجي خليفة قال: (روى أبو نعيم في الحلية عن مالك بن انس أنه قال شاورني هارون الرشيد في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقلت لا تفعل فان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب فقال وفقك الله تعالى يا أبا عبد الله)[٣].

أقول: والمنصور وان لم يوزع موطأ مالك ويلزم الناس باتباعه حصرا

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) المصدر السابق ص ٦١ ـ ٦٢.

(٣) كشف الظنون لحاجي خليفة ج ٢ ص ١٩٠٨.



دون بقية الكتب بحسب الظاهر من هذه النصوص، إلا انه أعطى مالك بن انس كامل الصلاحيات حتى نودي في المدينة ان ليس لأحد حق الإفتاء سوى مالك ابن انس، فعن الخطيب البغدادي عن ابن وهب قال: (حججت سنة ثمان وأربعين ومائة. وصائح يصيح: لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس وعبد العزيز ابن أبي سلمة)[١].

وأصبحت له بفضل السلطان مهابة وسطوة، حتى ان الشافعي حينما أراد أن يتوسط له والي المدينة عند مالك بن انس قال له الوالي: (والله يا فتى إن مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيا راجلا أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس فإني لست أرى الذل حتى أقف على بابه)[٢].

وصار مجلسه يشبه مجالس الملوك ودواوينهم، يضرب من يشاء ويخرج من يشاء وفي اغلب الأحيان تكون الأسباب شخصية أو تافهة، فعن محمد بن الفيض الغساني قال: (سمعت هشام بن عمار بن نصير يقول: باع أبي بيتا له بعشرين دينارا، وجهزني للحج، فلما صرت إلى المدينة، أتيت مجلس مالك بن أنس، ومعي مسائل أريد أن أسأله عنها، فأتيته وهو جالس في هيئة الملوك وغلمان قيام والناس يسألونه وهو يجيبهم، فلما انقضى المجلس، قال لي بعض أصحاب الحديث: سل عن ما معك، فقلت له: يا أبا عبد الله ما تقول في كذا وكذا؟ فقال: حصلنا على الصبيان، يا غلام احمله فحملني كما يحمل الصبي وأنا يومئذ غلام مدرك فضربني بدرة مثل درة المعلمين سبع عشرة درة، فوقفت أبكي...)[٣].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٠ ص ٤٣٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥١ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٣) تهذيب الكمال للمزي ج٣٠ ص٢٥١ ـ ٢٥٢.



وعن صالح بن محمد الحافظ قال: (سمعت هشام بن عمار يقول: دخلت على مالك بن أنس، فقلت له: حدثني. فقال: اقرأ. فقلت: لا بل حدثني. فقال: اقرأ، فلما أكثرت عليه. قال: يا غلام تعال اذهب بهذا فاضربه خمسة عشر. قال: فذهب بي فضربني خمس عشرة درة. ثم جاء بي إليه، فقال: قد ضربته. فقلت له: لقد ظلمتني، ضربتني خمس عشرة درة بغير جرم، لا أجعلك في حل...)[١].

وموقفه من ابن إسحاق معروف، فابن إسحاق كان كثير الانتقاد لمالك بن انس وكتبه، وكان يقول: (هاتوا اعرضوا علي علوم مالك، فإني أنا بيطارها)[٢]، فما كان من مالك إلا أن يتهمه بالدجل، وصرح لبعض الحاضرين بقوله: (نحن نفيناه من المدينة)[٣].

وهذا القرب لمالك من السلطة هو الذي أسهم إسهاماً فاعلاً في نشر كتابه الموطأ ونشر مذهبه، على الرغم من وجود من هو اعلم منه فقها وفتوى، وقد اعترف ابن حزم بان كلاً من المذهب الحنفي والمذهب المالكي قد انتشر بفعل الرياسة والسلطان، وقد نقل ابن خلكان هذه المقولة في كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) بقوله: (قال أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي المقدم ذكره مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة... ومذهب مالك بن انس)[٤].

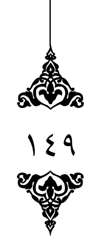
---

(١) تهذيب الكمال للمزي ج٣٠ ص٢٥٢.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٧ ص ٥٠

(٣) المصدر نفسه ص٥١.

(٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج ٦ ص ١٤٤.



جيم: هل كل رواة الموطأ ثقات وليس فيهم ضعيف؟

ذكرنا من قبل محاولة الترويج والترسيخ لفكرة ان جميع من روى لهم مالك بن انس في الموطأ هم ثقات ليس فيهم ضعيف ولا كذاب، لكن حين الرجوع إلى الموطأ نجد أنّ مالك بن انس قد روى ليس عن الضعفاء حسب بل وعن المشهورين بالوضع والدس والكذب، وفيما يأتي إنموذجان ممن روى عنهم مالك بن انس مع شهرتهما بالضعف والتدليس.

١ : عبد الكريم بن أبي المخارق البصري: عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وقد سأل أباه أحمد عنه فقال: (سألته عن عبد الكريم أبي أمية بصري نزل مكة وكان معلما وهو بن أبي المخارق وكان بن عيينة يستضعفه قلت له قال ضعيف قال نعم)(١).

وعن المزي قال: (عن يحيى بن معين: قد روى مالك عن عبد الكريم أبي أمية وهو بصري ضعيف)(٢).

وقال الذهبي: (فأما عبد الكريم بن أبي المخارق أبو أمية فشيخ بصري مؤدب ليس بقوي الحديث روى عن انس بن مالك ومجاهد وسعيد بن جبير حدث عنه السفيانان وحماد بن سلمة ومالك وغيرهم وكان فقيها مرجئا)(٣).

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: (أبو أمية عبد الكريم بن أبي المخارق...فضعيف الحديث، مؤدب يروي عن أنس، وعن مجاهد، وسعيد بن جبير. وعنه أيضا: مالك، والسفيانان، وحماد بن سلمة. وكان يرى الإرجاء مع تعبد وخشوع، يقال: اسم أبيه قيس. قال النسائي والدارقطني: متروك. وقال

---

(١) العلل لأحمد بن حنبل ج ١ ص ٤٠١.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٧ ص ١١٢.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٤٠.



أحمد: ضربت على حديثه. وقال ابن عبد البر: اغتر مالك ببكائه في المسجد، وروى عنه في الفضائل)[١]، روى له مسلم والبخاري وجماعة آخرون.

٢: محمد بن مسلم بن تدرس القرشي الأسدي، أبو الزبير المكي، مولى حكيم بن حزام: قال المزي: (وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي: كان أيوب السختياني يقول: حدثنا أبو الزبير، وأبو الزبير أبو الزبير! قلت لأبي: كأنه يضعفه؟ قال: نعم)[٢].

وعن المزي أيضا قال: (وقال هشام بن عمار عن سويد بن عبد العزيز: قال: لي شعبة: تأخذ عن أبي الزبير وهو لا يحسن أن يصلي... وقال نعيم بن حماد: سمعت هشيما يقول: سمعت من أبي الزبير، فأخذ شعبة كتابي فمزقه... وقال محمد بن جعفر المدائني عن ورقاء: قلت لشعبة: مالك تركت حديث أبي الزبير؟ قال: رأيته يزن ويسترجح في الميزان... روى له الجماعة إلا أن البخاري روى له مقرونا بغيره)[٣].

دال: وقوع التزوير والدس في كتاب الموطأ لمالك بن أنس

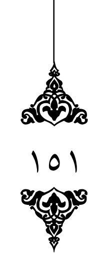
كتاب الموطأ من أعجب الكتب الروائية وأكثرها غرابة، وفيما يأتي جملة من غرائبه وعجائبه مرتبة على شكل نقاط ليسهل من خلالها استنتاج ما كررناه مرارا من وقوع التلاعب والدس في هذه المدونة التي بنيت عليها بعد ذلك جميع المدونات المسماة بالصحاح والمسانيد.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٦ ص ٨٣.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٦ ص ٤٠٧.

(٣) المصدر نفسه ص٤٠٧ ـ ٤١١.



١ : أودع مالك بن انس في كتابه الموطأ في بداية الأمر أربعة آلاف حديث، وقيل عشرة آلاف حديث، لكنه وبعد مدّة جعل يسقط منه الأحاديث شيئا فشيئا، فكلما شك في حديث أسقطه، حتى بقي منه ألف حديث على بعض الأقاويل وسبعمائة أو قريب منه على قول آخر، ولو بقي قليلا لأسقطه كله، قال الباجي : (ألفه من أربعة آلاف على قول سليمان بن بلال، وعشرة آلاف على قول عتيق الزبيري. « فلم يزل ينظر فيه سنة ويسقط منه حتى بقي هذا، ولو بقي قليلا لأسقطه كله. قال القطان: كان علم الناس في زيادة وعلم مالك في نقصان، ولو عاش مالك لأسقط علمه كله)[١].

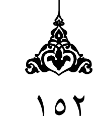
٢ : بلغ رواة الموطأ لمالك بن انس من أهل المدينة سبعة عشر راويا، ومن أهل مكة اثنين، ومن مصر عشرة، ومن أهل العراق وغيرهم سبعة وعشرين شخصا، ومن المغرب والأندلس ثلاثة عشر راويا، ومن القيروان اثنين، ومن الشام سبعة، وستة من أمراء بني العباس، عدا الذين اختلف فيهم[٢].

٣ : ان أحاديث الموطأ وان كانت قليلة بالنسبة إلى غيره من كتب المسانيد والصحاح، إلا ان النسخ التي نقلت لنا هذا الكتاب قد بلغت عشرين نسخة على قول وثلاثين نسخة على قول آخر، وقد وقع الاختلاف فيما بين هذه النسخ في عدد الأحاديث التي يضمها كتاب الموطأ فبعضها يذكر سبعمائة حديث فقط وبعضها الآخر يذكر ما يقارب الألف وخمسمائة حديث، وكذلك وقع الاختلاف بين هذه النسخ العشرين أو الثلاثين في نفس الأحاديث فبعضهم يثبت في نسخته حديثا لا نراه في النسخ الأخرى وبعضهم ينفي حديثا نراه متوفرا في

---

(١) التعديل والتجريح لسليمان بن خلف الباجي ج ١ ص ١٢٥.

(٢) انظر مقدمة كتاب الموطأ لمالك بن انس ج١ ص٦ ـ ٧ للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.





باقي النسخ الأخرى وهكذا، قال جلال الدين السيوطي نقلا عن القاضي عياض: (والذي اشتهر من نسخ الموطأ مما رويته أو وقف عليه أو كان من روايات شيوخنا، أو نقل منه أصحاب اختلاف الموطآت نحو عشرين نسخة وذكر بعضهم أنها ثلاثون نسخة)[١].

وقال السيوطي أيضا في موضع آخر من كتابه: (وقال الحافظ صلاح الدين العلائي: روى الموطأ عن مالك جماعات كثيرة وبين رواياتهم اختلاف من تقديم وتأخير وزيادة ونقص وأكبرها القعنبي ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية أبي مصعب. فقد قال ابن حزم في موطأ أبي مصعب زيادة على سائر الموطآت نحو مائة حديث وقال الغافقي في مسند الموطأ، اشتمل كتابنا هذا على ستمائة حديث وستة وستين حديثا، وهو الذي انتهى إلينا من مسند موطأ مالك)[٢].

وقد ألف بعض علماء أهل السنة كتابا اسماه اختلاف الموطآت، قال الذهبي متحدثا عن الباجي: (وقد صنف كتابا كبيرا جامعا، بلغ فيه الغاية، سماه «الاستيفاء»، وله كتاب «الإيماء في الفقه» خمس مجلدات، وكتاب «السراج في الخلاف» لم يتم، و«مختصر المختصر في مسائل المدونة»، وله كتاب في اختلاف الموطآت)[٣]، وكذلك فعل أبو الحسن الدارقطني حيث أصنف كتابا اسماه (اختلاف الموطآت).

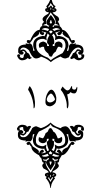
٤: عمدة النسخ الموجودة حاليا للموطأ أربع عشرة نسخة، أشهرها نسخة يحيى بن يحيى المصمودي وهي المعروفة والمتوفرة في المكتبات العامة والأسواق

---

(١) تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي ص ١٠.

(٢): تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي ص٨ ـ ٩.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٨ ص ٥٣٨.



اليوم، أما باقي النسخ فهي متضاربة مع بعضها ومع نسخة المصمودي أيضاً.

وفيما يأتي جملة من تلك الأحاديث التي انفردت بها بعض النسخ عن بعضها الآخر:

أ: انفردت نسخة ابن وهب، وهو أبو محمد عبد الله بن سلمة الفهري المصري بأحاديث منها حديث: (عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) ولا يوجد هذا الحديث في الموطآت الأُخر، إلا موطأ ابن القاسم[1].

ب: وانفردت نسخة أبي عبيد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد المصري بأحاديث منها حديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: (من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، فهو له كله أنا أغنى الشركاء) قال أبو عمر، ابن عبد البر: هذا الحديث لا يوجد إلا في موطأ ابن القاسم، وابن عفير، من الموطآت[2].

ج: وانفردت نسخة أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي بأحاديث منها حديث عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم. إنما أنا عبد. فقولوا: عبده ورسوله)[3].

د: وانفردت نسخة عبد الله بن يوسف الدمشقي عن غيرها. إلا نسخة ابن وهب بحديث عن عروة: (أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

---

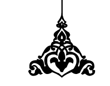
(١) انظر مقدمة كتاب الموطأ لمالك بن انس ج١ ص١٠ ـ ١١، للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) انظر المصدر السابق ص١١.

(٣) انظر المصدر السابق ص١٢.

أي الأعمال أفضل؟ قال إيمان بالله)[١].

هـ: وانفردت نسخة معن القزاز بأحاديث منها حديث عن عائشة، قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم يصلي في الليل، فإن فرغ من صلاته، فإن كنت يقظانة تحدث معي، وإلا اضطجع حتى يأتيه المؤذن)[٢].



و: وانفردت نسخة سعيد بن عفير عن غيرها من الموطآت، إلا موطأ محمد ابن الحسن بحديث عن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شهاب عن جده أنه قال:

(يا رسول الله. لقد خشيت أن أكون قد هلكت. قال لم؟ قال: نهانا الله أن نحمد بما لم نفعل، وأجدني أحب أن أحمد. الحديث)[٣].

ز: وانفردت نسخة ابن بكير إلا نسخة محمد بن الحسن بأحاديث منها حديث عن عائشة: (أن رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم قال ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه ليورثنه). فمتن هذا الحديث، في رواية محمد، برواية مالك عن يحيى بن سعيد، عن أبي بكر، عن عمرة، عن عائشة[٤].

ح: وانفردت نسخة أبي مصعب الزهري بنحو مائة حديث على سائر الموطآت الأخرى، وقال ابن حزم: (آخر ما روى عن مالك موطأ أبي مصعب وموطأ أبي حذافة وفيهما زيادة على الموطآت نحو من مائة حديث)[٥].

---

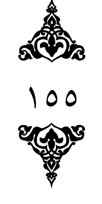
(١) انظر مقدمة كتاب الموطأ لمالك بن انس ج١ ص١٢، للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) انظر المصدر السابق ص١٢ ـ ١٣.

(٣) انظر المصدر السابق ص١٣.

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ٤٨٣.



هذه بعض الاختلافات التي تفردت بها بعض الموطآت عن بعضها الآخر، واستقصاء الجميع ليس من شأن هذا الكتاب ويخرج البحث عن حالة الاختصار والإيجاز.

أقول: ان وجود بعض الأحاديث في بعض النسخ واختفاءها من بعضها الآخر، حتى يصل الاختلاف في بعض الأحيان إلى مستوى ان يزاد على الموطأ مائة حديث كما في نسخة أبي مصعب الزهري، إنّ هذا الاختلاف لمن أعظم الأدلة على وجود حالة التلاعب والدس والحذف في كتاب الموطأ، لان هذه الأحاديث لو كانت مدونة عن مالك فعلا، فلماذا تحذف من بعض النسخ وتضاف إلى أخرى، وإذا لم تكن موجودة فكيف تضاف إليها.

وأوضح مثال يثبت لنا أن هذه الزيادات والحذوفات هي من فعل النساخ والمدونين لموطأ مالك بن أنس، هو ما وقع في نسخة محمد بن الحسن الشيباني، حيث ذكر فيها أحاديث تتوافق ووجهة نظر المذهب الحنفي مع خلط نسخته لكتاب الموطا بأحاديث لشيوخ آخرين غير مالك بن أنس، قال محمد فؤاد عبد الباقي: (ونسخته تزيد كثيرا على موطأ يحيى الليثي. لكنه شحنها بآثار ضعيفة من غير طريق مالك. يحتج بها لفقه الحنفية، كما ذكر فيها ما وافق فقه الحنفية ظاهر أحاديث الموطأ. وكما زادت نسخته بأحاديث، فهي خالية من عدة أحاديث ثابتة في سائر الروايات، كما قاله الزرقاني في أول شرح الموطأ)[1].

٥: ويضاف إلى هذه الأدلة ما قد ذكرناه سابقا من أن مالك بن أنس شأنه شأن الكثيرين من المحدثين قد وقع ضحية لدس الوراقين والكتاب الذين كانوا ينسخون لهم الكتب ويقرؤون عليهم الأحاديث، كحبيب بن أبي حبيب الذي قال

---

(١) مقدمة كتاب الموطأ لمالك بن انس ج١ ص١٥، للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.



فيه ابن حبان: (حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك بن أنس...يروي عن مالك وربيعة، كان يورق بالمدينة على الشيوخ، ويروي عن الثقات الموضوعات كان يدخل عليهم ما ليس من أحاديثهم...فإنه كان إذا قرأ أخذ الجزء بيده ولم يعطهم النسخ ثم يقرأ البعض ويترك البعض ويقول: قد قرأت كله ثم يعطيهم فينسخونها...سمعت محمد بن عبد الله الجنيد يقول: سمعت قتيبة بن سعيد يقول سمعت هذه الأحاديث من مالك وحبيب يقرأ فلما فرغ قلت: يا أبا عبد الله هذه أحاديثك تعرفها أرويها عنك فقال نعم، وربما قال له غيري)[١].

وعن الذهبي في ميزان الاعتدال عند ذكره لحبيب بن أبي حبيب قال: (وقال ابن معين: كان يقرأ على مالك ويتصفح ورقتين ثلاثة فسألوني عنه بمصر، فقلت: ليس بشيء)[٢].

الأنموذج الثاني: كتاب العلل وكتاب الفضائل وكتاب المسند لأحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي

ما هي كتب علل الحديث، وأين يندرج كتاب العلل لأحمد بن حنبل؟

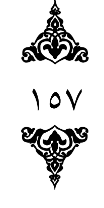
كان طلبة الحديث في بداية حركة التدوين يجلسون تحت يد الشيخ الذي يلقي عليهم من حافظته، ويبين لهم إضافة إلى السند والرواية بعض الاستدراكات والملاحظات والتصويبات مثل تبيان سنة موت فلان من الرواة، أو إدراك فلان الراوي لفلان وعدم إدراكه لفلان، أو روايته عن فلان مسندا وعن فلان منقطعا، إلى غير ذلك من الملاحظات والاستدراكات، مع سرد بعض القصص والتواريخ

---

(١) كتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص ٢٦٥.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٤٥٢.

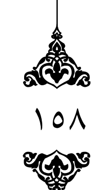
والأحداث، فيستفيدها طالب الحديث ويدونها في حاشية كتابه، أو تحت الحديث الذي يتم المناقشة فيه، فكانت هذه الملاحظات والاستدراكات والتصويبات بذرة لنشوء ما سمي بعد ذلك بالمسانيد المعللة.



ثم تطورت تلك البذرة لتصبح مشروعا أكثر استقلالية عن كتب المتون والرواية، فجمع البعض تلك الملاحظات والاستدراكات والتصويبات في كتاب أو كتب منفصلة عن متون الرواية وأسانيدها، فجمعت هذه الكتب كل ما يمكن جمعه عن الرواة من أخبار وقصص وأقوال، ابتداء من اسمه وكنيته وتعدد الأقوال فيهما وفي سنة ولادته ووفاته وموطن سكناه ومحل إقامته وعمن روى ومن روى عنه وأخباره وقصصه مع حكام عصره وأقوال أقرانه فيه وتوثيق اللاحقين له، وانتهاء بذكر بعض رواياته وأخباره، وغير ذلك من المعلومات، ولعل أوضح مثال على هذا التطور هو كتاب طبقات ابن سعد وأشباهه من الكتب.

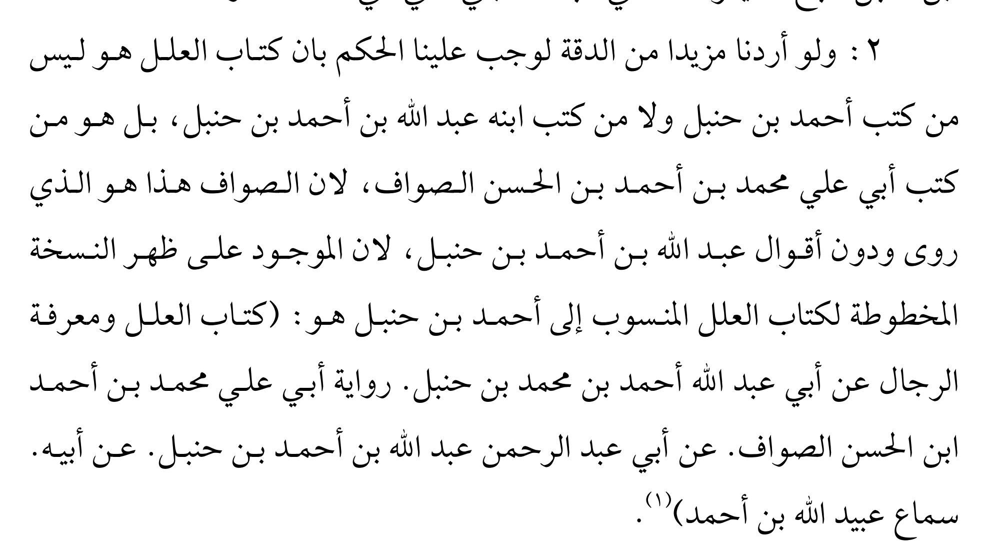
ثم تطور هذا النوع من المؤلفات لتظهر مؤلفات أخرى تقوم بحذف كثير من الأمور التي لا ربط لها بعملية تقييم الراوي ومروياته، ويقتصر فيها عرض الأحاديث التي تطرقت إليها العلل، ثم يتبع ذلك بيان حال الرواة، وجرحهم وتعديلهم، وقد كانت أغلب هذه الكتب عبارة عن سؤالات كان يوجهها احد تلاميذ الشيخ ويدونها الطالب ومن ثم تجمع في كتاب محدد، ككتاب سؤالات أبي داود وغيره من الكتب.

وكتاب العلل المنسوب إلى أحمد بن حنبل من هذا القبيل، فهو عبارة عن سؤالات وجهها إليه ابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل فأجاب عليها أحمد.



ملامح عامة لكتاب العلل المنسوب إلى أحمد بن حنبل

١ : لا يمكن نسبة هذا الكتاب لأحمد بن حنبل نفسه لأنه ليس من تأليفه بل هو كما عرفنا سابقا عبارة عن أسئلة وجهها ابنه عبد الله إليه وأجابه عليها، أو هو إخبارات اخبر بها أحمد ولده عبد الله، ومتن الكتاب يدل دلالة واضحة على هذه الحقيقة فكثير من فقراته تبتدئ بالقول (حدثني أبي) أو (أخبرني أبي) أو وجدت بخط أبي، والقائل حتما هو عبد الله بن أحمد بن حنبل، ولو كان الكتاب لأحمد ابن حنبل لقبح أن يقول حدثني عبد الله ابني عني أني قلت كذا وكذا.



٢ : ولو أردنا مزيدا من الدقة لوجب علينا الحكم بان كتاب العلل هو ليس من كتب أحمد بن حنبل ولا من كتب ابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل، بل هو من كتب أبي علي محمد بن أحمد بن الحسن الصواف، لان الصواف هذا هو الذي روى ودون أقوال عبد الله بن أحمد بن حنبل، لان الموجود على ظهر النسخة المخطوطة لكتاب العلل المنسوب إلى أحمد بن حنبل هو: (كتاب العلل ومعرفة الرجال عن أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. رواية أبي علي محمد بن أحمد ابن الحسن الصواف. عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل. عن أبيه. سماع عبيد الله بن أحمد)[1].

وكدليل آخر على كون كتاب العلل من تدوين محمد بن أحمد بن الحسن الصواف نرى أحاديث الكتاب تبدأ بقول الصواف: (حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد قال حدثني أبي ـ أحمد بن حنبل ـ رحمه الله...)[2] فلو كان الكتاب لعبد الله بن أحمد لقال حدثني أبي مباشرة.

(١) راجع مقدمة التحقيق لكتاب العلل لأحمد بن حنبل ج١ ص٨٥ تحقيق وتخريج الدكتور وصي الله ابن محمد عباس.

(٢) العلل لأحمد بن حنبل ج ١ ص ١٢٩.



نعم توجد أحاديث أخرى كثيرة تبدأ بعبارة (حدثني أبي) أو (أخبرني أبي) أو (سمعت أبي) وهي غلط وتدليس من محمد بن أحمد الصواف حيث حذف ما يشير إلى انه هو المحدث عن عبد الله بن أحمد عن أبيه أحمد، وليس عبد الله عن أبيه مباشرة.

٣: إن محمد بن أحمد بن الحسن الصواف لا يروي العلل التي ذكرها أحمد ابن حنبل لابنه عبد الله فقط، بل يذكر معها عللا أخرى رواها عبد الله بن أحمد عن شيوخ آخرين غير أبيه، مثل قول الصواف:

(حدثنا عبد الله ــ يعني ابن أحمد بن حنبل ــ قال حدثنا هارون بن معروف...)[1].

وقوله: (حدثنا عبد الله قال ـ يعني ابن أحمد بن حنبل ـ حدثني محمد بن سلام الجمحي...)[2].

وقوله: (حدثنا عبد الله ـ يعني ابن أحمد بن حنبل ـ قال حدثنا عمرو بن محمد الناقد...)[3].

وقوله: (حدثنا عبد الله قال حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي...)[4].

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، مما يعني ان هذه العلل وان كانت أكثرها لأحمد بن حنبل إلا ان الآخرين يشاركونه فيها أيضا، فلا يمكن والحال هذه نسبة الكتاب إليه وتخصيصه به.

---

(١) المصدر السابق ص١٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥١.

(٣) العلل لأحمد بن حنبل ج١ ص٢٧٠.

(٤) المصدر السابق ص٢٧٢.



كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل والدس فيه

قال ابن تيمية: (أحمد له المسند المشهور وله كتاب مشهور في فضائل الصحابة روى فيه أحاديث لا يرويها في المسند لما فيها من الضعف لكونها لا تصلح إن تروى في المسند...ثم إن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات ثم إن القطيعي الذي رواه عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه زيادات وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة)[١].

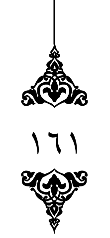
وقال في موضع ثانٍ: (ثم زاد ابن أحمد زيادات وزاد أبو بكر القطيعي زيادات وفي زيادات القطيعي زيادات كثيرة كذب موضوعة فظن الجاهل أن تلك من رواية أحمد وانه رواها في المسند وهذا خطأ قبيح فإن الشيوخ المذكورين شيوخ القطيعي وكلهم متأخر عن أحمد وهم ممن يروي عن أحمد لا ممن يروي أحمد عنه)[٢].

وفيما يأتي بعض زيادات عبد الله بن أحمد بن حنبل:

١: جاء في كتاب الفضائل المنسوب لأحمد بن حنبل، قال القطيعي: (حدثنا عبد الله قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن الخزاز، وكان من الثقات، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن عبيدة بن أبي رائطة، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن

(١) منهاج السنة النبوية لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ج٧ ص٣٩٩، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم الناشر: مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى ١٤٠٦.

(٢) المصدر السابق ج٧ ص٩٧.



يأخذه)[١].

أقول: ولا وجود لذكر أحمد بن حنبل في السند كما ترى، فهو حديث قد أدخله عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب أبيه، مما يعني ان كتاب الفضائل كتاب طالته يد الزيادة فلا يسلم ان تكون يد النقصان والحذف والدس والتحريف والتصحيف قد طالته أيضا، فيسقط عن الاعتبار من أساسه.

٢: ومن زيادات عبد الله بن أحمد بن حنبل، قول القطيعي: (حدثنا عبد الله قال: حدثني يحيى بن معين حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر)[٢].

أقول: إن أحمد بن حنبل لم يقل ان هذه فضيلة لأبي بكر لعدم وجود اسمه في السند بل تم إقحامها في كتابه عنوة من قبل ابنه عبد الله وهذا يضع كتب الفضائل تحت المساءلة والشك لقيام بعض الرواة بدس بعض الأحاديث التي لم يقلها أصحاب المؤلفات عليها بعد موتهم.

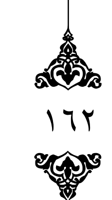
٣: وقال القطيعي: (حدثنا عبد الله قال: حدثني هارون بن سفيان البرتي حدثنا بشر بن عبيس بن مرحوم حدثنا النضر بن عربي، عن عاصم، عن سهيل، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي أروى الدوسي قال: كنت مع النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم جالسا، فطلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: الحمد لله الذي أيدني بكما)[٣].

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١ ص١٠ حديث رقم ٩.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١ ص١٠ حديث رقم ٩.

(٣) المصدر السابق ص٣٥ حديث رقم ٣٣.



أقول: والقول في هذا الحديث كسابقه، وبالجملة فما دسَّهُ عبد الله بن أحمد في كتاب أبيه يفوق ما نحن فيه من الاختصار، وباستطاعة القارئ الكريم ان يراجع بنفسه فإذا ما وجد ان عبد الله بن أحمد لا يقول (حدثني أبي، أو سمعت أبي، أو قال أبي، أو أي لفظ يشعر بأنه سمع الحديث من أبيه) فليعلم انه من زيادات عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب أبيه ومدسوساته.

واما زيادات القطيعي ودسه في كتاب فضائل الصحابة فيمكن ان نذكر له عدة أمثلة:

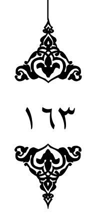
١: فمن أكاذيبه التي دسها في الكتاب قوله: (حدثنا الهيثم بن خلف الدوري، سنة تسع وتسعين ومائتين، قثنا عبد الله بن مطيع قثنا هشيم، عن حصين قال: سمعت المسيب بن عبد خير الهمداني، عن أبيه قال: سمعت علي بن أبي طالب على المنبر وهو يقول: إن خير هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أبو بكر، ثم عمر، وإنا قد أحدثنا بعدهما أحداثا يقضي الله فيها ما أحب)[1].

٢: ومن أكاذيبه ومدسوساته أيضا قوله: (حدثنا أبو العباس الفضل بن صالح الهاشمي، في جمادى سنة تسع وتسعين ومائتين، قثنا هدية بن عبد الوهاب قثنا محمد بن كثير قثنا الأوزاعي، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم جالسا إذ أقبل أبو بكر وعمر، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين)[2].

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١ ص١٢٧ حديث رقم ١٢٠.

(٢) المصدر السابق ص١٢٨ الحديث رقم ١٢١.



٣: ومن أكاذيبه أيضا: (حدثنا الفضل بن صالح قثنا[1] الحسين بن الحسن المروزي قثنا سفيان بن عيينة، عن مطرف، عن الشعبي، عن أبي جحيفة قال: سمعت عليا يقول: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم الله أعلم بالثالث)[2].

أقول: ويلاحظ على القطيعي ان اغلب الزيادات والدس الذي قام به في فضائل الثلاثة كان في إتيانه بفضائل لهم على لسان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ليجعل منها حجة على خصومهم من أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والروايات التي زادها القطيعي في كتاب الفضائل كثيرة جدا لا مجال لاستقصائها جميعا، إلا أنها وبمجموعها تثبت على نحو القطع ان هذا الكتاب لا يمكن الوثوق به البتة، فيسقط بكله عن الاعتبار، لإمكان تلاعب القطيعي حتى في الأحاديث التي صحت نسبتها إلى أحمد بن حنبل، فينفي أو يقص ويحذف، ما يشاء من الفضائل التي قالها أحمد بن حنبل في حق أهل البيت مثلا أو الأنصار ولكنها لا تروق للقطيعي.

كتاب مسند أحمد بن حنبل والدس فيه

قبل الخوض في تفاصيل شواهد التحريف والدسّ اللذين وقعا في كتاب مسند احمد بن حنبل لابد من استعراض عدة نقاط مهمة، منها:

أولا: كم هي عدد أحاديث المسند وما هو رأي احمد بن حنبل فيها

يتكون مسند أحمد الموجود حاليا في الأسواق والمكتبات العامة من أربعة آلاف حديث قام بجمعها وانتخابها أحمد بن حنبل من بين أكثر من سبعمائة

(١) هذا اختصار لقوله (قال حدثنا) وهو كثير في كتاب الفضائل المنسوب لأحمد.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١ ص١٢٩ حديث رقم١٢٢.



وخمسين ألف حديث، والتي كان يهدف منها أن تكون مرجعا يرجع إليه المسلمون حين اختلافهم في حديث رسول الله، قال موسى بن حمدون البزار:

(قال لنا حنبل بن إسحاق: جمعنا عمي لي ولصالح ولعبد الله وقرأ علينا المسند وما سمعه منه ـ يعني تاما ـ غيرنا، وقال لنا: إن هذا الكتاب قد جمعته وأتقنته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفا فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فارجعوا إليه، فإن كان فيه وإلا فليس بحجة)[1].


وكلام احمد بن حنبل هذا يدل على عدة أمور مهمة منها:

١: ان الحديث الذي كان على عهد احمد بن حنبل والمنتشر بين أيدي أهل السنة كان يبلغ سبعمائة وخمسين ألف حديث، وقد انتخب احمد منها أربعة آلاف حديث فقط، وحكم على هذه الأربعة الآلاف بالصحة وعلى البقية بالكذب وعدم الثبوت، وهذا يؤيد ما ذكرناه سابقا من وجود الكم الهائل من الأحاديث المكذوبة والموضوعة والمفتريات على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والتي دخلت عالم التدوين وقيدت في الكتب والصحف.

٢: ويظهر لنا من عبارته (فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فارجعوا إليه، فإن كان فيه وإلا فليس بحجة) ان أحمد بن حنبل يصحح جميع ما هو مدون في مسنده، لأنه قد جعل من أحاديث مسنده ميزانا يرجع إليه حين اختلاف المسلمين في حديث من الأحاديث فإذا وجد في كتابه فهو حق يجب الأخذ به، وان لم يوجد حكم عليه بعدم الثبوت وعدم الحجية.

---

(١) خصائص مسند الإمام أحمد لمحمد بن عمر المديني ص ١٣.

٣ : ان القاعدة التي وضعها احمد بن حنبل تنطوي على ضرب صريح لكتاب الموطأ الذي ألفه مالك بن أنس، لان كتاب الموطأ كتب قبل كتاب مسند احمد، وكثير من الأحاديث الموجودة في الموطأ ليست موجودة في مسند احمد بن حنبل، فيجزم بعدم حجيتها من وجهة نظره، وكذلك تنطوي على ضرب وإسقاط حجية جميع الصحاح والمسانيد والسنن التي أوجدت وكتبت بعده، كصحيح البخاري ومسلم وغيرهما، لأنهم أودعوا في كتبهم كثيرا من الأحاديث التي لم يذكرها احمد بن حنبل في مسنده، فهي إذن مكذوبة على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وليست بحجة من وجهة نظره.

٤ : يجب على أتباع مالك بن انس ومقلديه أن لا يستشهدوا أو يصححوا حديثا واحدا في كتب الصحاح والمسانيد والسنن ما لم يكن له ذكر في كتاب مسند أحمد بن حنبل، فان لم يفعلوا ذلك فقد خالفوا قول إمامهم وخرجوا عن طاعته، واتبعوا غير سنته.

٥ : ان كلام احمد بن حنبل السابق وقوله :

(إن هذا الكتاب قد جمعته وأتقنته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفا) صريح في انه قد انتخب هذه الأحاديث الأربعة آلاف بعد إتقان وتدبر وإمعان وتفكر طويل، حتى وصل من ثمَّ إلى صحة هذا المقدار من الأحاديث دون سواها من السبعمائة والخمسين ألف حديث، ولكن لنا وللمسلمين الحق في السؤال، هل كان لأحمد بن حنبل فعلا القدرة على تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها؟ وهل كان يملك الاستعداد الكافي الذي يؤهله لتشخيص مواطن الخلل والعيب والعلل التي تدخل على الحديث؟، وهذا ما سنعرفه في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى.



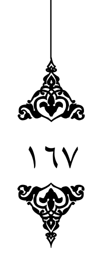
ثانيا: هل كانت لأحمد بن حنبل قدرة على تمييز الحديث الصحيح من غيره؟

المروي عن معاصري أحمد بن حنبل هو: ان احمد بن حنبل لم تكن له القدرة الكافية من المعرفة التي تؤهله لمقام التميز ما بين صحيح الحديث وضعيفه، فضلا عن أن يضع كتابه كميزان يزن به أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسننه، لان سيرته العلمية، وشهادة الذين عاصروه، وتصريحاته الشخصية، كانت بأجمعها تؤكد على أنّ احمد بن حنبل لم تكن له القدرة في كثير من الأحيان على معرفة علل وأخطاء كثير من الأحاديث الموجودة في عصره وأخطائها، وانه طالما كان يستعين بغيره في معرفة علل الحديث، وعلى سبيل المثال فقد كان يرجع الى يحيى بن معين في كثير من مسائل العلل، فكان يرسل إليه من يسأله عن علة بعض الأحاديث، كما كان يتمنى في كثير من المواقف وجود يحيى معه ليكشف له أخطاء بعض الأحاديث التي يسمعها من شيخه يعقوب بن إبراهيم، وقد ذكر الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) شاهدا صريحا على هذه الحقيقة حيث قال: (قال ابن الرومي وكنت عند أحمد فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله انظر في هذه الأحاديث فإن فيها خطأ قال عليك بأبي زكريا فإنه يعرف الخطأ قال وكنت أنا وأحمد نختلف إلى يعقوب بن إبراهيم في المغازي فقال أحمد ليت ان يحيى هنا قلت وما تصنع به قال يعرف الخطأ)[1].

وهذه كما ترى ضربة قوية وجهها احمد بن حنبل إلى نفسه كذب من خلالها قدرته على تميز ما هو صحيح وضعيف من الأحاديث والسنن والمغازي، وان غيره اعلم منه، فكيف يجعل شخص كهاذا نفسه وكتابه ميزانا يرجع المسلمون إليه حين الاختلاف.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٤ ص١٨٤، وراجع ايضا: تهذيب الكمال للمزي ج٣١ ص٥٥٥، وتهذيب التهذيب لابن حجر ج١١ ص٢٤٩ ـ ٢٥٠.



إضافةً إلى أننا قد سبق وذكرنا أنّ احمد بن حنبل ويحيى بن معين المذكورين آنفاً، قد بقيا يدرسان الحديث عند إبراهيم بن أبي الليث مدة عشرين سنة، ثم تبين لهما بعد هذه السنين الطويلة بأنه كذاب، قال الخطيب البغدادي: (أخبرنا أبو علي صالح بن محمد الأسدي قال: إبراهيم بن أبي الليث كان يكذب عشرين سنة، وقد أشكل أمره على يحيى وأحمد وعلي بن المديني حتى ظهر بعد بالكذب فتركوا حديثه)[1]، فلو كان لأحمد بن حنبل القدرة على تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة والصادقة من المكذوبة لما بقي عشرين سنة يتلاعب به إبراهيم بن أبي الليث.

إذن فأحاديث احمد بن حنبل ومسنده سواء ثبت وقوع التزوير والدس فيها أم لم يثبت، فإنها أحاديث مشكوك في مصادرها ومنابعها الأصلية، لاحتمال انه قد أخذها من إبراهيم بن أبي الليث الكذاب وأمثاله، فإذا أضفنا إلى ذلك ما أثبتناه من عدم معرفته وقدرته على التمييز ما بين الغث والسمين فستكون المصيبة أعظم، وإذا أضفنا إلى ذلك كله أدلة تثبت بما لا يقبل الشك وقوع التلاعب والدس والتزوير في مسند احمد وأحاديثه من ابنه عبد الله أو أناس آخرين فستكون المصيبة على من يعتقد بمسند احمد أعظم وأعظم.

ثالثا: شواهد وأدلة تثبت وقوع التزوير والتحريف في مسند احمد بن حنبل

وفيما يأتي جملة من الشواهد والأدلة على حصول التزوير والتلاعب بكتاب مسند احمد بن حنبل من ولده عبد الله وناسخه أبي بكر القطيعي وآخرين، وهي باختصار كالآتي:

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٣.



أولا: الذهبي يعترف بان احمد لم يصنف المسند ولا رتبه ولا هذبه

قال الذهبي:

(ثم الإمام أحمد كان لا يرى التصنيف، وهذا كتاب «المسند» له لم يصنفه هو، ولا رتبه، ولا اعتنى بتهذيبه، بل كان يرويه لولده نسخاً وأجزاءً، ويأمره: أن ضع هذا في مسند فلان، وهذا في مسند فلان)[1].

أقول: وهذا تصريح قاطع على ان المسند ليس لأحمد بن حنبل قطعا لان أحمد لم يكن يرى التصنيف، فقول القائل مسند أحمد فيه مسامحة وغفلة، وإلا فان المسند لعبد الله بن أحمد قد كتبه بيده ورتبه بيده، وزاد على روايات أبيه روايات كثيرة، وخلط فيه خلطا واضحا سيأتي بعضه لاحقا.

ثانيا: الذهبي يصرح بتلاعب عبد الله بن احمد وأبي بكر القطيعي بكتاب المسند

وقال الذهبي متكلما عن عبد الله بن أحمد بن حنبل: (وله زيادات كثيرة في مسند والده واضحة عن عوالي شيوخه، ولم يحرر ترتيب المسند ولا سهله، فهو محتاج إلى عمل وترتيب...وعامته من أبي بكر القطيعي...ولم يكن القطيعي من فرسان الحديث، ولا مجودا، بل أدى ما تحمله، إن سلم من أوهام في بعض الأسانيد والمتون)[2].

أقول: لو سلمنا بان المسند لأحمد بن حنبل فيجب ان نسلم ايضا بأنه غير مرتب ولا سهل وان التقصير في عدم ترتيبه ناتج عن قصور أو تقصير من كل من عبد الله بن أحمد الذي روى المسند عن أبيه، والقطيعي الذي رواه عن عبد الله وزاد عليه بأحاديث لا تسلم من الأوهام بسبب عدم كونه من فرسان الحديث.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٣ ص ٥٢٢.

(٢) المصدر السابق ص ٥٢٤.



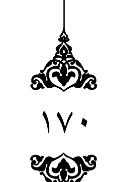
ثالثا: الذهبي يشجع علماء المسلمين أن يتلاعبوا هم أيضا في كتاب المسند بهدف إصلاحه

قال الذهبي في أثناء حديثه عن حاجة المسند إلى ترتيب وجهد من علماء السنة: (فلعل الله يقيض لهذا الديوان العظيم من يرتبه ويهذبه، ويحذف ما كرر فيه، ويصلح ما تصحف، ويوضح حال كثير من رجاله، وينبه على مرسله، ويوهن ما ينبغي من مناكيره، ويرتب الصحابة على المعجم، وكذلك أصحابهم على المعجم، ويرمز على رؤوس الحديث بأسماء الكتب الستة، وإن رتبه على الأبواب فحسن جميل، ولولا أني قد عجزت عن ذلك لضعف البصر، وعدم النية، وقرب الرحيل، لعملت في ذلك)[1].

أقول: إن وصف الذهبي للمسند بالديوان العظيم مكابرة واضحة، وإلا فأي عظمة فيه وهو يعترف بوجود التكرار في المسند والتصحيف والمراسيل والمناكير وعدم ترتيب الصحابة وغير ذلك؟!، ولو كانت هذه الموبقات في احد كتب الشيعة ومصنفاتهم لشمر الذهبي عن سيف جرحه وتشنيعه وطعنه ولأسقط كل ما فيه من اعتبار كما هو عادته في التعامل مع خصومه ومخالفيه في العقيدة، هذا أولا، وثانيا أليست هذه الدعوة من الذهبي دعوة إلى التلاعب بكتاب المسند فهو يدعو إلى تهذيبه وترتيبه وحذف ما تكرر منه وإصلاح ما تصحف من كلماته وترتيب الصحابة بغير الترتيب الحالي له وغير ذلك، وكل هذه الأمور كما لا يخفى يدخل في باب التلاعب والتغيير والتبديل الذي لا يقبل المسلمون وقوعه لمخالفته للأمانة العلمية، لان الكتاب أي كتاب كان يجب ان يبقى ويصل للناس كما هو من دون تلاعب أو زيادة أو حذف كي يمكن الحكم عليه من الباحثين والعلماء بما يستحقه.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٣ ص ٥٢٥.



رابعا: العراقي يصرح ان في المسند أحاديث مكذوبة وموضوعة وان ولده زاد فيه

وقال محمد أبو رية المصري: (وقال العراقي: يرد على من قال إن أحمد بن حنبل التزم الصحيح في مسنده: إنا لا نسلم ذلك، وأما وجود الضعيف في المسند فهو محقق بل فيه أحاديث موضوعة وقد جمعتها في جزء، ولعبد الله ابنه فيه زيادات فيها الضعيف والموضوع... ومما فيه من المناكير حديث بريدة: كونوا في بعث خراسان ثم انزلوا مدينة مرو فإنه بناها ذو القرنين...)[1].

أقول: ان المسند لا يخرج عن ثلاثة فروض فأما أن يكون المسند لأحمد بن حنبل فيلزم منه ان أحمد ليس دقيقا في تقييمه لأحاديث مسنده، وان قول أحمد في وصف كتابه: (إن هذا الكتاب قد جمعته وأتقنته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفا فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم فارجعوا إليه، فإن كان فيه وإلا فليس بحجة)[2] وصف غير صحيح فانه وباعتراف الذهبي والعراقي قد جمع فيه المرسل والمنكر والضعيف والموضوع.

وأما أن يكون الكتاب له ولكن ابنه هو الذي ادخل عليه هذه المراسيل والمناكير والموضوعات وان أحمد اكبر شأنا من أن يقع في مثل هذه الطامات، فيثبت ان المسند قد تم التلاعب به والدس في ضمنه فيسقط عن الاعتبار لتطرق الشك إلى سائر أجزائه الأخرى.

وأما أن يكون المسند لابنه وانه كما يدعي البعض متقنا وان هذه الزيادات والمناكير قد وقعت من القطيعي الذي نقل لنا المسند عن عبد الله، فيسقط أيضا عن الاعتبار لنفس العلة السابقة.

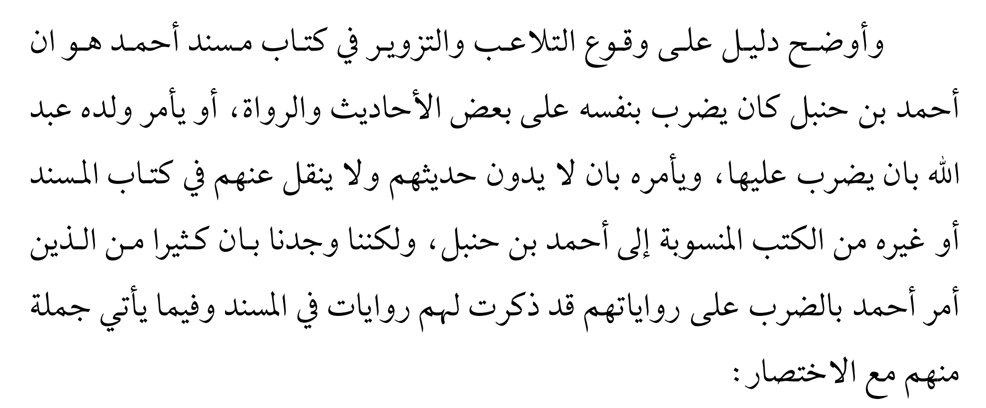
---

(١) أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو رية ص ٣٢٧.

(٢) خصائص مسند الإمام أحمد لمحمد بن عمر المديني ص ١٣.



خامسا: احمد بن حنبل أمر ولده بإخراج بعض الأحاديث من المسند لكنه لم يمتثل



وأوضح دليل على وقوع التلاعب والتزوير في كتاب مسند أحمد هو ان أحمد بن حنبل كان يضرب بنفسه على بعض الأحاديث والرواة، أو يأمر ولده عبد الله بان يضرب عليها، ويأمره بان لا يدون حديثهم ولا ينقل عنهم في كتاب المسند أو غيره من الكتب المنسوبة إلى أحمد بن حنبل، ولكننا وجدنا بان كثيرا من الذين أمر أحمد بالضرب على رواياتهم قد ذكرت لهم روايات في المسند وفيما يأتي جملة منهم مع الاختصار:

أ: من الذين ضرب أحمد بن حنبل على حديثه (عبد الكريم بن أبي المخارق) قال الذهبي: (أبو أمية عبد الكريم بن أبي المخارق... وقال أحمد: ضربت على حديثه...)[١]، ومع انه ضرب على حديثه إلا أننا نرى له عدة أحاديث في المسند[٢].

ب: قال المزي في تهذيب الكمال: (وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: ضرب أبي على حديث كثير بن عبد الله في المسند ولم يحدثنا عنه... قال أبو خيثمة: قال لي أحمد بن حنبل: لا تحدث عنه شيئا)[٣] ولكننا ومع اعتراف عبد الله بن أحمد بان أباه قد ضرب على حديث كثير بن عبد الله في المسند إلا أننا وجدنا له عدة أحاديث في المسند[٤].

ج: قال عبد الله بن أحمد: (قال أبي اضرب على حديث موسى بن عبيدة وهو

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٦ ص ٨٣.

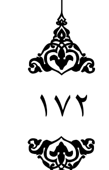
(٢) راجع مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص١٣٢، وج٣ ص٤٨٧، وج٥ ص٦.

(٣) تهذيب الكمال للمزي ج٢٤ ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٤) راجع مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٣٠٦.

يقرأ على حديث قرآن بن تمام)[1] غير ان حديث موسى بن عبيدة موجود في المسند[2].

د: قال عبد الله بن أحمد: (فقال أبي عبد العزيز وهو الذي يروي عن خصيف اضرب على أحاديثه هي كذب أو قال موضوعة أو كما قال أبي فضربت على أحاديث عبد العزيز بن عبد الرحمن)[3] غير أننا ومع اعتراف عبد الله بن أحمد بأنه قد ضرب على حديث عبد العزيز بن عبد الرحمن نجد أحاديثه في مسند أحمد[4].



سادسا: عبد الله روى عن أبيه في المسند أشياء لم يأمره بوضعها فيه

ومن الأدلة القاطعة على تدخل عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وانه قد روى أشياء لا علم لأحمد بن حنبل بها أو كان له علم بها ولكنه لم يأمره بوضعها في المسند، ويدل على هذه الحقيقة تكرار قول عبد الله بن أحمد بن حنبل: (وجدت في كتاب أبي بخط يده ولم أسمعها)، وقد بحثت على عجالة في المسند فوجدت ان عبد الله كرر قول وجدت في كتاب أبي أكثر من خمس وستين مرة، ومعنى انه وجد أي انه لم يسمعها من أبيه ومعنى انه لم يسمعها هو ان أحمد لم يأمره بوضعها في المسند، ومعنى انه لم يأمره بوضعها هو ان هذه الزيادات والوجادات عبارة عن تلاعبات قام بها عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب أبيه المسند بعد موته.

هذا وقد تركنا من باب الاختصار والإيجاز كثيراً من الأدلة الأخرى وكذلك تركنا ما قام به أبو بكر القطيعي من قص وإضافة لكثير من الأحاديث وإدخالٍ في الكتاب على أنها منه.

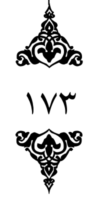
---

(١) العلل لأحمد بن حنبل ج ٣ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٤٣٧.

(٣) العلل لأحمد بن حنبل ج ٣ ص٣١٩.

(٤) راجع مسند أحمد ج ٦ ص ٢٢٧.



الأنموذج الثالث: كتاب صحيح البخاري

اسم البخاري ونسبه

قال ابن حجر في (مقدمة فتح الباري): (هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى... وكان بردزبه فارسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي وأتى بخارى فنسب إليه نسبة ولاء)[١].

وزاد ابن حجر في تغليق التعليق ان جده كان فارسيا مجوسيا: (كان بردزبه مجوسيا فأسلم ابنه المغيرة على يد اليمان والي بخارى وكان اليمان جعفيا فنسب البخاري إليه)[٢].

وقال الذهبي: (نقل ابن عدي وغيره أن مغيرة بن بردزبه المجوسي جد البخاري أسلم على يد والي بخارى يمان الجعفي جد المحدث عبد الله بن محمد بن جعفر بن يمان الجعفي المسندي. فولاؤه للجعفيين بهذا الاعتبار)[٣].

الاختلاف في الاسم الحقيقي لصحيح البخاري

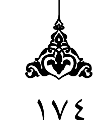
قد اختلف في اسم كتاب البخاري فهو مشهور بين الناس باسم (صحيح البخاري)، أما ابن حجر فقد سماه في (مقدمة فتح الباري) باسم (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وسننه وأيامه)، حيث

---

(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٤٧٨.

(٢) تغليق التعليق لابن حجر ج ٥ ص ٣٨٤.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ج ١٩ ص ٢٤٢.



قال: (انه ـ أي البخاري ـ التزم فيه الصحة وانه لا يورد فيه إلا حديثا صحيحا هذا أصل موضوعه وهو مستفاد من تسميته إياه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وسننه وأيامه)[١].

لكن ابن حجر عاد في كتابه (تغليق التعليق) ليسميه بتسمية ثانية حيث قال: (الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور سيدنا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وسننه وأيامه تأليف الإمام الأوحد عمدة الحفاظ تاج الفقهاء أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري)[٢].

وهذا الاختلاف بالاسم ينبئك عن مقدار الاختلاف في باقي أجزاء الكتاب وأبوابه، لان كتابا لا يتفق على اسمه كيف يتفق على عدد أبوابه وأحاديثه، وكتاب لا يصل إلينا اسمه بصورة دقيقة كيف يتوقع منه أن يصل إلينا بجملته وتفصيلاته سالما معافى مصانا من التلاعب والضياع.

البخاري يدون سبعة آلاف حديث بينما يضيع على الأمة ثلاثمائة ألف حديث كان يحفظها

كان عند البخاري كم هائل من الأحاديث النبوية والسنن والأخبار، فقد صرح البخاري نفسه بأنه يحفظ ثلاثمائة ألف حديث، منها مائتا ألف حديث غير صحيح، ومائة ألف حديث صحيح، وقد روى عبد الله بن عدي هذا الأمر في (الكامل) نقلا عن: (محمد بن حمدويه ـ حيث كان ـ يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح)[٣].

(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٥ ـ ٦.

(٢) تغليق التعليق لابن حجر ج٢ ص٥.

(٣) الكامل لعبد الله بن عدي: ج١، ص١٣١، وراجع أيضا: مقدمة فتح الباري لابن حجر ص٤٨٨.



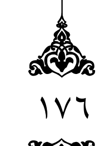
إلا أن البخاري اقتصر على الأحاديث التي وصفها هو بأنها صحيحة، وترك المائتي ألف حديث الأخرى، ولم يكتف بذلك حتى اقتصر على بعض ذلك الصحيح وترك بقيته، وقد نقل الذهبي في (سير أعلام النبلاء) عن البخاري قوله: (لم أخرج في الكتاب إلا صحيحا. قال: وما تركت من الصحيح أكثر)[1].

ولو رجعنا إلى كتاب صحيح البخاري الموجود الآن لوجدنا انه لم يذكر سوى سبعة آلاف حديث فقط، وهذا يعني انه ترك ثلاثة وتسعين ألف حديث من الأحاديث التي اعترف هو بصحتها، وترك معه مائتي ألف حديث هو يراها بأنها غير صحيحه ولعله قد أخطأ في تقييمه هذا، كما قد أخطأ بالحكم على جميع أحاديث كتابه بأنها صحيحة مع أن فيها المرسل والمكذوب والموضوع والمنقطع وغير ذلك كما سيأتي إثباته في محله إن شاء الله، ولو جمعنا كلا الرقمين فسنصل إلى نتيجة مهمة وهي: ان البخاري وان كان قد دون في كتابه سبعة آلاف حديث، لكنه وللأسف ضيع على الأمة مائتين وثلاثة وتسعين ألف حديث رفض تدوينها، مع اعترافه بان ثلاثة وتسعين ألفاً منها صحيحه وقد أعرض عن تدوينها، وتركها تعيش في مخيلته حتى ماتت بموته، فهو مسؤول إذن عن قتل مائتين وثلاثة وتسعين ألف حديث نبوي.

فكان من الأولى والأجدر بالبخاري حينما سمى كتابه بـ(الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وسننه وأيامه) أن يكون جامعا فعلا، فيذكر فيه جميع ما عنده من حديث وسنن وأخبار، كي ينطبق الاسم على المسمى، ثم يترك الحكم عليها بالصحة وعدمه إلى الذين يأتون من بعده، فلرب حديث لا يراه صحيحا بحسب موازينه الخاصة يراه الآخرون صحيحا بحسب موازينهم، ولرب أحاديث لا تتناسب مع ذوقه ومشربه تجد فيها الأمة كل الخير في

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص ٤٧١.



مستقبل أيامها، فكان على البخاري ووفقا للنزاهة والأمانة العلمية أن يوصل للأمة والأجيال التي تليه تلك الأحاديث الثلاثمائة ألف كما هي من دون أن يمارس عليها أسلوب المزاجية والانتقائية، وإذا أراد أن يمارس الانتقائية فيمارسه في مؤلف مستقل، فينتخب وينتقي منها ما يشاء.

والأدهى من ذلك كله هو ما كان يعتذر به البخاري عن سبب تركه لهذا العدد الهائل من الأحاديث الصحيحة، فعن إبراهيم بن معقل أنه قال: (سمعته ـ أي البخاري ـ يقول: ما أدخلت في الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح لأجل الطول)[1].

أقول: فأي عاقل يصدق عذر البخاري في تركه لثلاثة وتسعين ألف حديث صحيح عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بحجة أنها طويلة، ثم أليس في كتابه المعروف بصحيح البخاري قد ذكر أحاديث طوالاً تفوق الإحصاء، ولو عملنا بنظرية البخاري فتركنا تدوين كل شيء طويل، لضاع الدين، وفنيت الأحكام، ولما نقلت ولا دونت سور القرآن الطويلة كالبقرة والنساء وآل عمران، ولاكتفى الناقلون بنقل القصار منها، فأي حرص يمتلكه هذا الرجل على السنة والدين؟!.

البخاري كان من المجبرة وانعكاس ذلك على مؤلفاته

ان البخاري وبعد رجوعه إلى نيسابور صرح ولأكثر من مرة بان أفعال العباد مخلوقة لله حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم، وهذا هو مذهب المجبرة بعينه، قال ابن حجر: (فاستقبله محمد بن يحيى وعامة علماء نيسابور فدخل البلد فنزل دار البخاريين...قال فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل حتى امتلأت الدار

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ١٩ ص ٢٤٩.



والسطوح فلما كان اليوم الثاني أو الثالث من يوم قدومه قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن فقال أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا... فلما حضر المجلس قام إليه رجل فقال يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثا فألح عليه فقال البخاري القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة... وقال الحاكم حدثنا أبو بكر بن أبي الهيثم حدثنا الفربري قال سمعت محمد بن إسماعيل يقول إن أفعال العباد مخلوقة... قال البخاري وسمعت عبيد الله بن سعيد يعني أبا قدامة السرخسي يقول ما زلت أسمع أصحابنا يقولون إن أفعال العباد مخلوقة قال محمد بن إسماعيل حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة)[1].

ثم ان للبخاري كتاباً خاصاً أسماه (خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل) تدور فقراته حول إثبات ان الله سبحانه خالق وموجد للعباد ولجميع ما يعملون وكما يقول هو: حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة، حتى لو وضع الإنسان يده على خده فانه مقدر ومكتوب ومخلوق لله سبحانه، وعليه فيكون زنى الزاني وسرقة السارق وظلم الظالم وعقوق العاق كلها مخلوقة من الله سبحانه وما يريد الله سبحانه خلقه وإيجاده فلا دافع له عنه، وهذا عين مذهب الجبر الذي اختلقته وأوجدته سنة الشيخين وسنة عثمان بن عفان، ووسعته الدولتان الأموية والعباسية ورصدت له الأموال الطائلة لنشره وتشجيع القائلين والمعتقدين به ومكافأتهم، لأنه الباب الذي يبرر ظلم الأمراء وجور السلاطين، لان قانون الجبر لا يجعل من الحاكم سوى أداة ووسيلة بيد الله سبحانه يعذب به الأبرياء ويحرم به الفقراء ويسلب به الحقوق، تعالى الله عن هذا القول علوا كبيرا.

---

(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٤٩١ ـ ٤٩٢.



المدح المفرط لكتاب صحيح البخاري

عن أحمد بن محمد الوراق قال: (سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون يقول سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل فقبل بين عينيه وقال دعني حتى اقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسند المحدثين ويا طبيب الحديث)[١].

وروى ابن عساكر عن أبي حامد أحمد بن حمدون قوله: (سمعت مسلم ابن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه وقال دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين ويا طبيب الحديث)[٢]

أقول: لا اشك ان مسلم بن الحجاج ـ صاحب كتاب صحيح مسلم ـ قد بالغ في قوله هذا، أو ان النقل عنه كان كاذبا، لان مسلم كما قيل لم يخرج للبخاري في صحيحه أي حديث، على الرغم من انه احد تلاميذه ولسنين طويلة وقد كتب عنه آلاف الأحاديث، إلا انه لم يذكره في كتابه صحيح مسلم، ولو كان البخاري بهذه المنزلة عند مسلم لما أقصاه عن كتابه ولما قدم عليه غيره في الرواية.

ومن إفراطهم في مدح صحيح البخاري البيت الذي انشده أبو عامر الفضل ابن إسماعيل الجرجاني:

صحيح البخاري لو أنصفوه　　　لما خط إلا بماء الذهب[٣]

وقال الحاكم أبو أحمد: (رحم الله محمد بن إسماعيل الإمام، فإنه الذي ألف الأصول وبين للناس، وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه، كمسلم فرق أكثر كتابه في كتابه، وتجلد فيه حق الجلادة، حيث لم ينسبه إليه، وقال أبو الحسن

(١) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص ١٥٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٢ ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق ص٧٤.



الدارقطني الحافظ: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء، وقال أيضا: إنما أخذ مسلم كتاب البخاري فعمل فيه مستخرجا وزاد فيه أحاديث)[١].

أقول: وهذا الكلام وان كان فيه مدح للبخاري وصحيحه، إلا ان فيه قدحاً وتشهيراً بمسلم وصحيحه، فهم يثبتون هنا أنّ مسلماً النيسابوري قد سرق جهد البخاري وأحاديثه، ولكي يخفي سرقته هذه، قام بتفريق أحاديث كتاب البخاري في كتابه، وعمل له مستخرجا، وزاد فيه بعض الأحاديث الأخرى، وتجلد وأصر على عدم الاعتراف بسرقته هذه، فأي طامة أعظم من هذه الطامة وأي تهمة وقدح اكبر من هذا القدح.

وعن محمد بن يوسف الفربري قال: (قال لي محمد بن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين)[٢].

وعن أبي إسحاق الريحاني قال: (سمعت عبد الرحمن بن رساين البخاري يقول سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول صنفت كتابي الصحاح في ستة عشر سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى)[٣].

وعن أبي الهيثم الكشميهني قال: (سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول قال لي محمد بن إسماعيل البخاري ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين)[٤].

---

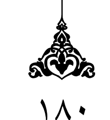
(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٤٩١.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٢ ص٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٢ ص ٧٢.

(٤) المصدر نفسه.

وقال عمر بن محمد بن بجير البجيري: (سمعت محمد بن إسماعيل يقول صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته)[1].



وقال سهل بن السري: (قال البخاري دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين وإلى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين)[2].

أقول: الهدف من كل هذه المدائح، هو تضخيم شأن هذا الكتاب، وتهويل أمره على السامع، وإقناع العامة بأن صحيح البخاري كتاب غاية في الضبط والإتقان والوثاقة، وان جميع ما فيه من الأحاديث صحيحة، وقد استخير الله فيها أي انها مرضية من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وانه لو أنصفه الناس لخط بماء الذهب، ولكن الحقيقة بعيدة كل البعد عن هذا الواقع الذي يراد فرضه على عقول المسلمين وهذا ما نطمح في إثباته من خلال ما سيأتي.

روايات الضعفاء والكذابين والمدلسين في صحيح البخاري

أخرج البخاري في كتابه الجامع الصحيح أحاديث كثيرة عن بعض الرواة الذين وصفوا بالضعف تارة وبالكذب تارة أخرى وبالتدليس والسرقة تارة ثالثة، وهو ما يضع علامة استفهام على جميع ما قيل في تمجيد هذا الكتاب وتضخيمه الذي ادعى كاتبه بأنه لم يضع فيه إلا الصحيح الذي يراه حجة فيما بينه وبين الله سبحانه، وفيما يأتي جملة من تلك الشواهد الناطقة بتهافت عنوان كتاب الجامع الصحيح مع ما احتواه من أحاديث غير صحيحة ومطعون في مضامينها ونقولاتها.

(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٤٩٠.

(٢) المصدر السابق ص٤٧٩.



اشتراط الإسلام في الراوي ومخالفة البخاري لهذا الشرط

انعقد الإجماع على عدم قبول رواية غير المسلم، فلا يؤخذ برواية الكافر إذا رواها حال كفره، أما بعد إسلامه فتقبل رواياته فيما لو تحققت الشروط الأخرى للعدالة، وعدم قبول رواية الكافر حال كفره مرجعه كما علله بعضهم إلى ان الكافر متهم في الدين، إضافةً إلى ان منصب الشهادة له أهمية دينية بالغة الخطورة والأهمية، فبهذا المنصب المهم تثبت الحقوق أو ترد، وبه تصان الأموال والأعراض، وبه تسفك أو تعصم الدماء والنفوس، والكافر مسلوب الأهلية عن هذا المنصب الشرعي والاجتماعي المهم بسبب كفره، وقد نقل إجماع اشتراط الإسلام في قبول الرواية عدة من علماء أهل السنة نخص بالذكر منهم :

ابن الصلاح في مقدمته حيث يقول : (أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه وتفصيله أن يكون مسلما بالغا عاقلا سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة متيقظا غير مغفل حافظا إن حدث من حفظه ضابطا لكتابه ان حدث من كتابه)[١].

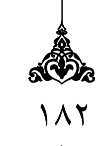
ومنهم الغزالي حيث يقول : (الشرط الرابع : أن يكون مسلما، ولا خلاف في أن رواية الكافر لا تقبل، لأنه متهم في الدين، وإن كان تقبل شهادة بعضهم على بعض عند أبي حنيفة، ولا يخالف في رد روايته، والاعتماد في ردها على الإجماع المنعقد على سلبه أهلية هذا المنصب في الدين وإن كان عدلا في دين نفسه)[٢].

والبخاري قد خالف هذا الشرط المجمع عليه وأخرج لبعض الكفار حال

---

(١) مقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن ص ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) المستصفى للغزالي ص١٢٤.



كفرهم وقبل إسلامهم، منهم جبير بن مطعم، حيث أخرج له البخاري حديثين رواهما قبل إسلامه باعتراف من ابن حجر شارح صحيح البخاري، وروايتي البخاري عنه كالتالي:

قال البخاري: (وحدثنا مسدد حدثنا سفيان عن عمرو سمع محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال أضللت بعيرا فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم واقفا بعرفة فقلت هذا والله من الحمس فما شأنه ههنا)[١].

وعن (الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه وكان جاء في أسارى بدر قال سمعت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقرأ في المغرب بالطور)[٢].

وعن (الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقرأ في المغرب بالطور وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي)[٣].

وأما تعليق ابن حجر واعترافه بان رواية جبير بن مطعم كانت قبل إسلامه فهو كالتالي: (وأفادت هذه الرواية أن رواية جبير له لذلك كانت قبل الهجرة وذلك قبل أن يسلم جبير وهو نظير روايته أنه سمعه يقرأ في المغرب بالطور وذلك قبل أن يسلم جبير أيضا كما تقدم وتضمن ذلك التعقب على السهيلي حيث ظن أن رواية جبير لذلك كانت في الإسلام في حجة الوداع)[٤].

---

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٧٥.

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص٣٠ ـ ٣١.

(٣) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٠.

(٤) فتح الباري لابن حجر ج ٣ ص ٤١٢.



إخراجه لأحاديث بعض الذين اشتهروا بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

واتفقوا على عدم قبول رواية من اشتهر بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقي يكذب عنادا وإصرارا، لكنهم اختلفوا حول من يتوب عن هذه الصفة، فذهب الأكثر إلى ان توبته لا تنفعه وان عدالته تسقط وان روايته تترك سواء تاب أم لم يتب، وذهب البعض إلى قبول توبته ورجوع عدالته.

وابن الصلاح من نقل عدم قبول توبة الراوي الكاذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وان تاب وحسنت توبته حيث يقول: (التائب من الكذب في حديث الناس وغيره من أسباب الفسق تقبل روايته إلا التائب من الكذب متعمدا في حديث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فإنه لا تقبل روايته أبدا وان حسنت توبته على ما ذكر عن غير واحد من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل وأبو بكر الحميدي شيخ البخاري وأطلق الإمام أبو بكر الصيرفي الشافعي فيما وجدت له في شرحه لرسالة الشافعي فقال كل من أسقطنا خبره من أهل النقل بكذب وجدناه عليه لم نعد لقبوله بتوبة تظهر ومن ضعفنا نقله لم نجعله قويا بعد ذلك وذكر أن ذلك مما افترقت فيه الرواية والشهادة وذكر الإمام أبو المظفر السمعاني المروزي أن من ذكر في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه وهذا يضاهي من حيث المعنى ما ذكره الصيرفي والله أعلم)[1].

وقال النووي وهو ينقل رأي ما استقر عليه أكثر أهل السنة: (تحريم الكذب عليه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بهذا الكذب إلا أن يستحله هذا هو المشهور من مذاهب العلماء من الطوائف وقال الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين أبي المعالي من

---

(١) مقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن ص ٩١ ـ ٩٢.

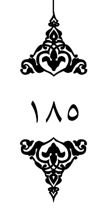
أئمة أصحابنا يكفر بتعمد الكذب عليه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حكى إمام الحرمين عن والده هذا المذهب وأنه كان يقول في درسه كثيرا من كذب على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عمدا كفر وأريق دمه... ثم إن من كذب على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عمدا في حديث واحد فسق وردت رواياته كلها وبطل الاحتجاج بجميعها فلو تاب وحسنت توبته فقد قال جماعة من العلماء منهم أحمد بن حنبل وأبو بكر الحميدي شيخ البخاري وصاحب الشافعي وأبو بكر الصيرفي من فقهاء أصحابنا الشافعيين وأصحاب الوجوه منهم ومتقدميهم في الأصول والفروع لا تؤثر توبته في ذلك ولا تقبل روايته أبدا بل يحتم جرحه دائما وأطلق الصيرفي وقال كل من أسقطنا خبره من أهل النقل بكذب وجدناه عليه لم نعد لقبوله بتوبة تظهر ومن ضعفنا نقله لم نجعله قويا بعد ذلك قال وذلك مما افترقت فيه الرواية والشهادة ولم أر دليلا لمذهب هؤلاء ويجوز أن يوجه بأن ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب عليه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لعظم مفسدته فإنه يصير شرعا مستمرا إلى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره)[1].

ولكن البخاري ضرب بهذه القاعدة عرض الجدار وأخرج عن جماعة ممن اشتهروا بالكذب المتعمد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصروا على ذلك ولم تنقل لهم توبة، منهم إسماعيل بن أبي أويس، والذي أخرج له البخاري أكثر من ستة عشر حديثا في كتابه صحيح البخاري، وكذلك أخرج له مسلم عدة أحاديث في كتابه صحيح مسلم وأخرج له الجميع باستثناء النسائي، مع اجتماعهم تقريبا على ضعفه وتكذيبه، وفيما يأتي جملة من أقوالهم حوله.

(١) شرح مسلم للنووي ج ١ ص ٦٩ ـ ٧٠.

قال النسائي في كتاب الضعفاء والمتروكين: (إسماعيل بن أبي أويس ضعيف)[1].

وقال العقيلي في كتابه الضعفاء: (إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس المديني حدثني محمد بن أحمد قال حدثنا معاوية بن صالح قال سمعت يحيى بن معين يقول أبو أويس وابنه ضعيفان وحدثني أسامة الرقاق بصري يقول سمعت يحيى بن معين يقول إسماعيل بن أبي أويس لا يسوى فلسا)[2].



وقال المزي في تهذيب الكمال: (وقال عبد الوهاب بن أبي عصمة، عن أحمد بن أبي يحيى، عن يحيى بن معين: ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث. وقال إبراهيم بن عبد الله الجنيد، عن يحيى: مخلط، يكذب، ليس بشيء. وقال أبو حاتم: محله الصدق، وكان مغفلا. وقال النسائي: ضعيف. وقال في موضع آخر: ليس بثقة)[3].

وفي كتاب إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال عن سلمة بن شبيب: (سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: ربما أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم)[4].

فإسماعيل بن أبي أويس على وفق هذه الشهادات يصح وصفه بالضعف وبتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله السابق: (ربما أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم) وانه وعلى وفق رأي المشهور فاسق

---

(١) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٥٢.

(٢) ضعفاء العقيلي ج ١ ص ٨٧.

(٣) تهذيب الكمال للمزي ج ٣ ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٤) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال لعلاء الدين مغلطاي ج ٢ ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

يجب ترك جميع رواياته، وعلى وفق رأي الشيخ أبي محمد الجويني والد إمام الحرمين أبي المعالي الذي هو من أئمة السنة كافر حلال الدم، والذي حكاه النووي بقوله الآنف الذكر: (يكفر بتعمد الكذب عليه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حكى إمام الحرمين عن والده هذا المذهب وأنه كان يقول في درسه كثيرا من كذب على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عمدا كفر وأريق دمه).



وقد انبرى ابن حجر للدفاع عن إسماعيل بن أبي أويس بقوله: (ولعل هذا كان من إسماعيل في شبيبته ثم انصلح)[1].

أقول: لم يقدم لنا ابن حجر أي دليل على احتمال انصلاح حال إسماعيل ابن أبي أويس، ومع انعدام الدليل على توبته وصلاحه يبقى حاله على ما هو عليه من الضعف والكذب وسرقة الأحاديث ووضعها.

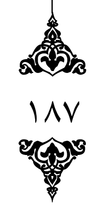
إخراجه لأحاديث رواة وصفوا بالجهالة والضعف

قال الذهبي: (فالمحدث إذا نظر في سند حديث ووجد فيه رجلا مجهولا: حكم بضعفه، لاحتمال ضعف ذلك المجهول، وربما حكم بوضعه، لغلبة الظن عنده بأن ذلك المجهول كذاب)[2].

أقول: وقد أخرج البخاري في كتابه الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخاري مجموعة أحاديث عن رجال اشتهروا بالجهالة مثل (أسباط أبو اليسع البصري) الذي شهد بجهالته عدة من علماء أهل السنة، بل شهد بعضهم بضعفه مع جهالته، ومع جهالته وضعفه يحكم بوضع أحاديثه وكذبها بناء على ما أوضحه الذهبي في قوله السابق، وفيما يأتي جملة من أقوال الذين وصفوه بالجهالة:

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج١، ص٢٧٣.

(٢) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي ج ١ ص ٢٦.



فمنهم الرازي حيث يقول: (أسباط أبو اليسع البصري روى عن شعبة بن الحجاج روى عنه محمد بن عبد الله بن حوشب سمعت أبي يقول ذلك ويقول هو مجهول)[١].

وقال الباجي: (أسباط أبو اليسع البصري أخرج البخاري في البيوع عن محمد ابن عبد الله بن حوشب الطائفي عنه عن هشام الدستوائي لم يذكره الكلاباذي إلا في جملة من أضيف إلى غيره في الإخراج عنه قال أبو عبد الله له حديث واحد وذكره الدارقطني ذكره عبد الرحمن من أبي حاتم وقال سمعت أبي يقول هو مجهول)[٢].

وقال ابن حجر: (أسباط أبو اليسع البصري يقال اسم أبيه عبد الواحد ضعيف له حديث واحد متابعة في البخاري من التاسعة)[٣].

إخراجه لأحاديث رواة كانوا يأخذون الأجرة على الرواية

قال ابن الصلاح: (من أخذ على التحديث أجرا منع ذلك من قبول روايته عند قوم من أئمة الحديث روينا عن إسحاق بن إبراهيم أنه سأل عن المحدث يحدث بالأجر فقال لا يكتب عنه وعن أحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي نحو ذلك وترخص أبو نعيم الفضل بن دكين وعلي بن عبد العزيز المكي وآخرون في أخذ العوض على التحديث وذلك شبيه بأخذ الأجرة على تعليم القرآن ونحوه غير أن في هذا من حيث العرف خرما للمروءة والظن يساء بفاعله)[٤].

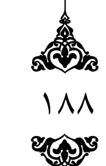
---

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٢ ص ٣٣٣.

(٢) التعديل والتجريح لسليمان بن خلف الباجي ج ١ ص ٣٩١.

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٧٦.

(٤) مقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن ص ٩٢ ـ ٩٣.



أقول: قد أخرج البخاري ليعقوب بن إبراهيم، وأخرج كذلك لأبي نعيم الفضل بن دكين خمسة أحاديث في صحيحه، وأخرج كذلك لهشام بن عمار في غير مكان من صحيحه، وأخرج كذلك لعفان بن مسلم في عدة مواضع أيضا، وكان كل واحد منهم يأخذ الأجرة في مقابل تحديثه بالرواية.

قال النسائي: (يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا إسماعيل عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه. قال أبو عبد الرحمن كان يعقوب لا يحدث بهذا الحديث إلا بدينار)(١).

وقال السمعاني نقلا عن أبي أحمد عبد الله بن عدي الحافظ بجرجان قال: (سمعت قسطنطين بن عبد الله الرومي مولى المعتمد على الله أمير المؤمنين يقول حضرت مجلس هشام بن عمار فقال له المستملي من ذكرت فقال حدثنا بعض مشائخنا ثم نعس ثم قال له من ذكرت فنعس فقال المستملي لا تنتفعوا به فجمعوا له شيئا فأعطوه فكان بعد ذلك يملي عليهم)(٢).

وعن ابن حجر قال: (وقال ابن وارة عزمت زمانا أن أمسك عن حديث هشام؛ لأنه كان يبيع الحديث وقال صالح بن محمد كان يأخذ على الحديث ولا يحدث ما لم يأخذ وقال الإسماعيلي عن عبد الله بن محمد بن سيار كان هشام يلقن وكان يلقن كل شيء ما كان من حديثه وكان يقول أنا قد خرجت هذه الأحاديث صحاحا وقال الله تعالى: ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾. وكان يأخذ على كل ورقتين درهمين ويشارط ولما لمته على التلقين قال أنا أعرف

(١) سنن النسائي ج ١ ص ٤٩.

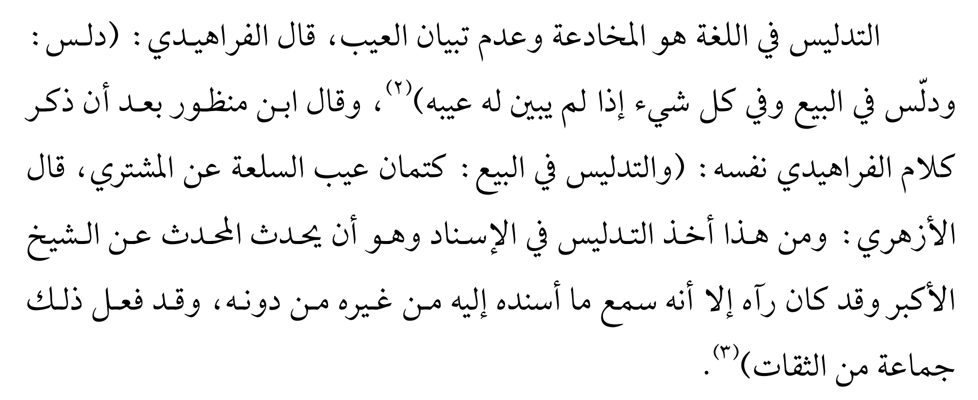
(٢) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص ١٢١.

حديثي ثم قال لي بعد ساعة إن كنت تشتهي أن تعلم فأدخل إسنادا في شيء فتفقدت الأسانيد التي فيها قليل اضطراب فسألته عنها فكان يمر فيها)[1].





إخراجه لأحاديث رواة كانوا من المشهورين بالتدليس



التدليس في اللغة هو المخادعة وعدم تبيان العيب، قال الفراهيدي: (دلس: ودلّس في البيع وفي كل شيء إذا لم يبين له عيبه)[2]، وقال ابن منظور بعد أن ذكر كلام الفراهيدي نفسه: (والتدليس في البيع: كتمان عيب السلعة عن المشتري، قال الأزهري: ومن هذا أخذ التدليس في الإسناد وهو أن يحدث المحدث عن الشيخ الأكبر وقد كان رآه إلا أنه سمع ما أسنده إليه من غيره من دونه، وقد فعل ذلك جماعة من الثقات)[3].

أما في اصطلاح الفقهاء والمحدثين فالتدليس وكما يقول محمد قلعجي في معجم لغة الفقهاء هو: (عند الفقهاء: إخفاء العيب في السلعة... عند المحدّثين: أن يروي عمن لقيه ولم يسمع منه، أو يروي عن شخص يوهم أنه غيره)[4].

والتدليس من العيوب التي ابتلي فيها كثير من الرواة، وهو صفة مذمومة عند أئمة الحديث وشيوخه، فقد عدّها شعبة أشد من الزنى فقد كان يقول: (التدليس في الحديث أشد من الزنى ولان أسقط من السماء أحب إلي من أن أدلس)[5].

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٤٨.

(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٧ ص ٢٢٨.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ٨٦.

(٤) معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي ص ١٢٦.

(٥) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٣٩٣.



والتدليس كان يعد عند أعلام السنة مرادفا للكذب، كما نقله الحسن بن علي حيث كان: (يقول سمعت أبا أسامة يقول خرب الله بيوت المدلسين ما هم عندي إلا كذابون)[1].

وعن خالد بن خداش قال: (قال سمعت حماد بن زيد يقول التدليس كذب ثم ذكر حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور قال حماد ولا أعلم المدلس إلا متشبعا بما لم يعط)[2].

أقول: وقد روى البخاري لأشخاص عرفوا بالتدليس، عدهم البعض بثمانية وستين راويا، أخرج لهم ما يقارب ستة آلاف ومائتين واثنين وسبعين ما بين رواية أو تعليق، وهي نسبة مهولة، تعني ان أكثر من تسعين بالمائة من أحاديثه ورواياته قد نقلها أناس اشتهروا بالتدليس.

وقد عثرت وفي أثناء تتبعي لموضوع المدلسين في صحيح البخاري على كتاب باسم (روايات المدلسين في صحيح البخاري، جمعها ـ تخريجها ـ الكلام عليها) للدكتور عواد الخلف، وهو من أهل السنة، وبحثه عبارة عن رسالة علمية حصل بها الباحث على درجة الدكتوراه في أصول الدين من كلية أصول الدين بجامعة القرويين في المغرب، وقد ذكر الدكتور عواد الخلف في كتابه هذا تلك الأرقام الكبيرة التي ذكرناها آنفا، حيث تتبع جميع رجال البخاري بحسب طبقاتهم وذكر أسماءهم وعدد رواياتهم وخرج برقم قاطع هو ما ذكرناه سابقا.

غير انه وبعد ذكره لهذا العدد الهائل من المدلسين ورواياتهم، طبق ما اقترحه ابن حجر في كتابه (مقدمة فتح الباري) والذي وضع قاعدة للتعامل مع روايات

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٤.



المدلسين في كتاب صحيح البخاري أوضحها بقوله: (فحكم من ذكر من رجاله ــ أي صحيح البخاري ـ بتدليس أو إرسال أن تسبر أحاديثهم الموجودة عنده بالعنعنة فإن وجد التصريح بالسماع فيها اندفع الاعتراض وإلا فلا)[١].

ولكن قاعدة ابن حجر هذه لم تنجَّ صحيح البخاري من ورطته، فقد سبر الدكتور عواد الخلف في كتابه أحاديث البخاري فاخرج تسعة وعشرين راويا روى لهم البخاري ما يقارب ثمانمائة واثنين وعشرين رواية لم يصرح فيها بالسماع فتكون مردودة بحسب القاعدة التي بناها ابن حجر في كيفية التعامل مع روايات المدلسين في صحيح البخاري.

أقول: والدكتور عواد الخلف وان كان قد فارق الحق في كثير ممن اخرج أحاديثهم من دائرة الرد والرفض إلى دائرة القبول، إلا ان العدد النهائي الذي خرج به يعدّ كبيرا جدا، يجعل من صحيح البخاري كتابا غير دقيق بالمرة ويحطم تلك النظرة الفاضلة له التي حاول المغرضون رسمها وترسيخها في أذهان الناس.

التزوير والتلاعب بنسخ كتاب صحيح البخاري ورواياته وأبوابه

النسخة الأصلية لصحيح البخاري ناقصة فأتمها النساخ الذين نقلوا لنا صحيحه

لابد من التنبيه أولا على مسألة مهمة للغاية، وهي ان جميع المدونات الروائية لأهل السنة ــ سواء أكانت صحاحا أم سننا أم مسانيد أم غير ذلك ــ لم تصل إلينا النسخة الأصلية منها بخط مؤلفيها ومدونيها الأصليين، وإنما وصلت عبر وسائط متعددة، فلم تصلنا نسخة لكتاب البخاري بخط يده ولا لصحيح مسلم بخط يده وهكذا الحال بالنسبة لباقي كتب أهل السنة الروائية، لذلك نجد بأن جميعها قد

---

(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص٣٨٢.



تعرض للتزوير والدس والتحريف والتبديل في أثناء نقلها وإيصالها، وقد أثبتنا ذلك بما لا يقبل الشك في كل من كتاب الموطأ لمالك بن أنس وكتاب المسند لأحمد بن حنبل، وليس صحيح البخاري بمستثنى من هذه القاعدة.

وأول طامة مني بها هذا الكتاب هي ان البخاري قد وافته المنية ومات قبل أن يكمل كتابه (الجامع الصحيح) المشهور بصحيح البخاري، لذلك كانت النسخة الأصلية لكتاب البخاري تحتوي في كثير من الأحيان على عناوين الأبواب فقط، من دون وجود أي حديث أو آية فيها، مما يعني ان البخاري لم يسعفه الأجل لإتمام هذه الأبواب وتسويدها.

وقد يصادف أيضا ان البخاري يفرد في كتابه فقرة خاصة للتعليق على راو أو رواية ما، ولكنه يترك مكان الترجمة فارغا مبيضا. وربما ذكر البخاري في كتابه بعض الأحاديث، ولكن من دون وضع باب يعنونها فيه.

ولكننا لا نجد ذلك كله في النسخ الموجودة اليوم بين أيدينا، وذلك بسبب ان النساخ والرواة الذين أوصلوا لنا صحيح البخاري، قد تلاعبوا فيه، فوصلوا ما هو مقطوع بالنسخة الأصل، وأضافوا الأحاديث والأبواب إلى بعضها، وأكملوا كثيرا من نقائصه، وسودوا ما تبقى من أوراقه التي تركها البخاري فارغة بيضاء.

وقد اعترف بعض النساخ بوقوع هذه الأفعال الشنيعة منه ومن بقية النساخ والرواة الذين أوصلوا هذا الكتاب إلينا، قال ابن حجر: (ويقع في ـ أي في كتاب صحيح البخاري ـ كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة وفي بعضها ما فيه حديث واحد وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله وبعضها لا شيء فيه البتة... ومن ثمة وقع من بعض من نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث إلى حديث لم يذكر فيه باب فأشكل فهمه على الناظر فيه.



وقد أوضح السبب في ذلك الإمام أبو الوليد الباجي المالكي في مقدمة كتابه في أسماء رجال البخاري فقال: أخبرني الحافظ أبو ذر عبد الرحيم بن أحمد الهروي قال حدثنا الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي قال انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربري فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشياء مبيضة، منها تراجم لم يثبت بعدها شيئا، ومنها أحاديث لم يترجم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض.

قال أبو الوليد الباجي: ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبي إسحاق المستملي ورواية أبي محمد السرخسي ورواية أبي الهيثم الكشمهيني ورواية أبي زيد المروزي مختلفة بالتقديم والتأخير مع أنهم انتسخوا من أصل واحد وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما فأضافه إليه.

ويبين ذلك انك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث قال الباجي وإنما أوردت هذا هنا لما عُني به أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها وتكلفهم من ذلك من تعسف التأويل مالا يسوغ انتهى)[١].

وقال ابن حجر بعد ذكره لكلام المستملي وأبي الوليد الباجي: (قلت: وهذه قاعدة حسنة يفزع إليها حيث يتعسر وجه الجمع بين الترجمة والحديث)[٢].

أقول: فكيف يمكن بعد هذا الاطمئنان إلى هذا الكتاب، وكيف يمكن أن نتيقن بعدم حذف النساخ لكثير مما لا يعجبهم من الأحاديث أو إضافة كثير منها قد أعجبتهم؟!.

---

(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٦.

(٢) المصدر نفسه.



من هم الذين نسخوا صحيح البخاري ونقلوا للناس رواياته

١ : أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفَرَبْرِيُّ، وهو يروي الصحيح عن البخاري مباشرة، قال ابن حجر في فتح الباري : (اتصلت لنا رواية البخاري عنه ـ أي عن البخاري ـ من طريق أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري وكانت وفاته في سنة عشرين وثلثمائة وكان سماعه للصحيح مرتين مرة بفربر سنة ثمان وأربعين ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين)[١].

وهذه هي الرواية أو النسخة المتداولة في هذه العصور أو العصور القريبة الماضية، قال ابن حجر في مقدمة فتح الباري : (والرواية التي اتصلت بالسماع في هذه الأعصار وما قبلها هي رواية محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري)[٢].

٢ : ومن رواة صحيح البخاري القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مَعْقِل بن الحجاج النسفي، قاضي نسف. قال ابن حجر : (ومن طريق إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي وكان من الحفاظ وله تصانيف وكانت وفاته سنة أربع وتسعين ومائتين)[٣].

٣ : أبو محمد حماد بن شاكر بن سوِّية النسفي. قال ابن حجر : (ومن طريق حماد بن شاكر النسوي وأظنه مات في حدود التسعين)[٤].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ١.

(٢) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٤٩٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ١.

(٤) المصدر السابق ص٣.

٤ : أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة بن سوية البزديُّ، ويقال : البزدويُّ، النسفي. قال ابن حجر : (ومن رواية أبي طلحة منصور بن محمد بن علي ابن قرينة بقاف ونون بوزن يسيرة البزدوي بفتح الموحدة وسكون الزاي وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وهو آخر من حدث عن البخاري بصحيحه كما جزم به ابن ماكولا وغيره)[١].

٥ : القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي. قال ابن حجر : (ممن سمع من البخاري القاضي الحسين بن إسماعيل المحاملي ببغداد ولكن لم يكن عنده الجامع الصحيح وإنما سمع منه مجالس أملاها ببغداد في آخر قدمة قدمها البخاري وقد غلط من روى الصحيح من طريق المحاملي المذكور غلطا فاحشا)[٢].

أقول : هؤلاء هم الذين نسخوا كتاب البخاري من أصل واحد، وكل واحد من هؤلاء قد نقلت لنا نسخته عبر عدة رواة آخرين، هم ـ وكما ذكرهم ابن حجر ـ كل من :

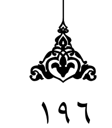
ألف : قال ابن حجر : (فأما رواية الفربري فاتصلت إلينا عنه من طريق الحافظ أبي على سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن والحافظ أبي إسحق إبراهيم ابن أحمد المستملي وأبي نصر أحمد بن محمد بن أحمد الأخبسيكتي والفقيه أبي زيد محمد بن أحمد المروزي وأبي على محمد بن عمر بن شبويه وأبي أحمد محمد بن محمد الجرجاني وأبي محمد عبد الله بن أحمد السرخسي وأبي الهيثم محمد بن مكي الكشميهني وأبي علي إسماعيل بن محمد بن أحمد بن حاجب الكشاني وهو آخر من حدث بالصحيح عن الفربري)[٣].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ٣.



باء: قال ابن حجر: (فأما رواية ابن السكن فرواها عنه عبد الله بن محمد بن أسد الجهني وأما رواية المستملي فرواها عنه الحافظ أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي وعبد الرحمن بن عبد الله الهمداني)[1].

جيم: قال ابن حجر: (وأما رواية أبي علي الشبوي فرواها عنه سعيد بن أحمد بن محمد الصيرفي العيار وعبد الرحمن بن عبد الله الهمداني أيضا وأما رواية أبي أحمد الجرجاني فرواها عنه أبو نعيم والقابسي أيضا)[2]

دال: قال ابن حجر: (وأما رواية السرخسي فرواها عنه أبو ذر أيضا وأبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي)[3].

هاء: قال ابن حجر: (وأما رواية الكشميهني فرواها عنه أبو ذر أيضا وأبو سهل محمد بن أحمد الحفصي وكريمة بنت أحمد المروزية)[4]

واو: قال ابن حجر: (وأما رواية الكشاني فرواها عنه أبو العباس جعفر بن محمد المستغفري)[5].

زاي: قال ابن حجر: (وأما رواية الاخسبيكتي فرواها عنه إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الصفار الزاهد وأما رواية أبي زيد فرواها عنه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني والحافظ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي والإمام أبو الحسن علي ابن محمد القابسي)[6].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.



أقول: قد ذكرنا هذه الأسماء هنا لأنها ستتكرر لاحقا، ولكي يعلم القارئ الكريم ارتباط هذه الأسماء بعضها ببعضها الآخر.

أوهام النساخ وتصحيفاتهم في متون أحاديث صحيح البخاري

توجد في ما بين نسخ صحيح البخاري السالفة الذكر أوهام واختلافات وأغلاط اكبر من ان يستوعبها هذا البحث المختصر، لكن وكما قيل في المثل: «ما لا يدرك كله لا يترك جُلّه»، وفيما يأتي جملة من تلك التصحيفات والأغلاط والأوهام التي وقع فيها نساخ كتاب صحيح البخاري، والتي ستوصلنا بمجموعها إلى الحكم وبضرس قاطع بان كتاب البخاري الذي هو الآن بين أيدينا والذي يتداوله الناس باسم صحيح البخاري هو ليس عينه الذي كتبه البخاري وان التزوير والتغيير والدس قد طال جميع أجزاء الكتاب ابتداء من اسمه وانتهاء برواياته وأسانيدها وترتيب أبوابه وتخريج تراجمه، فالنساخ لم يقوموا بنسخ الكتاب وتكثيره ونشره، بل قاموا بمسخه وتشويهه ومحقه ان صح التعبير، وهو ما سنراه فيما يأتي.

١: جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك انه قال: (قدم النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى بني النجار فجاؤوا متقلدي السيوف كأني انظر إلى النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه وملا بني النجار حوله حتى القى بفناء أبي أيوب وكان يحب ان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم وانه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملأ من بني النجار فقال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا قالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فقال أنس فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين وفيه خرب وفيه نخل فأمر النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بقبور

المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم معهم وهو يقول:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة)[1]

أقول: إلا أن الكشميهني أثبت في نسخته كلمة (حرث) بدل كلمة (خرب) وقد نبه ابن حجر على هذا الوهم بقوله: (وللكشميهني حرث بفتح الحاء المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة وقد بين أبو داود ان رواية عبد الوارث بالمعجمة والموحدة ورواية حماد بن سلمة عن أبي التياح بالمهملة والمثلثة فعلى هذا فرواية الكشميهني وهم لان البخاري إنما أخرجه من رواية عبد الوارث)[2].

وقال ابن حجر كذلك: (قوله في آخره فاغفر للأنصار كذا للأكثر وللمستملي والحموي فاغفر الأنصار بحذف اللام)[3].

٢: عن عائشة قالت: (قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ولا نرى إلا أنه الحج فلما قدمنا تطوفنا بالبيت فأمر النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من لم يكن ساق الهدي أن يحل فحل من لم يكن ساق الهدي ونساؤه لم يسقن فأحللن قالت عائشة رضي الله عنها فحضت فلم أطف بالبيت فلما كانت ليلة الحصبة قالت يا رسول الله يرجع الناس بعمرة وحجة وأرجع أنا بحجة قال وما طفت ليالي قدمنا مكة قلت لا)[4].

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١١١.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ٤٣٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٥١.

أقول: إن المستملي أحد نساخ صحيح البخاري ورواته ثبت في نسخته (قلت بلى) بدل (قلت لا) وقد نبه ابن حجر على وقوع هذا الاختلاف بقوله: (قوله فيه ما كنت تطوفين بالبيت ليالي قدمنا مكة «قلت لا» كذا للأكثر وفي رواية أبي ذر عن المستملي قلت بلى)[1].



٣: وروى البخاري قال: (حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم...)[2].

أقول: قد وردت في نسخة النسفي (إسحاق بن نصر) بدل (إسحاق بن منصور) وفي بعض النسخ الأخرى (كذبني عبدي وشتمني ولم يكن له ذلك) بدل (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك)، وقد سقط من نسخة الفربري والنسفي عدة رواة موجودين في نسخ أخرى، وقد نبه ابن حجر على كل ذلك بقوله: (قوله «حدثنا إسحاق بن منصور» كذا للجميع قال المزي في الأطراف في بعض النسخ حدثنا «إسحاق بن نصر»، قلت: وهي رواية النسفي وهما مشهوران من شيوخ البخاري ممن حدثه عن عبد الرزاق)[3].

وقال ابن حجر: («قوله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك» في رواية أحمد عن عبد الرزاق «كذبني عبدي وشتمني ولم يكن له ذلك» ثبت هنا في رواية الكشميهني وكذا هو عند أحمد وسقط بقية الرواة عن الفربري وكذا للنسفي)[4].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٣ ص ٤٦٩.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٩٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ج ٨ ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩

(٤) المصدر نفسه.



٤ : وأخرج البخاري : (كتاب العقيقة باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه)[١].

أقول : كلمة (عنه) سقطت من نسخ أكثر النساخ باستثناء ما في رواية أبي ذر عن الكشميهني، وذكر النسفي في نسخته عبارة (وان لم يعق عنه) بدل عبارة (لمن لم يعق عنه)، وقد نبه ابن حجر على هذا الاختلاف بقوله : (قوله «باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه» كذا في رواية أبي ذر عن الكشميهني، وسقط لفظة «عن» للجمهور، وللنسفي «وان لم يعق عنه» بدل «لمن لم يعق عنه» ورواية الفربري أولى)[٢].

اختلاف النساخ في عناوين الأبواب والكتب التي احتواها صحيح البخاري

١ : ورد في صحيح البخاري عبارة (دعاؤكم إيمانكم)[٣].

أقول : والوارد في كثير من نسخ البخاري القديمة إضافة كلمة «باب» قبل هذه العبارة فتصبح هكذا : (باب دعاؤكم إيمانكم) وهو غلط فاحش كما نبه عليه النووي وابن حجر، قال ابن حجر : (قال النووي يقع في كثير من النسخ هنا باب وهو غلط فاحش وصوابه بحذفه ولا يصح إدخال باب هنا إذ لا تعلق له هنا «قلت» ثبت باب في كثير من الروايات المتصلة منها رواية أبي ذر...)[٤].

٢ : ورد في صحيح البخاري عبارة : (كتاب مواقيت الصلاة * بسم الله الرحمن الرحيم)[٥].

---

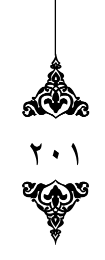
(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢١٥.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٩ ص ٥٠٧.

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ٨.

(٤) فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ٤٦.

(٥) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٢.



أقول: في بعض النسخ قدمت (بسم الله الرحمن الرحيم) على قوله (كتاب مواقيت الصلاة)، وفي بعض النسخ ذكرت عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) بلا ذكر لعبارة (كتاب مواقيت الصلاة)، وفي بعضها بالعكس، وقد نبه ابن حجر على هذا الاختلاف بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم كذا للمستملي وبعده البسملة ولرفيقيه البسملة مقدمة وبعدها باب مواقيت الصلاة وفضلها وكذا في نسخة الصغاني وكذا لكريمة لكن بلا بسملة وكذا للأصيلي لكن بلا باب)[(1)]

٣: ورد في صحيح البخاري عبارة: (باب الصلاة كفارة)[(2)].

أقول: ورد هذا اللفظ في أكثر نسخ كتاب صحيح البخاري، إلا ان نسخة المستملي جاء فيها عبارة (باب تكفير الصلاة)، وقد نبه ابن حجر على ذلك بقوله: (قوله «باب الصلاة كفارة» كذا للأكثر وللمستملي باب تكفير الصلاة)[(3)].

٤: وردت في صحيح البخاري عبارة: (باب تضييع الصلاة عن وقتها)[(4)].

أقول: وردت هذه العبارة في نسختين فقط من نسخ صحيح البخاري، لكنها حذفت في جميع النسخ الأخرى، وقد نبه ابن حجر على هذا بقوله: (قوله «باب في تضييع الصلاة عن وقتها» ثبتت هذه الترجمة في رواية الحموي والكشميهني وسقطت للباقين)[(5)].

٥: وردت في صحيح البخاري عبارة: (كتاب التوحيد)[(6)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٢ ص ٢.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر ج ٢ ص ٦.

(٤) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٤.

(٥) فتح الباري لابن حجر ج ٢ ص ١٠ ـ ١١.

(٦) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٦٣.

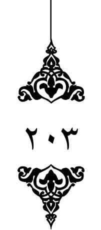
أقول: وردت هذه العبارة في بعض النسخ، بينما وردت عبارات أخرى بدلها في نسخ أخرى، ففي نسخة المستملي وردت عبارة: (كتاب التوحيد والرد على الجهمية وغيرهم)، وفي نسخة ابن بطال وابن التين وردت هكذا: (كتاب رد الجهمية وغيرهم التوحيد)، وفي نسخة ابي ذر وردت البسملة قبل عبارة (كتاب التوحيد) وقد نبه العيني في عمدة القاري على ذلك كله بقوله: (وكذا وقعت الترجمة للنسفي، وعليه اقتصر الأكثرون عن الفربري، وفي رواية المستملي: كتاب التوحيد والرد على الجهمية وغيرهم، ووقع لابن بطال وابن التين: كتاب رد الجهمية وغيرهم التوحيد)[1].

وقال العيني أيضا: (وقال الكرماني: وفي بعض النسخ: كتاب التوحيد ورد الجهمية، بالإضافة، إلى المفعول، ولم تثبت البسملة قبل لفظ: الكتاب، إلا لأبي ذر)[2]. وتوجد عشرات المصاديق الأخرى تركناها للاختصار، وفيما سبق كفاية لمستبصر.

أقول: هذا الاختلاف والتضارب والتزوير كله قد وقع في النسخ الأصل لكتاب الجامع الصحيح، أما الاختلافات والتزوير والدس والإضافات والحذوفات في النسخ الحديثة الموجودة بين أيدي الناس اليوم فأكثر من ذلك بأضعاف وأضعاف، فكل طبعة من الطبعات الحديثة تأخذ نسخة معينة وتدخل فيها من باقي النسخ وتحذف بعض العبارات والأبواب وتضيف عبارات وأبواباً أخرى وترقم الأحاديث، مع ان النسخة الأصل لا أرقام فيها إلى غير ذلك مما يطول ذكره ويحتاج إلى كتاب مفصل، عسى الله أن يوفق له بعض الباحثين آمين يا رب العالمين.

(١) عمدة القاري للعيني ج ٢٥ ص ٨١.

(٢) المصدر نفسه.



الأنموذج الرابع: كتاب صحيح مسلم

صحيح مسلم هو الكتاب الذي ينسب إلى مسلم القشيري، ومسلم وكما يقول الذهبي هو: (مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ، القشيري النيسابوري، صاحب «الصحيح»، فلعله من موالي قشير)[١]، ولا نريد الدخول في تفاصيل نسبه وهل كان فعلا من موالي قشير أو لا، وهل كان ينحدر من جذور مجوسية أو لا، لان في الموضوع خلافاً ينبئك عنه تلميح الذهبي وقوله: (فلعله من موالي قشير) والحر تكفيه الإشارة.

اختلافهم في اسم الكتاب المنسوب لمسلم

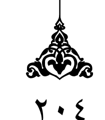
اختلف في اسم كتاب مسلم بن الحجاج القشيري مثلما اختلف في كتاب صاحبه البخاري الذي مر خبره، ففي خبر محمد بن نعيم ان مسلم بن الحجاج قد أطلق على كتابه اسم (المسند الصحيح)، فعن الخطيب البغدادي عن محمد بن نعيم قال: (سمعت الحسين بن محمد الماسرجسي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة)[٢].

وكذلك فعل النووي في شرحه لصحيح مسلم، حيث أطلق عليه اسم (المسند الصحيح) فقال: (وعدد من احتج بهم مسلم في المسند الصحيح ولم يحتج بهم البخاري في الجامع الصحيح ستمائة وخمسة وعشرون شيخا والله أعلم)[٣].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص ٥٥٧ ـ ٥٥٨.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٠٢.

(٣) شرح مسلم للنووي ج ١ ص ١٦



وكذلك فعل الحاكم النيسابوري في مستدركه على الصحيحين، إذ أطلق ولمرات كثر اسم (المسند الصحيح) على كتاب مسلم النيسابوري، فقال في احد هذه الموارد: (قد احتج مسلم في المسند الصحيح بحديث سماك بن حرب عن النعمان بن بشير...)[١].

ولكن النسخ المطبوعة المنتشرة بين الناس قد خط على غلافها اسم (الجامع الصحيح للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري) وفي بعض الطبعات يكتب على الغلاف الخارجي اسم (صحيح مسلم) وفي الداخل يكتب (الجامع الصغير....).

وقد سمى ابن شيبة في مواضع عديدة من كتبه كتاب مسلم النيسابوري باسم (الجامع الصحيح) فقال في معرض كلامه على شخص مسلم: (محمد بن مسلم صاحب الجامع الصحيح)[٢]، وقال في موضع آخر: (وأشهر الصحاح وأوثقها: الجامع الصحيح للإمام البخاري والجامع الصحيح للإمام مسلم)[٣].

وقد أطلق عليه بعض المعاصرين من أهل السنة اسم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) وقد شنع البعض على من أسمى هذا الكتاب بغير هذا الاسم، قال الدكتور الشيخ حاتم بن عارف الشريف: (كتاب الإمام مسلم فإن اسمه: «المسند الصحيح المختصر» أما تسميته بالجامع فإنه خطأٌ محض؛ لأن «الجامع» كتابٌ آخر لمسلم غير الصحيح وتسميته بـ«الصحيح» اختصاراً، واسمه الصحيح هو «المسند الصحيح

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ١ ص ٨٨.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج ١ ص ٥.

(٣) المصدر السابق ص٧.



المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ» فسمّاه مسنداً مع أنه مرتبٌ على أبواب الفقه وأبواب العلم)[١].

ومستند هذا القول الأخير كما أظن هو ما قاله القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض المالكي في كتابه (مشارق الأنوار على صحاح الآثار) حيث ذكر الآتي: (وأما كتاب المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل عن رسول الله عليه السلام للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النسب النيسابوري الدار فإنه وصل إلينا من روايتين أيضا)[٢].

وقد استدعى هذا الخلاف حول تحديد الاسم الصحيح لكتاب مسلم النيسابوري، ان يؤلف الشيخ عبد الفتاح أبو غدة كتابا خاصا يحقق فيه الاسم الحقيقي لكل من كتب البخاري ومسلم والترمذي اسماه: (تحقيق اسمي الصحيحين وجامع الترمذي).

اختلافهم في عدد أحاديث صحيح مسلم

اختلفت الأقوال وتضاربت في عدد أحاديث كتاب مسلم بن الحجاج المعروف بصحيح مسلم، وهي على ما تتبعته كثيرة نختار المهم منها وهي كالآتي:

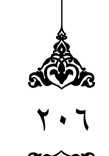
ألف: قد ذكر عن مسلم النيسابوري أنّه أخرج أحاديث كتابه من بين ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: (وقال محمد بن الماسرجسي سمعت مسلما يقول: صنفت هذا الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة)[٣].

---

(١) التخريج ودراسة الأسانيد للشيخ الدكتور حاتم بن عارف الشريف ص١٨.

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ص١٩.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ٥٨٩.



وذكر الذهبي نقلا عن أحمد بن سلمة وهو احد الذين ساعدوا مسلماً النيسابوري في كتابة أحاديث كتابه المعروف بصحيح مسلم، ان عدد أحاديث هذا الكتاب هو اثنا عشر ألف حديث، فقال في تذكرة الحفاظ: (وقال أحمد بن سلمة كتبت مع مسلم في صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث)[١].

غير ان الذهبي زعم في كتابي (تاريخ الإسلام) و(سير أعلام النبلاء) ان هذا العدد الذي ذكره أحمد بن سلمة يشمل الأحاديث المكررة أيضا، فقال في سير أعلام النبلاء: (قال أحمد بن سلمة: كنت مع مسلم في تأليف «صحيحه» خمس عشرة سنة. قال: وهو اثنا عشر ألف حديث. قلت: يعني بالمكرر، بحيث إنه إذا قال: حدثنا قتيبة، وأخبرنا ابن رمح يعدان حديثين، اتفق لفظهما أو اختلف في كلمة)[٢].

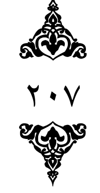
باء: وقد نص أبو قريش الحافظ وهو من معاصري مسلم النيسابوري على ان مسلما قد أودع في كتابه أربعة آلاف حديث فقط، فقد نقل المزي في كتاب (تهذيب الكمال) عن الحاكم أبي عبد الله انه قال: (سمعت أبا عمرو بن أبي جعفر يقول: سمعت أبا قريش الحافظ يقول: كنت عند أبي زرعة الرازي، فجاء مسلم ابن الحجاج فسلم عليه، وجلس ساعة، وتذاكرا، فلما أن قام، قلت له: هذا جمع أربعة آلاف حديث في «الصحيح» فقال أبو زرعة: فلم ترك الباقي. ثم قال: ليس لهذا عقل، لو دارى محمد بن يحيى لصار رجلا)[٣].

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ٥٨٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص ٥٦٦، وراجع تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢٠ ص ١٨٦.

(٣) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٦ ص ٦٢٧، وراجع أيضا: سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص٢٨٠ ـ ٢٨١.



جيم: وقال بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي المصري في كتابه (النكت على مقدمة ابن الصلاح): (وقال أبو حفص الميانشي» اشتمل كتاب مسلم على ثمانية آلاف حديث)[1].

دال: وقال عبد المحسن بن حمد العباد البدر في كتابه (الإمام مسلم وصحيحه): (وقد عد أحاديثه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي من المعاصرين وبلغت عنده بدون المكرَّر ثلاثة آلاف وثلاثة وثلاثين حديثا وقال: «وهو عمل ما سبقني إليه أحد من جميع المشتغلين بهذا الصحيح إذ كان جلُّ جهدهم أن يطلقوا عددا ما ورقما تخمينا وارتجالا لا يرتكز على أساس سليم، فجئت أنا بهذا الحصر كي أضع حدا حاسما فاصلا لهذا الاضطراب والبلبلة»)[2].

وأما المكررات في نظر الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي فعددها مائة وسبعة وثلاثون حديثا، إذ قال في (فهارس صحيح مسلم): (كرر مسلم في صحيحه ١٣٧ حديثا في مواضع متعددة منها ٧١ حديثا يضع الحديث منها في كتاب غير الكتاب الذي وضع الحديث فيه لأول مرة)[3] فيصبح العدد من وجهة نظر محمد فؤاد عبد الباقي هو ثلاثة آلاف ومائة وسبعين حديثا مكررا وغير مكرر.

هاء: وقال حاجي خليفة في (كشف الظنون): (وروي عن مسلم ان كتابه أربعة آلاف حديث أصول دون المكررات وبالمكررات سبعة آلاف ومائتان وخمسة

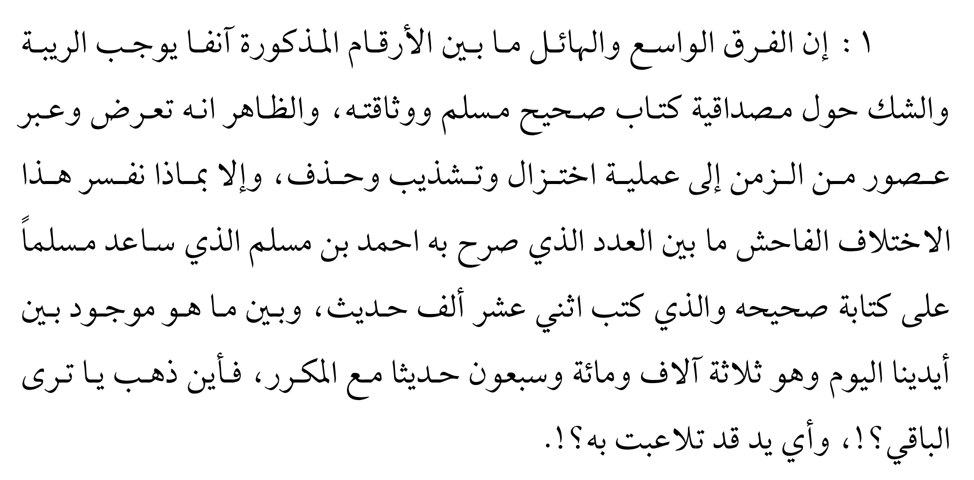
---

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي المصري ج١ ص١٩٠ ـ١٩٢.

(٢) الإمام مسلم وصحيحه لعبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة الثالثة ـ العدد الأول، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

(٣) فهارس صحيح مسلم لمحمد فؤاد عبد الباقي ص٦٠١ الطبعة الخامسة.





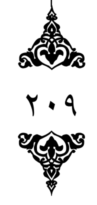
وسبعون حديثا)[١].

أقول وتوجد هاهنا عدة ملاحظات مهمة يجب التنبيه عليها:

١: إن الفرق الواسع والهائل ما بين الأرقام المذكورة آنفا يوجب الريبة والشك حول مصداقية كتاب صحيح مسلم ووثاقته، والظاهر انه تعرض وعبر عصور من الزمن إلى عملية اختزال وتشذيب وحذف، وإلا بماذا نفسر هذا الاختلاف الفاحش ما بين العدد الذي صرح به احمد بن مسلم الذي ساعد مسلماً على كتابة صحيحه والذي كتب اثني عشر ألف حديث، وبين ما هو موجود بين أيدينا اليوم وهو ثلاثة آلاف ومائة وسبعون حديثا مع المكرر، فأين ذهب يا ترى الباقي؟!، وأي يد قد تلاعبت به؟!.

٢: إن الاختلاف في العدد الحقيقي لأحاديث كتاب صحيح مسلم يعود بالتأكيد إلى الإحصاء الذي كان يقوم به كل شخص بحسب زمانه وظرفه، وهو يعكس مقدار ما تم حذفه واختزاله من الأحاديث في هذا الكتاب، ففي زمن مسلم النيسابوري والمتوفى في سنة (٢٦١ للهجرة) كان عدد أحاديث الكتاب هو اثني عشر ألف حديث، أما في زمن أبي حفص الميانشي المتوفى في سنة (٥٨١ للهجرة) فقد كان العدد هو ثمانية آلاف حديث، وفي وقتنا الحالي بلغت وكما أحصاها محمد فؤاد عبد الباقي ثلاثة آلاف ومائة وسبعين حديثا مع المكرر، وهو فرق مهول وخطير في الوقت نفسه، وهو يعني ان يد التلاعب والتزوير قد حذفت ما يقارب التسعة الآلاف حديث من هذا الكتاب، وسيأتي في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى ان واحداً من الأحاديث التي حذفت هو حديث (خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) وعلى هذا

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة ج ١ ص ٥٥٦.



الحديث فقس ما سواه، ومنه يتضح نوع الأحاديث التي تم حذفها والتلاعب بها، فكل حديث لا يرضيهم ويخالف عقيدتهم ويكشف سرا لا يحبون كشفه فانه يتم حذفه.

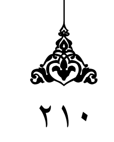
٣: حاول الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) التوفيق ما بين قول احمد بن سلمة الذي اعترف فيه بأن عدد أحاديث كتاب مسلم هو اثنا عشر ألف حديث، وما بين ما هو موجود في عصره، بأن عدد الاثني عشر ألف حديث يشمل الأحاديث المكررة، وفيما يأتي نص كلامه: (قال أحمد بن سلمة: كنت مع مسلم في تأليف «صحيحه» خمس عشرة سنة. قال: وهو اثنا عشر ألف حديث. قلت: يعني بالمكرر، بحيث إنه إذا قال: حدثنا قتيبة، وأخبرنا ابن رمح يعدان حديثين، اتفق لفظهما أو اختلف في كلمة)[1].

وهو كلام غير مقبول مطلقا، لان منهج مسلم النيسابوري في كتابه يخالف مسألة تكرار الحديث الواحد عدة مرات، إلا في حال اضطر إلى تكراره لعلة تستلزم التكرار، وقد صرح بهذا في مقدمة كتابه حيث قال: (ثم إنا إن شاء الله مبتدئون في تخريج ما سألت وتأليفه على شريطة سوف اذكرها لك وهو إنا نعمد إلى جملة ما أسند من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فنقسمها على ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة معنى أو إسناد يقع إلى جنب إسناد لعلة تكون هناك لان المعنى الزائد في الحديث المحتاج إليه يقوم مقام حديث تام فلابد من إعادة الحديث الذي فيه ما وصفنا من الزيادة أو أن يفصل ذلك المعنى من جملة الحديث على اختصاره إذا أمكن ولكن تفصيله ربما عسر من جملته فإعادته بهيئته إذا ضاق ذلك

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص ٥٦٦، وراجع تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢٠ ص ١٨٦.

أسلم فأما ما وجدنا بدا من إعادته بجملته من غير حاجة منا إليه فلا نتولى فعله إن شاء الله تعالى)[1].



فالقاعدة عنده هي عدم التكرار من دون حاجة، وعليه فمن غير المعقول أن يذكر مسلم ثلاثة آلاف حديث ثم يكررها ثلاثة أضعاف ليصبح المجموع اثني عشر ألف حديث.

ثم لو سلمنا جدلا بكلام الذهبي وقلنا بان صحيح مسلم مع المكرر يبلغ اثني عشر ألف حديث، فان هذا أيضا لا ينفي وقوع التلاعب والحذف والتزوير فيه، لأننا نسأل: لماذا لم يصل إلينا بجميع تلك المكررات؟، ولماذا لم يبقوا على الإثني عشر ألف حديث؟، ولماذا لم يصلنا منها سوى ثلاثة آلاف حديث، ومن الذي حذف البقية؟، وغير ذلك من الأسئلة كثير جدا، فاعتذار الذهبي لا يحل العقدة بل يحكمها أكثر وأكثر، وهو كما قال المثل: عذر أقبح من فعل.

هل أكمل مسلم النيسابوري تأليف كتابه وترتيبه قبل أن يموت؟ ومن الذي وضع عناوين أبواب كتابه؟

ذكرت مصادر عدة أنّ مسلم بن الحجاج النيسابوري مات قبل إتمام كتابه واستيعاب تراجمه وأبوابه، وقد نص على هذه الحقيقة كل من ابن عساكر والحاكم النيسابوري، وقد نقل الذهبي في أكثر من كتاب من كتبه كلام كل من ابن عساكر والحاكم، فقال في (سير أعلام النبلاء): (قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في أول «الأطراف» له بعد أن ذكر «صحيح البخاري»: ثم سلك سبيله مسلم بن الحجاج، فأخذ في تخريج كتابه وتأليفه، وترتيبه على قسمين، وتصنيفه. وقصد أن يذكر في

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٣.



القسم الأول أحاديث أهل الإتقان، وفي القسم الثاني أحاديث أهل الستر والصدق الذين لم يبلغوا درجة المتثبتين، فحالت المنية بينه وبين هذه الأمنية، فمات قبل استتمام كتابه غير أن كتابه مع إعوازه اشتهر وانتشر)[١]، وكذا قال حاجي خليفة في كشف الظنون نقلا عن ابن عساكر إلا انه زاد على كلام الذهبي قوله: (فمات قبل إتمام كتابه واستيعاب تراجمه وأبوابه غير أن كتابه مع إعوازه اشتهر وسار صيته في الآفاق وانتشر)[٢].

ونقل الذهبي كلام الحاكم في كتابه السابق بقوله: (وقال الحاكم: أراد مسلم أن يخرج " الصحيح " على ثلاثة أقسام، وعلى ثلاث طبقات من الرواة، وقد ذكر هذا في صدر خطبته، فلم يقدر له إلا الفراغ من الطبقة الأولى، ومات)[٣].

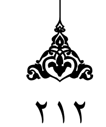
أقول: فكتاب صحيح مسلم وبالاعتماد على تصريح كل من ابن عساكر والحاكم ناقص غير تام وهو غير منقح منه فلا يمكن الاعتماد على مضمونه لاحتمال أنّ مسلما النيسابوري كان بهدف الجمع فقط لأحاديث كان ينوي ان يصححها ويرتبها ويهذبها فيما بعد فلم تمهله المنية للقيام بذلك، ويؤيد هذا الاحتمال ان مسلما النيسابوري شرط على نفسه أن لا يذكر في كتابه إلا الحديث الصحيح الذي اشتهر، كما سيأتي لاحقا لكنه ومع تقييد نفسه بهذا الشرط أخرج كثيراً من الأحاديث المعلولة ولرجال معلولين لم يتفق الجميع على توثيقها وتوثيقهم، مما يؤكد لنا ان مسلما النيسابوري كان بصدد جمع الأحاديث في المرتبة الأولى ومن ثم تهذيبها على شرطه لكن المنية عاجلته وحالت بينه وبين تهذيبه.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة ج ١ ص ٥٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص ٥٧٤.



وأما تبويب كتابه فقد اعترف عدة من محدثي أهل السنة وعلمائهم بان مسلما النيسابوري مات ولم يسمِّ الأبواب التي يشتمل عليها كتابه، وقد تدخل بعض الذين جاؤوا من بعده في كتابه فوضعوا عناوين لتلك الأبواب التي تركها مسلم بن الحجاج فارغة، قال النووي في شرحه لصحيح مسلم:

(ثم إن مسلما رحمه الله رتب كتابه على أبواب فهو مبوب في الحقيقة ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب فيه لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك قلت وقد ترجم جماعة أبوابه بتراجم بعضها جيد وبعضها ليس بجيد إما لقصور في عبارة الترجمة وإما لركاكة لفظها وإما لغير ذلك)[١].

وقال حاجي خليفة في كشف الظنون:

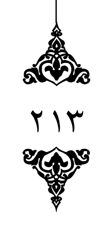
(ثم إن مسلما رتب كتابه على الأبواب ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب وقد ترجم جماعة أبوابه)[٢].

أقول: هذا تصريح واضح ودليل بيّن على حصول التلاعب من الآخرين بصحيح مسلم، وهذا ما يجعلنا لا نطمئن إلى باقي الكتاب بسبب احتمال حصول تلاعب في أصل أحاديثه وأسانيده، وهو احتمال له قيمة ويمكن أن يعول عليه بل ويمكن القطع بحصوله فيما لو ضممنا هذا التلاعب بأسماء الأبواب إلى ما سبق وما سيأتي من فعل «النساخ» الذين أضافوا إلى الكتاب كثيراً من آرائهم وأقوالهم وتعليقاتهم وأحاديثهم وأسانيدهم مع متن صحيح مسلم وأسانيده وأقواله.

---

(١) شرح مسلم للنووي ج ١ ص٢١.

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة ج ١ ص ٥٥٦.



هل كانت العلاقة ما بين مسلم والبخاري علاقة طيبة؟ وهل أثرت حدة أخلاق مسلم على تدوين السنة؟

قال الذهبي: (ثم إن مسلما، لحدة في خلقه، انحرف أيضا عن البخاري، ولم يذكر له حديثا، ولا سماه في «صحيحه»، بل افتتح الكتاب بالحط على من اشترط اللقيا لمن روى عنه بصيغة «عن»، وادعى الإجماع في أن المعاصرة كافية، ولا يتوقف في ذلك على العلم بالتقائهما، ووبخ من اشترط ذلك. وإنما يقول ذلك أبو عبد الله البخاري، وشيخه علي بن المديني، وهو الأصوب الأقوى. وليس هذا موضع بسط هذه المسألة)[1].

أقول: وقد أثرت هذه الحدة في خلق مسلم النيسابوري على سائر أفراد الأمة الإسلامية والى يوم القيامة، فقد تخاصم مسلم بن الحجاج مع محمد بن يحيى، ولسبب اقل ما يمكن أن يقال عنه انه تافه، امتنع مسلم بن الحجاج عن نقل كثير من الأحاديث والسنة النبوية التي كانت عند محمد بن يحيى التي كتبها مسلم النيسابوري عنه، وبسبب هذا الخلاف البسيط قام مسلم بجمع تلك الأحاديث في زنبيل وحملها إلى دار محمد بن يحيى وقال له لا اروي عنك أبدا، فعن ابن عساكر عن: (طاهر بن أحمد يقول سألت مكي بن عبدان لم ترك مسلم حديث محمد بن يحيى فقال وافى داود الأصبهاني نيسابور أيام إسحاق بن إبراهيم الحنظلي فعقدوا له مجلس النظر وحضر مجلسه يحيى بن محمد بن يحيى ومسلم بن الحجاج فجرت لهم مسألة تكلم فيها يحيى بن محمد بن يحيى فزبره داود وقال اسكت يا صبي ولم ينصره مسلم فرجع إلى أبيه وشكا إليه داود فقال محمد بن يحيى ومن كان في المجلس قال مسلم بن الحجاج ولم ينصرني قال قد رجعت عن كل ما حدثته به قال فبلغ مسلم

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص ٥٧٣.

قول محمد بن يحيى هذا فجمع ما كتب عنه وجعله في زنبيل وحمله إلى داره وقال لا أروي عنك أبدا)[1].



أقول: وكم من مرة ومرة أثرت هذه النزاعات الشخصية والخلافات ـ التي غالبا ما تنشأ عن أسباب تافهة ـ على تدوين السنة النبوية، وكم من كتاب احرق أو دفن أو اخفي لهذا السبب، وكم من راوٍ ترك حديثه ومات مع موته ولم يدونوه لأسباب التنافس والحسد والغيرة وغير ذلك من الأسباب التي لا تليق بعوام الناس وجهلتهم فضلا عن أهل الحديث وحملة الآثار، فضاعت بذلك آلاف الأحاديث والسنن النبوية، وخسرت الأمة الإسلامية بسبب ذلك تراثها ورصيدها الفكري والثقافي.

موقف أساتذة مسلم من تأليفه لكتاب الصحيح

عن سعيد بن عمرو البرذعي قال: (شهدت أبا زرعة ــ يعنى الرازي ــ ذكر كتاب الصحيح الذي ألفه مسلم بن الحجاج ثم الفضل الصائغ على مثاله فقال لي أبو زرعة هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه فعملوا شيئا يتشوفون به ألفوا كتابا لم يسبقوا إليه ليقيموا لأنفسهم رياسة قبل وقتها)[2].

وفي النص المنقول عن كل من المزي في (تهذيب الكمال) والذهبي في (سير أعلام النبلاء): (فقال لي أبو زرعة: هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه، فعملوا شيئا يتسوقون به[3]، ألفوا كتابا لم يسبقوا إليه، ليقيموا لأنفسهم رياسة قبل وقتها)[4].

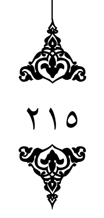
أقول: واعتراف كهذا من شخص كأبي زرعة الرازي له قيمة علمية كبيرة،

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٨ ص ٩٣.

(٢) راجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٥ ص ٢٩.

(٣) إلى هنا تنتهي عبارة الذهبي والبقية للمزي.

(٤) تهذيب الكمال للمزي ج ١ ص ٤١٩ ـ ٤٢٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص ٥٧١



لان أبا زرعة كان معاصرا لمسلم النيسابوري فهو مطلع على كثير من الملابسات والإشكالات المحيطة بشخص مسلم أكثر من الذين جاؤوا من بعده.

ثم ان شخصا مثل أبي زرعة كان ولا بد مطلعاً على كثير من الأدلة القاطعة التي حكم من خلالها على نوايا مسلم وأهدافه من تأليفه لكتابه الصحيح، وان الهدف منه كان التقدم قبل تحصيل مقومات التقدم، والتسوق والتشوف وكسب الشهرة أو المال، وليكون هذا الكتاب سلما يصعد من خلاله إلى الرئاسة.

وتعظم القيمة العلمية لكلام أبي زرعة إذا ما عرفنا مقام أبي زرعة العلمي؛ إذ كان يعد عند أهل السنة إماما من أئمة الحديث والعلم، فعن الخطيب البغدادي: (أبو زرعة وأبو حاتم إماما خراسان، ودعا لهما، وقال: بقاؤهما صلاح للمسلمين)[١]، وعده البخاري في الأدب المفرد من حفاظ الدنيا الأربعة[٢].

وربما حاول بعض المتحذلقين التخفيف من وطأة كلام أبي زرعة في حق مسلم النيسابوري وكتابه، فقال بان أبا زرعة حكم على صحيح مسلم من دون النظر إلى مضمونه فيصبح حكمه بالقدح غير مبرر وغير مفسر فيسقط عن الاعتبار.

وهي محاولة فاشلة لا ريب، لان أبا زرعة لم يحكم بما حكم به على صحيح مسلم إلا بعد تتبعه ومراجعته لكتابه، وفي هذه المراجعة والاطلاع رأى أنّ مسلماً النيسابوري قد روى عن رواة مقدوح في عدالتهم، وترك بعض الرواة المعروفين بالعدالة والثقة عند أهل الحديث، فحكم بعد ذلك بعدم مطابقة اسم الصحيح على كتابه، وقال كلمته التي تكشف عن نوايا مسلم وغيره من كتابة هذه الكتب التي يسمونها صحاحاً وهي بعيدة كل البعد عن الصحيح.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص٧٣.

(٢) الأدب المفرد للبخاري ص ٩.

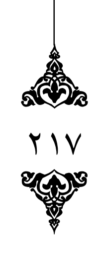
ويشهد على اطلاع أبي زرعة على صحيح مسلم ما أخرجه الخطيب البغدادي وغيره عن سعيد بن عمرو البرذعي الذي قال: (وأتاه ذات يوم ـ وأنا شاهد ـ رجل بكتاب الصحيح من رواية مسلم فجعل ينظر فيه فإذا حديث عن أسباط بن نصر فقال أبو زرعة ما أبعد هذا من الصحيح يدخل في كتابه أسباط بن نصر ثم رأى في كتابه قطن بن نسير فقال لي: وهذا أطم من الأول قطن بن نسير وصل أحاديث عن ثابت جعلها عن أنس ثم نظر فقال: يروى عن أحمد بن عيسى المصري في كتابه الصحيح. قال لي أبو زرعة: ما رأيت أهل مصر يشكون في أن أحمد بن عيسى ـ وأشار أبو زرعة إلى لسانه ـ كأنه يقول الكذب ثم قال لي: تحدث عن أمثال هؤلاء وتترك محمد بن عجلان ونظراءه وتطرق لأهل البدع علينا فيجدوا السبيل بأن يقولوا للحديث إذا احتج به عليهم ليس هذا في كتاب الصحيح ورأيته يذم من وضع هذا الكتاب ويؤنبه)[١].

وليس أبو زرعة وحده الذي كان ناقما على مسلم النيسابوري، فسعيد بن عمرو البرذعي ينقل تشنيع محمد بن مسلم بن واره وقدحه على كتاب مسلم النيسابوري، قال سعيد: (وقدم مسلم بعد ذلك الري فبلغني انه خرج إلى أبي عبد الله محمد بن مسلم بن واره فجفاه وعاتبه على هذا الكتاب وقال له نحوا مما قاله لي أبو زرعة: إن هذا تطرق لأهل البدع علينا. فاعتذر إليه مسلم وقال: إنما أخرجت هذا الكتاب وقلت: هو صحاح ولم أقل إن ما لم أخرجه من الحديث في هذا الكتاب ضعيف ولكني إنما أخرجت هذا من الحديث الصحيح ليكون مجموعا عندي وعند من يكتبه عني فلا يرتاب في صحتها ولم أقل إن ما سواه ضعيف)[٢].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٥ ص ٢٩.

(٢) المصدر نفسه.



موقف علماء السنة من بعض أحاديث صحيح مسلم

كثيرة هي الأحاديث التي ردها كثير من علماء أهل السنة والتي هي مدونة في كتاب مسلم الموصوف بالصحيح، وذكرها بأجمعها يحتاج إلى تصنيف مستقل بذاته لكثرتها، غير اننا وإتماما للفائدة نذكر للقارئ الكريم أنموذجا واحدا من تلك الأحاديث مع تعليق علماء أهل السنة عليه ليتبين لنا ولكل منصف أن وصف الصحيح الذي أطلق على كتاب مسلم إنما أُطلق جزافا ومكابرة، وان قول بعض المكابرين أن صحيح مسلم قد تلقته الأمة بالقبول والتسليم كذب محض لا دليل عليه، لان الأمة لاسيما علماؤها قد ناقشوا كثيرا من أحاديث ذلك الكتاب بل كذبوها ورموها بالوضع وعابوا على مسلم ولاموه إخراج مثل هذه الأحاديث في صحيحه كما سنرى فيما يأتي.

أخرج مسلم في كتابه: (حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يَا نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ قَالَ نَعَمْ قَالَ عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أُزَوِّجُكَهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلاّ قَالَ نَعَمْ)[1].

وقال البيهقي في (السنن الكبرى): (رواه مسلم في الصحيح عن عباس بن عبد العظيم وأحمد بن جعفر، فهذا أحد ما اختلف البخاري ومسلم فيه، فأخرجه مسلم بن الحجاج وتركه البخاري، وكان لا يحتج في كتابه الصحيح بعكرمة بن

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٧١.



عمار، وقال لم يكن عنده كتاب فاضطرب حديثه، «قال الشيخ» رحمه الله وهذا الحديث في قصة أم حبيبة رضي الله عنها قد أجمع أهل المغازي على خلافه، فإنهم لم يختلفوا في أن تزويج أم حبيبة رضي الله عنها كان قبل رجوع جعفر بن أبي طالب وأصحابه من أرض الحبشة، وإنما رجعوا زمن خيبر فتزويج أم حبيبة كان قبله، وإسلام أبي سفيان بن حرب كان زمن الفتح أي فتح مكة، بعد نكاحها بسنتين أو ثلاث، فكيف يصح أن يكون تزويجها بمسألته)[1].

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال، ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وهذا مشهور لا خلاف فيه، وكان النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل، قال أبو عبيدة وخليفة بن خياط وابن البرقي والجمهور تزوجها سنة ست وقيل سنة سبع... قال القاضي والذي في مسلم هنا أنه زوجها أبو سفيان غريب جدا، وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة في حال كفره مشهور، ولم يزد القاضي على هذا، وقال ابن حزم هذا الحديث وهم من بعض الرواة، لأنه لا خلاف بين الناس أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر، وهي بأرض الحبشة وأبوها كافر، وفي رواية عن ابن حزم أيضا أنه قال موضوع قال والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل)[2].

وقال الزيلعي في (تخريج الأحاديث والآثار): (قال عبد الحق في الجمع في الصحيحين لم يخرجه البخاري، والصحيح أنه عليه السلام تزوجها قبل إسلام أبي

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ١٤٠.

(٢) شرح مسلم للنووي ج ١٦ ص ٦٣ ـ ٦٤.



سفيان انتهى، وقول أبي سفيان يوم الفتح للنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أسألك ثلاثا فذكر منهن أن يتزوج رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أم حبيبة يعني ابنته فأجابه عليه السلام لما سأل قال وهذا مخالف لما اتفق عليه أرباب السير والعلم بالخبر قال وأجاب عنه الحافظ المنذري جوابا يتساول هزلا فقال يحتمل أن أبا سفيان ظن أنه تجددت له عليها ولاية بما حصل له من الإسلام فأراد تجديد العقد يوم ذاك لا غير)[1].

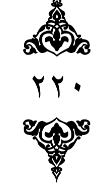
وقال ابن كثير في (البداية والنهاية): (قال ابن الأثير وهذا الحديث مما أنكر على مسلم، لان أبا سفيان لما جاء يجدد العقد قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثنت عنه فراش النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال والله ما أدري أرغبت بي عنه أو به عني؟ قالت بل هذا فراش رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وأنت رجل مشرك. فقال والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر وقال ابن حزم هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار وهذا القول منه لا يتابع عليه...)[2].

وقال المقريزي في (إمتاع الأسماع): (قال أبو عبيد الله محمد بن أبي نصر الحميدي رحمه الله: قال لنا بعض الحفاظ: هذا الحديث وهم فيه بعض الرواة، لأنه لا خلاف بين اثنين من أهل المعرفة بالأخبار، أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم تزوج أم حبيبة رضي الله عنها قبل الفتح بدهر وهي بأرض الحبشة، وأبوها كافر يومئذ قال كاتبه: وقد استغرب من مسلم رحمه الله كيف لم ينتبه لهذا الحديث؟ فإنه لا يخفى عليه أن أبا سفيان إنما أسلم ليلة فتح مكة، وقد كان بعد تزويج رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أم حبيبة بأكثر من سنة بلا خلاف، وقد

---

(١) تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ٣ ص ٤٥٨.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٦٥.



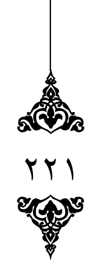
أشكل هذا الحديث على الناس واختلفوا فيه، ووجه إشكاله أن أم حبيبة تزوجها رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قبل إسلام أبي سفيان كما تقدم، زوجها إياه النجاشي، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قبل أن يسلم أبوها، فكيف يقول بعد الفتح: أزوجك أم حبيبة؟ فقالت طائفة من أهل الحديث: هذا الحديث كذب لا أصل له. قال أبو محمد علي بن سعيد بن حزم: كذبه عكرمة بن عمار وحمل عليه... ولم يرد القاضي «عياض» على استشكال الحديث فقال: والذي وقع في مسلم من هذا غريب جدا عند أهل الخبر، وخبرها مع أبي سفيان عند وروده المدينة بسبب تجديد الصلح ودخوله عليها مشهور)[1].

وقد رد الذهبي على هذا الحديث في كتابه سير أعلام النبلاء عند حديثه عن عكرمة فقال: (قلت: قد ساق له مسلم في الأصول حديثا منكرا، وهو الذي يرويه عن سماك الحنفي، عن ابن عباس، في الأمور الثلاثة التي التمسها أبو سفيان، من النبي ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ)[2].

وقال السقاف في مقدمة كتاب (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه): (قلت: هذا حديث موضوع وهو أحد الأحاديث الثلاثة الموضوعة التي في صحيح الإمام مسلم. ومن دلائل وضعه: أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كان قد تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان قبل فتح مكة بدهر، ولما زارها أبو سفيان في المدينة وهو مشرك نحته عن فراش رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لأنه مشرك نجس ساعتئذ وهذا مشهور ومعلوم... وقال الحافظ ابن الجوزي في هذا الحديث: " هو وهم من بعض الرواة لا شك فيه ولا تردد، وقد اتهموا به عكرمة بن عمار

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي ج ٦ ص ٦٧ ـ ٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٧ ص ١٣٧.



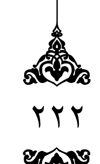
راوي الحديث، وإنما قلنا: إن هذا وهم لأن أهل التاريخ أجمعوا على أن أم حبيبة كانت تحت عبيد الله بن جحش، وولدت له، وهاجر بها وهما مسلمان إلى أرض الحبشة، ثم تنصر وثبتت أم حبيبة على دينها، فبعث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إلى النجاشي يخطبها عليه، فزوجه إياها، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أربعة آلاف درهم، وذلك في سنة سبع من الهجرة وجاء أبو سفيان في زمن الهدنة وهي التي كانت بين النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وبين قريش في صلح الحديبية فدخل عليها، فثنت بساط رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حتى لا يجلس عليه، ولا خلاف في أن أبا سفيان ومعاوية أسلما في فتح مكة سنة ثمان، ولا يعرف أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أمر أبا سفيان)[1].

كيف وصل إلينا كتاب صحيح مسلم؟

من أهم المسائل التي يحكم على أساسها بوثاقة كتاب معين واعتباره أو عدم اعتباره هي مسألة وثاقة الصدور، فأي كتاب ولكي يكون معتبرا لابد أن يوثق بالطريق أو الطرق التي وصل من خلالها ذلك الكتاب، ونقصد بالطرق كل الرجال الذين انتقل الكتاب من خلالهم، وكيفية تحمل هؤلاء الرجال لهذا الكتاب، فهل تم تحملهم عن طريق السماع أو عن طريق الوجادة أو غيرها من طرق التحمل الأخرى، لان في كل طريقة من طرق التحمل درجة من الوثاقة والاعتبار تختلف عن الطريقة الأخرى.

وكتاب صحيح مسلم وان كان قد كتبت له الشهرة والانتشار لأسباب ليس هنا محل بيانها، إلا انه لم ينقل عن مسلم إلينا إلا بطريقين فقط، كما نبه على ذلك

(١) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي ص ٥٢ ـ ٥٣.



النووي في شرحه لكتاب مسلم حيث قال: (صحيح مسلم رحمه الله في نهاية من الشهرة وهو متواتر عنه من حيث الجملة فالعلم القطعي حاصل بأنه تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج وأما من حيث الرواية المتصلة بالإسناد المتصل بمسلم فقد انحصرت طريقه عنده في هذه البلدان والأزمان في رواية أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم ويروي في بلاد المغرب مع ذلك عن أبي محمد أحمد بن علي القلانسي عن مسلم)[1].

ولكن كل واحد من هذين الطريقين مطعون في صحته لأسباب كثيرة، منها أن كلاً من (إبراهيم بن محمد بن سفيان) و(أحمد بن علي القلانسي) لم نقف له على ترجمة تصرح بوثاقته في كتب أهل العلم المعتبرة، نعم ذكر بعض المدح لإبراهيم بن محمد بن سفيان من حيث العبادة والزهد لا من حيث الوثاقة والضعف، حتى ان النووي لما تصدى لترجمة حاله ووثاقته لم يذكر قولا واحدا يشير إلى وثاقته في الرواية والنقل، واقتصر على الإشارة إلى عبادته وزهده واستجابة دعائه فقال: (أما شيخنا أبو إسحاق فكان من أهل الصلاح والمنسوبين إلى الخير والفلاح معروفا بكثرة الصدقات وإنفاق المال في وجوه المكرمات ذا عفاف وعبادة ووقار وسكينة وصيانة بلا استكبار توفي رحمه الله بالإسكندرية اليوم السابع من رجب سنة أربع وستين وستمائة)[2] وكذا فعل كل من ذكره على حسب ما تتبعناه.

أقول: إن وصف (إبراهيم بن محمد بن سفيان) بالتقوى والدين والورع واستجابة الدعاء والعبادة والوقار كل هذه الأمور لا تدل على وثاقته ونزاهته،

---

(١) شرح مسلم للنووي ج ١ ص ١١.

(٢) المصدر السابق ص٧.



فكم من عابد صالح تقي وقور كان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما أخرج مسلم نفسه حديثا أو أكثر يؤكد هذه الحقيقة، فعن محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قال: (لم نر الصالحين في شيء اكذب منهم في الحديث قال ابن أبي عتاب فلقيت انا محمد بن يحيى بن سعيد القطان فسألته عنه فقال عن أبيه لم تر أهل الخير في شيء اكذب منهم في الحديث)[1]، وقال الشوكاني: (ورواية المنكرات كثير ما تعتري الصالحين لقلة تفقدهم للرواة، لذلك قيل: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث)[2] فيصبح بذلك إبراهيم بن محمد بن سفيان مجهول الوثاقة ومن كان مجهول الوثاقة ضعف نقله ولم يوثق بقوله.

نعم قد ذكر الذهبي في (سير أعلام النبلاء) تعريفا له ذكر فيه أشياء كثيرة منها ان إبراهيم بن محمد بن سفيان كان من أئمة الحديث فقال: (ابن سفيان: الإمام القدوة الفقيه، العلامة المحدث الثقة، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري، من تلامذة أيوب بن الحسن الزاهد الحنفي. وكان من أئمة الحديث. سمع «الصحيح» من مسلم بفوت، رواه وجادة وهو في الحج، وفي الوصايا، وفي الإمارة، وذلك محرر مقيد في النسخ، يكون مجموعه سبعا وثلاثين قائمة)[3].

أقول: لقد اكتشف الذهبي أن عدم وجود توثيق لإبراهيم بن محمد بن سفيان معناه ضرب وإسقاط لثالث كتاب معتمد عند السنة بعد كتاب الله سبحانه وتعالى وكتاب صحيح البخاري، فعمد إلى توثيقه لتلافي هذه المصيبة، ولكننا نسأل الذهبي إذا كان إبراهيم بن محمد بن سفيان إماما وقدوة وفقيها وعلاّمة ومن أئمة الحديث

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٣ ـ ١٤.

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ص ٤١.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٤ ص ٣١١ ـ ٣١٢.

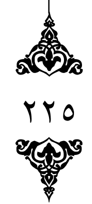
فلماذا لم تذكره كتب الرجال والجرح والتعديل بالوثاقة على اقل التقادير؟ ولماذا لم يصفوه عند ترجمته إلا بالزهد والعبادة؟ وإذا كان من أئمة الحديث فكيف اغفلوا ذكره بينما ترجموا لأناس بالكاد يذكرون ويعرفون؟ فهل خفي على أئمة الجرح والتعديل خبره ووثاقته؟ بالطبع لا يخفى عليهم ذلك لو كان موجودا، وبالخصوص لرجل يروي كتاب صحيح مسلم، فالذهبي لم يبين من أين حصل له العلم بان إبراهيم بن محمد بن سفيان من أئمة الحديث مع أن أئمة الحديث معروفة أسماؤهم وأحوالهم وتراجمهم ولم يذكر احد أن محمدا بن إبراهيم كان واحدا منهم، وعليه يصبح توثيق الذهبي له مما لا شاهد له ولا دليل يعضده فيبقى على جهالته والمجهول لا يؤخذ عنه قول، وعليه فلا نستطيع قبول كتاب صحيح مسلم لعدم الوثوق بطريق نقله وصحة صدوره.

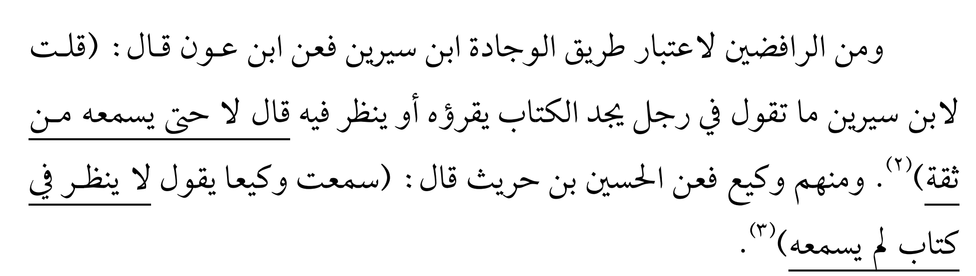
ولا يقتصر الأمر والحكم بالجهالة والضعف على كل من (إبراهيم بن محمد ابن سفيان) و(أحمد بن علي القلانسي) بل يشترك معهما أشخاص آخرون قد ذكروا في الإسنادين اللذين وصل بهما كتاب صحيح مسلم، تركناهم لعدم رغبتنا في الإطالة أكثر من ذلك.

وتوجد علة أخرى فيما يخص موضوع نقل صحيح مسلم وتحمّله تضاف إلى جهالة الناقلين، وهذه العلة هي عدم وصول كتاب صحيح مسلم إلينا اليوم عن طريق السماع، إلا ما قيل عن سماع إبراهيم بن محمد بن سفيان، والذي اعترف الذهبي بان سماعه ناقص، قد روى الكثير من أجزاء كتاب صحيح مسلم بالوجادة، وليس بالسماع.

والوجادة كما هو مقرر في محله أدنى درجة من السماع من حيث الوثاقة والاطمئنان، هذا إن قلنا بقبولها، وذلك لان هنالك مجموعة من أئمة الحديث لم

يكونوا يقبلون أن يؤخذ الكتاب أو الحديث بالوجادة واشترطوا لصحة الأخذ والوثوق السماع، ومن هؤلاء عمر بن الخطاب حيث روي عنه قوله: (عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا وجد أحدكم كتابا فيه علم لم يسمعه من عالم فليدع بإناء وماء فلينقعه فيه حتى يختلط سواده مع بياضه)[1].





ومن الرافضين لاعتبار طريق الوجادة ابن سيرين فعن ابن عون قال: (قلت لابن سيرين ما تقول في رجل يجد الكتاب يقرؤه أو ينظر فيه قال لا حتى يسمعه من ثقة)[2]. ومنهم وكيع فعن الحسين بن حريث قال: (سمعت وكيعا يقول لا ينظر في كتاب لم يسمعه)[3].

وقد علق الذهبي على ما قاله أبو عبد الله الحاكم من ان إسحاق، وابن المبارك، ومحمد بن يحيى هؤلاء دفنوا كتبهم، قائلا: (قلت: هذا فعله عدة من الأئمة، وهو دال أنهم لا يرون نقل العلم وجادة، فإن الخط قد يتصحف على الناقل، وقد يمكن أن يزاد في الخط حرف فيغير المعنى، ونحو ذلك. وأما اليوم فقد اتسع الخرق، وقل تحصيل العلم من أفواه الرجال، بل ومن الكتب غير المغلوطة، وبعض النقلة للمسائل قد لا يحسن أن يتهجى)[4].

فكتاب صحيح مسلم على وفق ما سبق غير مقبول كله أو أكثره عند عمر ابن الخطاب وعند ابن سيرين وعند وكيع وعند كثير من الأئمة الذين قال عنهم أبو عبد الله الحاكم إنهم لا يرون نقل العلم بالوجادة.

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٣٩٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق ص٣٩١.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١١ ص ٣٧٧.



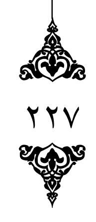
هذا ما يتعلق بالراوي المباشر عن مسلم النيسابوري وهو إبراهيم بن محمد بن سفيان، أما الراوي الثاني الذي نقل كتاب صحيح مسلم عن إبراهيم بن محمد بن سفيان وهو الجلودي فأمره أعجب وأعظم لأنه قد سمع كتاب صحيح مسلم عن إبراهيم وكتبها ثم ضاع منه هذا الكتاب المسموع فتدبر نسخة ثانية غير مسموعة ثم أخذها وحدث بها وأوهم الناس بأنها النسخة المسموعة، قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (الجلودي الإمام الزاهد القدوة الصادق، أبو أحمد النيسابوري الجلودي، راوي «صحيح مسلم» عن إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه... ضاعت سماعاته من ابن سفيان، فنسخ البعض من نسخة لم يكن له فيها سماع)[1].

فيكون كتاب صحيح مسلم بذلك وغيره ساقط الحجية لأسباب عدة أهمها ضعف الواسطة التي نقلت لنا هذا الكتاب وجهالتها، ولأنه منقول من إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مؤلفه مسلم النيسابوري بالوجادة، ولان الجلودي الذي سمع الكتاب من إبراهيم بن محمد بن سفيان قد ضاع كتابه المسموع ودلس على الناس فاخرج لهم نسخة ثانية غير مسموعة، فالتي وصلت الى الناس اليوم والمنتشرة بين الناس هي هذه النسخة غير المسموعة.

ما هو شرط مسلم النيسابوري لقبول الحديث أو رفضه؟

من يرجع إلى المقدمة التي كتبها مسلم في بداية كتابه ـ إن ثبتت فعلا انها له ـ يجد انه قد ألف كتابه بناء على طلب شخص مجهول لم يذكر اسمه في المقدمة، ولم أقف عليه في غير كتابه، والذي قد طلب منه أن يكتب له: (جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في سنن الدين وأحكامه وما كان منها في الثواب

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.



والعقاب والترغيب والترهيب وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التي بها نقلت وتداولها أهل العلم فيما بينهم)[١].

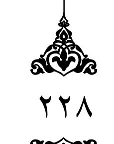
فأجابه مسلم النيسابوري بقوله: (ثم إنا إن شاء الله مبتدئون في تخريج ما سألت وتأليفه على شريطة سوف اذكرها لك وهو إنا نعمد إلى جملة ما أسند من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فنقسمها على ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس... فأما القسم الأول فانا نتوخى أن نقدم الأخبار التي هي أسلم من العيوب من غيرها وأنقى من أن يكون ناقلوها أهل استقامة في الحديث وإتقان لما نقلوا لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ولا تخليط فاحش... فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخبارا يقع في أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المقدم قبلهم على أنهم وان كانوا فيما وصفنا دونهم فان اسم الستر والصدق وتعاطي العلم يشملهم... فأما ما كان منها عن قوم هم عند أهل الحديث متهمون أو عند الأكثر منهم فلسنا نتشاغل بتخريج حديثهم كعبد الله بن مسور أبي جعفر المدائني وعمرو بن خالد وعبد القدوس الشامي ومحمد بن سعيد المصلوب وغياث بن إبراهيم وسليمان بن عمرو أبي داود النخعي وأشباههم ممن اتهم بوضع الأحاديث وتوليد الأخبار وكذلك من الغالب على حديثه المنكر أو الغلط أمسكنا أيضا عن حديثهم)[٢].

وقال مسلم أيضا: (واعلم وفقك الله تعالى أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه وان يتقي منها ما كان منها عن

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٢.

(٢) صحيح مسلم ص ٣ ـ ٥.



أهل التهم والمعاندين من أهل البدع)[١].

فنستطيع ومن خلال هذه السطور التي أوضح فيها مسلم النيسابوري خطته في تدوين أحاديث كتابه أن نستكشف الموازين التي اعتمدها كمنهج وقاعدة يبني عليها روايات كتابه، وهذا المنهج يتلخص بثلاث نقاط هي:

أولا: إن نقلة الأخبار عند مسلم ينقسمون على ثلاث طبقات هم كل من:

أ: أهل استقامة في الحديث وإتقان لما نقلوا لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ولا تخليط فاحش.

ب: من هم اقل استقامة واتقانا من الطبقة السابقة، ومن المستورين أي من الذين لم يعرفوا ويشتهروا بكذب أو تدليس أو غير ذلك من العلل.

ج: من هو متهم عنده أو عند الأكثر بوضع الأحاديث وتوليد الأخبار أو الغالب على حديثه المنكر أو الغلط.

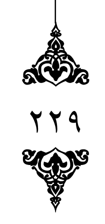
فأخرج مسلم النيسابوري عن الطبقة الأولى، وربما اضطر إلى النقل عن الطبقة الثانية، أما الطبقة الثالثة فقد امسك عنها ولم يخرج لها شيئا بزعمه.

ثانيا: انه لا يخرج الأحاديث التي فيها علة كالإرسال والشذوذ والتدليس والكذب وغيرها من أنواع العلة ومصاديقها عند أهل الحديث، قال مسلم: (المرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة)[٢].

وقال النووي في شرحه لكتاب صحيح مسلم: (قال الشيخ الإمام أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله شرط مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه أن يكون الحديث متصل الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه سالما من الشذوذ والعلة قال

(١) المصدر السابق ص٦.

(٢) صحيح مسلم ج١ ص٢٤ باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن.



وهذا حد الصحيح فكل حديث اجتمعت فيه هذه الشروط فهو صحيح بلا خلاف بين أهل الحديث)[١].

وقال العيني في كتابه (عمدة القاري): (والظاهر أن شرطهما ـ أي البخاري ومسلم ـ اتصال الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من مبتداه إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة)[٢].

ثالثا: ولم يرَ صحة الاحتجاج بأحاديث أهل البدع، وأهل البدع على وفق التصور السني هم كل من يخالف قول أهل السنة ورأيهم كالخوارج والشيعة وغيرهم، وقد مر ما يدل على هذا في قوله السابق: (واعلم وفقك الله تعالى أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه وان يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع)[٣].

التناقض والتضارب في منهج كتاب صحيح مسلم

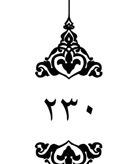
من المؤسف أن نقول بأننا قد وجدنا ووجد الآخرون ان جميع تلك القواعد والموازين التي ذكرها مسلم في المقدمة أو أغلبها قد خالفها في أثناء تدوينه لأحاديث كتابه، وقد اخترنا للقارئ الكريم ثلاثة نماذج من هذه التناقضات ما بين المنهج والتطبيق، وتركنا الخوض في الباقي، لان الخوض في ذكر جميعها واستقصاء مصاديقها يحتاج إلى وقت طويل وصفحات كثيرة تخرجنا من حد الاعتدال، وهذه التناقضات هي:

---

(١) شرح مسلم للنووي ج ١ ص ١٥.

(٢) عمدة القاري للعيني ج ١ ص ٦.

(٣) المصدر السابق ص٦.



١: الروايات المرسلة في صحيح مسلم

ووقوع الإرسال في بعض أحاديث كتاب صحيح مسلم أمر مفروغ منه وقد اعترف السيوطي في كتاب تدريب الراوي بهذه الحقيقة حيث قال: (وقع في صحيح مسلم أحاديث مرسلة فانتقدت عليه)[١] وقد اقر بكونها عشرة أحاديث لا غير فقال: (وفيه من هذا النمط نحو عشرة أحاديث)[٢].

وقد ألف الحافظ رشيد الدين أبو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي المصري العطار المالكي كتابا أسماه (غرر الفوائد المجموعة في بيان ما وقع في صحيح مسلم من الأحاديث المقطوعة) وقد جمع فيه عشرات الأحاديث التي أخرجها مسلم بن الحجاج مرسلة أو مقطوعة الإسناد، أو موصوفة بالوجادة التي هي قسم من أقسام المقطوع، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى هذا الكتاب.

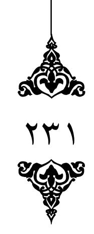
أنموذج من مراسيل مسلم في كتابه

وقد نشرت مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية بحثا للدكتور عواد الخلف بعنوان (مراسيل صحيح مسلم، جمع ـ دراسة ـ تحليل) ذكر فيه تسع عشرة رواية مرسلة موجودة في كتاب صحيح مسلم، وقد حاول الباحث بحده وحديده أن يثبت براءة مسلم النيسابوري وكتابه من تهمة الإرسال بكل حيلة وطريقة، إلا انه على رغم محاولاته اليائسة اعترف بفشله في حل عقدة الإرسال عن بعض تلك الأحاديث، وفيما يأتي أنموذج من اعترافه بعدم استطاعته إيجاد حل يخرج مسلماً وكتابه من ورطتهما.

---

(١) تدريب الراوي للسيوطي ج١ ص٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه.



ففيما يخص الحديث الذي أخرجه مسلم بقوله: (حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا المعتمر حدثنا أبي حدثنا أبو العلاء بن الشخير قال كان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ينسخ حديثه بعضه بعضا كما ينسخ القرآن بعضه بعضا)[1].

قال الدكتور عواد الخلف في كتابه المزبور: (الكلام على الحديث):

«١: مرسله هو التابعي الكبير يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري البصري، ثقة، وقد وهم من زعم أن له رؤية.

٢: الحديث لم يرو مسنداً من هذا الطريق، لذا ضعفه عدد من أهل العلم، وقد جاء من طريقين آخرين مسندين إلا أن فيهما ضعفاً... ـ ثم ذكر الإسنادين الضعيفين ثم عقب بقوله ـ وقال الرشيد العطار عن هذا الرواية المرسلة: لا أعلم أحدًا رواه عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم من وجه يصح»[2].

فعجز الدكتور عواد الخلف كما عجز من قبله رشيد العطار صاحب كتاب (غرر الفوائد المجموعة في بيان ما وقع في صحيح مسلم من الأحاديث المقطوعة) في إيجاد دواء لداء هذا الحديث المرسل، وهو غيض من فيض، فكم من محاولة لرقع هذا الخرق باءت بالفشل وكم من جهد لحل هذا المعضل ضاع سدى، ولو تتبعنا بقية المراسيل لوجدناها على هذه الشاكلة.

أقول: والعجيب ان كلاً من رشيد العطار والدكتور عواد الخلف لم يذكرا في

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٨٥.

(٢) مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية المجلد الثالث العدد الثاني لجمادى الأولى لسنة ١٤٢٧ للهجرة الموافق لشهر يونيو لسنة ٢٠٠٦ للميلاد، اسم البحث (مراسيل صحيح مسلم، جمع ـ دراسة ـ تحليل) للدكتور عواد الخلف.

بحثيهما عن الأحاديث المرسلة في صحيح البخاري، أي شيء عن (الحسن بن أبي الحسن البصري) المشهور باسم (الحسن البصري) أي صغيرة أو كبيرة، مع أن مسلما النيسابوري أخرج له في صحيحه، وهو من المعروفين والمشهورين بالإرسال والتدليس، أي إنه غير مستور، وهو مخالف لشرط من شروط مسلم التي قررها في مقدمة كتابه، وقد وصفه بكثرة الإرسال عدة من علماء أهل السنة منهم الحافظ احمد بن علي بن محمد بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني في كتابه (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس المعروف بطبقات المدلسين) فقال: (الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام المشهور من سادات التابعين رأى عثمان وسمع خطبته ورأى عليا ولم يثبت سماعه منه كان مكثرا من الحديث ويرسل كثيرا عن كل أحد، وصفه بتدليس الإسناد النسائي وغيره)[١].

ومن الذين وصفوه بكثرة التدليس والإرسال الحافظ صلاح الدين العلائي، إذ قال: (الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار أحد الأئمة الأعلام تقدم أنه كثير التدليس وهو مكثر من الإرسال... فروايته عن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مرسلة بلا شك وكذلك عن علي رضي الله عنه أيضا لأن عليا خرج إلى العراق عقب بيعته وأقام الحسن بالمدينة فلم يلقه بعد ذلك قال أبو زرعة وغيره وفي سنن أبي داود والنسائي روايته عن سعد بن عبادة وهي مرسلة بلا شك...)[٢].

وقال الحافظ صلاح الدين العلائي أيضا في كتابه (جامع التحصيل في أحكام المراسيل): (الحسن بن أبي الحسن البصري من المشهورين بذلك ـ أي بالتدليس ـ)[٣].

---

(١) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس المعروف بطبقات المدلسين للحافظ احمد بن علي بن محمد بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني ج١ ص٢٩.

(٢) جامع التحصيل في أحكام المراسيل للحافظ صلاح الدين العلائي ج١ ص١٦٢.

(٣) جامع التحصيل في أحكام المراسيل للحافظ صلاح الدين العلائي ج١ ص١٠٥.



٢: روايات المدلسين في صحيح مسلم

ذكرنا سابقا ان التدليس من العيوب التي ابتلي بها كثير من رواة الحديث، وصفة التدليس من الصفات المذمومة عند كثير من أئمة الحديث وشيوخه، فقد عدّها شعبة أشد من الزنى فقد كان يقول: (التدليس في الحديث أشد من الزنا ولان أسقط من السماء أحب إلي من أن أدلس)[١].

والتدليس كان يعد عند كثير من أعلام السنة مرادفا للكذب، كما نقله الحسن بن علي حيث كان: (يقول سمعت أبا أسامة يقول خرب الله بيوت المدلسين ما هم عندي إلا كذابون)[٢].

وعن خالد بن خداش قال: (قال سمعت حماد بن زيد يقول التدليس كذب ثم ذكر حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور قال حماد ولا أعلم المدلس إلا متشبعا بما لم يعط)[٣].

والتدليس يعد علة يرد لأجلها الحديث، وقد قبله البعض لكن بشروط لا يمكن شرحها في هذه الأوراق المختصرة، فكان ينبغي على مسلم بن الحجاج أن لا يخرجها في كتابه لأنه اشترط على نفسه إيراد الأحاديث التي ليس فيها علة.

وفي كتاب مسلم ستة وثمانون راويا اتهموا بالتدليس، ولولا خوف الإطالة لأتينا على آخرهم بالذكر والتعداد، لكننا نختار جملة منهم فيما يأتي من كلام:

١: الحسن بن أبي الحسن المعروف بالحسن البصري

وقد مر الكلام عنه.

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٣٩٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٣٩٤.



٢: سعيد بن أبي عروبة

وصفه العلائي بقوله: (سعيد بن أبي عروبة مشهور بالتدليس ذكره به غير واحد)[١].

وقال ابن حجر العسقلاني: (سعيد بن أبي عروبة البصري رأى أنسا رضي الله تعالى عنه وأكثر عن قتادة وهو ممن اختلط ووصفه النسائي وغيره بالتدليس)[٢].

٣: الوليد بن مسلم الدمشقي

قال عنه ابن حجر: (الوليد بن مسلم الدمشقي معروف موصوف بالتدليس الشديد مع الصدق)[٣].

وقال ابن عساكر: (وذكر أبو بكر أحمد بن محمد بن حجاج المروذي قال قلت لأحمد بن حنبل في الوليد قال هو كثير الخطأ)[٤].

وعن عثمان بن أحمد قال: (حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت يحيى بن معين يقول قال أبو مسهر كان الوليد يأخذ من ابن أبي السفر حديث الأوزاعي وكان ابن أبي السفر كذاباً وهو يقول فيها قال الأوزاعي)[٥].

عن أبي مسهر قال: (كان الوليد بن مسلم يحدث بأحاديث الأوزاعي عن الكذابين ثم يدلسها عنهم)[٦].

---

(١) جامع التحصيل في أحكام المراسيل للحافظ صلاح الدين العلائي ج١ ص١٠٦.

(٢) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس المعروف بطبقات المدلسين للعلامة الحافظ احمد ابن علي بن محمد بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني ج١ ص٣١.

(٣) المصدر السابق ص٥١.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٦٣ ص ٢٩١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

صالح بن محمد الحافظ قال: (سمعت الهيثم بن خارجة يقول قلت للوليد بن مسلم قد أفسدت حديث الأوزاعي، قال: كيف؟ قلت: يروي عن الأوزاعي، عن نافع وعن الأوزاعي عن الزهري، وعن الأوزاعي عن يحيى بن سعيد وغيرك يدخل بين الأوزاعي وبين نافع عبد الله بن عامر الأسلمي وبينه وبين الزهري إبراهيم بن مرة وقرة وغيرهما فما يحملك على هذا قال أنبل الأوزاعي أن يروي عن مثل هؤلاء قلت فإذا روى الأوزاعي عن هؤلاء وهؤلاء ضعفاء أحاديث مناكير فأسقطتهم أنت وصيرتها من رواية الأوزاعي عن الثقات ضعف الأوزاعي فلم يلتفت إلى قولي)[1].

عن أبي الحسن الدارقطني قال: (الوليد بن مسلم مرسل يروي عن الأوزاعي أحاديث عند الأوزاعي عن شيوخ ضعفاء عن شيوخ قد أدركهم الأوزاعي مثل نافع وعطاء والزهري ويسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعي عن نافع وعن الأوزاعي عن عطاء يعني مثل عبد الله بن عامر الأسلمي وإسماعيل بن مسلم)[2].

٤: عمر بن علي المقدمي

قال عنه العيني: (عمر بن علي بن عطاء بن مقدم، بفتح الدال المشددة، أبو حفص المقدمي البصري، والد عاصم ومحمد، وهو أخو أبي بكر، سمع جمعا من التابعين منهم هشام بن عروة، وعنه خلق من الأعلام منهم ابنه عاصم وعمرو بن علي، وكان مدلسا، قال ابن سعد: كان ثقة وكان يدلس تدليسا شديدا، يقول: سمعت وحدثنا، ثم يسكت، ثم يقول: هشام بن عروة الأعمش)[3].

---

(١) المصدر السابق ص٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٢) المصدر نفسه ص٢٩٢.

(٣) عمدة القاري للعيني ج ١ ص ٢٣٦.

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: (وقال ابن سعد: ثقة ويدلس تدليسا شديدا يقول: سمعت وحدثنا. ثم يسكت، ويقول: هشام بن عروة قلت قد احتج به الجماعة واحتملوا له تدليسه)[1].



٥: سويد بن سعيد الحدثاني

قال عنه النسائي: (سويد بن سعيد الحدثاني ليس بثقة)[2].

وقال عنه ابن حبان: (سويد بن سعيد الحدثاني من أهل الأنبار مولده بالحديثة، يروي عن علي بن مسهر وحفص بن ميسرة، حدثنا عنه شيوخنا مات سنة تسع وثلاثين ومائتين يأتي عن الثقات بالمعضلات)[3].

وقال عنه ابن حبان أيضا: (روى عن علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: «من عشق فعف فكتم فمات مات شهيدا». ومن روى مثل هذا الخبر الواحد عن علي بن مسهر يجب مجانبة رواياته هذا «إلى ما» يخطئ في الآثار ويقلب الأخبار»)[4].

وعن سعيد بن عمرو البرذعي قال: (سمعت أبا زرعة يقول: قلنا ليحيى بن معين: إن سويد بن سعيد يحدث عن ابن أبي الرجال عن ابن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: «من قال في ديننا برأيه فاقتلوه» فقال يحيى: سويد ينبغي أن يبدأ به فيقتل)[5].

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٢٩٢.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٨٧.

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص ٣٥٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٩ ص ٢٢٨.



وعن أحمد بن كامل القاضي قال: (سمعت محمد بن موسى بن حماد يذكر عن يحيى بن معين قال: لو كان لي خيل ورجال لخرجت إلى سويد بن سعيد حتى أحاربه...حدثنا أبو علي حسين بن فهم قال: سمعت يحيى بن معين وذكر عنده سويد بن سعيد الحدثاني فقال: لا صلى الله عليه، قال: ولم يكن عنده بشيء...حدثنا أبو عبيد محمد بن علي الآجري قال: سألت أبا داود عن سويد فقال: سمعت يحيى بن معين يقول: سويد مات منذ حين. وسمعت يحيى قال: هو حلال الدم)[1].

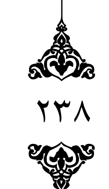
٣: روايات أهل البدع في صحيح مسلم

ذكرنا فيما سبق أن مسلما النيسابوري شرط على نفسه في مقدمة كتابه ان لا يخرج شيئا من أحاديث أهل البدع، فقال: (واعلم وفقك الله تعالى أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه وان يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع)[2].

وأهل البدع عند محدثي أهل السنة هم كل من خالف قول أهل السنة ورأيهم فيدخل في ذلك الخوارج والجهمية والشيعة وطوائف أخرى يطول ذكرهم، غير انه تناقض مع شرطه هذا في الجانب العملي، فأثبت في كتابه روايات عدة رويت عن رجال وصفوا بأنهم مبتدعون أو مخالفون لقول أهل السنة ورأيهم كالمرجئة والشيعة وغيرهم، وفيما يأتي أنموذجان ممن أخرج لهم مسلم النيسابوري في كتابه مع تصريح أهل الجرح والتعديل بأنهم من المرجئة أو الشيعة، وهم كل من:

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٩ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق ص٦.



١: محمد بن خازم أبو معاوية الضرير

قال عنه العجلي في معرفة الثقات: (محمد بن خازم بالخاء المعجمة أبو معاوية الضرير الحماني كوفي ثقة وكان يرى الإرجاء وكان لين القول وسمع من الأعمش ألفي حديث فمرض مرضة فنسي منها ستمائة حديث)[١].

وقال ابن حبان: (أبو معاوية الضرير اسمه محمد بن خازم السعدي التميمي مولى لهم من أهل الكوفة يروي عن الشيباني وابن أبي خالد روى عنه أحمد ويحيى وأهل العراق وكان مولده سنة ثلاث عشرة ومائة ومات في آخر صفر سنة خمس وتسعين ومائة وكان حافظا متقنا ولكنه كان مرجئا)[٢].

وعن سهل بن شاذويه قال: (سمعت علي بن خشرم يقول: وما شيت وكيعا إلى الجمعة فقال لي: يا علي إلى من تختلف؟ فقلت: إلى فلان وفلان وإلى أبي معاوية الضرير. قال: فقال وكيع: اختلف إليه فإنك إن تركته ذهب علم الأخفش على أنه مرجئ، فقلت: يا أبا سفيان، دعاني إلى الإرجاء فأبيت عليه. فقال لي وكيع: هلا قلت له كما قال له الأعمش: لا تفلح أنت ولا أصحابك المرجئة)[٣]. وقال ابن البادش: (أبو معاوية مرجئ كبير)[٤].

أقول: ولعل اعتناء مسلم النيسابوري والبخاري وغيرهما من الذين تغاضوا عن بدعة محمد بن خازم هو ان ابن خازم هذا روى حديثا مفترى عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيه أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتل الرافضة وهم شيعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال ذلك بحضور هارون العباسي وابنيه الأمين والمأمون، وهو

(١) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ٢٣٦.

(٢) الثقات لابن حبان ج ٧ ص ٤٤١ ـ ٤٤٢.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص ٣٠٤.

(٤) المصدر نفسه.



تصريح خطر للغاية يهدف منه كما هو واضح إلى تحريض الدولة على إبادة أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتغطية هذه الإبادة تغطية شرعية ومبررة، وهذا التصريح رواه الخطيب البغدادي عن إبراهيم الصيني قال: (سمعت أبا معاوية يقول: حججت مع جدي أبي أمي وأنا غلام، فرآني أعرابي فقال لجدي: ما يكون هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال: ليس بابنك قال: ابن ابنتي. قال: ابن ابنتك وليكونن له شأن، وليطأن برجليه هاتين بسط الملوك. قال: فلما قدم الرشيد بعث إلي، فلما دخلت عليه ذكرت حديث الأعرابي، فأقبلت التمس برجلي البساط. قال: يا أبا معاوية لم تلتمس؟ قلت: يا أمير المؤمنين حججت مع جدي، وحدثته بالحديث فأعجب به. قال أبو معاوية: وحركني شيء فقلت: يا أمير المؤمنين، أحتاج إلى موضع الخلاء، فقال للأمين والمأمون خذا بيد عمكما فأرياه الموضع، فأخذا بيدي فأدخلاني إلى الموضع، فشممت منه رائحة طيبة. فقالا: يا أبا معاوية، هذا الموضع فشأنك. فقضيت حاجتي فحدثته أن النبي صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم قال: «يكون في آخر الزمان قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة، من لقيهم فليقتلهم فإنهم مشركون»)[1]، فلا جزاه الله خيرا ﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ۝٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا﴾[2].

أو لعل مسلماً والبخاري وغيرهما أخرجوا أحاديثه وتناسوا كونه من أهل البدعة بسبب روايته لبعض مناقب أئمتهم وبالخصوص فضائل الشيخين فعن عرفة قال: (حدثنا أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم: «ما مررت بسماء إلا رأيت فيها

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) سورة مريم الآية رقم ٧٩ ـ ٨٠.

مكتوبا محمد رسول الله، أبو بكر الصديق»)[1].

٢: عبيد الله بن موسى العبسي



قال العجلي في (معرفة الثقات): (عبيد الله بن موسى العبسي يكنى أبا محمد كوفي ثقة كان عالما بالقرآن صدوقاً وكان يتشيع وكان صاحب قرآن رأسا فيه شجيّ القراءة)[2].

وعن العقيلي في كتابه الضعفاء عن: (محمد بن إسماعيل يقول سمعت أبي يقول أردت الخروج إلى كوفة فأتيت أحمد بن حنبل أودعه فقال لي يا أبا محمد لي إليك حاجة لا تأت عبيد الله بن موسى فإنه بلغني عنه غلوا قال أبي فلم آته)[3].

وقال عنه الذهبي: (وحدث عنه: أحمد بن حنبل قليلا، كان يكرهه لبدعة ما فيه)[4]، وقال عنه أيضا: (وروى أبو عبيد الآجري عن أبي داود قال: كان شيعيا محترقا)[5]

وقال أيضا: (قال ابن مندة: كان أحمد بن حنبل يدل الناس على عبيد الله، وكان معروفا بالرفض، لم يدع أحدا اسمه معاوية يدخل داره. فقيل: دخل عليه معاوية بن صالح الأشعري، فقال: ما اسمك؟ قال: معاوية. قال: والله لا حدثتك، ولا حدثت قوما أنت فيهم)[6].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٣ ص ٦٣ وغيره.

(٢) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ١١٤.

(٣) ضعفاء العقيلي للعقيلي ج ٣ ص ١٢٧.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٩ ص ٥٥٤.

(٥) المصدر السابق ص٥٥٥.

(٦) المصدر نفسه ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧.



التلاعب بكتاب صحيح مسلم النيسابوري

ذكرنا فيما سبق أن كتاب مسلم قد وصل بالدرجة الأساس عن رجل مجهول اسمه (إبراهيم بن محمد بن سفيان) وإبراهيم هذا لم يترك كتاب مسلم بن الحجاج النيسابوري بسلام، فأضاف إليه بعض الأحاديث وزاد عليه طرقا أخرى لم ترد عن مسلم، ولم يكتف بإضافة الأحاديث حتى أضاف إليه تعليقات من إنشائه ليس لمسلم علم بها ولا وضعها هو في كتابه، وهي كثيرة اخترنا للقارئ منها ما يلي:

زيادات إبراهيم بن محمد بن سفيان على كتاب مسلم

١ : قال مسلم: (عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يحب الحلواء والعسل فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له...)[1].

فزاد إبراهيم بعد هذا الحديث قوله: (قال أبو إسحاق إبراهيم حدثنا الحسن ابن بشر بن القاسم حدثنا أبو أسامة بهذا سواء وحدثنيه سويد بن سعيد حدثنا علي ابن مسهر عن هشام بن عروة بهذا الإسناد نحوه)[2].

٢ : قال مسلم في كتابه: (حدثنا سفيان بن عيينة عن حميد الأعرج عن سليمان ابن عتيق عن جابر أنّ النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أمر بوضع الجوائح)[3].

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٩.

فزاد إبراهيم على كتاب مسلم ما يأتي: (قال أبو إسحاق «وهو صاحب مسلم» حدثنا عبد الرحمن بن بشر عن سفيان بهذا)[1].



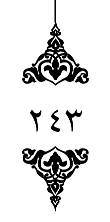
أقول: وعبارة «وهو صاحب مسلم» هذه ليست من كتابة مسلم وتدوينه ولا من كتابة إبراهيم بن محمد بن سفيان، بل هي مزادة من أصحاب الطبعات الجديدة لتوضيح من هو ابو إسحاق المذكور في العبارة، وهي وان أوضحت لنا من القائل لهذه العبارة إلا أنها أكدت لنا مرة أخرى على أن التلاعب والإضافة على كتاب مسلم لم تتوقف إلى الآن وما زالت الأقلام تزيد وتنقص من هذا الكتاب.

٣: قال مسلم النيسابوري في كتابه: (عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمعه الحصى فقلت يا ابن عباس وما يوم الخميس قال اشتد برسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وجعه فقال ائتوني اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع وقالوا ما شأنه أهجر استفهموه قال دعوني فالذي انا فيه خير أوصيكم بثلاث اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم قال وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها)[2]

فزاد إبراهيم في كتاب مسلم قوله: (قال أبو إسحاق إبراهيم حدثنا الحسن بن بشر قال حدثنا سفيان بهذا الحديث حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا وكيع عن مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ائتوني بالكتف والدواة «أو

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٩.

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ٧٥.



اللوح والدواة» اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يهجر)[١].

٤ : قال مسلم النيسابوري : (حدثني علقمة بن مرثد ان سليمان بن بريدة حدثه عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إذا بعث أميرا أو سرية دعاه فأوصاه)[٢].

فأضاف الجلودي وهو راوي كتاب مسلم عن إبراهيم بن محمد بن سفيان : (حدثنا إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء عن الحسين بن الوليد عن شعبة بهذا)[٣].

هذه جملة من الزيادات التي أدخلها إبراهيم بن محمد بن سفيان على كتاب مسلم وتركنا جملة أخرى للاختصار.

تعليقات إبراهيم بن محمد التي كتبها ضمن كتاب مسلم

١ : قال مسلم النيسابوري : (وفي حديث جرير عن سليمان عن قتادة من الزيادة وإذا قرأ فأنصتوا وليس في حديث أحد منهم فان الله قال على لسان نبيه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم سمع الله لمن حمده إلا في رواية أبي كامل وحده عن أبي عوانة)[٤].

فعلق إبراهيم على ذلك بقوله : (قال أبو إسحاق قال أبو بكر بن أخت أبي النضر في هذا الحديث فقال مسلم تريد أحفظ من سليمان فقال له أبو بكر فحديث

---

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص٧٥ ـ ٧٦.

(٢) المصدر السابق ج ٥ ص ١٤٠.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥



أبي هريرة فقال هو صحيح يعني وإذا قرأ فأنصتوا فقال هو عندي صحيح فقال لِمَ لم تضعه ههنا؟ قال ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه حدثنا إسحاق بن إبراهيم وابن أبي عمر عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بهذا الإسناد وقال في الحديث فان الله عز وجل قضى على لسان نبيه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم سمع الله لمن حمده)[١].

٢: عن ابن مسعود قال بينما رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذ فيضعه في كتفي محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وضعه بين كتفيه قال فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وانا قائم انظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم والنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه...)[٢].

فعلق إبراهيم على هذا الحديث بقوله: (قال أبو إسحاق الوليد بن عقبة غلط في هذا الحديث)[٣]

٣: قال مسلم النيسابوري: (وقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم والذي نفس محمد في يده ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم)[٤].

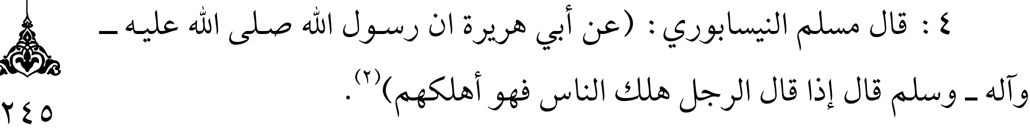
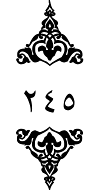
---

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٥ ـ ١٦.

(٢) المصدر السابق ج ٥ ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٣) المصدر السابق ج٥ ص١٨٠.

(٤) المصدر السابق ج ٧ ص ٩٦.

فعلق إبراهيم على هذا الحديث بقوله: (قال أبو إسحاق المعنى فيه عندي لان يراني معهم أحب إليه من أهله وماله وهو عندي مقدم ومؤخر)[١].

٤: قال مسلم النيسابوري: (عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم)[٢].

فعلق إبراهيم على ذلك بقوله: (قال أبو إسحاق لا أدرى أهلكهم بالنصب أو أهلكهم بالرفع)[٣].

٥: قال مسلم النيسابوري: (عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال أخبروني بشجرة شبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها)[٤].

فعلق إبراهيم بقوله: (قال إبراهيم لعل مسلما قال وتؤتي أكلها وكذا وجدت عند غيري أيضا ولا تؤتي أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا فقال عمر لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا)[٥].

٦: قال مسلم النيسابوري: (أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا سعيد الخدري قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص٩٦.

(٢) المصدر نفسه ج ٨ ص ٣٦.

(٣) المصدر نفسه ج ٨ ص ٣٦.

(٤) المصدر نفسه ج ٨ ص ١٣٨.

(٥) المصدر السابق.



فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون لا قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن قال فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه)[(١)].

فعلق إبراهيم قائلا: (قال أبو إسحاق يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام، «وحدثني» عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري في هذا الإسناد بمثله)[(٢)].

هذه بعض تعليقات إبراهيم بن محمد بن سفيان التي أودعها في أصل صحيح مسلم وقد تركنا البقية روما للاختصار.

زيادات الجلودي وتعليقاته في أصل كتاب مسلم

ولم يترك الجلودي الذي روى كتاب مسلم عن إبراهيم بن محمد بن سفيان كتاب مسلم دون أن يدمج في أصل كتابه كثيرا من التعليقات والزيادت نختار منها على سبيل الاختصار الآتي:

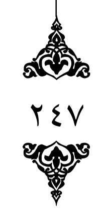
١: قال مسلم في كتابه: (حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن القاري عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن أبيه انه كان يقول ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله)[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٩٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٠ ـ ١٣١.



فاضاف أبو أحمد الجلودي على كتاب مسلم قوله: (قال الشيخ أبو أحمد محمد بن عيسى أخبرنا أبو العباس السراج ومحمد بن عبد الله بن يوسف الدويري قالا حدثنا قتيبة بن سعيد بهذا الحديث)(١)

٢: قال مسلم النيسابوري: (عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ان رجلا زار أخاً له في قرية أخرى فارصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال لا غير اني أحببته في الله عز وجل قال: فاني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)(٢).

فأضاف الجلودي في كتاب مسلم قوله: (قال الشيخ أبو أحمد أخبرني أبو بكر محمد بن زنجويه القشيري حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة بهذا الإسناد نحوه)(٣).

أقول: وقد اعترف النووي في شرحه لصحيح مسلم أن قول الجلودي هذا كان في بعض نسخ البخاري في الحاشية لكن أكثر النسخ الأخرى تحولت فيها هذه الزيادة من الحاشية إلى أصل الكتاب بحيث مزجت مع كلمات مسلم النيسابوري، قال النووي: (أبو أحمد هذا هو الجلودي راوي الكتاب عن ابن سفيان عن مسلم...وهذه الفائدة وهي قوله قال الشيخ أبو أحمد إلى آخره تقع في بعض الأصول في الحاشية وفى أكثرها في نفس الكتاب)(٤).

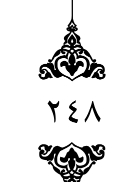
---

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص١٣١.

(٢) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) شرح مسلم للنووي ج ٢ ص ٢١٥.



٣: قال مسلم النيسابوري: (حدثنا الحسن حدثنا عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وان أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وائت الذي هو خير)[١].

فأضاف الجلودي في أصل كتاب مسلم الآتي: (قال أبو أحمد الجلودي حدثنا أبو العباس الماسرجسي حدثنا شيبان بن فروخ بهذا الحديث حدثني علي بن حجر السعدي حدثنا هشيم عن يونس ومنصور وحميد ح وحدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا حماد بن زيد عن سماك بن عطية ويونس بن عبيد وهشام بن حسان في آخرين ح وحدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا المعتمر عن أبيه ح وحدثنا عقبة ابن مكرم العمى حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد عن قتادة كلهم عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بهذا الحديث وليس في حديث المعتمر عن أبيه ذكر الإمارة)[٢].

هذه بعض ما أدخله أبو أحمد الجلودي في أصل صحيح مسلم، تركنا استقصاءها للاختصار.

هل تضر هذه الزيادات مع وضوح قائلها؟

ولعل قائلا يقول: إن هذه الزيادات من النساخ على أصل كتاب مسلم أو البخاري أو غيرهما لا تضر ما دام أنها مميزة ومشخصة فيستطيع القارئ أو الباحث أو الفقيه والعالم تمييزها وتشخيصها ومعرفتها، فلا ضير حينئذ من إدراجها في الأصل.

---

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ٨٦.

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ٨٦ ـ ٨٧.



أقول: أصل كلامنا هو: أوقع في هذه الكتب التغيير والتبديل والتلاعب من حيث الزيادة أو النقصان أم لا؟ وقد ثبت بالدليل والشواهد وقوع كل هذه الأمور فيها، هذا أولا.

وثانيا من قال بان هذه الزيادات كانت واضحة ومتميزة ومشخصة على الدوام، حتى نتغاضى عن إدراجها من النساخ في أصل الكتاب، فكم من مرة ومرة نسب العلماء حديثا إلى مسلم أو البخاري أو غيرهما وعند الفحص والتتبع تبين أن هذا الحديث ليس من حديثهما بل هو مما زاده عليهما النساخ ولكن النساخ لم يشيروا إلى هذه الزيادة فيظن الظان أن هذا الحديث واقع في الأصل، وتوجد على هذا الأمر شواهد كثيرة جدا نشير إلى بعضها في الآتي:

١: من المعلوم أن (الحسن بن بشر السلمي) ليس من رجال مسلم ولا روى عنه في كتابه المعروف بصحيح مسلم، ولكنه من رجال إبراهيم بن محمد بن سفيان، راوي الكتاب عن مسلم وصاحب الزيادات والتعليقات التي تقدم الكلام حوله وحولها، كما أوضحه ابن حجر في (تقريب التهذيب) بقوله: (الحسن بن بشر السلمي قاضي نيسابور صدوق لم يصح أن مسلما روى عنه وإنما روى عنه أبو إسحاق بن سفيان الراوي عن مسلم)[1].

وبسبب خفاء كثير من زيادات إبراهيم بن محمد بن سفيان، وعدم وضوح كون هذه الزيادة هل هي من أصل كتاب مسلم أو مما زاد عليه الآخرون، نرى الإمام أبا مسعود الدمشقي[2] في كتابه (أطراف الصحيحين) قد حكم على حديث

(١) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) هو أبو مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي الحافظ المتوفى سنة إحدى وأربعمائة صاحب كتاب أطراف الصحيحين.

انه لمسلم النيسابوري، بينما هو من زيادات إبراهيم بن محمد بن سفيان، فعن الحديث القائل (كان رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم يحب الحلواء والعسل) قال أبو مسعود الدمشقي: (إنَّ مسلماً رواه عن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر، ثلاثتهم عن أبي أسامة) والصحيح ان مسلما لم يروه عن الحسن بن بشر لان الحسن بن بشر ليس من رجال مسلم ولا روى عنه، كما تقدم من كلام ابن حجر السابق، وإنما الذي روى عن الحسن بن بشر هو إبراهيم صاحب الزيادات على مسلم، وبسبب وضع هذه الزيادات مع أصل الكتاب اشتبه الأمر على أبي مسعود الدمشقي فعد هذه الزيادة من كلام مسلم النيسابوري.

وقد نبه ابن حجر على هذا الخلط ما بين الزيادة والأصل الذي وقع فيه أبو مسعود الدمشقي بقوله: (وقد وقع في الأطراف لأبي مسعود في حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم يعجبه الحلواء والعسل. أن مسلما رواه عن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثتهم عن أبي أسامة كذا قال والذي في الأصول من الصحيح حدثنا أبو كريب وهارون بن عبد الله قالا ثنا أبو أسامة ليس فيه الحسن بن بشر لكن قال فيه إبراهيم بن محمد بن سفيان الراوي عن مسلم عقب هذا الحديث حدثنا الحسن بن بشر ثنا أبو أسامة مثله سواء فهذا من زيادات إبراهيم)[1].

أقول: فإذا كان أمر هذه الزيادات قد خفي على مثل الحافظ أبي مسعود الدمشقي مع ما هو عليه من سعة اطلاع ودقة تمييز فكيف الحال ببقية الناس وعوامهم.

٢: وقد وقع مؤلفو كتاب (المسند الجامع المعلل) في هذا الإشكال نفسه،

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٢٢٤.



فأخرجوا زيادة من زيادات إبراهيم بن محمد بن سفيان على انها حديث قاله مسلم في كتابه، ففي الحديث الذي: (عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ «إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَمْثُلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا...»)[(١)].

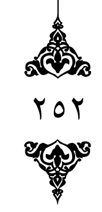
علق عليه جامعو هذا الكتاب بقولهم: (أخرجه أحمد ٥/٣٥٢ «٢٣٣٦٦» قال: حدَّثنا وَكِيع، حدَّثنا سُفْيان. وفي ٥/٣٥٨ «٢٣٤١٨» قال: حدَّثنا عَبْد الرَّحْمان، حدَّثنا سُفْيان. و«الدَّارِمِي» ٢٤٣٩ و٢٤٤٢ و٢٤٤٣ مُفَرَّقًا قال: أخبرنا مُحَمد بن يُوسُف، عن سُفْيان. و«مُسْلم» ٥/١٣٩ «٤٥٤٢ و٤٥٤٣» قال: حدَّثنا أبو بَكْر بن أَبي شَيْبَة، حدَّثنا وَكِيع بن الجَرَّاح، عن سُفْيان «ح» وحدَّثنا إِسْحَاق بن إبراهيم، أخبرنا يَحيى بن آدم، حدَّثنا سُفْيان، قال: أملاه علينا إملاءً «ح» وحدَّثني عَبْد اللهِ بن هاشم، واللفظ له، حدَّثني عَبْد الرَّحْمان، يَعْنِي ابن مَهْدِي، حدَّثنا سُفْيان. وفي ٥/١٤٠ «٤٥٤٤» قال: وحدَّثني حَجَّاج بن الشَّاعر، حدَّثني عَبْد الصَّمَد بن عَبْد الوارث، حدَّثنا شُعْبة. وفي «٤٥٤٥» قال: حدَّثنا إبراهيم، حدَّثنا مُحَمد بن عَبْد الوَهَّاب الفَرَّاء، عن الحُسَيْن بن الوَلِيد، عن شُعْبة)[(٢)].

والشاهد هو في قولهم: (و«مُسْلم» ...قال: حدَّثنا إبراهيم، حدَّثنا مُحَمد ابن عَبْد الوَهَّاب الفَرَّاء، عن الحُسَيْن بن الوَلِيد، عن شُعْبة) فهذا الحديث ليس

---

(١) المسند الجامع المعلل تأليف أبي الفضل السيد أبو المعاطي النوري المتوفى ١٤٠١ هجرية، د. بشار عواد معروف أحمد عبد الرزاق عيد، أيمن إبراهيم الزاملي، محمود محمد خليل، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، ج٣ ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص١٢٠.



لمسلم النيسابوري ولا هو واضعه، بل هو من زيادات إبراهيم بن محمد بن سفيان، فخلطوا بنسبتهم هذه الزيادة إلى مسلم وكتابه.

٣: ولم يتوقف الخلط بين الأصل وبين الزيادات على كتاب صحيح مسلم، بل سرى هذا الخلط على جميع كتب الحديث السنية، وهذا الخلط أعظم واكبر في كتب المتأخرين، فعلى سبيل المثال نجد الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لكتاب (سنن ابن ماجة) قد وقع في مئات الأخطاء منها ما يتعلق بضبط الأسماء واختلاط الأسانيد وعدم التمييز ما بين الأصل والزيادة، وفي هذا الصدد يقول الدكتور بشار عواد معروف: (وقد تبين لنا بما لا يقبل الشك أن السيد محمد فؤاد عبد الباقي لم يعتمد سوى الطبعة المصرية، ولكنه كان قليل البضاعة في هذه الصناعة، فقد وقع في مئات الأخطاء التي جاءت في تلك الطبعة، في ضبط الأسماء، واختلاط الأسانيد، وفيما نقله من حاشية السندي وعزاه للبوصيري، فضلاً عن عدم قدرته على تمييز الزيادات التي زادها أبو الحسن بن القطان راوي سنن ابن ماجة على أصل السنن، وهي التي طبعناها بالحرف الصغير، لاسيما عند عدم التصريح بالزيادة والنسبة إليه، فاختلط الأصل بالزيادات، ولم يتمكن من تمييزها، وقد زاد الطين بلة أنه لم يعتمد أي طريقة في التثبت من صحة النص أو نسبته، فلا جمع المخطوطات واستخلص منها رواية صحيحة، ولا تتبع نقول العلماء الثقات الأثبات الذين نصوا عليها، كما فعل مثلاً الحافظ جمال الدين المزي في تحفة الأشراف، وتهذيب الكمال)[1].

وقال الدكتور مسفر الدميني في مقدمة بحثه (زيادات أبي الحسن القطان على

---

(١) سنن ابن ماجة حققه وعلق عليه واخرج أحاديثه الدكتور بشار عواد معروف ص٦ ــ ١١، ط. دار الجيل بيروت.



سنن ابن ماجة): (والناظر في صنيع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي والدكتور محمد مصطفى الأعظمي عند طبع كلٍّ منهما للكتاب «يعني سنن ابن ماجه» يجد لبساً في إخراج الكتاب حيث لم تُميَّز الزيادات عن الأصل... ثم قال: وعملهما هذا ـ غفر الله لهما ـ يوهم بعض طلاَّب العلم أنَّ الجميع من سنن ابن ماجه، وأنَّ تلك الزيادات من معلقات ابن ماجه عن أبي الحسن، بينما الأمر خلاف ذلك، فأبو الحسن القطان تلميذ ابن ماجه وراوية سننه وليس شيخه، وتلك الأحاديث الواردة في صورة التعليق من زيادات أبي الحسن القطان على كتاب شيخه ابن ماجه، ثم إنَّها ليست معلَّقة، بل مسندة له، فربَّما التقى مع شيخه أثناء الإسناد، وربَّما استقلَّ بحديث تام بإسناده ومتنه)[١].

فيثبت من ذلك كله أن إقحام هذه الزيادات في أصل كتاب مسلم وغيره قد خلقت مشكلة كبيرة وتحولت مع الزمن من زيادة إلى أصل، وهي معضلة علمية لها أبعادها ومخاطرها الكبيرة.

---

(١) زيادات أبي الحسن القطان على سنن ابن ماجة للدكتور مسفر الدميني ص٦ ـ٧.



الفصل الثالث:

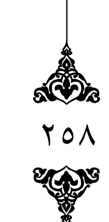
تناقضات مناهج المحدثين واضطراب قواعد الجرح والتعديل عندهم

مقدمة الفصل

إن الحديث عن مسألة تحيز محدثي أهل السنة وازدواجيتهم في تعاملهم مع أحاديث الفضائل الخاصة بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يمكن أن يستغني عن الحديث والبحث في القواعد التي خطها القوم وجعلوها منهجا وقانونا في تصحيح الأحاديث النبوية أو إعلالها عموما وأحاديث الفضائل خصوصا.

وقد اتضح لي ومن خلال النظر والتدقيق في كلمات أئمة الحديث من أهل السنة، ومن خلال المقارنة بين أقوال بعضهم مع بعضهم الآخر، أن القوم ليس عندهم كلمة جامعة، ولا قانون محدد يتعاملون به مع الأحاديث النبوية، فقد اختلفوا في كل شيء، ولا تجد قاعدة واحدة من قواعد الجرح والتعديل قد تم التوافق والإجماع عليها من الجميع.

وليت ان اختلافهم قد توقف على قواعد علم الحديث ولم يسر على كل مسألة من مسائل هذا العلم حتى توثيق الرجال وتضعيفهم، لانك لا تجد شخصا قد تم الإجماع من اهل الجرح والتعديل على وثاقته أو على ضعفه إلا نادرا، لان الراوي الواحد ربما صيره البعض أوثق الثقات وإماماً من الائمة، بينما يصيره البعض الآخر كذابا يسرق الحديث ويدلس ولا يحل إخراج رواياته.



فضلاً على ذلك ازدواجية الشخص الواحد نفسه من اهل الجرح والتعديل وائمة الحديث في تعامله مع الرواية الواحدة او الراوي الواحد، فتجد احدهم يتضارب ويتناقض قوله في الرواية فيضعفها ويسقطها عن الاعتبار في كتاب من كتبه، لكنه يوثقها ويقويها في كتاب آخر له ايضا، وربما حكم على رجل معين بالضعف والكذب والتدليس، لكنه في موضع آخر من نفس كتابه او في كتاب آخر من كتبه يوثقه ويقويه ويعظم شأنه ومنزلته، كما فعل ابن حبان وغيره.

وهذا التضارب والتناقض في مسألة تقعيد القواعد وتأصيل الأصول في توثيق الرجال وقدحهم هو محور حديثنا في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

لماذا أوجدوا قواعد الجرح والتعديل؟

لما انتشرت رواية الأحاديث الضعيفة الواهية، التي بثتها أفواه المغرضين وأصحاب المصالح الدنيوية، أو التي نشرتها السلطة ورجالها، وبعد أن أصبح الحديث الصحيح كالنقطة في بحر لجي، أو كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود، مما سبب أزمة وحرجاً لعلماء أهل السنة ومحدثيهم، ولمعرفة مقدار حجم الكذب والدس في أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ونسبة الأحاديث الصحيحة إلى المعلولة المكذوبة فليتأمل المتأمل في قول كل من شعبة والدارقطني وهما من أئمة الحديث عند أهل السنة، وقد نقل كلامهما ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله: (قال شعبة إمام المحدثين: تسعة أعشار الحديث كذب.

وقال الدارقطني: ما الحديث الصحيح في الحديث إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود)[1].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ١٠٥.



أو كما قال محمود أبو رية في كتابه (أضواء على السنة المحمدية): (قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: ثلاثة أمور ليس لها إسناد، التفسير والملاحم، والمغازي.

وقال ابن تيمية خليفة أحمد بن حنبل في إمامة الحنابلة: والمؤدى ليست لها أصول، أي إسناد، لان الغالب عليها المراسيل)(١).

فصار تمييز الحديث الصحيح من المعلول ـ مع مرور الوقت وتطاول الأيام ـ صعباً للغاية، فاضطر كل إمام من أئمة اهل السنة، إلى وضع شروط وقواعد لتمييز الحديث الصحيح من غيره، ولكن هذه الشروط والقواعد وللأسف الشديد لم تكن متفقاً عليها من الجميع، فشروط مالك بن انس وقواعده ومنهجه في تصحيح الحديث وإعلاله تختلف عن شروط احمد بن حنبل، وشروط كل من مالك واحمد تختلف عن شروط البخاري، وكلهم لا يتفقون مع مسلم في اغلب شروطه وهكذا.

وقد انعكس هذا الاختلاف في القواعد والشروط على تدوين السنة النبوية أولا، وعلى الحكم بالصحة أو الضعف عليها ثانيا، لذلك نجد مالك بن انس يخرج بعض الأحاديث التي لا يرتضيها احمد بن حنبل، ونجد البخاري يحتج برواة وأحاديث لم يحتج بهم مسلم، وكذا فعل مسلم في صحيحه وسائر أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن.

فالحديث ـ كما سنرى لاحقا ـ عن وجود قواعد وشروط مجمع عليها، هو حديث واهم ومكذوب يردده المتأخرون لأجل التعمية على العوام ممن ليس له اطلاع على حال المحدثين وأهل الجرح والتعديل.

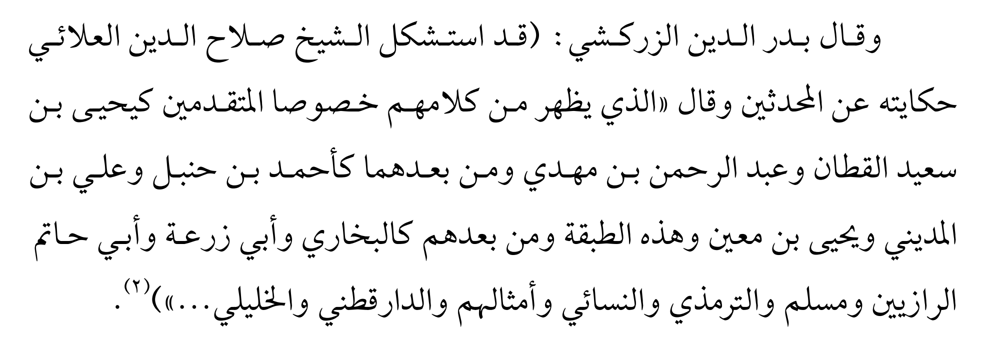
(١) أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو رية ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩.






من هم المتقدّمون من أهل الجرح والتعديل ومن هم المتأخّرون؟

قد صنف أهل الجرح والتعديل عند أهل السنة إلى قسمين أو طائفتين أطلقوا على الأولى اسم المتقدمين وعلى الثانية اسم المتأخرين، ووقع بين هاتين الطائفتين اختلاف في التقييم وفي المنهج الذي على أساسه يتم جرح الرواة وتعديلهم، وقد بيّن السخاوي في (فتح المغيث شرح ألفية الحديث) أسماء المتقدمين من أهل الجرح والتعديل بقوله: (ولذا كان الحكم من المتأخرين عسرا جدا وللنظر فيه مجال بخلاف الأئمة المتقدمين الذين منحهم الله التبحر في علم الحديث والتوسع في حفظه كشعبة والقطان وابن مهدي ونحوهم وأصحابهم مثل أحمد وابن المدني وابن معين وابن راهويه وطائفة ثم أصحابهم مثل البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وهكذا إلى زمن الدارقطني والبيهقي ولم يجئ بعدهم مساو لهم ولا مقارب أفاده العلائي)[1].



وقال بدر الدين الزركشي: (قد استشكل الشيخ صلاح الدين العلائي حكايته عن المحدثين وقال «الذي يظهر من كلامهم خصوصا المتقدمين كيحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ومن بعدهما كأحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وهذه الطبقة ومن بعدهم كالبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم الرازيين ومسلم والترمذي والنسائي وأمثالهم والدارقطني والخليلي...»)[2].

فالقدماء من نقاد الحديث وأهل الجرح والتعديل وبحسب هذين النصين هم كل من:

---

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ج١ ص٢٥٥ ـ٢٥٦.

(٢) النكت على مقدمة ابن الصلاح لبدر الدين الزركشي ج٢ ص١٧٥ ـ١٧٦.

١ : شعبة.

٢ : يحيى بن سعيد القطان.

٣ : عبد الرحمن بن مهدي.

٤ : احمد بن حنبل.

٥ : علي بن المديني.

٦ : يحيى بن معين.

٧ : ابن راهويه.

٨ : محمد بن إسماعيل البخاري.

٩ : أبو زرعة الرازي.

١٠ : أبو حاتم الرازي.

١١ : مسلم النيسابوري.

١٢ : أبو داود،

١٣ : الترمذي.

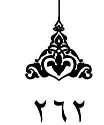
١٤ : النسائي.

١٥ : الدارقطني.

١٦ : البيهقي.

١٧ : الخليلي.

وبمعرفة هؤلاء يمكن القول: إن كل من جاء بعد هؤلاء من نقاد الحديث يعدّ مشمولا بوصف المتأخرين.



اختلاف المتقدمين بعضهم مع بعضهم الآخر في قواعد الجرح والتعديل

لا كلام على ان المتقدمين من أهل الجرح والتعديل، قد وقع الاختلاف الكبير بينهم، حول كثير من قواعد الجرح والتعديل، وشروط قبول الحديث أو رده، وكمثال على هذه الحقيقة هو وقوع الاختلاف الشديد بين مسلم والبخاري حول مسألة صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن، فالبخاري اشترط الملاقاة ما بين الراويين، والسماع المباشر كي تقبل تلك العنعنة في الحديث، أما مسلم فلم يشترط الملاقاة في كتابه المعروف بصحيح مسلم، ولم يكتف مسلم بعدم قبول شرط البخاري وحسب، بل وبالغ في التشنيع عليه في مقدمة كتابه.

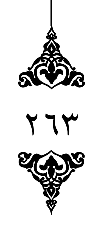
وقد أشار إلى هذه الحقيقة محمد بن إسماعيل الصنعائي في (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار) بقوله:

(واعلم أنا راجعنا مقدمة مسلم فوجدناه تكلم في الرواية بالعنعنة وأنه شرط فيها البخاري ملاقاة الراوي لمن عنعن عنه وأطال مسلم في رد كلامه والتهجين عليه ولم يصرح أنه البخاري وإنما اتفق الناظرون أنه أراده ورد مقالته)[1].

وقيل ان مسلما كان يقصد برده علي بن المديني وهو لا يضر فيما نحن فيه لان ابن المديني هو من المتقدمين أيضا، ولو أردنا استقصاء جميع الاختلافات بين المتقدمين أنفسهم لما توقف بنا الحال عند حد معين.

---

(١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعائي ج١ ص٤٤.



اختلاف المتأخرين مع المتقدمين في قواعد الجرح والتعديل

ولم يتوقف الاختلاف والتضارب في القواعد والمناهج والآراء على المتقدمين فحسب، بل سرت نار الاختلاف لتشمل الاختلاف ما بين المتأخرين والمتقدمين من أهل الحديث، وما بين المتأخرين أنفسهم، وما بين الفقهاء والمحدثين وهلم جرا، ويشهد على وقوع هذا الاختلاف قول الصنعائي في (توضيح الأفكار) حيث نقل عن ابن دقيق العيد في (شرح الإلمام) قوله: (إن لكل من أئمة الفقه والحديث طريقا غير طريق الآخر، فإن الذي تقضيه قواعد الأصول والفقه أن العمدة في تصحيح الحديث عدالة الراوي وجزمه بالرواية، ونظرهم يميل إلى اعتبار التجويز الذي يمكن معه صدق الراوي وعدم غلطه، فمتى حصل ذلك، وجاز أن لا يكون غلطا، وأمكن الجمع بين روايته ورواية من خالفه بوجه من الوجوه الجائزة، لم يترك حديثه، فأما أهل الحديث، فإنهم قد يروون الحديث من رواية الثقات العدول، ثم تقوم لهم علل تمنعهم عن الحكم بصحته، انتهى كلامه بنصه، وهو صريح في اختلاف الاصطلاحين في مسمى الصحيح من الحديث كما قررناه والحمد لله)[1].

وقال بدر الدين الزركشي: (وقال أبو الحسن بن الحصار الأندلسي في «تقريب المدارك على موطأ مالك»، إن للمحدثين أغراضا في طريقهم احتاطوا فيها وبالغوا في الاحتياط، ولا يلزم الفقهاء اتباعهم على ذلك، كتعليلهم الحديث المرفوع بأنه قد روي موقوفا أو مرسلا، وكطعنهم في الراوي إذا انفرد بالحديث، أو بزيادة فيه، أو لمخالفة من هو أعدل منه وأحفظ، قال وقد يعلم الفقيه صحة الحديث بموافقة الأصول، أو آية من كتاب الله تعالى، فيحمله ذلك على قبول الحديث، والعمل به، واعتقاد صحته، وإذا لم يكن في سنده كذاب فلا بأس

(١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل الصنعائي ج١ ص١٧ ـ ١٨.



بإطلاق القول بصحته إذا وافق كتاب الله تعالى وسائر أصول الشريعة)[١].

وقال ابن دقيق العيد في تعريفه للحديث الصحيح: (ومداره بمقتضى أصول الفقهاء والأصوليين على صفة عدالة الراوي في الأفعال مع التَّيقّظ، العدالة المشترطة في قبول الشهادة، على ما قُرِّر في الفقه، فمن لم يقبل المرسل منهم زاد في ذلك أن يكون مسنداً. وزاد أصحاب الحديث أن لا يكون شاذاً ولا معلَّلاً. وفي هذين الشرطين نَظَرٌ على مقتضى مذهب الفقهاء، فإن كثيراً من العلل التي يعلِّل بها المحدثون الحديث لا تجري على أصول الفقهاء)[٢].

ومن ثم ونتيجة لهذا الاختلاف بين منهجي المتقدمين والمتأخرين، اشتد النزاع بين المتأخرين في تفضيل أي منهج من المنهجين ونُصْرته، فمنهم من ناصر مذهب المتأخرين، وطعن وشنع في المتقدمين، وطالبهم بالدليل على إعراضهم عن كثير من الأحاديث الصحيحة، وقبولهم وتسليمهم بكثير من الأحاديث الضعيفة والشاذة.

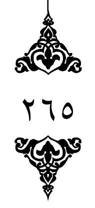
ومنهم من نصر مذهب المتقدمين، وحكم بصحة كل ما جاء عنهم، ورفض طريقة المتأخرين في إخضاع النصوص إلى العقل، ووسائل العلم الحديث، والاكتفاء بصحة السند دون النظر إلى الأمور الخفية والعلل غير الظاهرة.

ومنهم من جعل منهجه تلفيقا ما بين منهج القدماء ومنهج المتأخرين، فأخذ من هؤلاء ضغثاً، ومن هؤلاء ضغثاً، ولو أسهبنا في ذكر الأمثلة على كل فرقة من هذه الفرق لما توقف بنا المقال فالإجمال هنا أولى وأحلى، فالمهم أن يعرف القارئ الكريم أن ليس للقوم منهج معين ومحدد، ولا قواعد ثابتة في تقييم الأحاديث وتصحيحها، وقد افترقوا في ذلك إلى فرق لا تعد.

---

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح لبدر الدين الزركشي ج١ ص١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) الاقتراح في فن الاصطلاح للحافظ ابن دقيق العيد ج١ ص١.



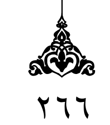
ليست لدى القدماء قواعد واضحة ومنهجية معلومة في الجرح والتعديل

قد وقع كل المتأخرين الذين انتصروا لمنهج المتقدمين في الجرح والتعديل في ورطة كبيرة، ومعضلة عظيمة، إذ وجدوا أنفسهم أمام إشكال كبير جدا، وهو ان المتقدمين من المحدثين وأهل الجرح والتعديل، لم يكن لديهم منهج محدد وواضح في التعامل مع الأحاديث النبوية.

ووجد المتأخرون أيضا أنفسهم أمام عدة مناهج متناقضة ومتضاربة للمتقدمين، فأحمد بن حنبل يقوي حديثا، ومسلم النيسابوري يضعفه، ومالك يصححه، والبخاري يرفضه، والترمذي يحسنه، وغيره يكذبه، ومن دون أن يبينوا في كثير من الأحيان سبب ردهم وتضعيفهم أو علة تأييدهم وتقويتهم.

فضلاً عن الاختلاف والتناقض في منهج المحدث الواحد، فنراه يرفض التدليس لكنه يخرج لمئات من المدلسين، ويضعف مجهول العدالة ويخرج لعشرات منهم، وهكذا، وقد مر في الفصل السابق كثير من الشواهد الدالة على هذا التناقض في المناهج.

ولهذه الأسباب وغيرها وقع المتأخرون في حيص وبيص كما يقول المثل الشائع، وحاولوا تفسير هذا التناقض والتضارب في المناهج بكلمات لا تصمد أمام النقاش العلمي، ولما عجزوا عن تفسير الأمر حاولوا سد باب النقد والاعتراض بوجه كل من يريد معرفة العلل والأسباب التي كان القدماء يبنون عليها أحكامهم في التصحيح والتضعيف وفي الجرح والتعديل، وفسروا المسألة بأنها حالة قلبية وأمر نفسي يمر على المحدثين فيستشعرون معها بصحة الحديث أو



عدم صحته.

قال السخاوي في (فتح المغيث): (وقال ابن مهدي هي إلهام لو قلت للقيم بالعلل من أين لك هذا لم تكن له حجة)[1].

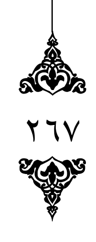
ونقل السخاوي عن آخر: (ونحن نعلم صحة الحديث بعدالة ناقليه وأن يكون كلاما يصلح أن يكون كلام النبوة ونعرف سقمه ونكارته بتفرد من لم تصح عدالته وهو كما قال غيره أمر يهجم على قلبهم لا يمكنهم رده وهيئة نفسانية لا معدل لهم عنها)[2].

وهو أمر مضحك خطير في الوقت نفسه، لأنه يجعل السنة النبوية خاضعة لميول المحدثين ورغباتهم واعتقاداتهم ونوازعهم، ويصيرها متأثرة بالعقد النفسية والمتبنيات المذهبية لذلك المحدث، فما وافق تلك الرغبات والمتبنيات والاعتقادات يكون صحيحا وما خالفها يكون مكذوبا ويحكم عليه بالضعف وعدم الاعتبار.

وقد زادوا الطين بلة حينما لم يكتفوا بالاعتراف بعدم وجود قواعد وأسس منطقية لعملية التقييم، فأوجب كثير منهم اتباع المتأخرين لحكم المتقدمين وتقليدهم في جرحهم وتوثيقهم وتصحيحهم وتضعيفهم من دون السؤال عن أسباب قدحهم ودواعي جرحهم، وفي هذا الصدد يقول إسماعيل بن كثير الشافعي: (أما كلام هؤلاء الأئمة المنتصبين لهذا الشأن، فينبغي أن يؤخذ مسلماً من غير ذكر أسباب، وذلك للعلم بمعرفته، واطلاعهم واضطلاعهم في هذا الشأن، واتصافهم بالإنصاف

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ج١ ص٢٣٥.

(٢) المصدر السابق ص٢٣٦.



والديانة والخبرة والنصح)[١].

فيتضح من ذلك ان القدماء في حكمهم على الأحاديث ليس لهم قواعد محددة ومتفق عليها، فهم كما صرح بعضهم يتبعون حالة نفسية تهجم عليهم فيحكمون على الأحاديث بما يتلاءم وتلك الحالة، ولو سلمنا جدلا بوجود قواعد لهم فانهم لا يلتزمون بها من الناحية العملية التطبيقية، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الزركشي في (النكت على مقدمة ابن الصلاح) إذ قال وهو يتحدث عن مسألة زيادة الثقة ومدى قبولها: (الذي يظهر من كلامهم خصوصا المتقدمين كيحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ومن بعدهما كأحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وهذه الطبقة ومن بعدهم كالبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم الرازيين ومسلم والترمذي والنسائي وأمثالهم والدارقطني والخليلي كل هؤلاء مقتضى تصرفهم في الزيادة قبولا وردا الترجيح بالنسبة إلى ما يقوى عند الواحد منهم في كل حديث ولا يحكمون في المسألة بحكم كلي يعم جميع الأحاديث وهذا هو الحق)[٢].

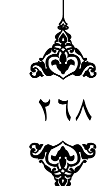
دخول العصبية والحسد والبغضاء في منهج التوثيق والقدح

من يتأمل في أحوال القدماء من أهل الجرح والتعديل يجد أن كثيرا من أحكام جرحهم وتعديلهم لم تكن نابعة من ديانة أو علم أو نصح، فكثيراً ما تدخّل الهوى والحسد والعصبية المذهبية والعداوات الشخصية والتنافس وحب النفس والدنيا في أحكام المدح والقدح التي كانت تطلق على الرواة ورواياتهم، وفيما يأتي جملة من الشواهد الدالة على هذه الحقيقة:

---

(١) الباحث الحثيث في اختصار علوم الحديث لإسماعيل بن كثير الشافعي ص١١.

(٢) النكت على مقدمة ابن الصلاح لبدر الدين الزركشي ج٢ ص١٧٥ ـ ١٧٦.



١: تشنيع ابن مندة في أبي نعيم وكلام أبي نعيم في ابن مندة بهوى وعصبية

قال الذهبي في ترجمة أبي نعيم الأصبهاني ما نصه: (أحمد بن عبد الله الحافظ أبو نعيم الأصبهاني. أحد الأعلام. صدوق، تكلم فيه بلا حجة، ولكن هذه عقوبة من الله لكلامه في ابن مندة بهوى. قال الخطيب: رأيت لأبي نعيم أشياء يتساهل فيها، منها أنه يطلق في الإجازة أخبرنا ولا يبين. قلت: هذا مذهب رآه أبو نعيم وغيره، وهو ضرب من التدليس. وكلام ابن مندة في أبي نعيم فظيع، لا أحب حكايته، ولا أقبل قول كل منهما في الآخر، بل هما عندي مقبولان، لا أعلم لهما ذنبا أكثر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها. قرأت بخط يوسف بن أحمد الشيرازي الحافظ، رأيت بخط ابن طاهر المقدسي يقول: أسخن الله عين أبي نعيم، يتكلم في أبي عبد الله بن مندة، وقد أجمع الناس على إمامته وسكت عن لاحق وقد أجمع الناس على أنه كذاب. قلت: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرا من الاعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)[1].

أقول: ويستفاد من كلام الذهبي فوائد كثيرة تكشف لنا النقاب عن حقيقة جرح أكثر القدماء والمعاصرين وتعديلهم منها:

ألف: نستفيد من قوله: (تكلم فيه بلا حجة) أن ليس كل جرح يوجهه نقاد الحديث يكون بحجة فيوجد منه وهو كثير جدا جرح لا يستوجب الجرح أو قل جرح بلا سبب موجب للجرح، كما كان يطعن يحيى بن معين في عامر بن صالح لان

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ١١١.



عامرا كان يسمع الحديث عن رجل يصغره سنا ورجل آخر يكبره سنا وهو عيب في نظر ابن معين، قال الخطيب البغدادي عن: (...عبد الله بن أحمد بن حنبل قال قلت لأبي إن يحيى بن معين يطعن على عامر بن صالح قال يقول ماذا قلت رآه يسمع من حجاج قال قد رأيت أنا حجاجا يسمع من هشيم وهذا عيب يسمع الرجل ممن هو أصغر منه وأكبر)[١].

وكما فعل شعبة مع احد الرواة الذين ترك حديثه فلما سُئل لماذا تركت حديثه أجابهم لأني رأيته يركض على فرس له، قال المدائني: (قيل لشعبة لم تركت حديث فلان قال رأيته يركض على برذون[٢] فتركت حديثه)[٣].

أو كترك الحكم بن عتيبة حديث زاذان لأنه يتكلم كثيرا، فعن أمية بن خالد عن شعبة قال: (قلت للحكم بن عتيبة لِمَ لَمْ ترو عن زاذان قال كان كثير الكلام)[٤].

باء: ونستفيد من قول الذهبي السابق (ولكن هذه عقوبة من الله لكلامه في ابن مندة بهوى) أن أهل الجرح والتعديل والحديث والرواية مهما علت مرتبتهم وعظمت منزلتهم عند أهل السنة، فيمكن أن يصدر عنهم كثير من التوثيقات والتضعيفات الناشئة عن الهوى والعصبية والبغضاء والشحناء، فأبو نعيم الأصبهاني مع كونه وكما وصفه الذهبي أحد الأعلام وصدوقاً إلا انه جرح ابن مندة وكان منشأ جرحه الهوى والتحامل، وكذلك فعل ابن مندة مع أبي نعيم

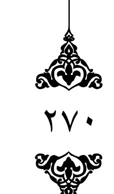
---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ١٣٨.

(٢) البرذون من الخيل ما ليس بعربي أصيل.

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

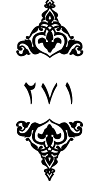
(٤) المصدر السابق ص١٤٠.



الأصبهاني حيث جرحه وطعن في عدالته لوجود العداوة بينهما، كما هو المفهوم من كلام الذهبي (وكلام ابن مندة في أبي نعيم فظيع، لا أحب حكايته) فإذا كان حالهم مع أهل نحلتهم ومن يشاركونهم في الاعتقاد بكثير من مبادئ العقيدة والأصول هكذا، فكيف يا ترى سيكون حالهم مع من يخالفهم في المذهب والرؤيا والعقيدة من الشيعة الإمامية وغيرهم من مخالفيهم؟!.

جيم: وفي قوله: (رأيت بخط ابن طاهر المقدسي يقول: أسخن الله عين أبي نعيم، يتكلم في أبي عبد الله بن مندة، وقد أجمع الناس على إمامته وسكت عن لاحق وقد أجمع الناس على أنه كذاب. قلت: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله) مبالغة واضحة في استعمال قاعدة (كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به)، لان ابن طاهر المقدسي كان ينتقد منهج أبي نعيم الأصبهاني في الرواية، لان ابا نعيم كان يطعن في وثاقة ابن مندة الذي أجمع الناس على إمامته، ولكنه في المقابل يروي ويسكت عن شخص اسمه لاحق قد أجمع الناس على كذبه، فهو قدح مفسر لا يدخل تحت قاعدة كلام الأقران بعضهم في بعض، فدفاع الذهبي عن أخطاء أعلامه ومفارقاتهم وتناقضاتهم غير علمي ولا مبرر، وليته كان يدافع عن أعلام الشيعة الإمامية ومحدثيهم بعشر ما يدافع به عن أعلام مذهبه، فكم من راوٍ قد وثقه أهل السنة وقدحه الذهبي وشنع عليه ولم يبق له عذرا بسبب كونه شيعيا.

دال: ومن قوله (وما علمت أن عصرا من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس) نعرف عظيم الخرق وكبير المصيبة فالموثقون والجارحون على الهوى والعصبية والحسد والبغض



والتحزب الطائفي والمذهبي لم يخل منهم عصر من الأعصار، وان قصص مثل هذا التصرف المشين الخارج عن حدود الشرع والأخلاق وأمثلته وشواهده لو ذكرت ونشرت لملأ الذهبي منها عدة كراريس.

٢: القدح بسبب العصبية والعداوة

وأمثلته كثيرة منها قدح ربيعة الرأي بأبي الزناد عبد الله بن ذكوان، وقدح أبي الزناد بربيعة، حيث كانت بينهما عداوة ظاهرة معلومة، فكان احدهما يشنع على الآخر ويسقط عدالته نتيجة لتلك العداوة، حتى كان أبو الزناد سببا لان يجلد ربيعةَ الرأي أحدُ الحكام الأمويين، ثم لما تولى حاكم آخر نصر ربيعة وحبس أبي الزناد في سجن وبنى عليه باب السجن قاصدا إهلاكه حتى الموت، فتنازل ربيعة الرأي عن حقه وتوسط له عند ذلك السلطان فأخرج من سجنه وقد شارف على الموت، قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: (هو ـ أي أبو الزناد ـ كان سبب جلد ربيعة الرأي، ثم ولي بعد ذلك المدينة فلان التيمي، فأرسل إلى أبي الزناد، فطين عليه بيتا، فشفع فيه ربيعة...فأخرجوا أبا الزناد، وقد عاين الموت وذبل، ومالت عنقه. نسأل الله السلامة)[1].

ومن أمثلة ذلك أيضا ما وقع بين ابن جرير الطبري وبين ابن أبي داود والذي حكاه الذهبي بقوله: (وقد وقع بين ابن جرير وبين ابن أبي داود، وكان كل منهما لا ينصف الآخر، وكانت الحنابلة حزب أبي بكر بن أبي داود، فكثروا وشغبوا على ابن جرير، وناله أذى، ولزم بيته، نعوذ بالله من الهوى)[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٥ ص٤٤٨.

(٢) المصدر السابق ج١٤ ص٢٧٧.



٣: القدح بسبب الاختلاف في الرأي الفقهي

ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) من طعن يحيى بن معين في الشافعي، ومن طعن ابن أبي ذئب وقدحه في مالك بن أنس، فقال: (ومما نقم على ابن معين وعيب به أيضا قوله في الشافعي: إنه ليس بثقة وقيل لأحمد بن حنبل: إن يحيى بن معين يتكلم في الشافعي فقال أحمد: ومن أين يعرف يحيى الشافعي هو لا يعرف الشافعي ولا يعرف ما يقول الشافعي؟ أو نحو هذا ومن جهل شيئا عاداه، قال أبو عمر رحمه الله: «صدق أحمد بن حنبل رحمه الله، إن ابن معين كان لا يعرف ما يقول الشافعي رحمه الله... وقد صح عن ابن معين من طرق أنه كان يتكلم في الشافعي على ما قدمت لك حتى نهاه أحمد بن حنبل رحمه الله ونبهه على موضعه في العلم وقال له: لم تر عيناك قط مثل قول الشافعي)[1].

وقال ابن عبد البر: (وقد تكلم ابن أبي ذئب في مالك بن أنس بكلام فيه جفاء وخشونة كرهت ذكره وهو مشهور عنه قاله إنكارا منه لقول مالك في حديث «البيعين بالخيار» وكان إبراهيم بن سعد يتكلم وكان إبراهيم بن أبي يحيى يدعو عليه وتكلم في مالك أيضا فيما ذكره الساجي في كتاب العلل عبد العزيز بن أبي سلمة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن إسحاق، وابن أبي يحيى، وابن أبي الزناد، وعابوا أشياء من مذهبه وتكلم فيه غيرهم ؛ لتركه الرواية عن سعد بن إبراهيم وروايته عن داود بن الحصين، وثور بن زيد وتحامل عليه الشافعي وبعض أصحاب أبي حنيفة في شيء من رأيه حسدا لموضع إمامته)[2].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج٣ ص٤١٥.

(٢) المصدر نفسه.



أقول: فإذا كان القوم يقدحون فيمن خالفهم بحديث أو مسألة فقهية فماذا عساهم يفعلون فيمن خالفهم بأصل الإمامة أو مسائل التوحيد والعصمة؟ هذا مع ملاحظة أن القادح هو ابن معين احد من شهد له بإمامة الحديث ومن أهل الجرح والتعديل الذين يركن إلى قولهم ويؤخذ بحجزتهم في هذا الفن، فإذا كان مثل هذا يحكم ويقدح بغير معرفة ولا دليل فماذا ترك لمن هو اقل منه شأنا ومنزلة علمية؟.

والقادح الآخر هو الشافعي إمام المذهب الشافعي، وكان سبب قدحه هو الحسد لموضع إمامته، وهو يوضح لنا أن الشافعي وغيره لم يكونوا بالصورة التي يروجها أتباعهم اليوم، وان حب الرئاسة والمنصب قد اخذ من أنفسهم مأخذا عظيما بحيث دفعهم إلى الانتقاص والقدح في شخص بسبب الحسد لموضع إمامته.

٤: القدح بسبب الاختلاف في العقيدة

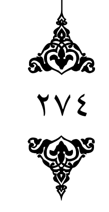
قال ابن حجر في (فتح الباري): (واعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد فينبغي التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق)[١].

وقال السبكي: (ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه لذلك وإليه أشار الرافعي بقوله وينبغي أن يكون المزكون براء من الشحناء والعصبية في المذهب خوفا من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق وقد وقع هذا لكثير من الأئمة جرحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب)[٢].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج١ ص٣٨٥.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ج٢ ص٦.



وقال الحافظ ابن حجر في (نُزْهَةِ النَّظَر): (ولْيَحْذَرِ المتكلِّمُ في هذا الفنِّ مِن التَّساهُلِ في الجَرْحِ والتَّعديلِ، فإنَّهُ إنْ عدَّلَ أحداً بغيرِ تثبُّتٍ؛ كانَ كالمُثْبِتِ حُكْماً ليسَ بثابتٍ، فيُخْشى عليهِ أنْ يدْخُلَ في زُمرةِ «مَن روى حَديثاً وهُو يظنُّ أنَّهُ كَذِبٌ». وإنْ جَرَّحَ بغيرِ تَحرُّزٍ، فإنَّه أقْدَمَ على الطَّعنِ في مُسلمٍ بَريءٍ مِن ذلك، ووسَمَهُ بِميْسَمِ سُوءٍ يَبْقى عليهِ عارُهُ أبداً. والآفةُ تدخُلُ في هذا: تارةً مِنَ الهَوى والغَرَضِ الفاسِدِ ـ وكلامُ المتقدِّمينَ سالِمٌ مِن هذا غالباً وتارةً مِن المُخالفةِ في العَقائدِ ـ وهُو موجودٌ كثيراً؛ قديماً وحَديثاً، ولا ينْبَغي إِطلاقُ الجَرْحِ بذلك)[1].

وجاء في (لسان الميزان) لابن حجر: («وممن ينبغي» أن يتوقف في قبوله قوله في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد فان الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب وذلك لشدة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيع فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلقة وعبارة طلقة حتى أنه اخذ يلين مثل الأعمش وأبي نعيم وعبيد الله بن موسى وأساطين الحديث وأركان الرواية...)[2].

وقد ضرب السبكي لهذه الآفة عدة أمثلة اخترنا منها قوله: (وأمثلة هذا تكثر وهذا شيخنا الذهبي رحمه الله من هذا القبيل له علم وديانة وعنده على أهل السنة تحمل مفرط فلا يجوز أن يعتمد عليه ونقلت من خط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي رحمه الله ما نصه الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي لا أشك في دينه وورعه وتحريه فيما يقوله الناس ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات ومنافرة

(١) نُزْهَةِ النَّظَر في تَوْضِيحِ نُخْبَةِ الفِكَر في مُصْطَلحِ أهلِ الأثَر للحافظ ابن حجر العسقلاني ج٢ ص٤٥.

(٢) لسان الميزان لابن حجر ج ١ ص ١٦.



التأويل والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافا شديدا عن أهل التنزيه وميلا قويا إلى أهل الإثبات فإذا ترجم واحدا منهم يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن ويبالغ في وصفه ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن وإذا ذكر أحدا من الطرف الآخر كإمام الحرمين والغزالي ونحوهما لا يبالغ في وصفه ويكثر من قول من طعن فيه ويعيد ذلك ويبديه ويعتقده دينا وهو لا يشعر ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها وكذلك فعله في أهل عصرنا إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته والله يصلحه ونحو ذلك وسببه المخالفة في العقائد ـ انتهى ـ والحال في حق شيخنا الذهبي أزيد مما وصف وهو شيخنا ومعلمنا غير أن الحق أحق أن يتبع وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية فإن غالبهم أشاعرة وهو إذا وقع بأشعري لا يبقي ولا يذر والذي أعتقده أنهم خصماؤه يوم القيامة عند من لعل أدناهم عنده أوجه منه...)[1].

وقال الصنعائي بعد نقل جزء من الكلام السابق للسبكي حول شيخه الذهبي ما نصه: (قلت لا يخفى أن الصلاح العلائي وابن السبكي شافعيان حادان أشعريان وأن الذهبي إمام كبير الشأن حنبلي الاعتقاد شافعي الفروع وبين هاتين الطائفتين الحنابلة والأشعرية في العقائد في الصفات وغيرها تنافر كلي فلا يقبلان عليه بعين ما قالاه فيه... وأقول إذا كان الأمر كما سمعت فكيف حال الناظر في كتب الجرح والتعديل وقد غلب التمذهب والمخالفة في العقائد على كل طائفة حتى إن طائفة تصف رجلا بأنه حجة وطائفة أخرى تصفه بأنه دجال باعتبار اختلاف الاعتقادات

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ج٣ ص٧.



والأهواء فمن هنا كان أصعب شيء في علوم الحديث الجرح والتعديل...)[١].

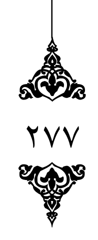
أقول: إن من يطلع على قدح بعضهم بعضا بسبب مسائل عقائدية جزئية يرى العجب العجاب فقد يصل الحال بتكفير بعضهم بعضا، ومحاولة الاعتداء عليه وضربه وقتله، كما في القصة التي رواها الذهبي بقوله: (قال أبو طاهر السلفي: سمعت أبا العلاء محمد بن عبد الجبار الفرساني يقول: حضرت مجلس أبي بكر بن أبي علي الذكواني المعدل في صغري مع أبي، فلما فرغ من إملائه، قال إنسان: من أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم، فليقم. وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجورا بسبب المذهب، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى فتنة، وقيل وقال، وصداع طويل، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام، وكاد الرجل يقتل)[٢].

أقول: فيا للعجب! كادوا يقتلونه لأنه قال من أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم فليقم، مع أن أبا نعيم كما يعرفه أهل السنة من أئمة الحديث، فكيف سيكون حالهم معه لو قال لهم تعالوا نحضر درس شيعي رافضي؟! وإذا كان الذهبي يطعن في الأشاعرة ويمدح في الحنابلة لان الحنابلة يشاركونه في الاعتقاد بعكس الأشاعرة، وكل منهما محسوب على الصف السني فماذا ستكون ردة فعل الذهبي إذا وصل إلى محدث شيعي؟ وكيف سيطمئن المؤمن إلى أحكام هؤلاء النقاد بعد قول الصنعائي: وقد غلب التمذهب والمخالفة في العقائد على كل طائفة حتى إن طائفة تصف رجلا بأنه حجة وطائفة أخرى تصفه بأنه دجال باعتبار اختلاف الاعتقادات والأهواء؟.

---

(١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل الصنعائي ج٢ ص٢٧٨ ـ ٢٧٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٧ ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠.



بعض نماذج التناقضات في مناهج المحدثين

لا يوجد أدنى شك في وقوع التناقض من أئمة الحديث في توثيق شخص واحد أو قدحه، وفي هذا الصدد يقول الترمذي في (العلل الصغير): (وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضعيف الرجال كما اختلفوا في سوى ذلك من العلم)[١]، وهذا ليس بعجيب فالاختلاف بينهم هو الغالب على كل مسائل علم الحديث عندهم، لكن العجيب هو اجتماع جرح وتوثيق على راوٍ واحد ومن محدث واحد، وفيما يأتي بعض النماذج الكاشفة لهذا التناقض الغريب.

١: البخاري يورد أسماء كثير من الرواة في كتاب الضعفاء ويخرج لهم في صحيحه

ذكر البخاري كثيراً من الرواة الذين طعن فيهم أو في عقيدتهم في كتابه الضعفاء، ولكنه اخرج لهم في كتابه المعروف بين الناس بصحيح البخاري، والذي اشترط الصحة في كل حديث يورده في هذا الكتاب، كما نقل عمر بن محمد البجيري قال: (سمعت محمد بن إسماعيل يقول صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته)[٢].

وعن أبي إسحاق الريحاني قال: (سمعت عبد الرحمن بن رساين البخاري يقول سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول صنفت كتابي الصحاح في ستة عشر سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى)[٣].

والحديث الذي فيه رجل مطعون في عدالته ووثاقته ليس حديثا صحيحا

---

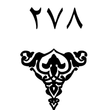
(١) العلل الصغير للترمذي ج١ ص٧٥٦.

(٢) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٤٩٠.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٢ ص ٧٢.

باتفاق أهل السنة، وإذا لم يكن صحيحا كيف جوز البخاري لنفسه نقله وإدخاله في كتابه الصحيح بزعمه وزعم غيره، وهذا من التناقض الواضح، وفيما يأتي جملة من الشواهد على هذه الحقيقة.





ألف: أيوب بن صالح بن عائذ الكوفي

قد صرح الذهبي في ميزان الاعتدال ان البخاري قد أورد أيوب بن صالح في كتابه الضعفاء وانه قد رماه بالإرجاء وهو من المذاهب الفاسدة التي توجب ضعف الراوي عند علماء أهل السنة، وتعجب الذهبي من إخراج البخاري له حديثا في كتابه الصحيح مع حكمه عليه بالضعف، قال الذهبي: (أيوب بن صالح بن عائذ... وثقه أبو حاتم وغيره. وأما أبو زرعة فسرد اسمه في كتاب الضعفاء. وكان من المرجئة قاله البخاري، وأورده في الضعفاء لإرجائه. والعجب من البخاري يغمزه وقد احتج به، لكن له عنده حديث، وعند مسلم له حديث آخر)[1].

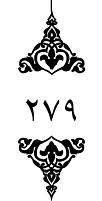
أقول: ويستفاد من كلام الذهبي إضافة إلى تناقض البخاري في إيراد أيوب ابن صالح في الضعفاء ثم الاحتجاج به في الصحيح، تناقض نفس أهل الجرح والتعديل من أهل السنة حيث لا تجتمع كلمتهم على توثيق الرجل الواحد فنرى أن أبا حاتم قد وثقه، بينما ضعفه أبو زرعة.

باء: ثابت بن محمد الزاهد

قال ابن حجر: (ثابت بن محمد العابد...روى عنه البخاري في الصحيح حديثين في الهبة والتوحيد لم ينفرد بهما)[2].

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٣٩٢.



وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: (والعجب من البخاري حدث عن ثابت ابن محمد الزاهد في صحيحه وذكره في كتاب الضعفاء)[١].

وقال الذهبي أيضا في ميزان الاعتدال: (ثابت بن محمد الكوفي العابد، أبو إسماعيل الشيباني. قال أبو حاتم: صدوق. وقال الحاكم: ليس بضابط. ووثقه مطين، واحتج به البخاري... ومع كون البخاري حدث عنه في صحيحه ذكره في الضعفاء)[٢].

وقال أبو زرعة: (والعجب من البخاري في ذكره في «الضعفاء» مع احتجاجه به في الصحيح)[٣].

وقال الألباني في (إرواء الغليل): (ثابت هذا مختلف فيه قال أبو حاتم: صدوق، ووثقه مطين، وقال ابن عدي: كان خيرا فاضلا وهو عندي ممن لا يتعمد الكذب، ولعله يخطئ. وقال الدارقطني: ليس بالقوي، لا يضبط وهو يخطئ في أحاديث كثيرة. قلت: ومن الغرائب أن البخاري أورده في الضعفاء، ومع ذلك روى عنه في الصحيح)[٤].

وقال الألباني في (تمام المنة): (أن ثابت بن محمد الزاهد وإن روى له البخاري فقد ذكره هو نفسه في الضعفاء)[٥].

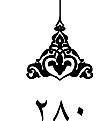
(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٧ ص ٢٩٩

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٣٦٦.

(٣) البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مس بضرب من التجريح لابي زرعة العراقي ص ٧٦ رقم٨٤.

(٤) إرواء الغليل لمحمد ناصر الألباني ج ٢ ص ١١٥ ـ ١١٦.

(٥) تمام المنة لمحمد ناصر الألباني ص ٣٥٨.



جيم: مقسم بن بجرة أو ابن نجدة

قد روى البخاري له في صحيحه مع انه أورد اسمه في الضعفاء كما نبه عليه الذهبي بقوله:

(مقسم... والعجب أن البخاري أخرج له في صحيحه، وذكره في كتاب الضعفاء، فساق له حديث شعبة عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: إحتجم النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وهو صائم، ثم روى عن شعبة أن الحكم لم يسمع من مقسم حديث الحجامة)[١].

دال: حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان

قال الذهبي: (حمران بن أبان مولى عثمان. ثقة من سبي عين التمر. روى عنه عروة، وعطاء بن يزيد الليثي، وزيد بن أسلم، وعدة. وقد ذكره ابن سعد في الطبقات، فقال: لم أرهم يحتجون به. وقد أورده البخاري في الضعفاء، لكن ما قال ما بليته قط)[٢].

أقول: هذه بعض النماذج وقد تركنا أكثرها للاختصار.

٢: تناقض ابن حبان في توثيق الرواة وجرحهم

كثيرون هم الذين اضطربت حولهم أقوال ابن حبان جرحا وتعديلا، وفيما يأتي جملة من الذين وثقهم ابن حبان في كتابه (الثقات) ثم أعاد ذكرهم فطعنهم وضعفهم في كتابه (المجروحين) أو بالعكس، وهم على نحو الاختصار كل من:

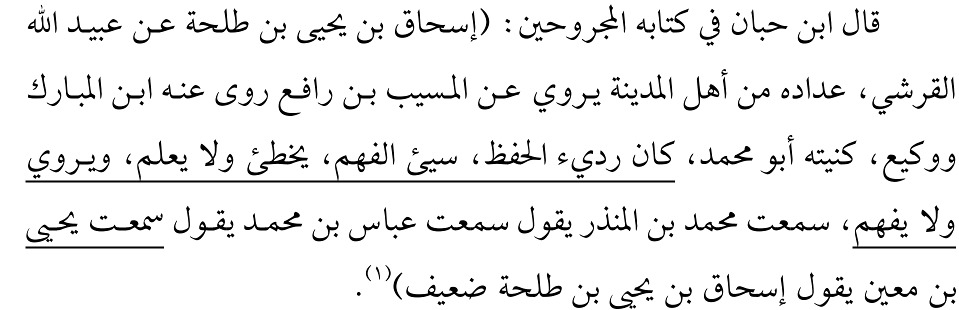
---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٤ ص ١٧٦.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٦٠٤.



ألف: إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عبيد الله القرشي



قال ابن حبان في كتابه المجروحين: (إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عبيد الله القرشي، عداده من أهل المدينة يروي عن المسيب بن رافع روى عنه ابن المبارك ووكيع، كنيته أبو محمد، كان رديء الحفظ، سيئ الفهم، يخطئ ولا يعلم، ويروي ولا يفهم، سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت عباس بن محمد يقول سمعت يحيى بن معين يقول إسحاق بن يحيى بن طلحة ضعيف)[1].

وأعاد ابن حبان ذكره في كتاب (الثقات) قائلا: (إسحاق بن يحيى بن طلحة ابن عبيد الله كنيته أبو محمد أمه خنساء بنت زياد بن الأبرد بن معاذ بن عدي يروي عن عيسى بن طلحة والمسيب بن رافع روى عنه ابن المبارك وأهل العراق مات في ولاية المهدي يخطئ ويهم قد أدخلنا إسحاق بن يحيى هذا في الضعفاء لما كان فيه من الإيهام ثم سبرت أخباره فإذا الاجتهاد أدى إلى أن يترك ما لم يتابع عليه ويحتج بما وافق الثقات بعد أن استخرنا الله تعالى فيه)[2].

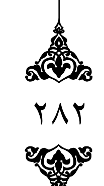
أقول: فيتضح من كلام ابن حبان هذا ان حكمه على إسحاق بن يحيى بالضعف لم يكن عن دراسة تامة وشاملة لجميع أبعاد شخصيته ورواياته، فصدر عنه الحكم بضعفه، وهو حكم قاصر وغير علمي والله يعلم كم من الذين رماهم بالضعف من دون دراسة تفصيلية، وكم الذين وثقهم وهم ممن يستحق الترك والإعراض.

باء: الحسن بن محمد البلخي

قال ابن حبان في (المجروحين): (الحسن بن محمد البلخي شيخ، يروي عن حميد الطويل وعوف الأعرابي الأشياء الموضوعة و«عن» غيرهما من الثقات

(١) كتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص١٣٣.

(٢) الثقات لابن حبان ج ٦ ص ٤٥.



الأحاديث المقلوبة، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه بحال، وهذا شيخ ليس يعرفه إلا الباحث عن هذا الشأن)[١].

وأعاد ابن حبان ذكره في الثقات فقال: (الحسن بن محمد الليثي أبو محمد البلخي كان على قضاء مرو يروي عن مقاتل بن حيان والناس روى عنه أهل مرو الحكايات وكان ابن المبارك يميل إليه وكان في أيامه على القضاء بها)[٢].

وقد أشار ابن حجر في (لسان الميزان) إلى هذا التناقض بقوله: («الحسن» بن محمد البلخي...قال ابن عدي كل أحاديثه مناكير، وقال ابن حبان يروي الموضوعات لا تحل الرواية عنه...وقد غفل ابن حبان فذكره في الثقات)[٣].

جيم: الحسين بن عطاء بن يسار

ذكره ابن حبان في (الثقات) بقوله: (حسين بن عطاء بن يسار من أهل المدينة يروي عن زيد بن أسلم روى عنه عبد الحميد بن جعفر يخطئ ويدلس)[٤].

وأعاد ابن حبان ذكره في المجروحين قائلا: (حسين بن عطاء من أهل المدينة، يروي عن زيد بن أسلم المناكير التي ليست تشبه حديث الأثبات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد لمخالفته الأثبات في الروايات)[٥].

وقد أشار ابن حجر في (لسان الميزان) إلى تناقض ابن حبان هذا بقوله: («الحسين» بن عطاء بن يسار المدني...وقال ابن حبان لا يجوز أن يحتج به إذا

(١) كتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص ٢٣٨.

(٢) الثقات لابن حبان ج٨ ص١٦٨.

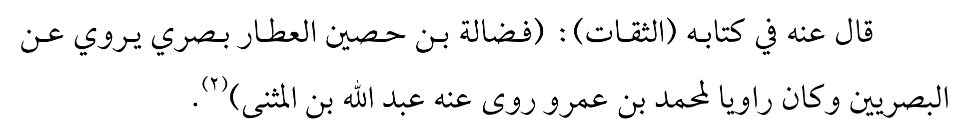
(٣) لسان الميزان لابن حجر ج ٢ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٤) الثقات لابن حبان ج٦ ص ٢٠٩.

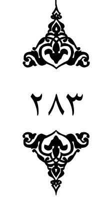
(٥) كتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص ٢٤٣.

انفرد...وذكره ابن حبان أيضا في الثقات فقال يخطئ ويدلس)[1].

دال: فضالة بن الحصين العطار البصري



قال عنه في كتابه (الثقات): (فضالة بن حصين العطار بصري يروي عن البصريين وكان راويا لمحمد بن عمرو روى عنه عبد الله بن المثنى)[2].



ولكنه أعاد ذكره في كتابه المجروحين بقوله: (فضالة بن حصين: شيخ يروي عن محمد بن عمرو الذي لم يتابع عليه وعن غيره من الثقات ما ليس من أحاديثهم)[3].

وقد أشار إلى هذا الخلط ابن حجر في (لسان الميزان) قائلا: («فضالة» بن حصين الضبي عن محمد بن عمرو وعطاء بن السائب ويونس بن عبيد ويزيد بن نعامة..وقال ابن حبان قيل ذلك في الضعفاء يروي عن محمد بن عمرو ما لا يتابع عليه وعن غيره ما ليس من حديثهم...وقال ابن حبان في الثقات كان راويا لمحمد ابن عمرو)[4].

هاء: ثعلبة بن يزيد الكوفي

ذكره ابن حبان في كتابه (الثقات بقوله): (ثعلبة بن يزيد الكوفي يروي عن علي روى عنه حبيب بن أبي ثابت)[5].

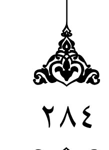
(١) لسان الميزان لابن حجر ج ٢ ص ٢٩٨.

(٢) الثقات لابن حبان ج ٧ ص ٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان ج ٢ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٤) لسان الميزان لابن حجر ج ٤ ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

(٥) الثقات لابن حبان ج ٤ ص ٩٨.



ثم أعاد ذكره في كتابه (المجروحين) قائلا : (ثعلبة بن يزيد الحماني من أهل الكوفة. يروي عن علي روى عنه حبيب بن أبي ثابت، كان غاليا في التشيع لا يحتج بأخباره التي يتفرد بها عن علي)[(١)].

وقد أشار ابن حجر في (تهذيب التهذيب) إلى هذا التضارب في قول ابن حبان فقال : (ثعلبة بن يزيد الحماني الكوفي. روى عن علي...وقال ابن حبان وكان على شرطة علي وكان غاليا في التشيع لا يحتج بأخباره إذا انفرد به عن علي كذا حكاه عنه ابن الجوزي، وقد ذكره في الثقات بروايته عن علي وبرواية حبيب ابن أبي ثابت عنه فينظر)[(٢)].

واو: جنيد بن العلاء

ذكره ابن حبان في (الثقات) بقوله : (جنيد بن العلاء أبو العلاء يروي عن مجاهد روى عنه أهل العراق)[(٣)].

وأعاد ابن حبان ذكره في (المجروحين) قائلا : (جنيد بن العلاء بن أبي وهرة وقد قيل بن أبي نمرة كنيته أبو حازم يروي عن ابن عمر وأبي الدرداء ولم يرهما ويروي عن جماعة من التابعين روى عنه عبد الرحيم بن سليمان وأبو أسامة كان يدلس عن محمد بن أبي قيس المسلوب ويروي ما سمع منه عن شيوخه فاستحق مجانبة حديثه على الأحوال كلها)[(٤)].

وقد أشار ابن حجر في (لسان الميزان) إلى تهافت ابن حبان بقوله : (جنيد بن

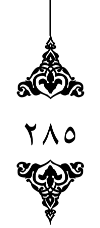
(١) كتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص ٢٠٧.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٢٣.

(٣) كتاب الثقات لابن حبان ج٦ ص١٥٠.

(٤) كتاب المجروحين لابن حبان ج١ ص٢١١.

العلاء تابعي... وقال ابن حبان روى عن أبي الدرداء وابن عمر ولم يرهما وعنه عبد الرحيم بن سليمان وأبو أسامة ينبغي مجانبة حديثه...وبقية كلام ابن حبان كان يدلس وأبو وهرة كنية العلاء وذكره ابن حبان في الثقات أيضا)[1].



هذه بعض الشواهد وقد تركنا العشرات منها خوف الإطالة.

٣: تناقض ابن معين في توثيق الرواة وتضعيفهم

كثيرة هي اختلافات ابن معين في توثيق الرجال وجرحهم نختار منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

ألف: محمد بن إسحاق صاحب المغازي المعروف

أخرج العقيلي في كتابه (الضعفاء) عن محمد بن عيسى قوله: (حدثنا عباس قال سمعت يحيى بن معين قال محمد بن إسحاق ثقة ولكن ليس بحجة)[2].

وكذلك أخرج العقيلي عن محمد بن عبد الرحمن قال: (حدثنا عبد الملك قال سمعت يحيى بن معين قال محمد بن إسحاق ضعيف)[3].

وعن الرازي في (الجرح والتعديل) قال: (قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سئل يحيى بن معين عن محمد بن إسحاق أحب إليك أو موسى بن عبيدة؟ فقال محمد بن إسحاق، محمد بن إسحاق صدوق ولكنه ليس بحجة)[4]

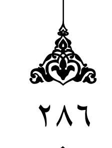
وعن الرازي أيضا نقلا عن أبي بكر بن أبي خيثمة انه قال: (وسمعت يحيى

(١) لسان الميزان لابن حجر ج٢ ص١٤١.

(٢) ضعفاء العقيلي ج ٤ ص ٢٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الجرح والتعديل للرازي ج ٧ ص ١٩٢.



يقول لم يزل الناس يتقون حديث محمد بن إسحاق، وسمعته مرة أخرى يقول ليس بذاك هو ضعيف)[١].

وعن الخطيب البغدادي عن جعفر بن محمد بن الأزهر قال: (حدثنا ابن الغلابي قال: سألت يحيى بن معين عن محمد بن إسحاق فقال: كان ثقة، وكان حسن الحديث)[٢].

وعن الخطيب البغدادي أيضا عن احمد بن زهير قال: (سألت يحيى بن معين عن محمد بن إسحاق؟ فقال: قال عاصم بن عمر بن قتادة: لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق)[٣].

وعن المزي في (تهذيب الكمال): (عن الدوري عن يحيى بن معين: محمد بن إسحاق ثقة، وليس بحجة)[٤].

وجميع هذه الأقوال كما ترى هي أقوال متضاربة لا يجمع بينها جامع، ولا يستطيع الباحث العثور على الرأي الحقيقي لابن معين في محمد بن إسحاق، أهو ضعيف أم ثقة أم ليس بذاك؟ وهل هو ليس بحجة أو هو حسن الحديث؟ وإذا كانت منزلته (صدوق) فلماذا لا تؤخذ برواياته؟ ولماذا في المقابل يؤخذ بروايات الكذابين والمدلسين وتثبت في الصحاح والمسانيد؟ كل هذه أسئلة لا نجد عليها إجابة واضحة، سوى ان ابن معين كان يعيش حالة من التخبط والاضطراب الشديد في

---

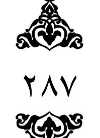
(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٧ ص١٩٤.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١ ص٢٣٣، وراجع أيضا تهذيب الكمال للمزي ج ٢٤ ص٤١١.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١ ص ٢٣٥.

(٤) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٤ ص ٤٢٣.

شأن محمد بن إسحاق، وان أحكامه لم تكن مبنية على بحث وتمحيص ومنهج علمي ثابت، وهو خطر عظيم يضع مصداقية علم الجرح والتعديل واستقلاله فوق طاولة الاتهام .



باء: كثير بن شنظير المازني البصري

وقد وثقه ابن معين في بعض كلماته كما قال الزيلعي في (نصب الراية) : (وقال عثمان بن سعيد الدارمي فيما رواه ابن عدي سألت يحيى عن كثير بن شنظير فقال ثقة)[1] .

ولكنه ضعفه عدّه ليس بشيء كما قال العقيلي في كتابه (الضعفاء) : (كثير بن شنظير حدثنا محمد بن عيسى حدثنا عمرو بن علي قال كان يحيى ــ ابن معين ــ لا يحدث عن كثير بن شنظير وحدثنا يوما عن بشر بن المفضل عن كثير بن شنظير فقال كثير بن شنظير كثير بن شنظير وكان عبد الرحمن يحدث عنه حدثنا محمد حدثنا عباس قال سمعت يحيى قال كثير بن شنظير ليس بشيء)[2] .

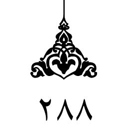
٤: بعض تناقضات العالم الوهابي الشيخ الألباني في تصحيح الأحاديث وتضعيفها

ألف: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

روى ابن ماجة في سننه : (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ حُيَيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعَافِرِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ــ صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم ــ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ :

(١) نصب الراية للزيلعي ج ١ ص ٢٥٥.

(٢) ضعفاء العقيلي ج ٤ ص ٦.



مَا هَذَا السَّرَفُ. فَقَالَ أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ قَالَ: نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ)[١].

حكم الألباني على هذا الحديث بأنه ضعيف في كتابه (ضعيف سنن ابن ماجه)[٢]، وحكم بضعفه أيضا في تخريجه لأحاديث مشكاة المصابيح[٣]، وحكم بضعف إسناده أيضا في كتابه (إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل)[٤].

ولكن الألباني أعرض عن تضعيف هذا الحديث في كتابه (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها) فحكم بحسن إسناده[٥].

باء: حديث عبيد الله بن أبي رافع

وروى أحمد بن حنبل وآخرون عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة)[٦].

حكم الألباني على هذا الحديث بأنه (حسن الإسناد) في كتابه إرواء

---

(١) سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة ج١ ص١٤٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

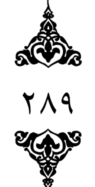
(٢) ضعيف سنن ابن ماجه لمحمد ناصر الدين الألباني/٨٩، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت الطبعة: الأولى، سنة الطبع ١٤٠٨ هـ.

(٣) هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة ومعه تخريج الألباني للمشكاة لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ص٤٠٧ تحقيق :علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي الناشر :دار ابن القيم ـ الدمام ـ الطبعة :الأولى - سنة الطبع١٤٢٢هـ.

(٤) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة الطبع١٣٩٩ هـ.

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها لمحمد ناصر الدين الألباني ج٧ ص٨٦٠ الناشر مكتبة المعارف الطبعة الأولى.

(٦) مسند احمد بن حنبل ج ٦ ص ٩.



الغليل[١]، لكنه عاد وحكم بضعفه في تحقيقه لكتاب (الكلم الطيب)[٢].

جيم: بعض الكتب التي ألفت في تناقضات الألباني

وبالجملة فمتابعة جميع تناقضات الألباني أمر لا يسعه هذا الكتاب وقد كتبت في تناقضاته عدة مؤلفات منها كتاب (تناقضات الألباني الواضحات) لمؤلفه حسن بن علي السقاف، ومنها كتاب (تراجع الألباني فيما نص عليه تصحيحا وتضعيفا) لمؤلفه أبي الحسن محمد حسن عبد الحميد الشيخ، والذي صدر منه جزءان، ومنها كتاب (٥٠٠ حديث مما تراجع عنها المحدث الألباني في كتبه) جمعه عودة بن حسن بن عودة، وغير هذا.

أقول: قد مر في الفصل السابق الكلام عن صحيحي البخاري ومسلم وأوضحنا عدة من التناقضات المنهجية في هذين الكتابين، وكذلك بينا وجود التناقض ما بين الشروط التي يشترطها كل محدث منهما على نفسه ثم يخالفها في التطبيق العملي، فيمكن إضافتها إلى هذه الموارد التي ذكرناها هنا في هذا الفصل.

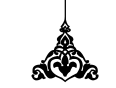
٥: حكم المحدثين على بعضهم بعضا بالتعجب

لم يكن هذا التناقض القديم الحديث بخاف عن علماء أهل السنة أنفسهم فضلا عن الآخرين، لذلك تعجب بعضهم من توثيق بعض الرواة في موضع ومن ثم تكذيبه وتضعيفه في موضع آخر أو العكس، وسنورد فيما يأتي جملة من هذه التعجبات التي تعكس تضارب قواعد الجرح والتعديل وتناقضها عند محدثي أهل السنة.

---

(١) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني تحت الرقم ١١٧٣، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة الطبع ١٣٩٩ هـ.

(٢) الكلم الطيب تحقيق محمد ناصر الألباني ج١ ص١٦١ رقم الحديث ٢١١.





ألف: تعجب وكيع من ابن المبارك

أخرج عبد الله بن عدي في الكامل: (يحيى الحماني قال: قال وكيع العجب من ابن المبارك هذا يحدث عن شرط أهل الشام ويتكلم في قيس بن الربيع)[١].

باء: تعجب مالك بن انس من شعبة

عن ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق): (عن مالك بن أنس قال العجب من شعبة هذا الذي ينتقي الرجال وهو يحدث عن عاصم بن عبيد الله)[٢].

وفي نص آخر ان مالك بن انس قال: (شعبتكم هذا يشدد في الرجال ويروي عن عاصم بن عبيد الله)[٣].

جيم: تعجب ابن الجوزي من ابن ماجة واتهامه بالهوى والعصبية لبلده

أورد ابن الجوزي في كتابه (الموضوعات) حديثا في فضل مدينة قزوين رماه بالوضع وهو المروي عن انس بن مالك عن: (رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم: ستفتح عليكم الآفاق وستفتح عليكم مدينة يقال لها قزوين، من رابط فيها أربعين يوما أو أربعين ليلة كان له في الجنة عمود من ذهب، على زبرجدة خضراء، عليها قبة من ياقوتة حمراء، لها سبعون ألف مصراع من ذهب، على كل مصراع زوجة من الحور العين)[٤].

ثم علق ابن الجوزي على هذا الحديث منتقدا لابن ماجة ومتعجبا من إيراده

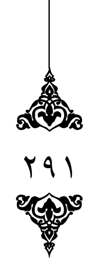
---

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٦ ص٤٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٢٥ ص ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق ص٢٦٥.

(٤) الموضوعات لابن الجوزي ج ٢ ص ٥٥.



كهذا حديثاً في سننه قائلا: (قلت: ولا أتهم بوضع هذا الحديث غيره. والعجب من ابن ماجة مع علمه كيف استحل أن يذكر هذا من كتاب السنن ولا يتكلم عليه، أتراه ما سمع في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أنه قال: «من روى عني حديثا يرى أنه كذبا فهو أحد الكذابين»، أما علم أن العوام يقولون لولا أن هذا صحيح ما ذكره مثل ذلك العالم فيعملون بمقتضاه، ولكن غلب الهواء بالعصبية للبلد والوطن)(١).

دال: بعض تعجبات الذهبي

قد مر فيما سبق بعض تعجبات الذهبي على البخاري وإنكاره عليه تضعيف بعض الرواة ومن ثم إيراد أحاديثهم في كتابه المعروف بصحيح البخاري، ونضيف فيما يأتي جملة أخرى من تعجباته على غير البخاري نختار منها ما الآتي:

* ففي معرض كلامه عن سيف بن محمد الثوري قال: (سيف بن محمد الثوري...كذاب والعجب من الترمذي يحسن له)(٢).

* وفي معرض كلامه عن (حصين بن عبد الرحمن) يقول: (حصين بن عبد الرحمن...والعجب من أبي عبد الله البخاري، ومن العقيلي، وابن عدي، كيف تسرعوا إلى ذكر حصين في كتب الجرح)(٣).

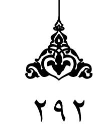
* وقد تعجب من بيع هشام بن عمار للحديث وهو من أئمة الحديث عند أهل السنة فقال: (وقال محمد بن أحمد بن راشد بن معدان الأصبهاني: سمعت

---

(١) المصدر السابق ص٥٦.

(٢) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج ١ ص ٤٧٦.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣.



ابن وارة، يقول: عزمت زمانا أن أمسك عن حديث هشام بن عمار، لأنه كان يبيع الحديث. قلت: العجب من هذا الإمام مع جلالته، كيف فعل هذا، ولم يكن محتاجا، وله اجتهاده)(١).

* وقد تعجب من ذكر ابن حبان لأيوب بن سويد في كتابه الثقات وهو من الضعفاء فقال: (أيوب بن سويد الرملي، أبو مسعود... ضعفه أحمد وغيره. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن معين: ليس بشيء وقال ابن المبارك: ارم به. وقال البخاري: يتكلمون فيه. والعجب من ابن حبان ذكره في الثقات فلم يصنع جيدا)(٢).

* وفي معرض كلامه عن حماد بن عمرو النصيبي قال: (حماد بن عمرو النصيبي... قال الجوزجاني: كان يكذب. وقال البخاري: يكنى أبا إسماعيل، منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث... والعجب من ابن المبارك، والمعافى حيث رويا عنه، لم يكن يدري إيش الحديث)(٣).

* وقد تعجب أيضا من ذكر ابن حبان لعبد الواحد بن سليم في كتاب الثقات وهو من الهالكين الضعفاء فقال: (عبد الواحد بن سليم. بصري. عن عطاء هالك. قال أحمد: أحاديثه موضوعة. وضعفه يحيى. وقال النسائي: ليس بثقة...والعجب أن ابن حبان ذكره في الثقات)(٤)

* وقد تعجب من الخطيب البغدادي لإيراده عدة أحاديث لم يبين سقوطها

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١١ ص ٤٢٦.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٢٨٧.

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٥٩٨.

(٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٧٣ ـ ٦٧٤.

مع علمه بها فقال: (عمر بن عامر، أبو حفص السعدي التمار. بصري. روى عنه أبو قلابة، ومحمد بن مرزوق حديثا باطلا، قال: سمعت جعفر بن سليمان أمير البصرة يحدث عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس، قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: من أخذ بركاب رجل لا يرجوه ولا يخافه غفر له. قلت: العجب من الخطيب كيف روى هذا وعنده عدة أحاديث من نمطه ولا يبين سقوطها في تصانيفه)[1].

هاء: بعض تعجبات الحافظ ابن حجر العسقلاني

* قد تعجب ابن حجر من فعل أبي زرعة لإدخاله أحاديث إسماعيل بن قيس في فوائده، فقال: (إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت الأنصاري أبو مصعب... وقال أبو حاتم إسماعيل ضعيف الحديث منكر الحديث يحدث بالمناكير لا اعلم له حديثا قائما والعجب من أبي زرعة حيث ادخل حديثه في فوائده ولا يعجبني حديثه)[2].

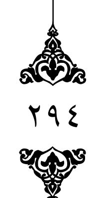
* تعجبه من إنكار العقيلي لحديث (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) مع انه موجود في صحيح مسلم، فقال في معرض حديثه عن فضالة بن دينار: (فضالة بن دينار...قال العقيلي منكر الحديث روى عن ثابت عن انس رضي الله عنه حديث إذا بويع لخليفتين ولم يصح في هذا حديث انتهى. وهذا هو العجب العجاب كيف يقول المؤلف هذا ويقرأ عليه والحديث في صحيح مسلم وان كان من غير هذا الوجه)[3].

---

(١) ميزان الإعتدال للذهبي ج ٣ ص ٢٠٩.

(٢) لسان الميزان لابن حجر ج ١ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٣٥.



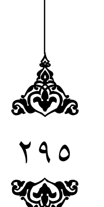
نتائج الفصول الثلاثة السابقة

كان الغرض من الخوض في الفصول الثلاثة السابقة، هو إعطاء صورة تفصيلية عن المراحل التي مر بها الحديث النبوي الشريف، منذ رحيل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإلى حين تثبيته وتقييده في الكتب والدواوين، ومن ثم وصوله إلينا، وقد تبين لنا من تلك الرحلة التاريخية عدة حقائق مهمة، نلخصها فيما يأتي على شكل فقرات، لتصبح الفكرة لدى القارئ الكريم متسلسلة ومتكاملة:

١: تبين لنا بما لا يقبل الشك قيام الدولة ورموزها بتعمد إتلاف كل اثر مكتوب يحوي أقوال الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأحاديثه.

٢: ان الدولة على اختلاف من ترأسها ضيعت ولأسباب ذكرناها في الفصل الأول على الأمة الإسلامية جمعاء فرصة تدوين السنة النبوية وتقييدها وجمعها، مع علم الجميع وشهادة المخالف قبل الموالف ان السنة عدل القرآن وان من دونها لا يمكن فهم القرآن الكريم على وجه دقيق، وان احتياج القرآن للسنة أكثر وأعظم من احتياج السنة للقرآن، هذا مع توفر وسائل التقييد والجمع والتمحيص وإمكاناتها بالنسبة للدولة، ولكنها ولشديد الأسف لم تفعل ذلك لا لقصور منها بل للحفاظ على منافع دنيوية ضيقة على حساب مصالح سائر أفراد الأمة الإسلامية ومنافعهم.

٣: ان الدولة ومنذ بداية نشوئها كانت توجس في نفسها خيفة من تثبيت فضائل أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وجعلها في متناول أيدي الصحابة والذين يأتون من بعدهم، ويمكن ان تعد هذا الأمر من أهم الأسباب التي أدت إلى إلغاء تدوين السنة المطهرة وكتابتها، فللحفاظ على ماء الوجه، ولكي لا تستغل هذه المثالب وتلك الفضائل ورقة إدانة توجهها الأجيال الإسلامية ضد الدولة ورموزها



وأنصارها، ارتأوا تغييب السنة النبوية المطهرة المتعلقة بالفضائل والمثالب، وطمسها وإقفال تلك الصفحات، والبدء بتأسيس منظومة جديدة من الفضائل تتناسب والوضع الجديد للدولة ورموزها.

٤ : ان عدم تقييد السنة النبوية المطهرة وكتابتها فتح الباب أمام ظهور سنة جديدة اسمها (سنة الشيخين أبي بكر وعمر)، وربما أفردوهما فقالوا (سنة أبي بكر) و(سنة عمر)، وهذه السنن المبتدعة لم تكن تمتّ إلى السنة النبوية الأصيلة بصلة، بدليل ان سنتهما ـ أبو بكر وعمر ـ لو كانت هي نفسها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يفرق بينها وبين سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التسمية، إضافة إلى أدلة أخرى مرت مفصلا في الفصل الأول.

٥ : ان هذه السنة الجديدة للشيخين حملت ملامح عامة، أهمها، التأكيد المفرط والمستمر على بشرية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بشكل مبالغ فيه، وسبب هذا التأكيد هو سلب قدسية النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نفوس المسلمين، وتحطيم مصداقية أقواله وأفعاله، وبمعنى آخر تحطيم السنة النبوية، حتى يمكن للسلطة وأتباعها مناقشتها ومعارضتها وعدم الاعتقاد بإلزاميتها.

ومن مميزات هذه السنة أيضا : تضخيم شخصية السلطة وإعطاؤها مقام الأنبياء، لجعله وإياهم مرجعا يرجع إليه في كل صغيرة وكبيرة، ولم يكتفوا بان جعلوا من الخليفة ـ وبالخصوص الشيخين ـ أفضل الصحابة حتى صيروهما أفضل أهل السماوات والأرض، ومنحوهما مقام الإفتاء في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وجعلوا الخليفة يلقى في روعه ولا يتكلم إلا بإلهام من الملائكة، وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخاف ان ينتقل جبرائيل عليه السلام بالوحي إلى عمر ابن الخطاب، والهدف من هذا التضخيم هو استبدال القدسية ليتسنى للخليفة ان



يتمتع بمقام التشريع وحتى إذا ما سن سنة يطاع ويتبع ما دام هو خير أهل السماوات والأرض وما دام ملهما محدثا من الملائكة، ولكي إذا ما خالفت سنته سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقدم سنة الخليفة وتشريعاته لأنه ملهم بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما صوره إعلام الدولة يسهو وينسى ويخطئ ويعتذر بأنه بشر مثل غيره من البشر.

ومن مميزاتها أيضا: إيجاد نظام الطبقات الاجتماعية على حسب القرب من الدولة ومناصرتها ومساندتها لا على حسب التقوى والإيمان كما كان على عهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ابرز تلك الطبقات هي طبقة أهل الحل والعقد، الذين قد منحتهم الدولة جميع المقومات التي يمكن من خلالها أن ترتفع منزلتهم، ويعلو نجمهم ويصيروا أولي حل وعقد في عشائرهم وأقوامهم، فأعطتهم المال ومنحتهم التأييد المطلق، طبعا باستثناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، الذي أقصي هو وأهل بيته وخلص أصحابه من إشغال أي منصب سيادي في الدولة إلا ما ندر وشذ.

٦: لما مات عمر بن الخطاب وجاء عثمان بن عفان لم يتغير سوء حال السنة النبوية ولم تعد إليها الروح، بل ازداد وضعها سوءاً لتظهر إلى الوجود سنة ثالثة باسم سنة عثمان بن عفان، هذه السنة التي تردى معها وضع الأمة السلامية إلى أقصى حد يمكن أن تصل إليه، وواحدة من أعظم مساوئها أنها صارت بابا يدخل من خلاله كل وضيع ومنافق ويصل إلى منصب الحكم والسيطرة على سيادة ومقدرات الأمة الإسلامية، وأوضح مثال على ذلك وصول يزيد بن معاوية ومن قبله أبوه وباقي السلسلة الملعونة على لسان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى إمارة المؤمنين.

٧: ان سنة الشيخين هي التي قتلت عثمان بن عفان قبل غيرها من



الأسباب، لان سنة الشيخين كما نبهنا سابقا أوجدت طبقة اجتماعية خاصة اسمها طبقة أهل الحل والعقد، والتي تمتعت طول ولاية أبي بكر وعمر بأرفع مستوى معيشي مرفه وحصانة دبلوماسية إن صح التعبير، وقد حطم عثمان بن عفان هذا المستوى المعيشي المرفه، وساوى فيما بين تلك الطبقة وبين سائر المسلمين، ورفع مكانهم طبقة جديدة من الأمويين، قلدهم المناصب السيادية المهمة للدولة الإسلامية، كما وفتح باب مال المسلمين على مصراعيه أمام هذه الفئة الجديدة، مما أشعل ضده فتيل الثورة والتحريض، لينتهي أمره ونتيجة لتحريك عائشة بنت أبي بكر وطلحة والزبير الساحة الإسلامية ضده إلى أن حصر في بيته ومنع عنه الماء وقتل بالطريقة المعروفة والمشهورة.

٨ : إن تولي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بعد عثمان بن عفان لم يحل مشكلة تدوين السنة النبوية أيضا، على رغم سعيه الحثيث والقوي لإعادة الروح إلى السنة النبوية وإماتة ما ابتدع من السنن، وعدم تمكنه من ذلك لا يعود بأي حال من الأحوال إلى قصور في شخصيته أو إمكانات أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حاشاه، بل يعود بالدرجة الأولى والأخيرة إلى سببين رئيسين:

أحدهما: هو وجود تلك الطبقة من أهل الحل والعقد التي أشعلت نار الفتن والإحن والحروب بوجهه ولم تترك له مجالا للتفرغ وتكريس الجهود لنشر ما أميت من سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

والآخر: عدم رغبة الأمة وتقاعسها وإهمالها لعملية التغيير والتبديل والعودة الصادقة إلى عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أما تكاسلا وأما حبا لبعض المنافع الدنيوية الزائلة، وقد رأينا كيف كان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يصرخ بالناس من على منبر الكوفة مناديا بأعلى صوته (من يشتري



علما بدرهم) ثم لا يستجيب لذلك إلا الحارث الهمداني، وهو يعكس حالة التراخي والترهل الثقافي الذي كانت تعانيه الأمة.

٩ : لما وصل معاوية بن أبي سفيان إلى الحكم أعاد العمل بسنة الشيخين فيما يتعلق بالتفضيل ومداراة طبقة أهل الحل والعقد التي لم يكن قد بقي منها غير عائشة بنت أبي بكر وسعد بن أبي وقاص، وأضاف إلى سياسة دولته أشياء أخرى منها اعتماد سنة عثمان بن عفان وإحياؤها، والتوسعة على آل أبي سفيان والأمويين عامة، والتضييق والمحاصرة الاقتصادية والثقافية على آل أبي طالب وخصوصا الإمام الحسن والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهما وسائر شيعتهم، وفتح باب الرواية أمام كل من له القدرة على وضع روايات ونصوص مكذوبة تحكي فضائل من سبقه، وفضائل آل أمية عامة وآل أبي سفيان على وجه الخصوص، وإماتة ما يمكن إماتته من أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عامة وأحاديثه في فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على وجه الخصوص، وصنع روايات تنتقص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفي المقابل رصد كل فضيلة لهم وصنع مثلها ونسبتها إلى كل من أبي بكر وعمر وعثمان، وطمس ما يمكن طمسه من مثالب آل أمية وما لا يمكن طمسه فيجب تبريره ومحاولة إبدائه كفضيلة وليس مثلبة كما فعلوا بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق معاوية (لا اشبع الله بطنه) أو كما فعلوا في أحاديث لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض الناس حيث اوجدوا لها تخريجا يصيرها مكرمة وليس مثلبة عن طريق إيجاد أحاديث على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيها (اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا)[1] فتحولت مثالبهم إلى فضائل وفي المقابل حولوا فضائل أهل البيت

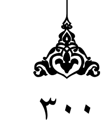
(١) صحيح مسلم ج٨ ص٢٤.



إلى مثالب بعد أن سلبوها منهم ونسبوها لغيرهم وأعطوهم مثالب غيرهم ومطاعنهم، فصار الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بزعمهم فيه دعابة وليس أهلا للسياسة حاشاه، وصار الإمام الحسن بزعمهم مزواجا مطلاقا ليس له همّ في الدنيا إلا النساء حاشاه، وصار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بزعمهم من ضمن الخارجين على أئمة المسلمين حتى قتل بسيف جده حاشاه ولعن الله من تعرض لحرماتهم بسوء، آمين.

١٠ : ثم بقيت هذه الأحاديث وغيرها تزداد يوما بعد يوم وترسخ في قلوب العامة وعقولهم حتى ألفتها النفوس واستعذبتها الأسماع وصارت بمرور الزمن وبجهود الوضاعين وتغطية السلطة أمراً لا يشك في صحته لا سيما بعد رحيل جيل الصحابة ومجيء جيل التابعين وأتباع التابعين، الذين لم يعيشوا فصول المؤامرة وولدوا في زمن ترددت هذه الأحاديث على أسماعهم آلاف المرات والكرات فكبروا معها واشتد عودهم بصحبتها واعتادوا سماعها حتى ارتكزت في عقلهم الباطني وأصبحت أمورا مسلمة لا مرية فيها.

١١ : مثلما ارتكزت تلك الأحاديث المكذوبة والفضائل الموضوعة التي نشرها معاوية ومن أتى قبله بين الناس، وتلقاها التابعون وأتباعهم بالقبول والرضا مع مرور الوقت والزمان، وترسخت في عقلهم الباطني والظاهري، واعتادوا على تداولها ومدارستها، كذلك اعتاد جيل التابعين وأتباع التابعين على رؤية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مدفوعين عن كل خير، مشردين مقتولين، قد تم إقصاؤهم واستئصالهم، وقطع كل سبب يعلي شأنهم ويرفع من قدرهم، فظن هؤلاء التابعون وأتباعهم ان حالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كان هكذا حتى في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وان حال مناوئيهم قد كان في ارتفاع حتى في زمن النبي



الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وان أفضلية غيرهم عليهم أمر مفروغ منه ومسلم به، لذا صاروا يستغربون من كل خبر يشم منه تفضيل أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ على غيرهم من الصحابة لا سيما الشيخين وعثمان وعائشة.

١٢ : ثم أتت مرحلة جديدة من مراحل السنة النبوية، والتي عرفت بمرحلة التدوين، فعمر بن عبد العزيز وبسبب رغبته في الخروج عن الخط الأموي الملتزم وبصرامة تامة بسنة عثمان ومعاوية بن أبي سفيان، حاول إرجاع العمل بسنة الشيخين أبي بكر وعمر، فأمر عماله أن يكتبوا جميع ما يقع بأيديهم من سنة عمر ابن الخطاب وأحاديثه، وأحاديث عائشة بنت أبي بكر، فجمع هذه الأحاديث ونشرها في الأقطار على شكل كراسات، وتعدّ هذه أول محاولة رسمية تقوم بها الدولة لتدوين السنة النبوية المطهرة.

ولكن هذه المحاولة كان نصيب أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ منها صفرا، إذ لم تنقل لنا المصادر التاريخية أن عمر بن عبد العزيز قيد أو أمر بجمع أحاديث الإمام أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أو الأحكام التي حكم بها طوال مدّة بقائه في الخلافة، وهو يعني ان تدوين السنة من عمر بن عبد العزيز لم يكن في صالح أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ عموما وفضائلهم على وجه الخصوص.

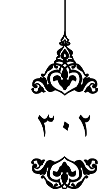
١٣ : ثم جاء هشام بن عبد الملك ليبدأ خطوة مضادة لخطوة عمر بن عبد العزيز، عن طريق تدوين السنة، ولكن لا السنة النبوية، وإنما سنة عثمان ومعاوية ابن أبي سفيان، التي حاول عمر بن عبد العزيز الخروج عنها، فدونت السنة بالاستعانة بابن شهاب الزهري الذي دون السنة بالإكراه كما يزعمون، ولكن هذا التدوين ـ ولشديد الأسف ـ لم يكن نزيها، ولم يكن يحمل صفة الصدق والأمانة العلمية، إذ دست الدولة الأموية في كتب ابن شهاب الزهري وأحاديثه ما لا يعلمه



إلا الله سبحانه، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، إنّ الزهري الذي اعتمدت عليه الدولة في تدوين السنة لم يكن على مستوى كاف من العلم والأمانة والصدق، فكان يروي الأحاديث النبوية بالمعنى دون النص، ولم يكن يمانع في التقديم والتأخير لفقرات الحديث الواحد، إلى غير ذلك من الأسباب، والتي تجعل من عملية التدوين هذه عملية غير دقيقة ومتحيزة وغير علمية بالكامل.

والتاريخ لم يحدثنا عن تدوين لأحكام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفضائلهم في هذه المرحلة من مراحل تطور السنة والحديث النبوي، بل إن احد أهم أسباب استعجال الدولة الأموية في تدوين السنة هو فتح الإمامين الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليهما باب الرواية والعلم على مصراعيه، فكانا صلوات الله وسلامه عليهما لا يمنعان من تدوين الآخرين لأقوالهم وأحاديثهم بعكس باقي محدثي العامة، فنشروا من السنة النبوية الأصيلة والموروثة عندهم في الصحيفة الجامعة وغيرها، فدونها طلابهم ومن ثم انتقلت لعامة الخلق، فرأى عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، أن إبقاء باب التدوين للسنة النبوية ولسنة الشيخين مغلقا سيؤدي إلى هيمنة سنة الإمامين الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليهما ونسيان سنن الشيخين وعثمان وعائشة وآل أمية واضمحلالها، لان البقاء يكون للعلم المدون المكتوب، أما المحفوظ فيموت مع موت حافظيه.

ولهذا السبب سارع عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك بجمع السنة النبوية التي ارتضتها الحكومات التي سبقت حكومته، ومنه نفهم سبب إصرار عمر ابن عبد العزيز بالتأكيد على عماله بجمع سنة عمر وعائشة وأحاديثهما، وهو دليل على انه إنما كان بصدد جمع سنة معينة مخصوصة في مقابل سنة معينة مخصوصة وهي التي كان الإمامان الصادق والباقر صلوات الله وسلامه عليهما يبثانها بين الناس.



أما هشام بن عبد الملك فقد وجد نفسه وجميع ما سنه الأمويون بين سنتين، بين سنة الإمامين الباقر والصادق التي ليس لآل أمية فيها أي رواية أو تشريع، وبين سنة عمر بن عبد العزيز الذي سعى لإحياء سنة الشيخين وعائشة كما تقدم، والتي لم يكن له ولا لآبائه فيها نصيب يذكر، فلحفظ مآثر آبائه وما ابتدعوه من الأحكام والسنن اجبر ابن شهاب على التدوين والتأصيل لسنة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان وأضاف عليها ما الله اعلم به.

١٤ : ثم جاء العهد العباسي المقيت فشدت الدولة منذ بداية نشوئها العزم على إعادة التركيبة العقائدية والفكرية للمسلمين بما يتناسب مع آراء الدولة العباسية الجديدة وطموحاتها وأهدافها والتي كانت واحدة من أهم أولوياتها إبقاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكل ما يعنى بشؤونهم تحت التعتيم القديم الذي مورس ضدهم منذ استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وبدأت حملة جديدة لتدوين الحديث والسنة النبوية وغيرها من السنن، وعلى نطاق أوسع مما كان عليه في العهد الأموي، ولكن هذا التدوين تسبب في مشاكل أكبر، ومن هذه المشاكل:

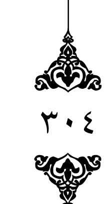
أن تلك الروايات المكذوبة قبل التدوين العباسي كانت تموت بموت ناقليها ومخترعيها، أما بعد التدوين العباسي فقد كانت تثبت في الكتب فتبقى وتصير بعد تطاول الزمن والاحتياج إليها صحيحة.

ومنها ان حركة التدوين في العصر العباسي قد خضعت لسيطرة الدولة من جهة ولسيطرة المذاهب الفقهية والعقائدية من جهة أخرى، فكل رمز من رموز أهل السنة، له عقيدة خاصة ومذهب فقهي خاص، كالشافعي وأبي حنيفة واحمد بن حنبل والبخاري ومالك والأشعري، وغيرهم الكثير الكثير، وكل واحد منهم دوّن كتابا جمع فيه مئات أو آلاف الأحاديث المؤيدة والداعمة



لاعتقاداته وفقهه، وحكم عليها بالصحة، وفي المقابل تغاضوا عن مئات الآلاف من الأحاديث الأخرى التي اعترفوا بصحتها وتجاهلهم لها، وهو يعني أن جمعهم للسنة النبوية المطهرة لم يكن جمعا شاملا كاملا يحفظ للأمة تراثها وأحاديث نبيها صلى الله عليه وآله وسلم وأقواله، بل كان جمعهم للسنة النبوية جمعا انتقائيا مزاجيا، وهو أمر خطير جدا ومضرته اكبر من منفعته، لأن تدويناً كهذا سيحتوي على تحيز واضح لجهة عقائدية محددة أو مذهب فقهي معين، وهذه الانتقائية الخطيرة في انتخاب بعض الأحاديث وتدوينها دون بعضها الآخر، أثرت تأثيراً بالغاً في أحاديث الفضائل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان جميع رموز أهل السنة ومدونيهم مهما اختلفوا في ما بينهم في العقائد الجزئية أو الفروع الفقهية، فإنهم مجمعون على أن فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومنزلتهم اقل شأنا وأهمية من فضائل الشيوخ الثلاثة ومنزلتهم، وعليه يكون من المستحيل أن يسجلوا في مدوناتهم حديثا ينص أو يشير إلى خلاف ذلك، وإذا ما اضطروا الى تدوين بعض الأحاديث المتواترة والمشهورة كحديث الغدير وغيره، فإنهم يشحذون الهمم ويتفننون في صرف هذه الأحاديث عن معناها الواضح إلى معانٍ أخرى لا تتعارض مع إعلاء منزلة الشيوخ الثلاثة على منزلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

١٥ : ان حركة التدوين لم تكن منزهة عن وقوع التزوير والتلاعب والدس في المدونات، وقلب الأسانيد الصالحة، أو إصلاح الأسانيد الفاسدة المعلولة، أو إضافة كثير من الأحاديث الباطلة ودسها مع تبديل باطلها، من شيوخ الحديث أنفسهم أو تلامذتهم أو النساخ الذين كان يعتمد عليهم في نسخ تلك المدونات، وقد مرت في الفصل الثاني شواهد كثيرة توضح هذا المعنى بشكل لا يقبل الشك.



١٦ : ان المدونات الموجودة الآن بين أيدي المسلمين من أهل السنة والمسماة بالصحاح أو المسانيد أو الموطآت لم تكن بمعزل عن هذا التزوير والتبديل والتناقض والتحيز، وقد استعرضنا لإثبات هذه الحقيقة أربعة نماذج هي عمدة ما يرتكز عليه أهل السنة، وقد ثبت بشكل جلي ان هذه المدونات قاصرة الحجية من حيث النقل ومن حيث المحتوى، وان هنالك تناقضاً واضحاً ما بين القاعدة والتطبيق، فضلا عن حالة التحيز وعدم الشمولية في استيعاب السنة النبوية المطهرة ونقلها.

هذا إضافة إلى ان هذه المسانيد والصحاح لم تصل إلينا اليوم إلا بطرق ضعيفة لا تصمد أمام النقاش الموضوعي، ولو سلمنا بصحة وصولها فانا لا نسلم قطعا بخلوها من النقص والتلاعب والتزوير والدس من ناقليها.

١٧ : بعد ان انتشرت الروايات الضعيفة والطرق العليلة والمكذوبة في المدونات المهمة عند أهل السنة، عقد العزم جملة من المتقدمين على وضع قواعد للجرح والتعديل في سبيل تمييز صحيح الأحاديث من عليها، ولكن وللأسف فقد وجدنا كما وجد الآخرون ان هذه القواعد التي وضعها المتقدمون لا يمكن عدّها قاعدة ثابتة مجمعاً عليها، فقد كان لكل واحد من المتقدمين قاعدة خاصة ورأي مناقض لرأي معاصريه وأقرانه، وقد ضربنا عدة أمثلة على هذا التضارب المؤسف، إضافة إلى تأثير العصبية والحسد والبغضاء والتنافس الدنيوي في مناهج التعديل والتجريح، وقد رأينا كيف ان الشخص الواحد منهم يتناقض مع نفسه في القاعدة الواحدة فيجزم بصحة حديث معين في احد مدوناته ثم يجزم بكذب الحديث نفسه في كتاب آخر له، ويوثق بعض الرجال في كتاب ويضعفه ويفسقه في كتاب آخر، كما انه يشترط على نفسه شروطا معينة ثم يخالفها وينقضها حين التطبيق وهكذا وقد مرت في الفصلين الثاني والثالث نماذج عديدة لهذا التناقض المنهجي.



وأما بالنسبة للمتأخرين فالنزاع عندهم أكبر والتناقض لديهم أعظم، وقد مرت عدة أمثلة تدل على أن المتأخرين لم يكونوا راضين ولا منسجمين مع قواعد وآرائهم وشروطهم المتقدمين مما اوجد اختلافا في تقييم الرجال والأسانيد والمتون.

١٨ : ان هذا الاختلاف في قواعد الجرح والتعديل بين المتقدمين أنفسهم أو بين المتقدمين والمتأخرين قد استغل بشكل كبير في الحرب ضد فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فما من راوٍ من رواة أهل السنة المعتمدين وغير المعتمدين إلا وتجد فيه قولين أو أكثر لأهل الجرح والتعديل، الا ما ندر، وقد وظف هذا الاختلاف في الأقوال توظيفا كبيراً في رد فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وإنكارها، وفي إثبات فضائل الشيوخ الثلاثة وبقية رموز أهل السنة، وستأتي عدة شواهد على ان أهل الجرح والتعديل من أهل السنة يردون ويضعفون اغلب روايات فضائل العترة الطاهرة بحجة ضعف أسانيدها، ثم يأتون بأقوال من يقدح في رجال السند، ويغضون الطرف عن كلمات المادحين الموثقين، وفي المقابل وحينما يتحدثون عن فضائل الشيوخ الثلاثة وعائشة وبقية رموزهم ومناقبهم يوثقون أسانيد روايات مدحهم ويسردون أقوال المادحين في حق رجال ذلك السند، ويخفون عن الأسماء والأعين كلمات من ضعفهم وجرح عدالتهم ورماهم بالكذب تارة وبالتدليس أخرى وبالوضع ثالثة.

وهذا ما سيتم إثباته في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.



الفصل الرابع:

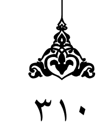
جملة من فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وموقف محدثي أهل السنة منها

كلمة قبل البدء

اقتضت السياسة الحكيمة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يربي الأمة الإسلامية على أمرين مهمين:

أحدهما: هو زرع حالة التكريم والتعظيم والتبجيل في عقل الأمة وضميرها لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وجعلهم يتيقنون بان لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مرتبة وشأنية أعلى وأسمى من كل مرتبة اجتماعية يمكن أن يصلها بيت من بيوت المسلمين أو من بيوت العرب، كي يشعر الجميع أمامهم بالخضوع والانقياد، حتى لا يتبجح عليهم متبجح، ويتفاخر عليهم متفاخر، ويتقدم عليهم متقدم في يوم من الأيام.

والآخر: تمييز فضل كل فرد من أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على حدة، وإعطاء كل شخص من أشخاصهم المباركة دورا يضطلع به وتنتفع به الأمة من خلاله، فميز صلى الله عليه وآله وسلم الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بالولاية ومؤهلات القيادة وجميع ما يحتاجه الخليفة الذي يستطيع تحمل مسؤولية قيادة الأمة الدينية وتربيتها المعنوية، فبين صلى الله عليه وآله وسلم لامته ان عليا صلوات الله وسلامه عليه أشجعهم وأعلمهم بالكتاب والسنة، وان الرجس والظلم وكل ما يخالف الطهارة



منتف عن شخصه المبارك، وانه أحب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وان وليه ولي الله وان عدوه عدو الله، وان مفارقه والواقف بوجهه ومحاربه خارج عن الحق زائغ عن الصراط المستقيم، إلى غير ذلك من صفات الكمال ومؤهلاته.

وميز السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بان رضاها رضا الله سبحانه وتعالى، وان غضبها غضبه، كي تصير مقياسا لرضا الله وغضبه، وميزانا تزن به الأمة مقدار قربها من الله سبحانه وتعالى وبعدها عنه، وتكون كأبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مبشرة ونذيرة، فإذا ما رضيت فاطمة بنت النبي صلوات الله وسلامه عليها عن شخص أو فئة أو امة معينة، كان رضاها بشرى بان الله سبحانه وتعالى راض عنهم، وبالعكس يكون غضبها وسخطها ونقمتها نذيرا على نقمة الله سبحانه وتعالى وغضبه وسخطه.

وكذلك ميز صلى الله عليه وآله وسلم الحسنين صلوات الله وسلامه عليهما بأنهما أحب الناس إليه بعد أبيهما وأمهما وانهما سيدا شباب أهل الجنة، وانه صلى الله عليه وآله وسلم محب لمن أحبهما مبغض ومعادٍ لمن عاداهما، وانهما قطعة منه، لتفهم الأمة انهما امتداد له، وان حرمتهما حرمته، وان قدسيتهما من قدسيته، وان الاعتداء على احدهما هو اعتداء على جزء وبضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان الاعتداء على بضعة وجزء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو اعتداء على كل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو كفر صريح مجمع عليه في الكتاب والسنة، فكانا للأمة علما وسبيلا يستدل بهما على مرضاة الله سبحانه وتعالى وصراطه القويم.

فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمة من بعده هملا بلا دليل ولا حجة، كما يذهب إلى ذلك المخالفون، فكانوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم الدليل على الدين وأحكامه، وحبل الله المتين وصراطه المستقيم.



وسننتهج في بحثنا هذا منهج النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ونستن بسنته الشريفة، فنقسم بحث فضائلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على قسمين؛ الأول سنستعرض فيه بعض فضائلهم التي اشتركوا فيها جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن ثم نستعرض فضائل كل واحد منهم على حدة ونفصل حولها الكلام بحسب الطاقة والمكنة ان شاء الله سبحانه.

الحديث الأول: حديث الثقلين كتاب الله سبحانه وتعالى وعترة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم

بعض نصوص حديث الثقلين مع تصحيح علماء أهل السنة ومحدثيهم لها

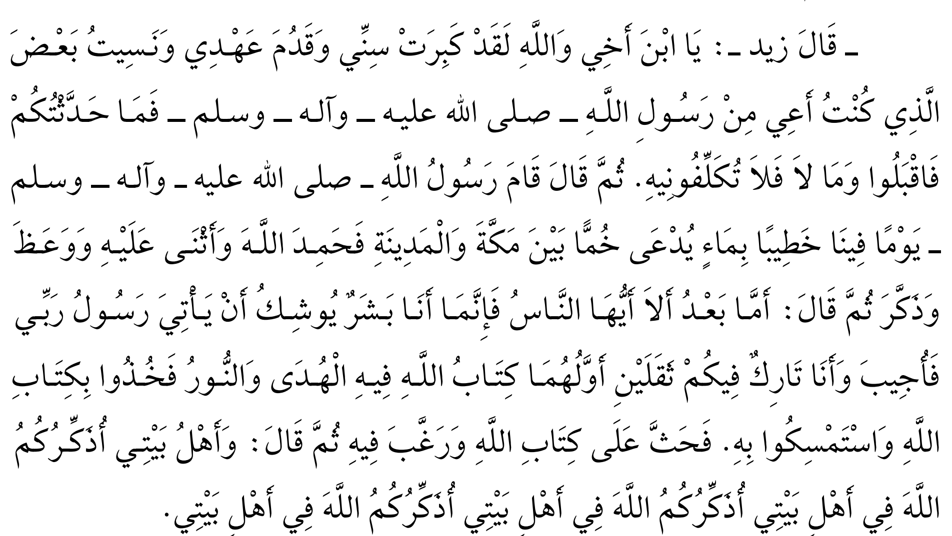
لا نريد من ذكر نصوص حديث الغدير أو الثقلين استيعاب جميع طرقه وكلمات العلماء فيه؛ لان هذا مما لا يستوعبه مثل هذا الكتاب أولا، ولخروجه عن خطة البحث ثانيا، ولوجود بعض من ألف فيه واستوعبه ثالثا، وإنما الغرض الأساس من ذكر بعض طرق حديث الغدير هو الهدف والغرض أنفسهما من تأسيس هذا الكتاب، وهو تبيان وإيضاح للمفارقة والازدواجية في تعامل علماء أهل السنة ومحدثيهم مع أحاديث فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو ما سيتبين لنا جليا في السطور القادمة ان شاء الله سبحانه، والهدف الثاني من ذكرنا لبعض طرق حديث الثقلين هو تبيان ما يمكن تبيانه من الفوائد الجليلة والنكات المهمة المستخلصة من هذه النصوص الشريفة.

وفيما يأتي جملة من تلك النصوص التي اعترف بصحتها جهابذة علماء أهل السنة ومحدثيهم:



إخراج مسلم حديثين من أحاديث الثقلين في كتابه (صحيح مسلم)

أخرج مسلم النيسابوري في كتابه المشهور باسم (صحيح مسلم) عن: (...يَزِيد بْن حَيَّانَ قَالَ انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ وَغَزَوْتَ مَعَهُ وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ.



ـ قَالَ زيد ـ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي وَقَدُمَ عَهْدِي وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا وَمَا لاَ فَلاَ تُكَلِّفُونِيهِ. ثُمَّ قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ. فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي.

فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ وَمَنْ هُمْ قَالَ هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ كُلُّ هَؤُلاَءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ قَالَ نَعَمْ)[1].

وأخرج مسلم أيضا عن: (...يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ دَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا لَهُ لَقَدْ رَأَيْتَ خَيْرًا. لَقَدْ صَاحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ باب من فضائل علي صلوات الله وسلامه عليه.



وسلم ـ وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: أَلاَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلاَلَةٍ. وَفِيهِ: فَقُلْنَا: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ نِسَاؤُهُ؟ قَالَ: لاَ وَايْمُ اللَّهِ إِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرَ مِنَ الدَّهْرِ ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَرْجِعُ إِلَى أَبِيهَا وَقَوْمِهَا أَهْلُ بَيْتِهِ أَصْلُهُ وَعَصَبَتُهُ الَّذِينَ حُرِمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ)[1].

أقول: وسيأتي تفصيل أكثر لحديثي مسلم النيسابوري مع مناقشة لمضمونيهما في محله إن شاء الله تعالى.

حديث الثقلين في مسند أحمد بن حنبل

ورد في مسند أحمد بن حنبل: (حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا الأسود بن عامر ثنا شريك عن الركين عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)[2].

أقول: وهذا حديث صحيح وسيأتي في الفقرة الآتية تصحيح الهيثمي لهذا الحديث.

تصحيحات الهيثمي لحديث الثقلين في كتابه (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)

روى الهيثمي في (باب في فضل أهل البيت رضي الله عنهم): (عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إني تارك فيكم خليفتين

(١)صحيح مسلم ج٧ ص١٢٣.

(٢) مسند احمد بن حنبل ج ٥ ص ١٨١ ـ ١٨٢.

كتاب الله عز وجل حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض. رواه أحمد وإسناده جيد)[1].



وروى أيضا عن: (حذيفة بن أسيد الغفاري قال لما صدر رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من حجة الوداع نهى أصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهن ثم بعث إليهن فقم ما تحتهن من الشوك وعمد إليهن فصلى عندهن ثم قام فقال يا أيها الناس انه قد نبأني اللطيف الخبير انه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله وأني لأظن يوشك أن أدعى فأجيب وأني مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا قال أليس تشهدون ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وان جنته حق وناره حق وان الموت حق وان البعث حق بعد الموت وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قالوا بلى نشهد بذلك قال اللهم اشهد ثم قال يا أيها الناس ان الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعني عليا رضي الله عنه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم قال يا أيها الناس إني فرط وأنتم واردون على الحوض حوض ما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قد حان من فضة وأني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله عز وجل وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض).

ثم علق الهيثمي على الحديث بقوله: (رواه الطبراني وفيه زيد بن الحسن

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٦٢ ـ ١٦٣.



الأنماطي قال أبو حاتم منكر الحديث، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات)[١].

وقال في موضع آخر: (رواه الطبراني بإسنادين وفيهما زيد بن الحسن الأنماطي وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم وبقية رجال أحدهما رجال الصحيح ورجال الآخر كذلك غير نصر بن عبد الرحمن الوشاء وهو ثقة)[٢].

أقول: فالحديث برواية الطبراني صحيح بأحد إسناديه، إضافة إلى أن حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة كما سيأتي والحديث المتواتر لا يضره ضعف بعض رجال سنده، كما هو معروف.

تصحيح الحاكم النيسابوري لحديث الثقلين على شرط البخاري ومسلم

قال الحاكم في المستدرك على الصحيحين: (عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال كأني قد دعيت فأجبت اني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ثم قال إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وذكر الحديث بطوله)[٣].

ثم علق الحاكم على هذا الحديث بقوله: (هذا حديث صحيح على شرط

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

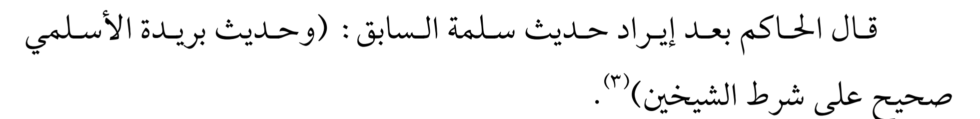
(٢) المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٦٣.

(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٠٩.



الشيخين ولم يخرجاه بطوله)[١].

ثم قال: (شاهده حديث سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أيضا صحيح على شرطهما حدثناه أبو بكر بن إسحاق...عن ابن واثلة انه سمع زيد بن أرقم رضي الله عنه يقول نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت الشجرات ثم راح رسول الله صلى الله عليه وآله عشية فصلى ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول ثم قال أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي ثم قال أتعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثلاث مرات قالوا نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعلي مولاه)[٢].



قال الحاكم بعد إيراد حديث سلمة السابق: (وحديث بريدة الأسلمي صحيح على شرط الشيخين)[٣].

وقد أورد الحاكم حديثا آخر على شرط البخاري ومسلم عن: (...مسلم بن صبيح عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وانهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض)[٤].

ثم علق على هذا الحديث بقوله: (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٠٩.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص١١٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٨.

الشيخين ولم يخرجاه)[1].

وقد وافقه الذهبي على هذا القول في (تلخيص المستدرك) فقال: (على شرط البخاري ومسلم)[2].





تصحيح ابن حجر العسقلاني لحديث الثقلين

قال ابن حجر العسقلاني في (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية): (وَقَالَ إِسْحَاقُ: أخبرنا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ [عُمَرَ] بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْه قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حَضَرَ الشَّجَرَةَ بِخُمٍّ، ثُمَّ خَرَجَ آخِذًا بِيَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْه قَالَ: أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أن الله تبارك وتعالى رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وأن الله تعالى وَرَسُولَهُ أَوْلِيَاؤُكُمْ؟. فَقَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَمَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَوْلاهُ فَإِنَّ هَذَا مَوْلَاهُ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كتاب الله تعالى، سَبَبُهُ بيدي، وَسَبَبُهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَأَهْلُ بَيْتِي)[3].

ثم علق ابن حجر العسقلاني على هذا الحديث بقوله: (هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَحَدِيثُ غَدِيرِ خم قد أخرجه النسائي مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، وَعَلِيٍّ، وَجَمَاعَةٍ من الصحابة رَضِيَ الله عَنْهم)[4].

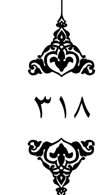
---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٤٨.

(٢) المستدرك بتعليق الذهبي ج٣ ص١٦٠.

(٣) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ج١٦ ص١٤٢ والحديث تحت رقم٣٩٤٣، تنسيق: الدكتور سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(٤) المصدر نفسه.



تصحيح الحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري لحديث الثقلين

قال البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة): (قال أبو بكر ابن أبي شيبة: وثنا أبو داود عمر بن سعد، عن شريك، عن الركين بن الربيع، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت ـ رضي اللّه عنه ـ يرفعه قال: إني قد تركت فيكم الخليفتين: كتاب اللّه ـ عز وجل ـ وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

رواه عبد بن حميد: ثنا يحيى بن عبد الحميد، ثنا شريك، عن الركين، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول اللّه ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب اللّه ـ عز وجل ـ وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا الحوض)[١].

وقد علق البوصيري على هذا الحديث بقوله: (هذا إسناد رواته ثقات)[٢].

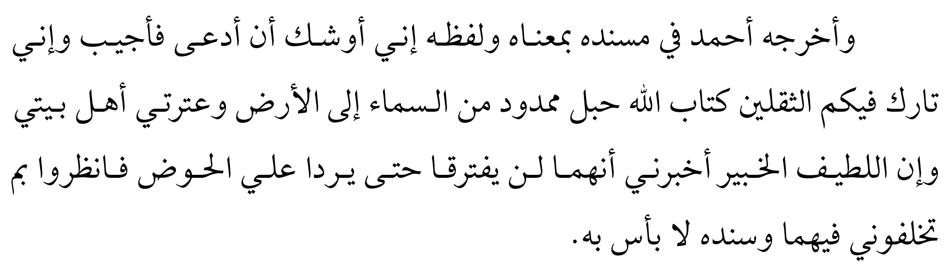
تصحيح ابن حجر الهيتمي لحديث الثقلين

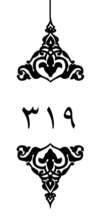
وقد صحح ابن حجر الهيتمي في صواعقه المحرقة كثيرا من طرق حديث الغدير وأشار إلى تواتره لفظا أو معنى مع بقية كلام له مهم نذكره في الآتي: (وأخرج الترمذي وقال حسن غريب أنه قال إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

---

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، ج٦ ص١٠٩، طبعة دار الوطن لسنة١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) المصدر نفسه.





وأخرجه أحمد في مسنده بمعناه ولفظه إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بم تخلفوني فيهما وسنده لا بأس به.

وفي رواية أن ذلك كان في حجة الوداع وفي أخرى مثله يعني كتاب الله كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومثلهم أي أهل بيته كمثل باب حطة من دخله غفرت له الذنوب. وذكر ابن الجوزي لذلك في العلل المتناهية وهم أو غفلة عن استحضار بقية طرقه بل في مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال ذلك يوم غدير خم وهو ماء بالجحفة كما مر وزاد أذكركم الله في أهل بيتي قلنا لزيد من أهل بيته نساؤه قال لا وأيم الله إن المرأة تكون من الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أهله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.

وفي رواية صحيحة إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي، زاد الطبراني إني سألت ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم...

ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه وفي بعض تلك الطرق انه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم وفي أخرى أنه قاله لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف كما مر ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة...)[1].

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ج٢ ص٤٣٨.



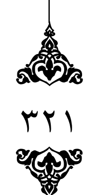
وقال ابن حجر الهيتمي أيضا: (...أنه حديث صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقه كثيرة جدا ومن ثم رواه ستة عشر صحابيا وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته كما مر وسيأتي وكثير من أسانيدها صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن رده بأن عليا كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي وقول بعضهم إن زيادة اللهم وال من والاه الخ موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيرا منها)[١].

هذا بعض أحكام محدثي أهل السنة وأئمتهم على صحة حديث الثقلين والمشهور بحديث الغدير، وقد تركنا أضعاف ما مر؛ طلبا للاختصار أولا، ولان غرض الكتاب هو ليس استقصاء جميع طرق الحديث، لان استقصاء جميع طرق حديث الثقلين قد تكفل به غير واحد من علماء الشيعة وعلماء أهل السنة، منهم الحافظ الذهبي الذي ألف رسالة بعنوان (رسالة طرق حديث من كنت مولاه فهذا علي مولاه) حيث ذكر فيها كثيراً من طرق حديث الغدير وهو وان كان قد ضعف بعضا منها إلا انه حسن وصحح كثيراً منها أيضا، وللحافظ ابن عقدة كتاب جمع فيه طرقه جميعها.

ومن المتأخرين من جمع طرق الحديث أيضا، منهم الشيخ أبو المنذر سامي ابن أنور خليل جاهين المصري الشافعي الذي له رسالة بعنوان (الزهرة العطرة في حديث العترة) وقد جمع فيه مؤلفه مجموعة من طرقه حيث قام بدراستها وشرحها، وقد فاق العلامة الأميني ـ كما هو واضح لمن له أدنى إنصاف وتدبر ـ جميع من سبقه ومن تأخر عنه وبذل غاية المجهود في جمع حديث الغدير وتحقيقه في كتابه

(١)الصواعق المحرقة لابن حجر ج١ ص١٠٧.

القيم (الغدير في الكتاب والسنة والأدب)، وقد ألفت على غراره عشرات الكتب حول هذا الحديث الشريف شرحا وتعليقا واستخراجا واستدراكا وغير ذلك، مما أغنانا عن الخوض في مسائل قد أثيرت فيما سبق وتم بحثها.



محاولات محدثي أهل السنة وعلمائهم لتحطيم حديث الثقلين

١: استغلال ابن تيمية عدم ذكر البخاري حديث الثقلين

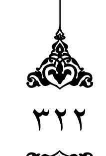
لقد حاول ابن تيمية وغيره من مقلديه وأتباعه إثارة الشبهات أمام حديث الثقلين وواحدة من تلك الشبهات التي حاول ابن تيمية التأكيد عليها هي عدم إخراج البخاري حديث الثقلين في كتابه المعروف باسم (صحيح البخاري) بضميمة ان حديث الثقلين لو كان صحيحا للزم على البخاري ذكره في صحيحه.

وقد أشار ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة النبوية) بقوله: (والذي رواه مسلم انه بغدير خم قال إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فذكر كتاب الله وحض عليه ثم قال وعترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا وهذا مما انفرد به مسلم ولم يروه البخاري... وقد طعن غير واحد من الحفاظ في هذه الزيادة وقال إنها ليست من الحديث...)[١].

أقول: تكاد تجتمع كلمة علماء أهل السنة ومحققيهم على ان الحديث الصحيح لا يشترط وجوده في كتابي مسلم والبخاري، وان عدم ذكر البخاري ومسلم أو احدهما حديثاً ما لا يدل يقينا على ضعف ذلك الحديث، وذلك للأسباب التالية:

* لان البخاري كما تقدم في محله صرح بأنه يحفظ مائة ألف حديث صحيح

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٧ ص٣١٨.



ولكنه لم يذكر منها إلا أربعة آلاف أو أكثر بقليل مع المكرر أما من دون المكررات فعددها لا يتجاوز الثلاثة آلاف حديث أو اقل، وهذا يعني انه ترك ذكر ما يقارب ثلاثة وتسعين ألف حديث اعترف نفسه بصحتها.

❊ وقد صرح الحاكم النيسابوري في مستدركه ان الحديث الصحيح لا ينحصر وجوده في صحيح البخاري بل ولا في الصحيحين جميعا فقال في مقدمته: (... أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري...صنفا في صحيح الأخبار كتابين مهذبين انتشر ذكرهما في الأقطار، ولم يحكما ولا واحد منهما أنه لم يصح من الحديث غير ما أخرجه)[1].

❊ وقال النووي في (التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث): (أول مصنف في الصحيح المجرد، صحيح البخاري، ثم مسلم، وهما أصح الكتب بعد القرآن، والبخاري أصحهما وأكثرهما فوائد، وقيل مسلم أصح، والصواب الأول، واختص مسلم بجمع طرق الحديث في مكان، ولم يستوعبا الصحيح ولا التزماه، قيل لم يفتهما منه إلا قليل وأنكر هذا...)[2].

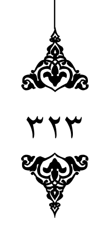
❊ بل صرح النووي نقلا عن الشيخ تقي الدين ان الحديث الذي يرويه احدهما ـ البخاري أو مسلم ـ مقطوع بصحته عند المحققين وعند الأكثر إذا تواتر إذ قال: (وذكر الشيخ تقي الدين أن ما روياه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه، وخالفه المحققون والأكثرون، فقالوا: يفيد الظن ما لم يتواتر، والله أعلم)[3].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١ ص٢.

(٢) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث ج١ ص١.

(٣) المصدر السابق.



أقول: ومسلم قد روى حديث الثقلين، إضافة إلى اعتراف عدة من أعلامهم بتواتره فيكون مقطوعاً بصحته ويكون العلم القطعي حاصلاً فيه.

فمحاولة تحطيم حديث الغدير من ابن تيمية بحجة عدم إخراج البخاري له في صحيحه هي محاولة فاشلة، فقد ثبت بحمد الله ان الحديث الصحيح يبقى صحيحا حتى لو لم يخرجه البخاري بل حتى لو لم يخرجه مسلم أيضا في صحيحه.

٢: حذف الحديث من مسند ابن راهويه مع ان جمعاً من العلماء اعترف بوجوده فيه

لقد وجدت في عصرنا الحاضر ظاهرة خطيرة للغاية، هي ظاهرة إعادة طباعة أمهات المصادر التاريخية والروائية السنية، مع حذف الكثير من أحاديثها ووقائعها ورواياتها التي تتخوف منها بعض المؤسسات الدينية السنية، وهذا الحذف غالبا ما يتم بصورة سرية مخفية لا يتوجه إليه العوام من الناس، وفي بعض الأحيان يلبس هذا الحذف ثوبا علميا وهميا، فتارة تحذف بعنوان (الاختصار) والتشذيب والتهذيب لهذه المصادر الروائية والتاريخية السنية، وتارة أخرى تحذف بعنوان (التحقيق) ومقابلة النصوص والنسخ الخطية، فيتم حذف كثير من الروايات والأخبار بحجة أن بعض النسخ خالية من هذه الزيادة، أو أمثال هذه الحجج التي يراد منها سد أفواه العوام عن مثل هذا التلاعب الخطير.

وكتاب مسند ابن راهويه واحد من تلك الكتب التي تعرضت لمثل هذا التزوير الخطير، فقد تم حذف حديث الثقلين والغدير من نسخته المتداولة حاليا في الأسواق والمكتبات العامة، فالباحث عن هذا الحديث لا يجده اليوم في كتاب مسند إسحاق بن راهويه، مع ان جملة من علماء أهل السنة ومحدثيهم ذكروا في كتبهم ان ابن راهويه ذكر حديث الثقلين في كتابه المسند، وفيما يأتي جملة من تلك المصادر التي ذكرت وجود هذا الحديث في هذا الكتاب:



أ: ابن حجر العسقلاني يصرح بوجود حديث الثقلين في كتاب مسند ابن راهويه

قال ابن حجر في كتابه (المطالب العالية): (وقال إسحاق: أنا أبو عامر العقدي، عن كثير بن زيد، عن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن علي، قال: إن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حضر الشجرة بخم، ثم خرج آخذا بيد علي قال: «ألستم تشهدون أن الله ربكم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم، وأن الله ورسوله أولياؤكم؟» فقالوا: بلى، قال: «فمن كان الله ورسوله مولاه، فإن هذا مولاه، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله سببه بيده، وسببه بأيديكم، وأهل بيتي» هذا إسناد صحيح)[1].

أقول: قوله (وقال إسحاق) يقصد به إسحاق بن راهويه صاحب المسند.

ب: الحافظ البوصيري يصرح بوجود الحديث في مسند ابن راهويه

قال الحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري في كتابه (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة): (باب فيمن كنت مولاه فعلي مولاه... «قال: فمن كان الله ورسوله مولاه فإن هذا مولاه وقد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم وأهل بيتي» رواه إسحاق بسند صحيح...)[2].

ج: المتقي الهندي يعترف بورود حديث الثقلين في مسند ابن راهويه

قال المتقي الهندي في (كنز العمال): (...قال: ألستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وأن الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى قال: فمن كان الله ورسوله مولاه فإن هذا مولاه وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا

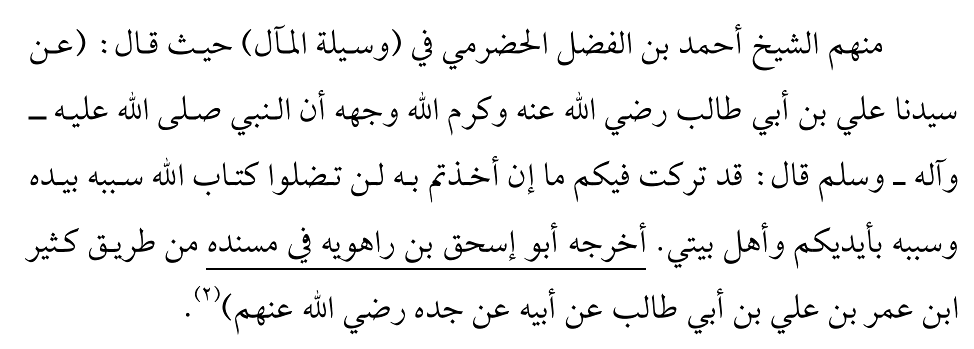
(١) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني ج١١ ص٢٣٠.

(٢) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري ج٧ ص٨١ طبعة دار الوطن.

بعده: كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم وأهل بيتي» ابن راهويه وابن جرير وابن أبي عاصم والمحاملي في أماليه)[1].

د: علماء آخرون يقرون بوجود حديث الثقلين في مسند إسحاق بن راهويه





منهم الشيخ أحمد بن الفضل الحضرمي في (وسيلة المآل) حيث قال: (عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم وأهل بيتي. أخرجه أبو إسحق بن راهويه في مسنده من طريق كثير ابن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم)[2].

ومنهم عباس أحمد صقر وأحمد عبد الجواد في القسم الثاني من (جامع الأحاديث) حيث قالا: (...وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم، وأهل بيتي «ابن راهويه وابن أبي عاصم والمحاملي في أماليه»)[3]. وقد تركنا الكثير ممن ذكر ذلك للاختصار.

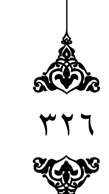
٣: محاولاتهم تطبيق حديث الثقلين على غير أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ان حديث الثقلين أو ما يعرف بحديث الغدير لمن أقوى التهديدات التي أسهرت أعين السلطة الغاصبة منذ اللحظة الأولى التي تقمصوا فيها منصب الزعامة والحكم والى يوم الناس هذا، فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يبق عذراً لمعتذر من أفراد أمته، فقد أخرس بوصيته لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لسان كل من يتشدق ويهرج قائلا بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يوص لأحد من بعده، وانه صلى الله عليه وآله وسلم قد

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٣ ص١٤٠ فضائل علي عليه السلام.

(٢) وسيلة المآل ص ٥٧ نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق.

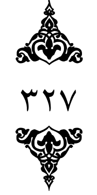
(٣) جامع الأحاديث ج ٤ ص ٣١١ ط دمشق.



ترك الأمر لامته يقلدونها من شاؤوا منهم، بلى فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة وداعه الأخيرة، وفي غدير خم، أوصى لعلي صلوات الله وسلامه عليه والأئمة من أهل بيته من بعده، لكن أعين المعاندين أصرت على أن تبقى مسدودة، ترفض رؤية ضياء الحقيقة لمجرد أن هذه الحقيقة لا تنسجم ومصالحهم أو عقائدهم التي ورثها الأبناء عن الآباء.

وبسبب هذا التهديد الخطير الذي شكله حديث الثقلين وما زال، شنت ضده أقوى حملة تدميرية منذ زمن الشيخين والى يوم الناس هذا، وقد تفننت الدولة وأتباعها الذين يتعارض حديث الثقلين مع مصالحهم وتوجهاتهم الدنيوية والفكرية في إضعاف هذا الأثر النبوي المهم، تارة بالطعن في أسانيده وناقليه، وأخرى بحذفه من الكتب، وأخرى بتحريف فقراته واستبدال ألفاظه بألفاظ أخرى لا تشكل تهديدا وخطرا على منظومتهم الفكرية والحكومية، وأخرى وهي الأخطر التقليل من أهميته عن طريق عدم حصر الأفراد الذين يشير إليهم الحديث بالخمسة من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإدخال غيرهم معهم وتوسعة دائرة المشمولين بلفظ (أهل البيت) الذين ورد ذكرهم في هذا الأثر النبوي المبارك، فحاولوا تارة إدخال زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهم[1]، وتارة بإدخال أقرباء النبي الأعظم

(١) وقد لعبت عائشة بنت ابي بكر دورا مهمّاً في محاولة التأكيد على كونها وبقية الازواج من أهل البيت وآل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد اخرج مسلم في صحيحه (ج ٨ ص ٢١٨) هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: (إن كنا آل محمد صلى الله عليه وسلم لنمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو الا التمر والماء)، وقد حاول عكرمة مولى ابن عباس الذي كان منحرفا عن اهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والذي كان يرى رأي الخوارج والذي اتهم بوضع الحديث على لسان ابن عباس مولاه تاييد هذا القول والاتيان بحديث كذب على لسان ابن عباس يؤكد فيه أن قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قد نزل في زوجات النبي خاصة لا يشاركهن فيه احد غيرهن، وهو رأي شاذ لم يقل به الا هذا الكذاب الخارجي.



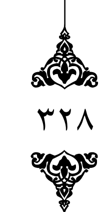
صلى الله عليه وآله وسلم كآل جعفر وآل عقيل وغيرهم[١]، ومرة ادخلوا سائر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، ومنهم من ادخل فيهم كل تقي[٣]، وقيل غير ذلك، وأعجب

---

(١) كما فعل مسلم النيسابوري في صحيحه حيث اخرج حديثا عن زيد بن ارقم زعم فيه زيد ان آل عقيل وآل جعفر وآل عباس من ضمن اهل البيت الذين يدخلون في ضمن حديث الثقلين، وهو تفسير وتطبيق شخصيان من زيد بن ارقم، ليس له شاهد روائي او قول نبوي الا ما زعمه من شمول هؤلاء بحديث تحريم الصدقة عليهم، وهو قياس باطل، لان لفظ اهل البيت استخدم في القرآن والروايات على أنحاء شتى، فقد استخدم في آية التطهير واستخدم في حديث الثقلين واستخدم في تحريم الصدقة واستخدم في حديث السفينة واستخدم في عشرات الموارد الأخرى، ولكن لا يلزم من ذلك ان يدخل آل عباس وآل جعفر وآل عقيل في ذلك كله، فلكل مورد من تلك الموارد قرائن وشواهد تحدد المراد من أهل البيت على نحو الدقة، فآية التطهير مثلا لا يوجد من قال بشمولها لآل جعفر وآل عقيل وآل عباس، ولو كان هؤلاء يدخلون في كل مورد ذكر فيه لفظ أهل البيت لدخلوا في الآية من باب أولى، فيكون عدم دخولهم دليلا على ان للفظ أهل البيت مصاديق متعددة، فدخول آل جعفر وعقيل وعباس في الحديث وهم من زيد بن أرقم وقياس خاطئ منه.

(٢) كما اخرج البيهقي في السنن الكبرى (ج٢ ص١٥٢) («أخبرنا» أبو سعيد الماليني أنبأ أبو أحمد بن عدي ثنا محمد بن إبراهيم العقيلي ثنا أحمد بن الفرات ثنا أبو داود ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الحسن بن صالح عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال آل محمد صلى الله عليه وسلم أمته)، أقول وعلى هذا الرأي السقيم يدخل سائر المنافقين والجهال وتاركي الصلاة والمتجاهرين بالفسق والعصيان وشاربي الخمر والزناة وغيرهم ممن لا يمكن احصاؤه من الفجار، لان جميعهم من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون من يصلي على محمد واهل بيت محمد فانه يصلي على كل هؤلاء الفجار وهذه من المصائب العظيمة التي ما قيلت الا بسبب النصب والبغض لآل البيت عليهم السلام.

(٣) كما في الكامل لعبد الله بن عدي ج ٧ ص ٤١ : (عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آل محمد فقال آل محمد كل تقي).



الأقوال قول عمرو بن العاص ـ ناصر كل فتنة وخاذل كل حق ـ حينما أخرج آل أبي طالب من أهل النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول ألا إن آل أبي يعني فلانا ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين)[١]، وقد بين ابن حجر في (مقدمة فتح الباري) المقصود من قول عمرو بن العاص (ألا إن آل أبي يعني فلانا) فقال: (حديث عمرو بن العاص ألا إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين قال أبو بكر بن العربي المراد آل أبي طالب)[٢]، فبدأ القوم كما ترى بإدخال غير أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معهم، وانتهوا بإخراج أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنفسهم وإبقاء الآخرين.

ولكن ربما ينقدح في ذهن البعض إشكال سنبينه ونجيب عنه في الفقرة القادمة ان شاء الله سبحانه.

إشكال: لماذا لم يبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم المقصودين من أهل البيت ليقطع نزاع الأمة من بعده

عرفنا فيما سبق كيف حاولت السلطة ورموزها وأتباعها ضرب حديث الثقلين وتدميره عن طريق توسيع المشمولين والداخلين تحت لفظ (أهل البيت) ليشتتوا بذلك انتباه الأمة ونظرها عن المقصودين بالأصل من كلام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ألم يكن من الضروري والواجب على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما أوصى الأمة بالتمسك بكتاب الله وعترته أهل بيته، أن يبين لهم من هم هؤلاء الأهل والعترة؟ وألم يكن تبيانه وتوضيحه وتشخيصه لأفراد أهل البيت سيقطع الطريق أمام كل محاولات من يتصيد بالماء العكر؟ لان النبي

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٣٦.

(٢) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٣٢٩.



الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لو قال لامته (أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي الذين هم فلان وفلان) لقطع دابر فتنة كل باغٍ للفتنة، ولما استطاع احد إدخال زوجاته أو عشيرته أو أمته في أهل البيت الذين تحدث عنهم حديث الثقلين.

والجواب عن هذا الإشكال نستعرضه في فقرات ليسهل على القاريء الكريم فهمها واستيعابها، وهي كالتالي:

الجواب الأول: يجب الإيمان بان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك شيئا يهدي الأمة إلا وقد بينه

وردت آيات وأحاديث كثيرة دلت بما لا يقبل الشك أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يرحل عن الدنيا إلا بعد أن بين لامته كل ما من شأنه أن يقربهم من الجنة ويبعدهم عن النار، فمن الآيات التي صرحت أو لوحت بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

وقوله سبحانه في سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3].

ومن الأحاديث الدالة بصراحة على هذا المعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك...)[4].

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤.

(٢) سورة النحل الآية ٦٤.

(٣) سورة المائدة الآية رقم ٣.

(٤) مسند احمد بن حنبل ج٤ ص١٢٦.



وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما تركت شيئا يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا قد بينته لكم...)[١].

ويشهد لذلك قول عائشة لمسروق: (...أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب...ومن حدثك انه كتم فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك الآية)[٢]

فيجب ووفقا لهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن يكون الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد بين لأمته من هم أهل البيت الذين قصدهم وعناهم في حديث الثقلين، لان في تبيان أعيانهم وأشخاصهم مصلحة جميع المسلمين إلى قيام يوم الدين، وفيه أيضا تقريب للأمة من الجنة وإبعادهم عن النار.

ثم كيف يأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتمسك بهم المتمسكون من دون معرفتهم على نحو الدقة والتفصيل، وكيف يعقل أن يأمر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أمته بالتمسك بسائر أفراد أهل بيته وزوجاته وأصحابه وسائر أفراد أمته وفيهم العاصي والجاهل وغير المتفقه وشارب الخمر والزاني ومرتكب الكبائر والآثام، وكيف يجعلهم عدل القرآن ومثله من حيث الهداية ووجوب الاعتصام، فكل هذا لا يعقل أن يصدر من إنسان عادي، فكيف يعقل أن يغفل عنه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهو احكم الحكماء وأعقل العقلاء.

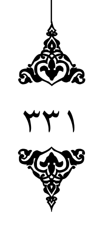
إذن فجميع هذه الأدلة والقرائن التي ذكرناها آنفا تؤكد حتمية بيان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لأشخاص أهل البيت وأعيانهم وأفرادهم الذين عناهم وقصدهم حديث الثقلين، واستحالة إهماله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الأمر ، وهذا مما

---

(١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١١ ص ١٢٥.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص٥٠.

يجب على المسلم الإيمان به والاعتقاد بمضمونه، سواء أوصل إلينا هذا البيان منه صلى الله عليه وآله وسلم أم لم يصل بسبب تلاعب السلطة ومنعها للحديث الذي فيه إعلاء ذكر أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحقوقهم.



الجواب الثاني: من قال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يبين للأمة أسماء أهل البيت وأعيانهم؟

النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ونتيجة خبرته وتجربته وعلمه الرباني كان يعلم ان في أمته صنفين من الناس لابد أن يحسب حسابهم بشكل جيد:

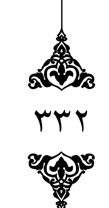
الصنف الأول: هو الصنف البسيط الفهم وهم يمثلون الأغلبية من أفراد الأمة، فأغلب الناس في كل زمان سواء أفي عصر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أم في عصرنا الحالي بطيء الفهم، لا يستطيع استيعاب جميع مقاصد الكلام فيما لو ألقيت إليه الكلمات والجمل بشكل مجمل من دون إيضاح وتفصيل، وليس له القدرة على ربط الكلمات والمواقف بعضها ببعض والخروج منها بنتيجة صحيحة.

الصنف الثاني: هم المتصيدون والانتهازيون الذين يعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوجودهم في صفوف أصحابه، وكذلك يعلم بمخططاتهم المستقبلية، وكذلك يعلم بان فئة منهم ستستغل عنوان أهل البيت لمنافعها الشخصية والسياسية.

فمن أجل هذين الصنفين كان على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يحدد على نحو الدقة من هم المقصودون بـ(أهل البيت)، وان لا يترك أمرهم ضبابيا من دون تحديد دقيق لأسمائهم وأوصافهم، بحيث لا تنطبق هذه الأوصاف على غيرهم مطلقا، وهذا ما فعله النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته الأخيرة في حجة الوداع، فقد فصل أمر أهل البيت وصرح بأسمائهم وأوصافهم، ليفهم بذلك عامة المسلمين، من الصنف الأول الذي تقدم ذكرهم، حتى تكون الحجة لله بالغة عليهم، وليقطع الطريق أمام الصنف الثاني من المتصيدين في الماء العكر ومن

الانتهازيين الذين سيحاولون استغلال عنوان أهل البيت ليدسوا فيه أنفسهم أو غيرهم عنوة.

وفيما يأتي جملة من النصوص والتفصيلات التي أوضح من خلالها النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفاصيل الوصية بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتعيينهم وتشخيصهم بما لا يقبل الشك:



أولا: وصيته صلى الله عليه وآله وسلم بالولاية لعلي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه في غدير خم نفسه

كثيرة هي المخططات التي حيكت ودبرت ضد حديث الغدير، وكان من امقتها مخطط تقطيع علماء الحديث السنة لهذا الحديث ولفقرات خطبة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم، فقد مزقوا هذه الخطبة إلى أشلاء صغيرة وقطع متفرقة وزعوها في ثنايا الكتب وطوايا المدونات، بحيث صار من الصعب على غير المتمرس الوصول إليها ومعرفة الصورة والقصة بشكل كامل، بينما كان من المفترض على علماء الأمة الإسلامية جمعها في مكان واحد، وان يتم تناولها ودراستها وشرحها والتعليق عليها، لان لها من الأهمية ما ليس لغيرها، بوصفها الخطبة التي ودع فيها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم سائر أمته، من هم خارج المدينة ومن هم داخلها، وهي الخطبة التي أعلمهم صلى الله عليه وآله وسلم بان اجله قد حان واقترب، وان هذه آخر أيام سيعيشها بينهم، وان جميع ما سيقوله بأمر الله سبحانه ووحيه، وانه سيترك لهم صمام أمان ــ كتاب الله وعترته أهل بيته ــ يحفظهم من الاختلاف والفرقة والتشتت والانحراف، وان الدين بهذا الشكل وبهذه التركة والأمانة قد تم واكتمل، فكان حقيقا على علماء أهل السنة وغيرهم من المحدثين ان يكتبوا هذه الخطبة ومفرداتها بماء الذهب، لا ان تطمس معالمها وتقطع أشلاؤها وتفرق كلماتها وتختصر وتشتت ألفاظها بين كتب الحديث وفصوله، بحيث يصعب

أو يستحيل على المسلم العادي أن يطلع على فقرات الخطبة التي قالها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وكلماتها كافة، والتي لو عمل بها المسلمون واتبعوا القرآن وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لجمعت كلمتهم على أمر واحد.

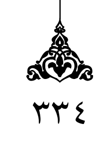
ولا اعتقد بان هنالك صعوبة في فهم السبب الذي أدى بالقوم إلى إخفاء النص الكامل لخطبة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع يوم غدير خم، لان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد صرح بوصيته بالولاية من بعده لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، واخبرهم بان عليا صلوات الله وسلامه عليه أولى بهم من أنفسهم، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم مولى المؤمنين والمسلمين وأولى بهم من أنفسهم[1]، وقد جعل ولاية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كولايته بلا أدنى فرق.

وفيما يأتي جملة من النصوص التي صححها علماء أهل السنة ومحدثوهم والتي تنص على ان النبي لم يكتفِ بالوصية لأهل البيت فحسب بل أوضح أفرادهم وبيّن أشخاصهم المقدسة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

١ : روى الهيثمي في مجمع الزوائد عن: (أبي الطفيل قال جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول يوم غدير خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا ـ علي ـ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فخرجت كأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن أرقم

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية رقم ٦ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾.



فقلت له إني سمعت عليا يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول ذلك. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر ابن خليفة وهو ثقة)[١].

٢ : وروى الهيثمي أيضا : (وعن سعيد بن وهب قال نشد علي عليه السلام الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال من كنت مولاه فعلي مولاه. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)[٢]

٣ : وصحح الهيثمي أيضا حديث : (عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن بثيع قالوا سمعنا عليا يقول نشدت الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول يوم غدير خم لما قام فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يا رسول الله قال فأخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من يبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة)[٣].

٤ : وصحح الهيثمي أيضا رواية : (سعد بن أبي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أخذ بيد علي فقال ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم من كنت وليه فعلي وليه. رواه البزار ورجاله ثقات)[٤].

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه ج٩ ص١٠٤ ـ ١٠٥.

(٤) المصدر السابق ج٩ ص١٠٧.



٥ : وقد أوضح ابن حجر في (فتح الباري) كثرة طرق حديث (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) بقوله : (وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جدا وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان وقد روينا عن الإمام أحمد قال ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي بن أبي طالب)[1].

٦ : وقد اعترف الذهبي بكثرة طرق أسانيده بل بتواتر متنه فقال : (وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جدا قد أفردتها بمصنف ومجموعها يوجب أن يكون الحديث له أصل. وأما حديث : من كنت مولاه. فله طرق جيدة وقد أفردت ذلك أيضا)[2].

٧ : وقال في (سير أعلام النبلاء) : (...فدخل رجل من أهل العراق، فقال : أنشدك بالله إلا حدثتني ما رأيت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال : كنا بالجحفة بغدير خم، وثم ناس كثير من جهينة ومزينة وغفار، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من خباء أو فسطاط، فأشار بيده ثلاثا، فأخذ بيد علي رضي الله عنه فقال : «من كنت مولاه فعلي مولاه». هذا حديث حسن عال جدا، ومتنه فمتواتر)[3].

٨ : ووافقه العجلوني في (كشف الخفاء) وصرح أيضا بتواتره أو شهرته على اقل التقادير فقال : (من كنت مولاه فعلي مولاه. رواه الطبراني وأحمد والضياء في المختارة عن زيد بن أرقم وعلي وثلاثين من الصحابة بلفظ اللهم وال من والاه

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٦١.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١٠٤٢ ـ ١٠٤٣.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.



وعاد من عاداه، فالحديث متواتر أو مشهور)[١].

وقد ظلم ابن حزم نفسه واتبع هواه وأعمته العصبية بتكذيبه لحديث (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) حيث قال في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل): (وأما من كنت مولاه فعلي مولاه فلا يصح من طريق الثقات أصلا وأما سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها)[٢].

وقد اتبع ابن تيمية هوى ابن حزم وسار في غياهب غيه منكرا لحديث (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) بقوله: (وأما قوله من كنت مولاه فعلي مولاه فليس هو في الصحاح لكن هو مما رواه العلماء وتنازع الناس في صحته فنقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث انهم طعنوا فيه...)[٣].

أقول: والنصوص السابقة واعتراف اكبر علماء أهل السنة ومحققيهم بتواتر أو شهرة حديث (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) تكفي لرد ابن حزم وابن تيمية وتكذيبهما، وهما اللذان انكشف نصبهما وعدم إنصافهما العلمي بتعمد تكذيبهما لفضائل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه المتواترة لا غفر الله لهما ذلك، وعدم الإنصاف في فضائل الإمام أمير المؤمنين هو ديدن القوم ودينهم، ألا ترى انهم لم يقبلوا من الحاكم النيسابوري حينما اخرج في كتابه المستدرك بعض الأحاديث التي نطقت بفضائل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وصححها وبين انها على شرط البخاري ومسلم ومع ذلك لم يخرجاها تعصبا منهما وكتما للحق، كحديث

(١) كشف الخفاء للعجلوني ج ٢ ص ٢٧٤.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري ج٤ ص١١٦.

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٧ ص٣١٩.



(الطير) وحديث (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) فأنكروا عليه ذلك ولم يقبلوا منه هذا الفعل، قال الذهبي: (جمع أبو عبد الله الحاكم أحاديث، وزعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم، منها حديث الطير، وحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك، ولم يلتفتوا إلى قوله)[1]، وعليه فلا عجب من تعصب ابن حزم وابن تيمية ونصبهما وتكذيبهما لحديث من كنت مولاه، ولهما وقفة يوم القيامة أمام الله ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم ووليهما الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، لا غفر الله لهما ولا تجاوز عنهما هذا التكذيب.

فيثبت ونتيجة لتلك الأحاديث المتواترة ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد صرح باسم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بالولاية، فكيف يزعم البعض ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات ولم يوص لأحد من بعده؟!.

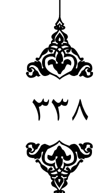
ثانيا: وصيته صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم باثني عشرة إماماً يأتون من بعده

ومن الحقائق التي حرص المحدثون من أهل السنة على عدم كشفها وإدراجها في ضمن حديث الثقلين وخطبة غدير خم، ان النبي الأعظم وبعد وصيته بالكتاب والعترة من أهل البيت وبعد أن رفع يد أمير المؤمنين بالولاية، أوصى باثني عشر خليفة يأتون من بعده، وفيما يأتي جملة من النصوص الدالة على وقوع ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم:

أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن: (جابر بن سمرة السوائي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم يقول في حجة الوداع لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناواه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي اثنا عشر أميرا كلهم ثم خفي من قول رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم قال وكان أبي أقرب

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٧ ص ١٦٨.



إلى راحلة رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مني فقلت يا أبتاه ما الذي خفى من قول رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال يقول كلهم من قريش)[(١)].

وروى مسلم في صحيحه: (عن جابر بن سمرة قال: قال النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لا يزال هذا الأمر عزيزا إلى اثني عشر خليفة قال ثم تكلم بشيء لم افهمه فقلت لأبي ما قال فقال كلهم من قريش)[(٢)].

وروى الهيثمي: (عن أبي جحيفة قال كنت مع عمي عند النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وهو يخطب فقال لا يزال أمر أمتي صالحا حتى يمضي إثنا عشر خليفة وخفض بها صوته فقلت لعمي وكان أمامي ما قال يا عم قال كلهم من قريش. رواه الطبراني في الأوسط والكبير والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح)[(٣)].

وفي سنن أبي داود: (عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول: لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة فسمعت كلاما من النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لم أفهمه، قلت لأبي: ما يقول؟ قال: كلهم من قريش)[(٤)].

وفي رواية أخرى عنه: (لا يزال هذا الدين عزيزا إلى إثني عشر خليفة...)[(٥)].

---

(١) مسند احمد ج ٥ ص ٨٧.

(٢) صحيح مسلم ج ٦ ص ٣.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٥ ص ١٩٠.

(٤) سنن أبي داود لابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٣٠٩.

(٥) المصدر نفسه.



فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفقاً لهذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث السابقة أوصى لاثني عشر خليفة من بعده، ورفع يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه على أساس انه أحد هؤلاء الاثني عشر، وأعطاهم من الأوصاف والامتيازات ما لا ينطبق على غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولنا على هذه الحقيقة أدلة عدة مستقاة من الأحاديث السابقة نفسها:

١: لا خلاف بين أحد من المسلمين وعلى اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ان هؤلاء الإثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن أهل بيته، فيكون دخولهم في حديث الوصية بالثقلين يقينيا وقطعيا لا شك فيه، ويكون خروج غيرهم من عنوان العترة والأهل قطعيا ولا شك فيه أيضا، فأبو بكر وعمر ابن الخطاب وعثمان وغيرهم من أئمة بني أمية وبني العباس ليسوا من أهل البيت ولا هم من العترة قطعا، فيكون خروجهم عن الوصية مما لا شك فيه.

ويتفرع من هذه المسألة عدة مسائل أخرى منها، ان كلاً من أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم لا يشملهم عنوان الاثني عشر خليفة؛ لأنهم كما قلنا ليسوا من العترة ولا من أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه فالتمسك بهم لا يعد مشروعا ولا مبرئا للذمة، لان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يوص بالتمسك بهم، وأوصى بغيرهم.

ويتفرع عليه أيضا انهم ليسوا عدل القرآن، لوجود هوة عظيمة ومفارقات واضحة بين من تقدم ذكرهم وبين القرآن الكريم، والدليل التاريخي يؤكد ويصحح هذه الحقيقة، فكم من حادثة وحكم عقائدي وشرعي قد خالفوا فيه آيات القرآن وسوره، وأمثلة ذلك كثيرة لا تخفى على متتبع، فيكون خروجهم عن حديث



الوصية بالتمسك بالقرآن والعترة قطعياً لا مرية فيه، ويكون دخول أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيه قطعياً لا يشك فيه إلا متعنت.

٢ : لا خلاف في ان أئمة أهل البيت الاثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد تحقق فيهم قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : (كلهم تجتمع عليه الأمة) فانك لا تجد اليوم ولا في السابق من اجتمعت الأمة على فضله وعلمه وتقواه وعبادته وفقهه وعلو مرتبته وارتفاع منزلته غير هؤلاء الاثني عشر خليفة الذين تقول الشيعة بإمامتهم، وبعكسهم باقي الأمراء والحكام الذين اعتلوا كرسي الحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والى اليوم، فان الأمة لم تجتمع على واحد منهم قطعا، وأقوال الأمة فيهم مختلفة ما بين مؤيد ومعارض وما بين من يقول بإيمانهم وبين من ينكره، وعليه فلا ينطبق قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : (كلهم تجتمع عليه الأمة) إلا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وأولاده من بعده، أما غيرهم فبعيدون كل البعد عن حديث الثقلين قلبا وقالبا.

وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان لم تنقَدْ لهم الأمة بالخلافة والحكم الظاهري إلا أنهم انقادوا لهم بالفضل وعلو الشأن والرفعة، وهو أمر يستغني عن البرهان، وكلمات أعلامهم شاهدة على هذه الحقيقة المشرقة.

ففي مورد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والحسنين صلوات الله وسلامه عليهما فالأمر واضح واعتراف القوم بفضلهم مشهور، وقد تقدم في الفصل الأول مدح القوم للإمامين الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليهما، ومدحهم لباقي الأئمة أشهر من أن يستشهد له، فمن باب المثال لا الحصر فقد مدح الذهبي وغيره الإمام الكاظم بقوله: (موسى الكاظم الإمام، القدوة، السيد أبو الحسن العلوي، والد الإمام علي بن موسى الرضا مدني نزل بغداد...ذكره أبو حاتم فقال: ثقة صدوق، إمام



من أئمة المسلمين)[١].

وعن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه يقول ابن حبان: (علي بن موسى الرضا وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن من سادات أهل البيت وعقلائهم وجلة الهاشميين ونبلائهم)[٢].

وكذلك وردت مدائح في بقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولولا خوف الإطالة لأتينا على آخرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٣: ورد في حديث الثقلين ان الدين الإسلامي سيبقى عزيزا منيعا على أيدي هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، وهذا الوصف لم يتحقق في إمارة الشيوخ الثلاثة ومن بعدهم من الأمويين والعباسيين، لأننا قد ذكرنا في فقرة سابقة من فقرات هذا البحث ان الدين الإسلامي قد غير، وان أحكامه قد بدلت، ولم يبق منه إلا القشر، وان أحكاما وسننا جديدة قد حلت مكان أحكامه وسننه الحقيقية[٣]، مما يعني ان الإسلام وأحكامه وسننه لم تكن عزيزة ظاهرة في زمن هؤلاء الأمراء، وان غيرهم هو المقصودون من قول النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم (لا يزال هذا الدين عزيزا إلى إثني عشر خليفة...)[٤].

وليس هذا الغير إلا أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأننا قد بينا سابقا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أودع عندهم أحكام الدين وسننه حتى ارش الخدش، وكل ما يحتاجه الناس والى يوم القيامة، مما يعني ان الدين الحق عندهم، وان

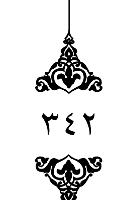
---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٦ ص ٢٧٠

(٢) الثقات لابن حبان ج ٨ ص ٤٥٦.

(٣) راجع الفصل الأول من هذا الكتاب.

(٤) المصدر نفسه.



أحكامه التي انزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم محفوظة لديهم، فهم أمناء الله والرسول على حلال الله وحرامه، وعلى شرائع الله وأحكامه، وان عزة الدين وشوكة الإسلام مرهونة بوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فينطبق عليهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الثقلين: (لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناواه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي اثنا عشر أميرا...).

٤: ورد في بعض النصوص ان هؤلاء الخلفاء الإثني عشر (لا تضرهم عداوة من عاداهم) ولا ينطبق هذا القيد على غير أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لان غيرهم من الأمراء الذين ارتقوا منصة الحكم بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كلهم قد تمت معارضتهم، وتمت معاداتهم، وكان لهذه العداوة والمعارضة وجه مقبول ومعتد به، فالشيخان قد تم معارضتهما من عدة من الصحابة مشهود لهم بالفضل والسابقة والإيمان من أمثال سعد بن عبادة الأنصاري الذي لم يبايع كلاً من ابي بكر وعمر بن الخطاب، وعارضه من هو أعظم من سعد بن عبادة الأنصاري فضلا وإيمانا فقد عارضهما الإمام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم ومن يدور الحق معه أينما دار، وعارضتهما السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، وعارضهما أتباع الإمام أمير المؤمنين ومؤيدوه من أمثال عمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وغيرهما كثير، ومعارضة مثل هؤلاء الصحابة يعتد بها وينظر فيها وتضر كل من وقعت عليه.

والأمر في عثمان بن عفان أوضح وأجلى فقد اجتمع الصحابة صغيرهم وكبيرهم على معارضته وعداوته حتى انتهى الامر بالصحابة ان قتلوه في داره بعد احداث يطول الوقوف عندها، ومثل هذه المعارضة والعداوة ضارة حتما فلا يكون مشمولا بحديث الاثني عشر خليفة قطعا.



والأمر في خلفاء بني أمية وبني العباس أوضح وأوضح، فمعاوية ويزيد قد خالفهما إمام زمانهما الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله وسلم وآلاف الصحابة والتابعين، حتى حوربوا على رد أمرهم وكف شرهم، وعاداهما سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعاداهما أهل المدينة وأهل العراق وأهل مكة وغيرها من البلاد الإسلامية، حتى ما انتهى توطيدهم للملك إلا بوقعة الطف الأليمة التي قتل فيها آل الرسول ورياحينه، ووقعة الحرة التي قتل فيها كثير من الصحابة وذراريهم، واستبيحت فيها مدينة الرسول أياما عديدة، وبعدها بزمن ليس بالطويل رميت الكعبة بالمنجنيق وأحرقت، فمعارضة مثل هذه لا يخفى خطرها وتكون ضارة بهؤلاء الحكام قطعا فلا يشملون بالقيد السابق يقينا.

أما أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فينطبق عليهم القيد بلا أدنى شك أو شبهة، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان عادتهم جماعات وطوائف ومذاهب كثيرة إلا أنهم وكما قال النبي (لا تضرهم عداوة من عاداهم) وذلك لقيام الدليل الشرعي على انهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يعاديهم معادٍ إلا ويكون مطعونا في دينه ومتهماً في إيمانه، فقد عهد النبي الأمي إليهم أن لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق أو مطعون في نسبه.

وقد اثبت الاستقراء التاريخي صحة هذا العهد النبوي، فخذ أي فئة أعلنت بالعداوة أو الحرب لهم فانك ستجدها خارجة عن صراط الإسلام ونهجه وبلا أدنى إشكال، فالخوارج مثلا وان عادوهم إلا أن عداوتهم غير ضارة بهم البتة، لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حكم عليهم بالمروق من الدين والخروج من صف المؤمنين.

وكذلك أصحاب الجمل وصفين وغيرهم من الذين سبقوهم والذين لحقوا



بهم والى يوم الناس هذا فانهم وان نصبوا العداء والحرب ضد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الا ان عداوتهم لم تضر اهل البيت شيئا، لوجود النص النبوي الذي حكم على اهل الجمل بالناكثين وعلى اهل صفين بالقاسطين وعلى غيرهم ممن جاء بعدهم بالنواصب، والناكث والقاسط والناصبي لا تضر عداوته لاهل الايمان والتقى ما دام الحق معهم وفيهم ومنهم.

ومن هذا الاستقراء التاريخي نستكشف ان عداوة من يعادي الأئمة من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومهما بلغت مرتبته الدينية او الاجتماعية أو العلمية لا تضرهم قيد أنملة، وان من يتضرر هو معاديهم ومخالفهم ومحاربهم بالقول والفعل، فيكونون هم المقصودين بقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تضرهم عداوة من عاداهم).

وقد ظلم من حاول جر حديث الثقلين وحديث الاثني عشر خليفة على غير أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من محدثي أهل السنة ورواتهم عن طريق التمسك ببعض الروايات المكذوبة التي تفوح منها رائحة الوضع والافتراء.

وليت ظلمهم قد توقف عند هذا الحد ولم يتعد الى تصحيحهم لتلك الاحاديث مع وضوح بطلانها وفساد إسنادها ومتنها، إذ ازدادوا ظلما حين ادخلوا فيها الطغاة مثل معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد لعنهما الله وبعض طغاة بني العباس وأرجاسهم، ثم لم يكتفوا بكل هذا الظلم حتى تمادوا في غيهم فلم يدرجوا اسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه في هذه الأخبار ولم يعدّوه من هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، وهذا هو الأفضل باعتقادي، فليس من حق أمير المؤمنين ومنزلته العالية الرفيعة أن يوضع في أحاديث مكذوبة كهذه.



وهذا الحديث المكذوب قد اخرجوه تارة تاما واخرى ناقصا مبتورا كي لا يكشف كذبهم ونصبهم، فقد أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال) عن (عبد الله ابن عمرو قال: يكون على هذه الأمة اثنا عشر خليفة: أبو بكر الصديق، أصبتم اسمه، عمر الفاروق، قرن من حديد، أصبتم اسمه، عثمان بن عفان ذو النورين، قتل مظلوما، أوتي كفلين من الرحمة، ملك الأرض المقدسة معاوية وابنه، ثم يكون السفاح ومنصور وجابر والأمين وسلام وأمير العصب لا يرى مثله ولا يدرى مثله...)[1].

وروى ابن عساكر: (عن عبد الله بن عمرو قال إني لأجدهم مكتوبين في كتاب الله اثني عشر أميرا يملكون الناس منهم أبو بكر الصديق أصبتم اسمه وعمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه ومنهم عثمان بن عفان ذو النورين أوتي كفلين من الرحمة قتل مظلوما ومنهم ملكا الشام قلنا ومن هم قال معاوية وابنه ولم يذكر منهما خيرا ولا شرا ومنصور وجابر والمهدي وأمير العصب والسفاح وسياح وسلام وفلان القحطاني سبعة كلهم صالح لا يرى مثله قلت لهشام هل أدركت منهم أحدا قال لا إلا عمر بن عبد العزيز)[2].

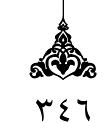
وقد بتره الهيثمي في (مجمع الزوائد) ولم يكمل جميع فقراته لكنه صححه مع ذلك بقوله: (رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عقبة ابن أوس وهو ثقة)[3].

وكذل فعل الألباني في (ظلال الجنة في تخريج "السنة" لابن أبي عاصم) حيث

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١١ ص ٢٥٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٨٥ ص٤٠٨.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٨٩.



وصف الحديث بعبارة (صحيح)[1].

أقول: وليست هذه بأول مطرقة من مطارق علماء أهل السنة ومحدثيها تضرب بها فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين محاولة منهم لتحطيمها وتشويهها وتحريفها عن مواضعها وقواعدها التي أرسيت لأجلها.

الجواب الثالث: إن عدم ذكر الأسماء على التفصيل يعود إلى وضوح مصاديق أهل البيت عند الأمة

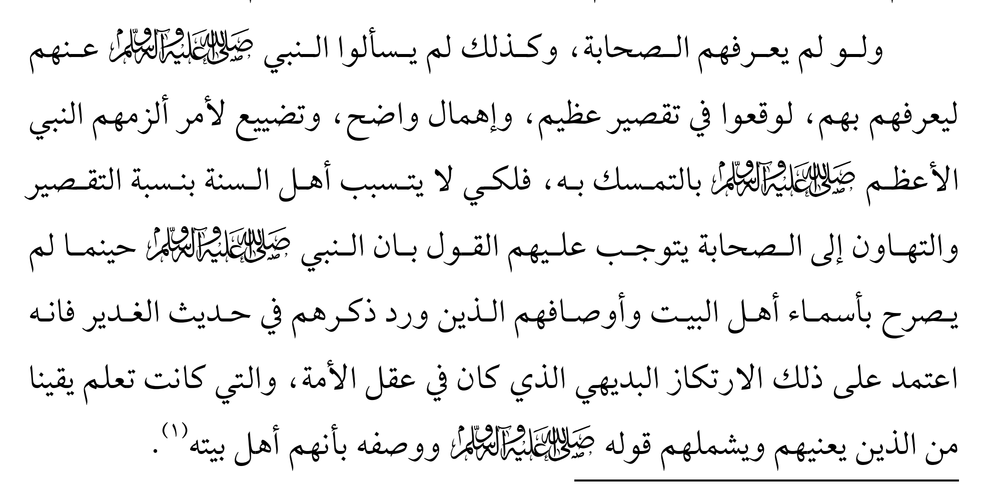
ولو أصر بعض المعاندين والمجادلين على عدم وجود دليل يذكر أسماء أهل البيت المقصودين من حديث الثقلين، لامكن الجواب بان عدم الذكر والتعيين لأسماء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأشخاصهم لو صح فان سببه يعود إلى علم الأمة وأفرادها من الصحابة ودرايتهم بأسماء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأشخاصهم على نحو الدقة والتفصيل، فيكون كلام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل البيت هو كلاماً واضحاً ومفهوماً لا يحتاج إلى بيان زائد، وان الصحابة بأجمعهم قد فهموا من هم وما أعيانهم وما هي أوصافهم على نحو الدقة، لذلك لم يحتج النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإطالة بذكر أسمائهم مثلما لم يحتج إلى الإطالة بتبيان مقصوده من الكتاب الذي أمر الأمة بالتمسك به، لان جميع المسلمين فهموا منه القرآن الكريم.

ويدل على وضوح أسماء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأشخاصهم الذين تكلم عنهم حديث الثقلين عند الصحابة المعاصرين للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أن الصحابة لم يسألوا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عنهم حينما اخبرهم وأمرهم بالتمسك بالقرآن وبأهل بيته، ولو لم يكونوا على علم بهم وإحاطة بأسمائهم للزم

---

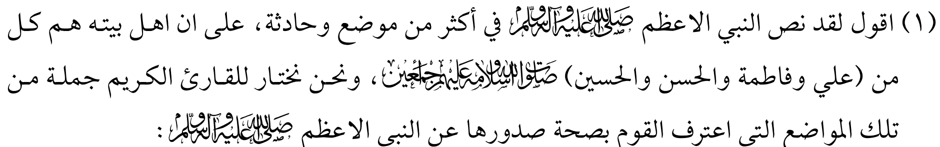
(١) ظلال الجنة في تخريج "السنة" لابن أبي عاصم تأليف محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – الطبعة: الأولى لسنة ١٤٠٠ للهجرة.





عليهم سؤاله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم، لان ذلك هو المفترض عليهم فعله.

ولو لم يعرفهم الصحابة، وكذلك لم يسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنهم ليعرفهم بهم، لوقعوا في تقصير عظيم، وإهمال واضح، وتضييع لأمر ألزمهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك به، فلكي لا يتسبب أهل السنة بنسبة التقصير والتهاون إلى الصحابة يتوجب عليهم القول بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما لم يصرح بأسماء أهل البيت وأوصافهم الذين ورد ذكرهم في حديث الغدير فانه اعتمد على ذلك الارتكاز البديهي الذي كان في عقل الأمة، والتي كانت تعلم يقينا من الذين يعنيهم ويشملهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم ووصفه بأنهم أهل بيته[1].



(١) اقول لقد نص النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من موضع وحادثة، على ان اهل بيته هم كل من (علي وفاطمة والحسن والحسين) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ونحن نختار للقارئ الكريم جملة من تلك المواضع التي اعترف القوم بصحة صدورها عن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

فمنها ما اخرجه مسلم في صحيحه (ج ٧ ص ١٢٠ ـ ١٢١) (عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك أن تسب أبا التراب فقال أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فلن أسبه لان تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبوة بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال ادعوا لي عليا فأتى به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي) وقد روى احمد بن حنبل هذا الحديث في مسنده (ج١ ص١٨٥)، وكذلك رواه الترمذي في سننه (ج٥ ص٣٠٢) وعلق عليه بقوله: (هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه)، صححه الشيخ الألباني في كتابه (صحيح وضعيف سنن الترمذي ج٨ ص٢٢٤ رقم ٣٧٢٤).

←



ومنها ما رواه الترمذي وابن حجر وصححاه، قال الترمذي في سننه (ج٥ ص٣٦٠ ـ ٣٦١) (عن شهر بن حوشب عن أم سلمة " أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي؛ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال، إنك على خير) ثم علق عليه الترمذي بقوله: (هذا حديث حسن صحيح. وهو أحسن شيء روي في هذا الباب. وفي الباب عن أنس وعمر بن أبي سلمة وأبي الحمراء).

وقد صحح هذا الحديث ابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ج٢ ص٤٢٢) بقوله: (وصح أنه جعل على هؤلاء كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أي خاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا معهم قال إنك على خير).

ومنها: ما رواه الحاكم في كتابه المستدرك وصححه، ففي (ج ٢ ص ٤١٦) (...عن عطاء بن يسار عن أم سلمة رضي الله عنها انها قالت في بيتي نزلت هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي قالت أم سلمة يا رسول الله ما انا من أهل البيت قال إنك أهلي خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي أحق هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه).

وفي نفس المصدر ايضا عن: (واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال جئت أريد عليا رضي الله عنه فلم أجده فقالت فاطمة رضي الله عنها انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوه فاجلس فجاء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل ودخلت معهما قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله حسنا وحسينا فاجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوبه وأنا شاهد فقال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا اللهم هؤلاء أهل بيتي هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه).

وفي (ج ٣ ص ١٤٦ ـ ١٤٧) من مستدرك الحاكم عن: (عطاء بن يسار عن أم سلمة قالت في بيتي نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي * هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه).



وفي (ج ٣ ص١٥٠) من المستدرك ايضا: (عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فقال اللهم هؤلاء أهلي * هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

ومنها ما جاء في كتاب (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٦٦ ـ ١٦٧) حيث قال: (وعن أم سلمة قالت جاءت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم متوركة الحسن والحسين في يدها برمة للحسن فيها سخين حتى أتت بها النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فلما وضعتها قدامه قال أين أبو حسن قالت في البيت فدعاه فجلس النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين يأكلون قالت أم سلمة وما سامني النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وما أكل طعاما وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم تعني سامني دعاني إليه فلما فرغ التف عليهم بثوبه ثم قال اللهم عاد من عاداهم ووال من والاهم. رواه أبو يعلى وإسناده جيد).

وقال الهيثمي ايضا (المصدر السابق ص١٦٧) (وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم نزلت هذه الآية في خمسة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في وفي علي وفاطمة وحسن وحسين. رواه البزار وفيه بكير بن يحيى بن زبان وهو ضعيف).

أقول: وقول الهيثمي ان (بكير بن يحيى بن زبان وهو ضعيف) فيه كثير من التجني وفيه إخفاء لأقوال كثير ممن وثقه، وهو مذهب معروف ومتداول بين أصحاب الحديث، فحينما لا يعجب احدهم حديثا ما، أو يأتي على غير هواه يرمي رجاله بالضعف فيذكر كلام الجارحين ويتغافل عن كلام الموثقين، و(بكير بن يحيى بن زبان) وثقه كل من أبي حاتم حيث وصفه بالشيخ، وكذلك وثقه ابن حبان حيث أورد اسمه في كتاب الثقات، قال المزي في: (تهذيب الكمال ج ٤ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢) (بكر بن يحيى بن زيان العبدي. ويقال: العنزي، ويقال: العمري، أبو علي البصري... قال أبو حاتم: شيخ. وذكره أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات).

وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب ج ١ ص ١٣٦) (بكر بن يحيى بن زبان بزاي مفتوحة وموحدة ثقيلة عبدي ويقال عنزي بنون وزاي ويقال عمري بصري يكنى أبا علي مقبول من التاسعة) فتضعيف الهيثمي له فيه حيف وظلم واضح، ومع توثيق من سبق من أهل الجرح والتعديل يثبت

وعليه يصبح عدم ذكره صلى الله عليه وآله وسلم لأسماء أهل البيت وأوصافهم ليس جائزا وحسب بل هو واجب أيضا، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم إن بين أسماءهم وأعيانهم فانه يكون قد بين أمرا واضحا بديهيا والعقلاء والبلغاء لا يبينون في أحاديثهم وخطبهم ما يكون بديهيا عند السامع والمتلقي، لأنهم يعدّون ذلك من أقسام اللغو ومصاديقه.





حديث بكر بن يحيى بن زبان ويتحدد نزول آية التطهير بخمسة أشخاص ذكرتهم الرواية.

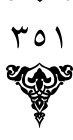
وروى الهيثمي أيضا (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٩) (وعن علي أنه دخل على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وقد بسط شملة فجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين ثم أخذ النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بمجامعه فعقد عليهم ثم قال اللهم ارض عنهم كما أنا عنهم راض. رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبيد بن طفيل وهو ثقة كنيته أبو سيدان).

ومنها قول المباركفوري في (تحفة الأحوذي ج ٨ ص ٢٧٨) عند تفسيره لآية المباهلة: (فمن حاجك فيه أي فمن جادلك في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم يعني بأن عيسى عبد الله ورسوله فقل تعالوا أي هلموا ندع أبناءنا وأبناءكم أي يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل أي نتضرع في الدعاء فنجعل لعنة الله على الكاذبين بأن تقول اللهم العن الكاذب في شأن عيسى «دعا رسول الله عليا» فنزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والأخوة «وفاطمة» أي لأنها أخص النساء من أقاربه «وحسنا وحسينا» فنزلهما بمنزلة ابنيه «فقال اللهم هؤلاء أهلي»).

ومنها قول المارديني في (الجوهر النقي ج ١ ص ٦٦) ردا على من ضعف بعض طرق حديث الثقلين: (وأخرج الترمذي حديثه عن ابن سلمة ان النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم جلل الحسن والحسين وعليا وفاطمة رضي الله عنهم كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي الحديث ثم قال الترمذي حسن صحيح وقال ابن القطان لم اسمع لمضعفيه حجة وما ذكره أما لا يصح وأما خارج على مخرج لا يضره...).

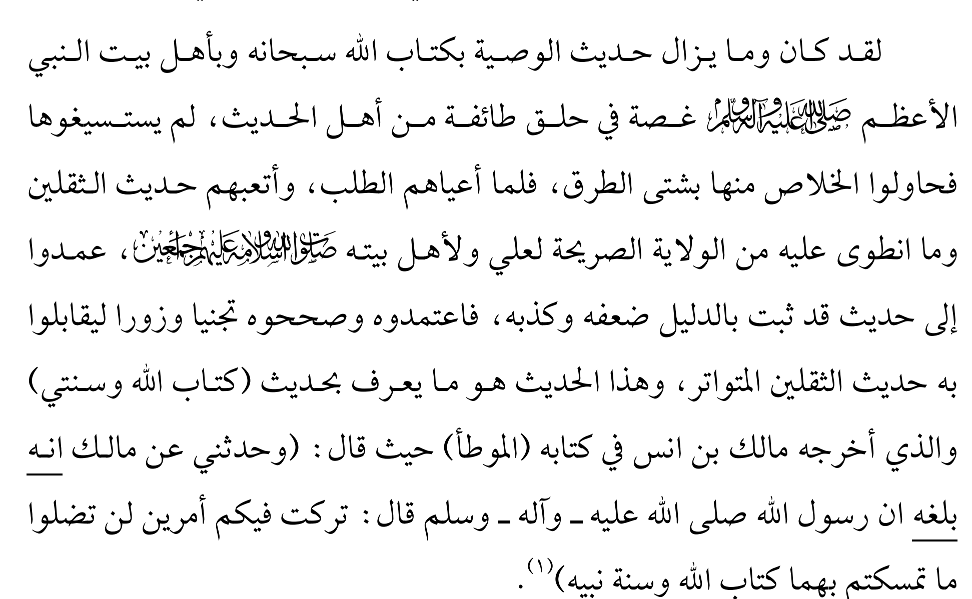
فيتبين من كل النصوص السابقة ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد بين لأمته وفي مواقف عديدة ومناسبات مختلفة كثيرة مصاديق أهل البيت وأشخاصهم الذين جاء ذكرهم في حديث الثقلين، وان المسلمين كانوا على دراية تامة بالذين يشملهم عنوان أهل البيت ولفظه، لذلك لم يسالوا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في وقتها عن مقصوده من أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.





وبهذا ينتهي الكلام عن المحاولة الثالثة من محاولات محدثي اهل السنة للقضاء على حديث الثقلين وتحطيمه.

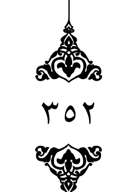
٤: محاولاتهم استبدال حديث كتاب الله وعترتي بكتاب الله وسنتي



لقد كان وما يزال حديث الوصية بكتاب الله سبحانه وبأهل بيت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم غصة في حلق طائفة من أهل الحديث، لم يستسيغوها فحاولوا الخلاص منها بشتى الطرق، فلما أعياهم الطلب، وأتعبهم حديث الثقلين وما انطوى عليه من الولاية الصريحة لعلي ولأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، عمدوا إلى حديث قد ثبت بالدليل ضعفه وكذبه، فاعتمدوه وصححوه تجنيا وزورا ليقابلوا به حديث الثقلين المتواتر، وهذا الحديث هو ما يعرف بحديث (كتاب الله وسنتي) والذي أخرجه مالك بن انس في كتابه (الموطأ) حيث قال: (وحدثني عن مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)[1].

أقول: وهذا الحديث لا ينفع لمعارضة حديث الثقلين المتواتر، لضعف جميع طرقه، فطريق مالك بن انس السابق مقطوع من حيث السند، لانه من بلاغات مالك بن انس في الموطأ حيث لم يبين مالك بن انس كيف وعن أي طريق قد بلغه قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وما لم يعرف الطريق والسند لا يمكن القول بصحته لاحتمال ان مالك بن انس قد بلغه ذلك عن ضعيف أو كذاب أو مدلس، وبالجملة لا يمكن اعتماد حديث مالك وبلاغه لانه مقطوع، والمقطوع داخل في قسم الضعيف الذي لا يحتج به.

(١) الموطأ لمالك بن انس رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي ج٢ ص٤٨٠، حديث رقم: ٢٦١٨، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، طبعة دار العرب الإسلامي.



محاولة ابن عبد البر الاعتذار عن اخراج مالك بن انس للحديث مقطوعا

وقد حاول ابن عبد البر جاهدا الاعتذار عن إيراد مالك بن انس لهذا الحديث مقطوعا بقوله: : (وهذا أيضا محفوظ معروف مشهور عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد)[1].

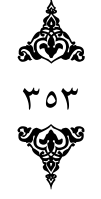
أقول: فلينظر القارئ الكريم كيف يكيل القوم بمكيالين، فقد رأينا سابقا كيف وقف علماء أهل السنة ومحدثوهم بوجه حديث الثقلين؛ لأنه لا ينسجم مع منظومتهم الفكرية ومتبنياتهم العقائدية، وكيف هم الآن يدافعون عن حديث مرسل ضعيف لمجرد أن لهم فيه هوى، أو أن لهم فيه مآرب أخرى، فكيف أصبح يا ترى الحديث الضعيف المرسل محفوظا معروفا مشهورا شهرة يستغني بها عن الإسناد، لله درك يا ابن عبد البر! ما أعظم إنصافك! فأين هذه الشهرة وأين مصاديقها، وإذا كان هذا الحديث محفوظا معروفا عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فكيف لم يقف عليه مالك بن انس ولماذا اضطر مالك إلى إرساله بعد أن لم يستطع وصله؟ أو انه تعمد إرساله ليخفي ضعف رجاله كما سنقف عنده في النقطة اللاحقة ان شاء الله تعالى.

محاولة ابن عبد البر اسناد الحديث وفشله في ذلك

وقد حاول ابن عبد البر جاهدا أن يصل ما قطعه مالك فلم يفلح، فحاول إخراج الحديث بطريقين وحكم عليهما بالصحة، فقال في ذكر الطريق الأول: (وروي في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث من أحاديث أبي هريرة وعمرو بن عوف حدثنا عبد الرحمن بن مروان قال حدثنا أحمد بن سليمان البغدادي قال حدثنا البغوي قال حدثنا داود بن عمرو الضبي قال حدثنا صالح بن موسى الطلحي قال

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ج ٢٤ ص ٣٣١.



حدثنا عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إني قد خلفت فيكم اثنتين لن تضلوا بعدهما أبدا كتاب الله وسنتي)[١].

ثم ذكر الطريق الثاني بقوله: (وحدثنا عبد الرحمن بن يحيى قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن إبراهيم الديبلي قال حدثنا علي بن زيد الفرائضي قال حدثنا الحنيني عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم)[٢].

أقول: لا حجة في كلا الطريقين اللذين استشهد بهما ابن عبد البر لضعفهما، فالطريق الأول فيه (صالح بن موسى الطلحي) وهو: (صالح بن موسى بن إسحاق ابن طلحة بن عبيد الله الطلحي التيمي، الكوفي) من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين روى عنه الترمذي وابن ماجة وهو متروك واه، قال عنه ابن معين: (ليس حديثه بشيء)[٣].

وقد ذكره النسائي في (كتاب الضعفاء والمتروكين) بقوله: (صالح بن موسى الطلحي متروك الحديث)[٤].

وكذلك ذكره الرازي في (الجرح والتعديل) عن: (عبد الرحمن قال سألت أبي عن صالح بن موسى الطلحي فقال: ضعيف الحديث، منكر الحديث جدا كثير

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ج ٢٤ ص ٣٣١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ ابن معين برواية الدوري ج ١ ص ١٦٦.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٩٤.

المناكير عن الثقات. قلت يكتب حديثه؟ قال: ليس يعجبني حديثه)[١].

وقال السمعاني: (كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات حتى يشهد المستمع لها أنها معمولة أو مقلوبة، لا يجوز الاحتجاج به)[٢].

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (صالح بن موسى الطلحي وهو ضعيف ضعفه الأئمة)[٣].

وأما الطريق الثاني ففيه (كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف) روى عنه البخاري وابو داود والترمذي وابن ماجه، وهو ضعيف متروك كذاب، قال عنه يحيى بن معين: (كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ليس هو بشيء)[٤].

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل: (وضرب أبي على حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ولم يحدثنا بها في المسند)[٥]، وفي مسند احمد المطبوع والمتوفر في الأسواق وفي المكتبات العامة يوجد حديث لكثير بن عبد الله[٦]، وهو تحريف واضح لكتاب المسند يضاف الى ما سبق الكلام عنه في فصل سابق.

وقال النسائي: (كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف متروك الحديث)[٧].

وقال ابن الجوزي: (كثير بن عبد الله وهو كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني. قال أحمد بن حنبل: لا يحدث عنه، وقال مرة: لا يساوي شيئا،

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٤ ص ٤١٥.

(٢) الأنساب للسمعاني ج ٤ ص ٧٠.

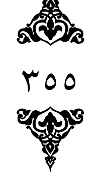
(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٢ ص ٢٩٧.

(٤) تاريخ ابن معين برواية الدوري ج ١ ص ١٧١.

(٥) العلل لأحمد بن حنبل ج ٣ ص ٢١٣.

(٦) مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٣٠٦.

(٧) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٢٢٨.



وقال يحيى بن معين: حديثه ليس بشيء لا يكتب. وقال النسائي والدارقطني: هو متروك الحديث. وقال الشافعي: هو ركن من أركان الكذب. وقال أبو حاتم بن حبان: روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب، ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب)(١).

وقال ابن حجر: (قال الآجري سئل أبو داود عنه فقال كان أحد الكذابين سمعت محمد بن الوزير المصري يقول سمعت الشافعي وذكر كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف فقال ذاك أحد الكذابين أو أحد أركان الكذب)(٢).

فإسناد كلا الطريقين ضعيف، ولا يستطيعان إخراج مالك من ورطته، فيسقط الاحتجاج بهما ولا يصلحان لمعارضة حديث الثقلين المتواتر سندا ومعنى.

محاولة الشيخ الالباني الوهابي تصحيح طريق ابي هريرة وفضح كذبته

وقد حاول الشيخ الألباني عبثا وتكبرا تصحيح هذا الحديث في كتابه (الحديث حجة بنفسه) بقوله: (عن أبي هريرة...قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهم «ما تمسكتم بهما» كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض». أخرجه مالك مرسلا والحاكم مسندا وصححه)(٣) وقد صححه وحسنه في مواضع أخرى يطول ذكرها.

أقول: وقد كذب الألباني على الحاكم النيسابوري حين ادعى بان الحاكم النيسابوري قد صحح حديث أبي هريرة، فحينما رجعنا إلى كتاب المستدرك لم نجد الحاكم قد علق شيئا على الحديث كعادته، لان الحاكم اعتاد بعد إيراده

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ١٩٧.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٨ ص ٣٧٧.

(٣) الحديث حجة بنفسه ج١ ص٣٢.



للأحاديث أن يقول مثلا، (على شرط الشيخين ولم يخرجاه) أو (على شرط مسلم أو البخاري وحده ولم يخرجاه) أو غير ذلك من التعليقات، ولكنه وبعد إيراده لهذا الحديث سكت عن التعليق عليه، لعلمه بضعف رجاله، فمن أين حصل اليقين للألباني بان الحاكم قد صححه، وهو تجنٍ واضح وتكلف مفضوح.

محاولة ثانية للشيخ الالباني لتصحيح طريق ابن عباس وفشله في ذلك

وقد صحح الألباني حديثا آخر عن ابن عباس: («أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم خطب الناس في حجة الوداع فقال إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بأبي أويس وله أصل في الصحيح)(١).

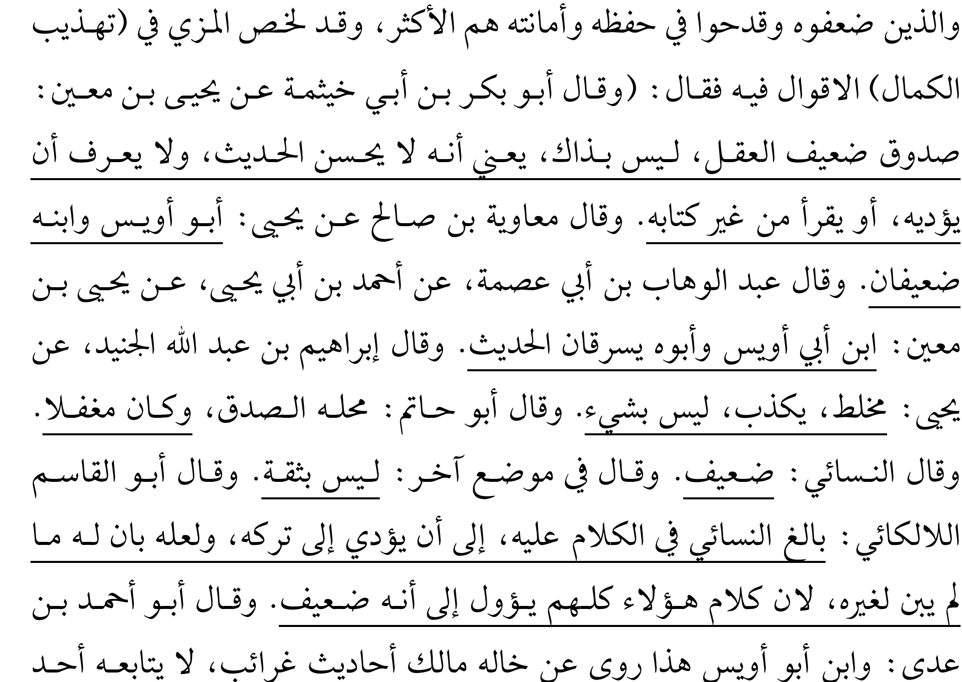
أقول: سند رواية الحاكم هكذا: («حدثنا» أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أنبأ العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا إسماعيل بن أبي أويس «وأخبرني» إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني ثنا جدي ثنا ابن أبي أويس حدثني أبي عن ثور بن زيد الديلي عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله...)(٢).

فكلا الإسنادين مداره على (إسماعيل بن أبي أويس) وهو ابن أخت مالك بن انس صاحب كتاب الموطأ، وهو ممن تضاربت به أقوال أهل الجرح والتعديل،

(١) صحيح الترغيب والترهيب ج١ ص١٠ حديث رقم٣٧.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ١ ص ٩٣.





والذين ضعفوه وقدحوا في حفظه وأمانته هم الأكثر، وقد لخص المزي في (تهذيب الكمال) الاقوال فيه فقال: (وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين: صدوق ضعيف العقل، ليس بذاك، يعني أنه لا يحسن الحديث، ولا يعرف أن يؤديه، أو يقرأ من غير كتابه. وقال معاوية بن صالح عن يحيى: أبو أويس وابنه ضعيفان. وقال عبد الوهاب بن أبي عصمة، عن أحمد بن أبي يحيى، عن يحيى بن معين: ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث. وقال إبراهيم بن عبد الله الجنيد، عن يحيى: مخلط، يكذب، ليس بشيء. وقال أبو حاتم: محله الصدق، وكان مغفلا. وقال النسائي: ضعيف. وقال في موضع آخر: ليس بثقة. وقال أبو القاسم اللالكائي: بالغ النسائي في الكلام عليه، إلى أن يؤدي إلى تركه، ولعله بان له ما لم يبن لغيره، لان كلام هؤلاء كلهم يؤول إلى أنه ضعيف. وقال أبو أحمد بن عدي: وابن أبو أويس هذا روى عن خاله مالك أحاديث غرائب، لا يتابعه أحد عليه...)[1]

والدارقطني كان لا يجعل حديثه من قسم الصحيح، قال الذهبي في (تذكرة الحفاظ): (وقال الدارقطني: لا اختاره في الصحيح)[2].

وكان يضع الحديث لأهل المدينة عند وقوعهم في الاختلاف، قال الدارقطني: (قال لي سلمة بن شبيب: سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: ربما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم)[3]، فهو إذن من الكذابين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف يقبل ويصحح لمن هو شأنه هذا؟!.

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ٣ ص ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٤٠٩.

(٣) سؤالات البرقاني الدارقطني ص ٤٧.

ولكن القوم وقعوا في حرج شديد؛ لان كلاً من البخاري ومسلم وباقي أصحاب الصحاح والمسانيد باستثناء النسائي، قد اخرجوا له أحاديث كثيرة، فوقع القوم في حيص وبيص إلى أن جاء ابن حجر ليتخذ له طريقاً وسطى، فأوصى بقبول أحاديثه التي في داخل الصحيحين، وأما ما كان خارج الصحيحين فيحكم عليها بالضعف، قال ابن حجر: (إسماعيل بن أبي أويس عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ابن أخت مالك بن أنس احتج به الشيخان إلا أنهما لم يكثرا من تخريج حديثه ولا أخرج له البخاري مما تفرد به سوى حديثين وأما مسلم فأخرج له أقل مما أخرج له البخاري وروى له الباقون سوى النسائي... وعلى هذا لا يحتج بشيء من حديثه غير ما في الصحيح من أجل ما قدح فيه النسائي وغيره إلا أن شاركه فيه غيره فيعتبر فيه)[(١)].

أقول:

وحتى لو أخذنا برأي ابن حجر فلا يمكن أن نصحح حديث ابن عباس الذي صححه الشيخ الألباني، لان رواية إسماعيل بن أبي أويس لم ترد في الصحيحين، ولا رواية أخرى صحيحة تشاركها فتبقى على ضعفها وبها ينكشف عدم وثاقة الألباني وغيره ومصداقيتهم في تصحيح الأحاديث المعارضة لأحاديث فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبهذا ينتهي الكلام من حديث الثقلين وقد تركنا من محاولات القوم الشيء الكثير طلبا للاختصار، ولان الغرض الأساس هو عرض بعض النماذج لا استقصاء جميعها، والحمد لله أولا وآخرا ونسأله المزيد.

---

(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٣٨٨.

الحديث الثاني: حديث الطائر المشوي وان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحب الخلق إلى الله سبحانه





نص الحديث وتصحيح بعض أسانيده

ملخص حديث الطير هو: ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد أهدي إليه طائر مشوي، أو عدة طيور على اختلاف الروايات، فقسم صلى الله عليه وآله وسلم تلك الطيور، وترك طائرا لنفسه، فلما جهزوه له، رفع يديه ودعا الله سبحانه أن يأتيه بأحب الخلق إليه ليأكل معه من هذا الطائر، فجاء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه فأكل معه منه.

وقد ذكرت بعض الروايات الأخرى تفاصيل أكثر لهذه الحادثة المهمة، فذكرت مثلا ان أنس بن مالك قد منع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الدخول على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات متتالية.

وقد ذكرت روايات أخرى ان خبر الطائر المشوي وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم ائتني بأحب خلقك يأكل معي من هذا الطائر) قد تسرب عن طريق بعض زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فأرسلت عائشة إلى أبيها ليحضر ويكون هو المقصود من لفظ (أحب خلقك)، فجاء أبو بكر ليدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرده النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وان حفصة بنت عمر قد أرسلت أيضا إلى أبيها عمر بن الخطاب، فلما جاء عمر بن الخطاب ليدخل رده النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي بعض الروايات ان عثمان بن عفان قد حاول هو الآخر الدخول على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للاستفادة من هذه الفرصة، لكن النبي الأعظم



صلى الله عليه وآله وسلم أرجعه وحال دون دخوله.

وعلى أي الأحوال فان جوهر حديث الطائر مهما تعددت ألفاظه فانه يتمحور في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي بن أبي طالب، فدخل يأكل معه من ذلك الطير) وسيأتي في الصفحات القادمة أهمية هذه العبارة وخطورتها على المنظومة الفكرية والعقائدية لأهل السنة والتي لأجلها شحذت الهمم والأقلام لطمس معالم هذا الحديث ورسومه.

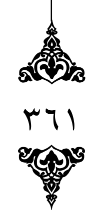
وسنقتصر فيما يأتي على عدة أسانيد صحيحة أو حسنة تاركين الخوض في جميعها لان استقصاءها يفوق ما نحن فيه من الاختصار، ومن هذه الأسانيد:

أولا: ما أخرجه ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق

قال ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق): (أخبرنا أبو غالب بن البنا أنا أبو الحسين بن الآبنوسي أنا أبو الحسن الدار قطني نا[1] محمد بن مخلد بن حفص نا حاتم ابن الليث نا عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عمر القارئ عن السدي نا أنس بن مالك قال أهدي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أطيار فقسمها وترك طيرا فقال اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي بن أبي طالب فدخل يأكل معه من ذلك الطير قال الدارقطني تفرد به عيسى بن عمر عن السدي)[2].

(١) لفظ (نا) ولفظ (أنا) إختصار لكلمة حدثنا وهو كثير الاستعمال في كتب الحديث والرواية، وسيتكرر ذكره لاحقا بشكل مستمر لذا نبهنا عليه هنا.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢ ص٢٥٤.



وثاقة رجال هذا الإسناد

ألف: أبو غالب بن البنا

وهو كما يقول الذهبي في (تاريخ الإسلام): (أحمد ابن الشيخ الإمام أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الله. أبو غالب بن البنا البغدادي الحنبلي. شيخ صالح، كثير الرواية، عالي السند...وثقه ابن الجوزي، وروى عنه)[1].

باء: أبو الحسين بن الآبنوسي

وهو كما يعرفه لنا الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (ابن الآبنوسي، الشيخ الثقة، أبو الحسين، محمد بن أحمد بن محمد بن علي، ابن الآبنوسي البغدادي. سمع أبا القاسم بن حبابة، والدارقطني)[2].

جيم: أبو الحسن الدار قطني

هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله، أبو الحسن الدارقطني وهو من أئمة الحديث وله رتبة أمير المؤمنين في الحديث، وقد جمع الذهبي أقوال موثقيه ومادحيه فقال: (الإمام شيخ الإسلام حافظ الزمان أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الحافظ الشهير صاحب السنن، مولده سنة ست وثلاث مائة... قال الحاكم: صار الدارقطني أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع وأماما في القراء والنحويين وأقمت في سنة سبع وستين ببغداد أربعة أشهر وكثر اجتماعنا فصادفته فوق ما وصف لي وسألته عن العلل والشيوخ، وله مصنفات يطول ذكرها فأشهد أنه لم يخلف على أديم الأرض مثله. وقال الخطيب: كان فريد عصره وإمام وقته وانتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣٦ ص ١٥١ ـ ١٥٢.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٨ ص ٨٥ ـ ٨٦.



وأسماء الرجال مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد والاضطلاع من علوم كالقراءات فان له فيها مصنفا سبق فيه إلى عقد الأبواب قبل فرش الحروف، وتأسى القراء به بعده... عن أبي الوليد الباجي عن أبي ذر. وكان عبد الغني إذا ذكر الدارقطني قال: أستاذي. قال القاضي أبو الطيب الطبري: الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث...)[١].

دال: محمد بن مخلد بن حفص

وهو محمد بن مخلد بن حفص، أبو عبد الله الدوري العطار، وقد وصفه الدارقطني بالثقة والصلاح في كتابه (سؤالات حمزة) قائلا: (الإمام المفيد أبو عبيد الله محمد بن مخلد بن حفص السدوري العطار الخضيب مسند العراق، سمع مسلم ابن الحجاج والحسن بن عرفة.. وصنف وخرج وكان معروفا بالثقة والصلاح...)[٢].

وقال في حقه الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (وكان أحد أهل الفهم. موثوقا به في العلم، متسع الرواية مشهورا بالديانة، موصوفا بالأمانة، مذكورا بالعبادة)[٣].

ووصفه الذهبي بالوثاقة في (تذكرة الحفاظ) فقال: (محمد بن مخلد بن حفص الإمام المفيد الثقة مسند بغداد أبو عبد الله الدوري العطار الخضيب... كتب ما لا يوصف كثرة وعني بهذا الشأن وصنف وخرج... وكان معروفا بالثقة والصلاح والاجتهاد في الطلب، عاش ثمانيا وتسعين سنة سئل عنه الدارقطني فقال: ثقة

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ٩٩١ ـ ٩٩٤.

(٢) سؤالات حمزة للدارقطني ص ٢٩.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٤ ص ٨٠.



مأمون)[١].

هاء: حاتم بن الليث

ذكره ابن حبان في كتابه (الثقات) فقال: (أبو روح حاتم بن الليث الجوهري أبو الفضل من أهل البصرة سكن بغداد)[٢].

ووصفه الخطيب البغدادي بالثقة الثبت في (تاريخ بغداد) فقال: (حاتم بن الليث بن الحارث بن عبد الرحمن، أبو الفضل الجوهري... حدثنا حاتم بن أبي الليث وكان ثقة ثبتا، متقنا حافظا)[٣].

وقال عنه الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (حاتم بن الليث الحافظ المكثر الثقة)[٤].

واو: عبيد الله بن موسى

وثقه العجلي في (معرفة الثقات) بقوله: (عبيد الله بن موسى العبسي يكنى أبا محمد كوفي ثقة كان عالما بالقرآن صدوق وكان يتشيع وكان صاحب قرآن رأسا فيه)[٥].

وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (عبيد الله بن موسى العبسي أبو محمد كوفي... سمعت يحيى بن معين يقول: عبيد الله بن موسى ثقة... عبد الرحمن قال سألت أبي عن عبيد الله بن موسى فقال: صدوق كوفي حسن الحديث، وأبو نعيم

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ٨٢٨.

(٢) الثقات لابن حبان ج ٨ ص ٢١١.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ص ٥١٩.

(٥) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ١١٤.



أتقن منه، وعبيد الله أثبتهم في إسرائيل كان إسرائيل يأتيه فيقرأ عليه القرآن وهو ثقة)(١).

وذكره ابن حبان في الثقات بقوله: (عبيد الله بن موسى العبسي مولى لهم كنيته أبو محمد من أهل الكوفة يروي عن إسماعيل بن أبي خالد والأعمش روى عنه أهل العراق والغرباء مات سنة ثنتي عشرة أو ثلاث عشرة ومائتين في ذي القعدة وكان يتشيع)(٢).

وقد اخرج له البخاري وغيره كما بينه الباجي في (التعديل والتجريح) بقوله: (عبيد الله بن موسى العبسي مولاهم الكوفي أخرج البخاري في بدء الوحي والإيمان والعلم ومواضع عنه وأخرج في الصلاة وفي صفة النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم والتهجد وغزوة أحد وقتل أبي رافع وغير موضع... قال أبو حاتم عبيد الله بن موسى صدوق ثقة حسن الحديث وأبو نعيم أتقن منه وعبيد الله أثبتهم في إسرائيل كان إسرائيل يأتيه فيقرأ عليه القرآن قال أبو بكر سمعت يحيى بن معين يقول عبيد الله بن موسى ثقة وقال عثمان بن سعيد قال يحيى بن معين يحيى بن يمان أرجو أن يكون صدوقا وحديثه ليس بالقوي وعبيد الله بن موسى ثقة)(٣).

زاي: عيسى بن عمر القارئ

قال الدوري: (سمعت يحيى يقول عيسى بن عمر كوفي ثقة)(٤)، وقال الدوري في موضع آخر: (سمعت يحيى يقول عيسى بن عمر ثقة عبد الصمد بن

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٥ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

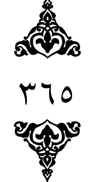
(٢) الثقات لابن حبان ج ٧ ص ١٥٢.

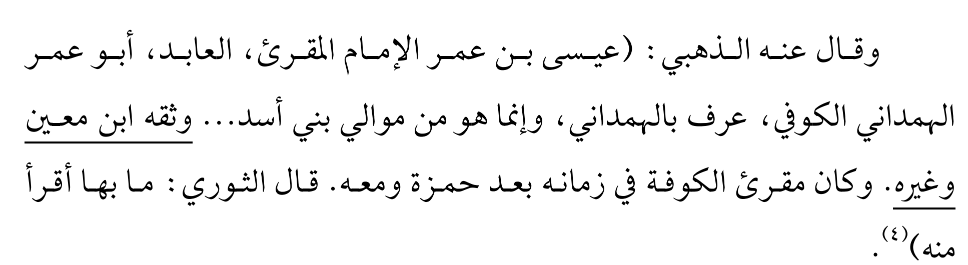
(٣) التعديل والتجريح لسليمان بن خلف الباجي ج ٢ ص ٩٨٥ ـ ٩٨٦.

(٤) تاريخ ابن معين برواية الدوري ج ١ ص ٤٠٠.

عبد الوارث يروي عنه)[1].

وقال عنه العجلي في (معرفة الثقات): (عيسى بن عمر الأسدي ثقة رجل صالح كان أحد قراء الكوفة رأسا في القرآن)[2]. وقد ذكره ابن حبان في كتابه (الثقات)[3].





وقال عنه الذهبي: (عيسى بن عمر الإمام المقرئ، العابد، أبو عمر الهمداني الكوفي، عرف بالهمداني، وإنما هو من موالي بني أسد... وثقه ابن معين وغيره. وكان مقرئ الكوفة في زمانه بعد حمزة ومعه. قال الثوري: ما بها أقرأ منه)[4].

حاء. السدي إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور

روى عنه مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه، والترمذي في سننه، والنسائي في سننه، وابن ماجة أيضا في سننه، وأحمد بن حنبل في مسنده، وغيرهم، وقد صرح البخاري عن يحيى ان السدي لم يتركه احد كما انه لم يذكر الا بخير، فقال في (التاريخ الصغير): (أبو يحيى إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور السدي الكوفي مولى زينب بنت قيس بن مخرمة من بني عبد مناف سمع أنسا ومرة سمع منه شعبة والثوري وزائدة قال علي سمعت يحيى يقول ما رأيت أحدا يذكر السدي إلا بخير وما تركه أحد)[5].

---

(١) تاريخ ابن معين برواية الدوري ج ٢ ص ١١٤.

(٢) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ٢٠٠.

(٣) الثقات لابن حبان ج ٧ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٧ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٥) التاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص ٣٤٨.



وقال البخاري أيضا في (التاريخ الكبير): (قال لنا مسدد حدثنا يحيى قال سمعت ابن أبي خالد يقول السدي اعلم بالقرآن من الشعبي، قال علي وسمعت يحيى يقول ما رأيت أحدا يذكر السدي إلا بخير وما تركه أحد)[1].

وقال الرازي في الجرح والتعديل: (حدثنا عبد الرحمن نا صالح بن أحمد بن حنبل ثنا علي ـ يعني ابن المديني ـ قال قيل ليحيى بن سعيد القطان: السدي؟ قال لا بأس به، ما سمعت أحدا يذكر السدي إلا بخير وما تركه أحد... حدثنا عبد الرحمن نا صالح بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: إسماعيل السدي مقارب الحديث صالح. حدثنا عبد الرحمن انا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إلي قال: قال أبي قال لي يحيى بن معين يوما عند عبد الرحمن بن مهدي: السدي ضعيف، فغضب عبد الرحمن وكره ما قال. حدثنا عبد الرحمن ثنا محمد بن حمويه بن الحسن قال سمعت أبا طالب قال: قال أحمد بن حنبل: السدي ثقة...)[2].

وقد ذكره ابن حبان في كتابه (الثقات)[3]، وقال عبد الله بن عدي في (الكامل): (حدثنا ابن أبي عصمة حدثنا أبو طالب أحمد بن حميد قال سمعت أحمد بن حنبل يقول السدي ثقة قال الشيخ والسدي له أحاديث يرويها عن عدة شيوخ له وهو عندي مستقيم الحديث صدوق لا بأس به)[4].

وقال عمر بن شاهين في (تاريخ أسماء الثقات): (محمد بن مخلد نا صالح بن أحمد بن حنبل نا علي بن المديني قيل ليحيى بن سعيد فالسدي يعني إسماعيل بن

(١) التاريخ الكبير للبخاري ج ١ ص ٣٦١.

(٢) الجرح والتعديل للرازي ج ٢ ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٣) الثقات لابن حبان ج ٤ ص ٢٠ ـ ٢١.

(٤) الكامل لعبد الله بن عدي ج ١ ص ٢٧٨.



عبد الرحمن قال السدي عندنا لا بأس به)[١].

فالسدي كما ترى ثقة مقبول عند الجميع لم يذكروه إلا بخير، بحسب ما صرح به كبار أهل الجرح والتعديل من أهل السنة، نعم خالف هذا الإجماع يحيى ابن معين، وأبو حاتم الرازي، وأبو زرعة الرازي، وقد ذكر الذهبي آراءهم في (سير أعلام النبلاء) بقول: (إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر... وقال يحيى بن معين: ضعيف، وقال أبو زرعة: لين، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه)[٢]، وفي الجرح والتعديل للرازي: (يكتب حديثه ولا يحتج به)[٣].

أقول: ولا يعتد بمخالفة هؤلاء الثلاثة للمشهور، للأسباب التالية:

١: أما يحيى بن معين فقد صرح الذهبي في (سير أعلام النبلاء) بعدم قبول جرحه أو تعديله فيما لو خالف المشهور وانفرد بمدح أو جرح، في معرض حديثه عن توثيق يحيى بن معين لأبي الصلت الهروي ما يلي: (قُلْتُ ـ والقائل هو الذهبي ـ: جُبِلَتِ القُلُوْبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَكَانَ هَذَا بَارّاً بِيَحْيَى، وَنَحْنُ نَسْمَعُ مِنْ يَحْيَى دَائِماً، وَنَحتَجُّ بِقَولِه فِي الرِّجَالِ، مَا لَمْ يَتَبَرهَنْ لَنَا وَهْنُ رَجُلٍ انفَرَدَ بِتَقْوِيَتِه، أَوْ قُوَّةِ مَنْ وَهَّاهُ)[٤]، ويحيى انفرد عن المشهور بقدحه في السدي فينطبق عليه كلام الذهبي انطباقا تاما.

٢: وأما أبو حاتم فقد اشتهر عنه التشدد المفرط في الجرح، قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (إذا وثق أبو حاتم رجلا فتمسك بقوله، فإنه لا يوثق إلا

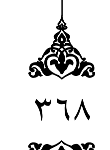
(١) تاريخ أسماء الثقات لعمر بن شاهين ص ٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٣) الجرح والتعديل للرازي ج٢ ص١٨٥.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج١١ ص٤٤٨.

رجلا صحيح الحديث، وإذا لين رجلا، أو قال فيه: لا يحتج به. فتوقف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثقه أحد، فلا تبن على تجريح أبي حاتم، فإنه متعنت في الرجال، قد قال في طائفة من رجال الصحاح: ليس بحجة، ليس بقوي، أو نحو ذلك)[1].



وقال الزيلعي في (نصب الراية): (وقول أبي حاتم لا يحتج به غير قادح أيضا فإنه لم يذكر السبب وقد تكررت هذه اللفظة منه في رجال كثيرين من أصحاب الصحيح الثقات الأثبات من غير بيان السبب كخالد الحذاء وغيره والله أعلم)[2].

وقال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى): (وأما قول أبي حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به فأبو حاتم يقول مثل هذا في كثير من رجال الصحيحين وذلك أن شرطه في التعديل صعب والحجة في اصطلاحه ليس هو الحجة في جمهور أهل العلم)[3].

فجرح أبي حاتم للسدي هنا غير مقبول لأنه مخالف للمشهور، إضافة الى انه لم يبين سبب جرحه له فلا يعتد به وفقا لكلمات الذهبي والزيلعي وابن تيمية.

٣: وأما تضعيف أبي زرعة للسدي فهو إضافة إلى كونه مخالفاً للمشهور، فهو في اغلب الظن متأثر بحكم أبي حاتم الرازي؛ لان أبا زرعة كان من أصحاب أبي حاتم ومن ملازميه وكانت تعقد فيما بين الاثنين جلسات حوار ونقاش فلابد انه قد تأثر به، وقد عرفنا فيما سبق عدم قبول جرح أبي حاتم.

ومن خلال ما سبق نصل إلى نتيجة قطعية بوثاقة السدي، وبه كذلك يحصل اليقين بوثاقة جميع رجال هذا السند.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٢٦٠.

(٢) نصب الراية للزيلعي ج ٢ ص ٥٣٤.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٢٤ ص٣٥١.



وأما قول ابن عساكر في تعقيبه على هذا الحديث (قال الدارقطني تفرد به عيسى بن عمر عن السدي)، فلا يضر شيئا، ولا يؤدي الى ضعف الحديث قطعا، لان لحديث عيسى بن عمر شواهد كثيرة جدا، وسيأتي قول الحاكم النيسابوري واعترافه بان حديث الطائر المشوي نقله ثلاثون رجلا فقط عن انس بن مالك فضلا عن غيره، فمثل هذا التفرد لا يضر.

ثانيا: ما رواه الحاكم النيسابوري وعلق عليه ابن كثير

قال الحاكم في (المستدرك على الصحيحين): (حدثنا به الثقة المأمون أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علية بن خالد السكوني، بالكوفة من أصل كتابه، ثنا[1] عبيد بن كثير العامري، ثنا عبد الرحمن بن دبيس، وحدثنا أبو القاسم، ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، ثنا عبد الله ابن عمر بن أبان بن صالح، قالا: ثنا إبراهيم بن ثابت البصري القصار، ثنا ثابت البناني، أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان شاكيا، فأتاه محمد بن الحجاج يعوده في أصحاب له، فجرى الحديث حتى ذكروا عليا رضي الله عنه فتنقصه محمد بن الحجاج، فقال أنس: من هذا؟ أقعدوني فأقعدوه، فقال: يا ابن الحجاج، ألا أراك تنقص علي بن أبي طالب والذي بعث محمدا صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بالحق، لقد كنت خادم رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بين يديه، وكان كل يوم يخدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم غلام من أبناء الأنصار، فكان ذلك اليوم يومي فجاءت أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بطير فوضعته بين يدي رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فقال رسول الله صلى الله

---

(١) (ثنا) هي عبارة عن اختصار لكلمة (حدثنا) وهي كثيرة الاستعمال في كتب الحديث والرواية.

عليه ـ وآله ـ وسلم: «يا أم أيمن ما هذا الطائر؟» قالت: هذا الطائر أصبته فصنعته لك، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: «اللهم جئني بأحب خلقك إليك وإلي يأكل معي من هذا الطائر» وضرب الباب، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: «يا أنس انظر من على الباب»، قلت: اللهم اجعله رجلا من الأنصار فذهبت، فإذا علي بالباب، قلت: إن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم على حاجة فجئت حتى قمت من مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال: «يا أنس، انظر من على الباب» فقلت: اللهم اجعله رجلا من الأنصار، فذهبت فإذا علي بالباب، قلت: إن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم على حاجة، فجئت حتى قمت مقامي، فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: «يا أنس اذهب فأدخله، فلست بأول رجل أحب قومه ليس هو من الأنصار»، فذهبت فأدخلته، فقال: «يا أنس قرب إليه الطير»، قال: فوضعته بين يدي رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فأكلا جميعا، قال محمد بن الحجاج: يا أنس، كان هذا بمحضر منك؟ قال: نعم، قال: «أعطي بالله عهدا ألا أنتقص عليا بعد مقامي هذا، ولا أعلم أحدا ينتقصه إلا أشنب[1] له وجهه»)[2].

ثم تعقبه ابن كثير في (البداية والنهاية) بقوله: (وهو منكر سندا ومتنا لم يورد الحاكم في مستدركه غير هذين الحديثين وقد رواه ابن أبي حاتم عن عمار بن خالد الواسطي عن إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبي سليمان عن انس وهذا أجود من إسناد الحاكم)[3].

(١) وفي بعض النسخ (أشنت) بدل (أشنب).

(٢) مستدرك للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٣١ ـ ١٣٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٣٨٨ حديث الطير.

أقول: ولسوف لن نطيل الكلام عن إسناد الحاكم النيسابوري لجهالة (إبراهيم بن ثابت القصار) وسنقتصر على السند الذي أورده ابن كثير وحكم عليه بأنه أجود من إسناد الحاكم، لان بإثباته سيثبت الحديث الذي نقله الحاكم في مستدركه، لان الحديث إذا ورد بإسنادين وكان احدهما صحيحاً والآخر معلولاً بضعف أو جهالة أو إرسال أو غير ذلك، فان الإسناد الصحيح يكون شاهدا على صحة الإسناد الثاني ـ الضعيف ـ وهو أمر ثابت ومعروف في كتب المصطلح وعلم الحديث، وبهذا ستحل مشكلة النكارة في سند الحديث، أما النكارة في المتن فسيأتي تفصيل الكلام عنها في موضع آخر إن شاء الله سبحانه.

وثاقة رجال إسناد ابن كثير

ألف: عمار بن خالد الواسطي

وهو كما يقول الرازي في (الجرح والتعديل): (عمار بن خالد الواسطي التمار أبو الفضل...وكان ثقة صدوقا حدثنا عبد الرحمن قال سئل أبي عنه فقال صدوق)[١].

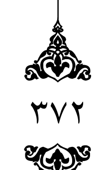
روى له النسائي وابن ماجة، وقد ذكره الذهبي في كتابه (الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة)[٢]، وذكره ابن حبان في كتابه (الثقات)[٣]، وقال عنه ابن حجر: (ثقة من صغار العاشرة مات سنة ستين ومائتين)[٤].

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٦ ص ٣٩٥.

(٢) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج ٢ ص ٥٠.

(٣) الثقات لابن حبان ج ٨ ص ٥١٨ ـ ٥١٩.

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٧٠٦.



باء: إسحاق الأزرق

وهو كما قال الرازي: (إسحاق بن يوسف الأزرق أبو محمد الواسطي... هو صحيح الحديث صدوق لا بأس به. قال أبو محمد روى عنه أحمد بن حنبل. حدثنا عبد الرحمن انا يعقوب بن إسحاق الهروي فيما كتب إلي ثنا عثمان بن سعيد الدارمي قال سألت يحيى بن معين قلت: إسحاق الأزرق؟ قال: ثقة)[١].

وقال العجلي في (معرفة الثقات): (إسحاق بن يوسف الأزرق واسطي ثقة)[٢]، وذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)[٣]، وقال الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (إسحاق بن يوسف بن محمد، أبو محمد الأزرق الواسطي... وكان من الثقات المأمونين، وأحد عباد الله الصالحين...أخبرنا أحمد بن محمد الأشناني قال: سمعت أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي يقول: سمعت عثمان بن سعيد الدارمي يقول: قلت ليحيى بن معين: فإسحاق الأزرق؟ فقال: ثقة...حدثنا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي قال: حدثني أبي. قال: إسحاق بن يوسف الأزرق واسطي ثقة)[٤].

وقد روى له البخاري في صحيحه ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وقد ذكره الذهبي في (الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة) فقال: (إسحاق الأزرق...ثقة عابد رفيع القدر إمام)[٥]، وقال في (تذكرة الحفاظ:

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٢ ص ٢٣٨.

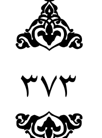
(٢) معرفة الثقات للعجلي ج ١ ص ٢٢١.

(٣) الثقات لابن حبان ج ٦ ص ٥٢.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٦ ص ٣١٦.

(٥) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج ١ ص ٢٤٠.

(وكان من الأئمة العباد...احتجوا كلهم به)[1]، وقال في (سير أعلام النبلاء): (إسحاق الأزرق هو الإمام الحافظ الحجة)[2].



جيم: عبد الملك بن أبي سليمان

ذكره العجلي في (معرفة الثقات) بقوله: (عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي كوفي ثقة ثبت في الحديث)[3]، وقال عبد الله بن عدي في (الكامل): (حدثنا علي بن أحمد بن سليمان ثنا أحمد بن سعد بن أبي مريم سمعت يحيى ابن معين يقول عبد الملك بن أبي سليمان ثقة حدثنا محمد بن علي ثنا عثمان بن سعيد قلت ليحيى بن معين عبد الملك بن أبي سليمان أحب إليك أم ابن جريج فقال كلاهما ثقتان)[4].

وقال الذهبي في (تذكرة الحفاظ): (عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي الكوفي الحافظ الكبير... وكان من الحفاظ الأثبات. قال عبد الرحمن بن مهدي كان شعبة يتعجب من حفظ عبد الملك. وقال أحمد بن حنبل: ثقة، وكذا وثقه النسائي)[5].

وقد روى له البخاري في صحيحه ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (اخرج له ـ «البخاري في التعاليق ومسلم والأربعة» عبد الملك بن أبي سليمان واسمه ميسرة أبو محمد ويقال

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٩ ص١٧١.

(٣) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ١٠٣.

(٤) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٥ ص ٣٠٢.

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٥٥ ـ ١٥٦.



أبو سليمان وقيل أبو عبد الله العرزمي أحد الأئمة... قال ابن مهدي كان شعبة يعجب من حفظه... وقال ابن عمار الموصلي ثقة حجة وقال العجلي ثقة ثبت في الحديث وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عبد الملك بن أبي سليمان ثقة متقن فقيه وقال يعقوب بن سفيان أيضا عبد الملك فزاري من أنفسهم ثقة وقال النسائي ثقة وقال أبو زرعة لا بأس به... وقال الساجي صدوق روى عنه يحي بن سعيد القطان جزءا ضخما وقال الترمذي ثقة مأمون لا نعلم أحدا تكلم فيه غير شعبة)[1].

أقول: وشعبة إنما تكلم فيه من حيث أن له أوهاماً يسيرة، وقد رد على شعبة أكثر من واحد من علماء أهل السنة، احدهم ابن حبان في كتابه (الثقات) حيث قال:

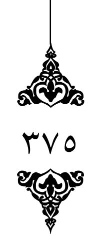
(عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي مولى فزارة... والغالب على من يحفظ ويحدث من حفظه أن يهم وليس من الإنصاف ترك حديث شيخ ثبت صحت عدالته بأوهام يهم في روايته ولو سلكنا هذا المسلك للزمنا ترك حديث الزهري وابن جريج والثوري وشعبة لأنهم أهل حفظ وإتقان وكانوا يحدثون من حفظهم ولم يكونوا معصومين حتى لا يهموا في الروايات بل الاحتياط والأولى في مثل هذا قبول ما يروي الثبت من الروايات وترك ما صح أنه وهم فيها ما لم يفحش ذلك منه حتى يغلب على صوابه فان كان كذلك استحق الترك حينئذ)[2].

فالرواية عن انس بهذا السند ثابتة لا ريب في صحتها.

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٦ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٢) الثقات لابن حبان ج ٧ ص ٩٧ ـ ٩٨.



ثالثا: ما رواه الطبراني وصححه الهيثمي

قال الطبراني في المعجم الكبير: (حدثنا عبيد العجلي ثنا إبراهيم بن سعد الجوهري ثنا حسين بن محمد ثنا سليمان بن قرم عن فطر بن خليفة عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن سفينة مولى النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أتى بطير فقال اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: اللهم وال [من والاه] [(١)])[(٢)].

وقد علق الهيثمي على هذا الحديث في كتابه (مجمع الزوائد) بقوله: (رواه البزار والطبراني باختصار ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة)[(٣)].

أقول: وسيأتي ان تعليق الهيثمي فيه وهم، لان فطر بن خليفة قد اخرج له البخاري في صحيحه، فيعد من رجال الصحيح، ولكن عبيد العجلي لم يخرج له احد من أصحاب الصحاح وقد وثق فقط، فيكون الأصح هو أن يقال: (رواه البزار والطبراني باختصار ورجال الطبراني رجال الصحيح غير عبيد العجلي وهو ثقة).

وثاقة رجال هذا الإسناد

ألف: عبيد العجلي

قال ابن الصلاح في مقدمته: (عبيد العجل لقب أبي عبد الله الحسين بن محمد ابن حاتم البغدادي الحافظ)[(٤)].

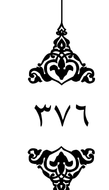
---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج٧، ص٣٨٧.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٨٢.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٢٦.

(٤) مقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن ص ١٩٩.



وقال الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (وكان ثقة حافظا متقنـا، يسكن قطيعة عيسى بن علي الهاشمي قريبا من دجلة)(١).

وقال الذهبي في (تذكرة الحفاظ): (عبيد العجل هو الحافظ المتقن أبو علي حسين بن محمد حاتم البغدادي تلميذ يحيى بن معين... قال الخطيب: كان حافظا متقنا. وقال ابن المنادي: كان متقدما في حفظ المسند خاصة...)(٢).

وقال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (قال الخطيب: كان ثقة متقنا، حافظا. وقال أحمد بن المنادي: كان من المتقدمين في حفظ المسند خاصة. قال أبو أحمد بن عدي: حدثنا ابن عقدة قال: كنا نحضر مع عبيد، فينتخب لنا، فإذا أخذ الكتاب بيده طار ما في رأسه، فنكلمه، فلا يرد، فإذا فرغ قلنا: كلمناك فلم تجبنا؟ ! قال: إذا أخذت الكتاب بيدي يطير عني ما في رأسي، يمر بي حديث الصحابي، وأنا أحتاج أن أفكر في مسند ذلك الصحابي، من أوله إلى آخره، هل الحديث فيه أم لا، أخاف أن أزل في الانتخاب، وأنتم شياطين قد قعدتم حولي. قيل: إن يحيى بن معين هو الذي لقبه عبيدا العجل. قال ابن قانع: مات في صفر، سنة أربع وتسعين ومئتين. قلت: كان من أبناء الثمانين)(٣).

باء: إبراهيم بن سعد الجوهري

قال المباركفوري في (تحفة الأحوذي): (إبراهيم بن سعيد الجوهري: أبو إسحاق الطبري نزيل بغداد ثقة حافظ تكلم فيه بلا حجة من العاشرة)(٤).

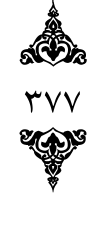
---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ ص ٩٣.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ٦٧٢ ـ ٦٧٣.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٤ ص ٩٠ ـ ٩١.

(٤) تحفة الأحوذي للمباركفوري ج ٦ ص ١٥٦.



وعن الرازي في (الجرح والتعديل) قال: (إبراهيم بن سعيد الجوهري روى عن ابن عيينة ووكيع، يعد في البغداديين سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك، قال وسمعت أبي يقول كتبت عنه، وكان يذكره بالصدق)[١].

وقال الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (إبراهيم بن سعيد، أبو إسحاق الجوهري...وكان مكثرا ثقة ثبتا. صنف «المسند» وانتقل عن بغداد، فسكن عين زربة مرابطا بها إلى أن مات... حدثنا هارون بن يعقوب الهاشمي قال: سمعت أبي سأل أبا عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ عن إبراهيم بن سعيد قال: لم يزل يكتب الحديث قديما. قلت: فأكتب عنه؟ قال: نعم. أنبأنا محمد بن أحمد بن رزق، حدثنا أبو علي بن الصواف ـ إملاء ـ حدثنا أبو العباس البراثي قال: قال أحمد بن حنبل ـ وسأله موسى بن هارون وهو معي عن إبراهيم بن سعيد الجوهري ـ فقال: كثير الكتاب، كتب فأكثر، واستأذنه في الكتابة عنه فأذن له... حدثنا الخصيب بن عبد الله القاضي قال: ناولني عبد الكريم وكتب لي بخطه. قال: سمعت أبي يقول: إبراهيم بن سعيد الجوهري بغدادي ثقة)[٢].

وقد ذكره ابن حبان في كتابه (الثقات)[٣]، واخرج له مسلم النيسابوري في صحيحه، وكذلك اخرج له كل من أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وذكره الذهبي في كتابه (الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة) بقوله: (إبراهيم بن سعيد الجوهري، أبو إسحاق البغدادي الحافظ...)[٤].

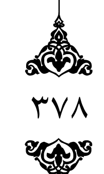
---

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٢ ص ١٠٤.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٦ ص ٩٠ ـ ٩٣.

(٣) الثقات لابن حبان ج ٨ ص ٨٣.

(٤) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج ١ ص ٢١٢.



وقال الذهبي في (ميزان الاعتدال): (إبراهيم بن سعيد الجوهري الحافظ...أبو إسحاق البغدادي، أحد الأعلام، سمع ابن عيينة وأبا معاوية. و- روى - عنه الستة سوى البخاري...قال الخطيب: كان ثقة ثبتا مكثرا... وقال أبو العباس البراثي: قال أحمد بن حنبل: هو كثير الكتاب اكتبوا عنه. وقال النسائي: ثقة...وكان حجاج يقع فيه. قلت: لا عبرة بهذا، وإبراهيم حجة بلا ريب)[1].

جيم: حسين بن محمد

وهو الحسين بن محمد بن بهرام التميمي، قال الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (الحسين بن محمد بن بهرام، أبو أحمد التميمي المؤدب: وهو مروروذي الأصل، كان ببغداد... حدثنا معاوية بن صالح بن أبي عبيد الله. قال: أبو أحمد حسين بن محمد قال لي أحمد - يعني ابن حنبل - أكتبوا عنه، وجاء معي إليه يسأله أن يحدثني. حدثنا الصوري، أنبأنا الخصيب بن عبد الله القاضي، أنبأنا عبد الكريم ابن أحمد بن شعيب النسائي، أخبرني أبي قال: أبو أحمد الحسين بن محمد المروروذي ليس به بأس، سكن بغداد. حدثنا الأزهري، حدثنا محمد بن العباس، حدثنا أحمد بن معروف الخشاب، حدثنا الحسين بن فهم، حدثنا محمد بن سعد. قال: مات حسين بن محمد بن بهرام المروروذي ببغداد في آخر خلافة المأمون، وكان ثقة)[2].

وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (الحسين بن محمد بن بهرام التميمي أبو أحمد ويقال أبو علي المؤدب المروذي... قال ابن سعد ثقة مات في آخر خلافة المأمون وقال النسائي ليس به بأس وقال معاوية بن صالح قال لي احمد اكتبوا عنه

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ ص ٨٧ - ٨٩.

وذكره ابن حبان في الثقات... وقال ابن قانع مات سنة (١٥) وهو ثقة وقال ابن وضاح سمعت محمد بن مسعود يقول حسين بن محمد ثقة وسمعت ابن نمير يقول حسين بن محمد بن بهرام صدوق وقال العجلي بصري ثقة)[١].

أقول: وقد روى عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وروى عنه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة وغيرهم، فهو من رجال الصحيحين وبقية الكتب الستة وغيرها.

دال: سليمان بن قرم

قال المزي في (تهذيب الكمال): (قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان أبي يتبع حديث قطبة بن عبد العزيز، وسليمان بن قرم، ويزيد بن عبد العزيز بن سياه وقال: هؤلاء قوم ثقات، وهم أتم حديثا من سفيان وشعبة، هم أصحاب كتب، وإن كان سفيان وشعبة أحفظ منهم. وقال محمد بن عوف الطائي، عن أحمد بن حنبل: لا أرى به بأسا لكنه كان يفرط في التشيع)[٢].

وقد رمز له ابن حجر في (تهذيب التهذيب) برمز: (خت م د ت س)[٣] ومعنى ذلك هو ان البخاري قد اخرج له في التعاليق، واخرج له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، فهو من رجال الصحاح ومن رجال بقية الكتب الستة.

وقال ابن حجر أيضا:

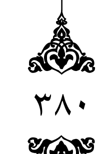
(وقال ابن عدي له أحاديث حسان أفراد وهو خير من سليمان بن أرقم بكثير وتدل صورة سليمان هذا على أنه مفرط في التشيع وفرق بينه وبين سليمان بن معاذ

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٣١٥ ـ ٣١٦.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ج ١٢ ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٤ ص ١٨٧.



الضبي فقال لم أر للمتقدمين فيه كلاما وفي بعض ما يروي مناكير)[1].

ولكن البعض قدحوا في سليمان بن قرم تارة بسبب تشيعه وتارة بسبب سوء حفظه وأخرى باتهامه بقلب الأخبار، وفيما يأتي جملة من أقوالهم:

قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (وقال محمد بن عوف عن أحمد لا أرى به بأسا لكنه كان يفرط في التشيع وقال ابن معين ضعيف وقال مرة ليس بشيء وقال أبو زرعة ليس بذاك وقال أبو حاتم ليس بالمتين وقال النسائي ضعيف... وقال ابن حبان كان رافضيا غاليا في الفرض ويقلب الأخبار... عن أبي داود كان يتشيع... وذكره الحاكم في باب من عيب على مسلم إخراج حديثهم وقال غمزوه بالغلو في التشيع وسوء الحفظ جميعا)[2].

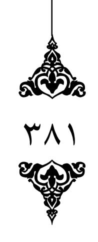
أقول: وخلاصة ما عيب على سليمان بن قرم ثلاثة أشياء هي (إفراطه في التشيع) و(قلبه للأخبار) و(سوء حفظه) وهي أمور لا تقدح نهائيا في صحة حديث الطير، وكذلك لا تقدح في وثاقة سليمان بن قرم في خصوص هذا الحديث بالذات، وذلك لعدة أسباب منها:

١ : إن التشيع والإفراط في الرفض، لا يقدح في وثاقة الراوي، فكم من شيعي جلد أو مفرط في تشيعه ورفضه على حسب تعبيرهم قد اخرج له أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن واحتجوا بقوله، وأخذت روايته بالقبول، وقول محمد بن إسحاق بن خزيمة المشهور خير شاهد على هذه الحقيقة حيث كان يعبر عن (عباد بن يعقوب الراوجني) بقوله: (حدثنا الثقة في روايته، المتهم في دينه عباد بن يعقوب)[3] ففرق

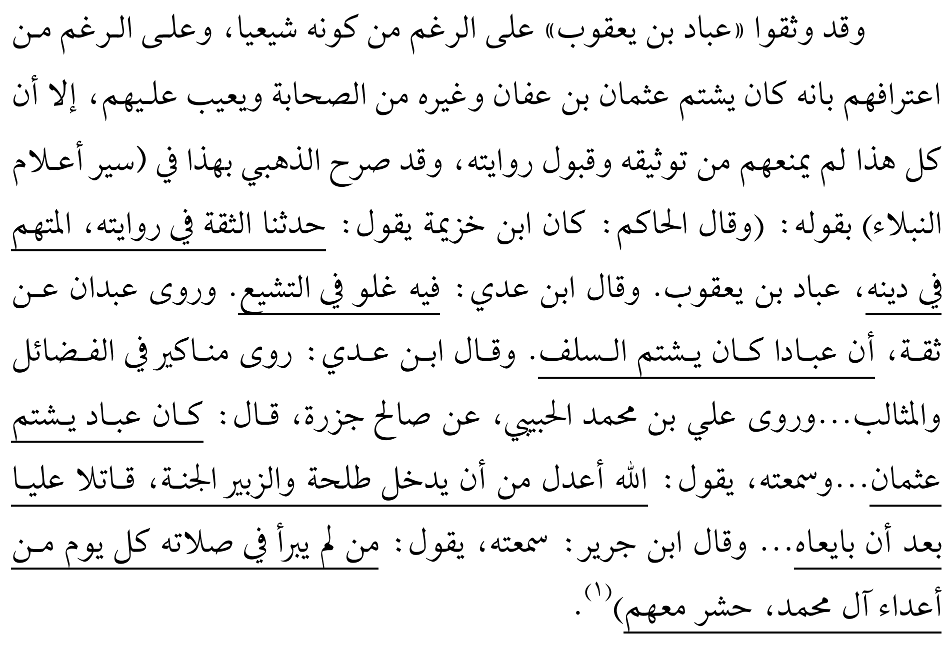
(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج٢ ص٣١٥ ـ ٣١٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تهذيب الكمال لمزي ج ١٤ ص ١٧٧.



كما ترى ما بين وثاقته وصحة الأخذ عنه وما بين دينه ومذهبه الذي يرتئيه.



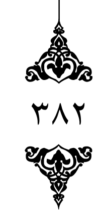
وقد وثقوا «عباد بن يعقوب» على الرغم من كونه شيعيا، وعلى الرغم من اعترافهم بانه كان يشتم عثمان بن عفان وغيره من الصحابة ويعيب عليهم، إلا أن كل هذا لم يمنعهم من توثيقه وقبول روايته، وقد صرح الذهبي بهذا في (سير أعلام النبلاء) بقوله: (وقال الحاكم: كان ابن خزيمة يقول: حدثنا الثقة في روايته، المتهم في دينه، عباد بن يعقوب. وقال ابن عدي: فيه غلو في التشيع. وروى عبدان عن ثقة، أن عبادا كان يشتم السلف. وقال ابن عدي: روى مناكير في الفضائل والمثالب...وروى علي بن محمد الحبيبي، عن صالح جزرة، قال: كان عباد يشتم عثمان...وسمعته، يقول: الله أعدل من أن يدخل طلحة والزبير الجنة، قاتلا عليا بعد أن بايعاه... وقال ابن جرير: سمعته، يقول: من لم يبرأ في صلاته كل يوم من أعداء آل محمد، حشر معهم)[1].

إلا أن هذه الأمور جميعها لم تمنع الذهبي من الاعتراف بإمامة عباد بن يعقوب بقوله: (الرواجني الشيخ العالم الصدوق، محدث الشيعة، أبو سعيد عباد بن يعقوب الأسدي الرواجني الكوفي المبتدع...روى عنه: البخاري حديثا قرن فيه معه آخر، والترمذي، وابن ماجة، وأبو بكر البزار، وصالح جزرة، وابن خزيمة، ومحمد ابن علي الحكيم الترمذي، وابن صاعد، وابن أبي داود، وآخرون. قال أبو حاتم: شيخ ثقة)[2] فبدعته[3] كما ترى لم تكن بمانعة عن توثيقه وقبول أحاديثه وإخراجها

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١١ ص ٥٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تعبيرنا هذا يحاكي وجهة نظر أهل السنة التي تجعل كل من يخالف رأي أهل السنة وعقيدتها مبتدعاً، وإلا فمن وجهة نظرنا ونظر الحق والإنصاف فان التشيع هو المذهب الحق وغيره هو البدعة.



في الصحاح والمسانيد والسنن.

وكذلك الحال بالنسبة لأبان بن تغلب الذي اخرج له مسلم النيسابوري في صحيحه وبقية أصحاب الكتب الستة باستثناء البخاري والذي قال عنه الذهبي: (أبان بن تغلب الكوفي شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته. وقد وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم، وأورده ابن عدي، وقال: كان غاليا في...ان البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق. فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة)[1].

وفي معرض الكلام عن (محمد بن الفرج الأزرق البغدادي) والذي كان معروفا بانه من أصحاب البدع يقول الذهبي: (المحدث، العالم، المسند، أبو بكر، محمد بن الفرج بن محمود الأزرق البغدادي... قال الحاكم: سمعت الدارقطني يقول: لا بأس به، وهو من أصحاب حسين الكرابيسي، يطعن عليه في اعتقاده. قال الخطيب: أما أحاديثه فصحاح قلت: له أسوة بخلق كثير من الثقات الذين حديثهم في «الصحيحين» أو أحدهما، ممن له بدعة خفيفة بل ثقيلة، فكيف الحيلة؟ نسأل الله العفو والسماح)[2] وهو تصريح من الذهبي مهم للغاية فمن كلامه يتبين ان في الصحيحين خلقاً كثيراً من أهل البدع ممن بدعته خفيفة أو ثقيلة، قد وثقوا وأخرجت أحاديثهم.

وعليه فرمي سليمان بن قرم الذي ورد اسمه في سند حديث الطير بالتشيع أو الغلو في الرفض لا يعد قادحا في عدالته ووثاقته، ولا مانعا من قبول روايته.

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٥.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج١٣، ص٣٩٤ ـ ٣٩٥.



٢ : وأما سوء الحفظ وقلب الأخبار، لو سلمنا بصدق من رماه بها وإنصافه وعدالته، وان هذا الطعن لم يكن طعنا مذهبيا يرجع إلى تشيع سليمان بن قرم فانه أيضا غير قادح في هذا السند مطلقا، لان سيّئ الحفظ ومن يقلب الأخبار لا ترد روايته مطلقا، وإنما ترد روايته فيما لو لم تكن هنالك رواية ثانية صحيحة تعضد روايته، فان كانت هنالك رواية أخرى تعضد روايته فان القبول بروايته هو اللازم، لان بوجود الشاهد أو المتابع له يتبين بأن سليمان بن قرم كان في خصوص هذه الرواية حافظا، وان هذه الرواية على الخصوص لم تكن من ضمن الروايات المقلوبة، فيتعين الأخذ بها، وهذا أمر معروف يستغني عن ذكر البرهان، فتكون الإطالة فيه إطالة في أمر بديهي.

ورواية الطير قد ثبت فيما سبق أن لها سندين صحيحين صريحين فيصح عدّهما شاهداً على حفظ سليمان بن قرم وعدم قلبه لهذا الخبر بالذات، فتكون روايته صحيحة بلا أدنى ريب.

وبهذا يندفع إشكال من حاول أن يشكل على هذا الإسناد بحجة ضعف سليمان بن قرم، ويثبت ايضا بان سليمان بن قرم على الرغم من تلك الاشياء التي رمي بها فانه ثقة وحديثه يحتج به، وهو ان لم يكن حديثه في اعلى مراتب الصحيح فلا ينزل عن رتبة الحسن، وهذا ما صرح به الذهبي في كتابه الموسوم بـ(ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق) حيث ذكر في مقدمة كتابه هذا بان الهدف من تأليفه هو: (معرفة ثقات الرواة الذين تكلم فيهم بعض الأئمة بما لا يرد أخبارهم وفيهم بعض اللين وغيرهم أتقن منهم وأحفظ فهؤلاء حديثهم إن لم يكن في أعلى مراتب الصحيح فلا ينزل عن رتبة الحسن)[1].

(١) ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق للذهبي ج١ المقدمة.



ثم ذكر أسماء هؤلاء الذين تكلم فيهم وهم موثقون فذكر الذهبي سليمان ابن قرم تحت رقم (١٤٦) بقوله: (سليمان بن قرم أبو داود الضبي وهو ابن معاذ نسب إلى جده «م د ت س»: وثقه أحمد وغيره وقال أبو زرعة ليس بذاك وقال أبو حاتم ليس هو بالمتين وقال ابن حبان رافضي غال يقلب الأخبار قال الحاكم أخرجه مسلم شاهدا وقد غمز بالغلو وسوء الحفظ جميعا وقال ابن معين من وجوه عنه ليس بشيء)[1]، فجعله الذهبي كما ترى ممن حديثهم إن لم يكن في أعلى مراتب الصحيح فلا ينزل عن رتبة الحسن.

هاء: فطر بن خليفة

قال الدوري: (سألت يحيى عن فطر بن خليفة فقال ثقة)[2]، وقال في موضع آخر: (سمعت يحيى يقول فطر بن خليفة ثقة وهو شيعي)[3].

وعن ابن حنبل قال: (سألت أبي عن فطر بن خليفة فقال ثقة صالح الحديث)[4]، وقال العجلي في (معرفة الثقات): (فطر بن خليفة الحناط كوفي ثقة حسن الحديث وكان فيه تشيع قليل)[5]

وقال العقيلي في (الضعفاء): (فطر بن خليفة الحناط كوفي...حدثنا عبد الله قال سمعت أبي يقول كان فطر عند يحيى ثقة ولكنه كان خشبيا مفرطا حدثنا عبد الله قال سألت أبي عن فطر بن خليفة فقال ثقة صالح الحديث حديثه حديث رجل

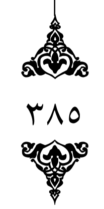
(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج١٣، ص٩٣.

(٢) تاريخ ابن معين، الدوري ج ١ ص ١٩٦.

(٣) المصدر السابق ص٢٤٦.

(٤) العلل لأحمد بن حنبل ج ١ ص ٤٤٣.

(٥) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ٢٠٨.



كيس إلا أنه كان يتشيع... حدثنا محمد حدثنا عباس قال سمعت يحيى بن معين يقول فطر بن خليفة ثقة وهو شيعي)[١].

وقد اعترف بوثاقته أيضا الهيثمي في (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) وكرر القول بوثاقته وان كلام بعض الذين ضعفوه كما سيأتي لا يضر بوثاقته، فقال: (فطر بن خليفة وهو ثقة وفيه كلام لا يضر)[٢].

وقال ابن حجر في (مقدمة فتح الباري): (فطر بن خليفة المخزومي مولاهم كوفي من صغار التابعين وثقه أحمد والقطان والدارقطني وابن معين والعجلي والنسائي وآخرون وقال ابن سعد كان ثقة إن شاء الله... روى له البخاري وأصحاب السنن لكن ليس له في البخاري سوى حديث واحد رواه عن مجاهد...)[٣].

وقد ذكره ابن حبان في (الثقات)[٤]، وذكره أيضا في (مشاهير علماء الأمصار) بقوله: (فطر بن خليفة من متقني أهل الكوفة مات سنة ثلاث وخمسين ومائة)[٥].

وقال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (فطر بن خليفة الشيخ العالم، المحدث الصدوق، أبو بكر الكوفي المخزومي... له سن ولقاء، وكان لا يدع أحدا يكتب عنده)[٦].

---

(١) ضعفاء العقيلي للعقيلي ج ٣ ص ٤٦٤ ـ ٤٦٦.

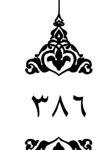
(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٥ ص ٧٠.

(٣) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

(٤) الثقات لابن حبان ج ٥ ص ٣٠٠.

(٥) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ٢٦٦.

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٧ ص ٣٠ ـ ٣٣.



وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (فطر بن خليفة القرشي المخزومي... وقال أبو زرعة الدمشقي سمعت أبا نعيم يرفع من فطر ويوثقه ويذكر انه كان ثبتا في الحديث)[(١)].

أقول: وقد ضعفه بعض المحدثين بتضعيفات لا تضر ولا تقدح في عدالته، تعود جميعها إلى كونه شيعيا يقدم الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه على عثمان، وقد نوه إليها ابن حجر وغيره بقوله: (...ومن الناس من يستضعفه...وقال الساجي صدوق ثقة ليس بمتقن...قال الساجي وكان يقدم عليا على عثمان...وقال أبو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه إلا لسوء مذهبه...وقال ابن أبي خيثمة سمعت قطبة بن العلاء يقول تركت فطرا لأنه يروي أحاديث فيها إزراء على عثمان)[(٢)].

وقال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (وقال أحمد بن يونس: تركته عمدا، وكان يتشيع وكنت أمر به بالكناسة... فأمر وأدعه مثل الكلب...حدثت عن جرير قال: كان الأعمش ومنصور ومغيرة يشربون، فإذا أخذوا في رؤوسهم، سخروا بفطر بن خليفة)[(٣)].

وقد تقدم إن كون الراوي شيعيا أو مقدما لعلي على عثمان أو غير هذه الطعون لا تعد شيئا ولا تساوي فلسا، ولا تقدح بثقة الراوي وعدالته، أما دعوى البعض بان فطر بن خليفة ليس بمتقن فمردود بقول ابن حبان وأبي نعيم اللذين تقدم تصريحهما بإتقان فطر بن خليفة وانه ثبت من الإثبات في الحديث، وكذلك لا

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٨ ص ٢٧١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٧ ص ٣١.



تضره سخرية الأعمش ومنصور ومغيرة، لأنهم كانوا يشربون الخمر فإذا سكروا وقعوا فيه وهم أولى بالسخرية والاستهزاء، وأحق أن لا يخرج حديثهم ولا يوثقوا، اذ كيف يروون حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم ممن يشرب الخمور ويقول الباطل، ولا عتب عليهم فان من تربى في أحضان السلطة لا يكون حاله أحسن من هذا، وإنما العتب كل العتب على من يخرج لهم الأحاديث ويوثقهم ويقبل قولهم وقدحهم بحق المؤمنين.

واو: عبد الرحمن بن أبي نعم

وهو كما في (مقدمة فتح الباري) لابن حجر: (عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي أبو الحكم الكوفي العابد وثقه ابن سعد والنسائي وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين ضعيف «قلت[1]» اعتمده الشيخان وله عند البخاري ثلاثة أحاديث عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عمر عن كل واحد حديث واحد وروى له الباقون)[2].

وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي كوفي... عن يحيى بن معين أنه قال: الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم ضعيف. حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم فقال: صالح الحديث)[3].

وقد ذكره ابن حبان في (الثقات) قائلا: (عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي الكوفي كنيته أبو الحكم يروي عن أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد الخدري روى

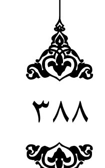
---

(١) القائل هو ابن حجر.

(٢) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٤١٧.

(٣) الجرح والتعديل للرازي ج ٣ ص ١٢٣.

عنه زرارة بن أوفى وفضيل بن غزوان وكان من عباد أهل الكوفة ممن يصبر على الجوع الدائم أخذه الحجاج بن يوسف ليقتله وأدخله بيتا مظلما وسد الباب خمسة عشر يوما ثم أمر الباب ففتح ليخرج به فيدفن فدخلوا عليه فإذا هو قائم يصلي فقال له الحجاج بن يوسف مر حيث شئت)[١].



وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (عبد الرحمن بن أبي نعم بضم النون وسكون المهملة البجلي أبو الحكم الكوفي العابد صدوق من الثالثة مات قبل المائة)[٢]، وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي أبو الحكم الكوفي العابد...وذكره ابن حبان في الثقات...وقال ابن سعد كان يحرم من السنة إلى السنة وكان ثقة وله أحاديث وقال ابن أبي حاتم ذكر أبي عبد الرحمن ابن أبي نعم فذكر له فضلا وعبادة وقال النسائي في التمييز ثقة وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين ضعيف)[٣].

وقال الذهبي في (ميزان الاعتدال): (عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي. كوفي، تابعي مشهور...وكان من الأولياء الثقات. وقال أحمد بن أبي خيثمة، عن ابن معين، قال: ابن أبي نعم ضعيف)[٤]، وقال الذهبي في (تاريخ الإسلام): (وكان من الثقات العابدين)[٥]، وقال في (سير أعلام النبلاء): (عبد الرحمن بن أبي نعم الإمام الحجة القدوة الرباني أبو الحكم البجلي الكوفي)[٦].

(١) الثقات لابن حبان ج ٥ ص ١١٢.

(٢) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٥٩٣.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٦ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٥٩٥.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٧ ص ١٥١.

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥ ص ٦٢.



أقول: فعبد الرحمن بن أبي نعم ثقة إمام حجة، اخرج له البخاري ومسلم في صحيحيهما واخرج له بقية أصحاب الكتب الستة، واخرج له احمد بن حنبل في مسنده، وغيره خلق كثير، ولم يضعفه غير يحيى بن معين كما تقدم، ويعدّ تضعيفه مخالفاً لما اتفق عليه جميع المحدثين، فلا يعتد حينئذ بتضعيفه، لما تقدم سابقا من ان يحيى بن معين لا يؤخذ ولا يعتد بتضعيفه فيما لو خالف المشهور وانفرد عن المجمع عليه، وقد تقدم قول الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (وَنَحْنُ نَسْمَعُ مِنْ يَحْيَى دَائِماً، وَنَحتَجُّ بِقَولِه فِي الرِّجَالِ، مَا لَمْ يَتَبَرهَنْ لَنَا وَهْنُ رَجُلٍ انفَرَدَ بِتَقْوِيَتِه، أَوْ قُوَّةِ مَنْ وَهَّاهُ)[١].

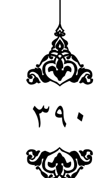
جملة ممن قال بصحة حديث الطائر المشوي

١: تصحيح الحاكم لحديث الطير

أخرج الحاكم النيسابوري في (المستدرك على الصحيحين) رواية عن أبي علي الحافظ، أنبأ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أيوب الصفار وحميد بن يونس بن يعقوب الزيات قالا: ثنا محمد بن أحمد بن عياض بن أبي طيبة، ثنا أبي، ثنا يحيى ابن حسان، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك قال: (كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فقدم لرسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فرخ مشوي، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير قال: فقلت: اللهم اجعله رجلا من الأنصار فجاء علي رضي الله عنه، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم على حاجة، ثم جاء، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم على حاجة ثم جاء، فقال

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج١١ ص٤٤٨.



رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: «افتح» فدخل، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: ما حبسك علي فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم أنك على حاجة، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلا من قومي، فقال رسول الله: إن الرجل قد يحب قومه)(١).

فقال الحاكم بعد إيراده لهذه الرواية: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ـ أي البخاري ومسلم في صحيحيهما ـ وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفسا، ثم صحت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة)(٢).

محاولة الذهبي تكذيب الحاكم النيسابوري

لكن الذهبي حاول جاهدا أن يقوض كلام الحاكم النيسابوري، وينفي من خلالها صحة هذا الحديث، فاعترض على هذا الحديث وعلى تعليق الحاكم النيسابوري بثلاثة اعتراضات هي:

ألف: حاول الذهبي أن يرمي اثنين من رجال هذا السند بالجهالة ليغلق الباب من أساسه، فقال في تعليقته على مستدرك الحاكم: (ابن عياض لا أعرفه)(٣). وقال في (ميزان الاعتدال): (وأما أبوه فلا اعرفه)(٤)، والرواية بهذا التعليق تكون ضعيفة لجهالة اثنين من رواتها.

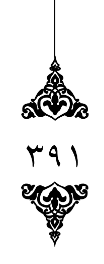
---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المستدرك بتعليق الذهبي ج٣ ص١٤١.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي: ج٣، ص٤٦٥.



أقول: لكن الذهبي تراجع عن جهالة محمد بن عياض، وعرفه من بعد ذلك ووثقه في كتابه (ميزان الاعتدال) ولكنه أصر على عدم معرفة أبيه وأبقاه مجهولا فقال: (محمد بن أحمد بن عياض. روى عن أبيه أبي غسان أحمد بن عياض عن أبي طيبة المصري، عن يحيى بن حسان، فذكر حديث الطير. وقال الحاكم: هذا على شرط البخاري ومسلم. قلت: الكل ثقات إلا هذا، فإنها أتهمه به، ثم ظهر لي أنه صدوق. روى عنه الطبراني، وعلي بن محمد الواعظ...وكان رأسا في الفرائض...فأما أبوه فلا أعرفه)[1].

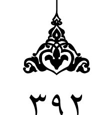
وقد كشف ابن حجر الهيثمي النقاب عن أحمد بن عياض والد محمد بن عياض الذي عجز الذهبي عن معرفته، فعرفه وأخرجه من طامورة الجهالة في كتابه (لسان الميزان) عند تعليقه على قول الذهبي: (فأما أبوه فلا أعرفه انتهى. قلت ـ والقائل هو ابن حجر ـ ذكره ابن يونس في تاريخ مصر قال أحمد بن عياض بن عبد الملك بن نصر الفرضي مولى حبيب من ذا يكنى أبا غسان يروي عنه يحيى بن حسان. توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين هكذا ذكره ولم يذكر فيه جرحا. ثم أسند له حديثا فقال حدثني المعافى بن عمر بن حفص الرازي ثنا أبو غسان أحمد بن عياض المحسبي ثنا يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يلام الرجل على قومه)[2].

فيخرج بذلك كل من محمد بن احمد بن عياض ووالده عن صفة الجهالة، ويثبت تصحيح الحاكم النيسابوري لهذا الحديث بهذا الإسناد المتقدم.

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج٣ ص٤٦٥.

(٢) لسان الميزان لابن حجر ج ٥ ص ٥٧ ـ ٥٨.



محاولة اخرى من الذهبي لتكذيب كلام الحاكم النيسابوري

واعترض الذهبي على قول الحاكم النيسابوري وقوله: (...وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفسا، ثم صحت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة)[١]، كما نقل ابن كثير في (البداية والنهاية) حيث قال: (قال شيخنا الحافظ الكبير أبو عبد الله الذهبي فصلهم بثقة يصح الإسناد إليه)[٢].

أي إن الذهبي ينكر وثاقة جميع الطرق والأسانيد التي جاءت عن طريق انس بن مالك، ويتحدى الحاكم النيسابوري أن ينقل حديث الطير من ثقة إلى ثقة إلى انس بن مالك، لان مثل هذا الطريق غير موجود باعتقاد الذهبي.

أقول: إن تحدي الذهبي للحاكم النيسابوري جاء بعد موت الحاكم بسنين طوال، لان الحاكم النيسابوري توفي في سنة (٤٠٥ للهجرة)، بينما الذهبي مات في سنة (٧٤٨ للهجرة)، ولو كان معاصرا له لما تجرأ على مثل هذا التحدي، لان الحاكم النيسابوري كان وباعتراف الذهبي في كتابه (تذكرة الحفاظ) قد: (اتفق له من التصانيف ما لعله يبلغ قريبا من الف جزء... وسائر الأئمة يقدمونه على أنفسهم ويراعون حق فضله ويعرفون له الحرمة الأكيدة... عاش حميدا ولم يخلف في وقته مثله...)[٣]، فلو كان الذهبي قد تحداه في حياته لما عجز الحاكم النيسابوري عن الإتيان بعشرات الطرق الصحيحة عن انس بن مالك وغيره تصحح حديث الطائر المشوي وتكذب الذهبي، وترغم انف كل حاسد وشانئ.

إضافة إلى أننا قد ذكرنا لحديث الطائر المشوي فيما سبق طريقين ينتهي كل منهما إلى انس بن مالك وقد حققنا جميع رجال هذين السندين وأثبتنا وثاقة كل رجل منهم، وبه يندفع اعتراض الذهبي وتبطل حجته وينكشف ضعف تحديه.

---

(١) لسان الميزان لابن حجر ج ٥ ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣٨٧.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١٠٤٣ ـ ١٠٤٥.



محاولة ثالثة من الذهبي لنقض كلام الحاكم النيسابوري

واعترض الذهبي أيضا على كلام الحاكم النيسابوري وقوله: (ثم صحت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة)[١] بما نقله عنه ابن كثير في (البداية والنهاية) بقوله: (قال شيخنا أبو عبد الله ـ الذهبي ـ لا والله ما صح شيء من ذلك)[٢].

فأنكر الذهبي بذلك أن تكون هنالك أي رواية صحيحة تثبت حديث الطير تنتهي بسندها إلى كل من الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وأبي سعيد الخدري، وسفينة خادم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

أقول: لا والله ما صح شيء من كلام الذهبي وتعصباته، فقد صحت أسانيد طرق عديدة انتهت بعضها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وبعضها إلى أبي سعيد الخدري، وبعضها إلى سفينة خادم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكمثال على عدم صحة كلام الذهبي يرجى مراجعة الحديث الذي حققنا رجال سنده فيما سبق، وهو الحديث الذي رواه الطبراني وصححه الهيثمي، والذي ينتهي إلى سفينة خادم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فانه يبين لك عدم صحة كلام الذهبي ومصداقيته ونفيه لجميع طرق حديث الطائر المشوي المنقولة عن الذين سبق ذكرهم في عبارته.

وبدفع هذه الاعتراضات الثلاثة يثبت تصحيح الحاكم النيسابوري لحديث الطائر المشوي، ويتبين جليا ان جميع اعتراضات الذهبي نابعة من وجهة نظر مذهبيه غير محايدة ولا علمية، وعليه فلا اعتبار لها ولا قيمة في ميزان العلم والإنصاف.

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١٠٤٣ ـ ١٠٤٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣٨٧.



٢: تأليف ابن جرير الطبري كتابا لإثبات حديث الطير وتصحيحه

وقد سبق ابن جرير الطبري غيره في تصحيح حديث الطير، وألف فيه كتابا مستقلا جمع فيه طرق الحديث، وصحح كثيرا منها، وقد أشار إلى تأليفه لهذا الكتاب ابن كثير في (البداية والنهاية) حيث قال ما هو نصه: (وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر بن مردويه والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي ورأيت فيه مجلدا في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ...)[1].

ولا يقال ان ابن جرير الطبري إنما جمع حديث الطائر المشوي لمجرد التعجب وبيان خلله وعدم صحته كما يحلو للبعض أن يدعي، فقد صرح الدكتور سعد بن عبد الله الحميد في كتابه (مناهج المحدثين) ان ابن جرير الطبري إنما جمع كتابه بهدف تصحيح الحديث وتوثيقه حيث صرح بالقول: (فهذا الحديث هو من الأحاديث التي يتقوى بها الشيعة وأهل الرفض، ولكن الذي حير بعض الأئمة أن لهذا الحديث طرقاً كثيرة جداً عن أنس، وقد صححه ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ وله فيه مؤلف)[2].

وقال في موضع آخر من كتابه هذا: (فإذا كان الأمر هكذا بالنسبة للذهبي فإننا نجد هناك طائفة من العلماء ـ وهم كثر ـ؛ كان موقفهم من هذا الحديث موقف الذي تلقاه بالقبول، ولم يجد في متنه نكارة مما يجعله يعزف على الحكم على هذا الحديث بالصحة أو بالحسن، ومن هؤلاء العلماء ابن جرير الطبري، وابن جرير له مجلد في جمع طرق وألفاظ هذا الحديث)[3].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣٩٠.

(٢) مناهج المحدثين للدكتور سعد بن عبد الله الحميد، ص٥٣، عُني به أبو عبيدة ماهر صالح آل مبارك، طبعة دار علوم السنة.

(٣) المصدر نفسه ص٥٤.

٣: تحسين العلائي ومتابعة بدر الدين الزركشي وابن السبكي وغيرهم له

لقد حاولت جاهدا أن احصل على نص كلام العلائي في شأن حديث الطائر المشوي فلم استطع، لان كتابه (النقد الصحيح لما اعترض من أحاديث المصابيح) غير متوفر تحت أيدينا، إلا أن هذا لا يضر فكلامه منقول عنه في مصادر عديدة وهو مشهور، وسننقل للقارئ الكريم نصين من كتابين مختلفين، الأول ما نقله الشيخ بدر الدين محمد ابن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي في (النكت على مقدمة ابن الصلاح) بعد إيراده كلام ابن طاهر في (اليواقيت) حيث قال: (وإنما هو ــ أي حديث الطائر المشوي ــ موضوع وإنما يجيء عن سقاط أهل الكوفة عن المشاهير والمجاهل عن أنس)[١].

فرد عليه ابن الصلاح بقوله: (وفيما قاله نظر فقد تكلم عليه الشيخ الحافظ أبو سعيد العلائي فقال ــ بعدما ذكر تخريج الترمذي له وكذلك النسائي في خصائص علي ــ رضي الله تعالى عنه ــ إن الحديث ربما ينتهي إلى درجة الحسن أو يكون ضعيفا يحتمل ضعفه أما أنه موضوع فلا وقد خرجه الحاكم برجال كلهم ثقات معروفون سوى أحمد بن عياض فلم أر من ذكره بتوثيق ولا تجريح)[٢].

وكذلك وافق تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي كلام العلائي في كتابه (طبقات الشافعية الكبرى) حيث قال: (وأما الحكم على حديث الطير بالوضع فغير جيد ورأيت لصاحبنا الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي عليه كلاما قال فيه بعد ما ذكر تخريج الترمذي له وكذلك النسائي في خصائص علي رضي الله عنه إن الحق في الحديث أنه ربما ينتهي إلى درجة الحسن أو يكون

---

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح للشيخ بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي ج١ ص٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه.



ضعيفا يحتمل ضعفه قال فأما كونه ينتهي إلى أنه موضوع من جميع طرقه فلا)[١].

أقول: إن العلائي والسبكي وان كانا اقل تعصبا من ابن طاهر، الا انهما لم ينصفا حديث الطائر المشوي حق الانصاف، لانهما لم يحكما على الحديث بانه صحيح، واكتفيا بالحكم عليه بانه حسن أو ضعيف يحتمل ضعفه، بينما الحق والانصاف ان حديث الطائر المشوي له طرق صحيحة لم يشيرا اليها، وله طرق اخرى حسنة، وله طرق ضعيفة لكنها منجبرة بالطرق الصحيحة والحسنة

٤: تردد الذهبي ثم اعترافه ان للحديث أصلاً لكثرة طرقه

ان من يتابع كلام الذهبي بشأن حكمه على حديث الطائر المشوي يرى ان الذهبي قد مر في حكمه على هذا الحديث بعدة مراحل اجتهادية، ففي تعليقته على المستدرك شن حربا شعواء ضد الحاكم النيسابوري بسبب إخراجه وتصحيحه حديث الطائر المشوي في كتابه المستدرك، وقد مرت أقواله سابقا.

بينما تغير رأيه من بعد فاخذ موقف الحياد من هذا الحديث وتوقف عن تكذيبه وعن تصحيحه في الوقت نفسه، ففي كتابه (سير أعلام النبلاء) وفي أثناء رده على كلام ابن أبي داود حينما سئل عن حديث الطير فقال: (إن صح حديث الطير فنبوة النبي ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ باطل، لأنه حكى عن حاجب النبي ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ خيانة ـ يعني أنسا ـ وحاجب النبي لا يكون خائنا).

فقال الذهبي: (هذه عبارة رديئة، وكلام نحس، بل نبوة محمد ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ حق قطعي، إن صح خبر الطير، وإن لم يصح، وما وجه الارتباط؟... وحديث الطير ـ على ضعفه ـ فله طرق جمة، وقد أفردتها في جزء،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ج١ ص٩١.



ولم يثبت، ولا أنا بالمعتقد بطلانه...)[١].

ثم تحول اجتهاده من بعد ان تعرف على بعض الرجال والأسانيد التي كان يعتقد بضعفها، ولكنه وللأسف لم تطاوعه نفسه للحكم على الحديث بالصحة، فقال كلمة موهمة تحتمل وجهين، فقال في (سير أعلام النبلاء): (وقد جمعت طرق حديث الطير في جزء، وطرق حديث: «من كنت مولاه» وهو أصح، وأصح منهما ما أخرجه مسلم عن علي قال: إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إلي: «إنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»)[٢].

فقوله (وطرق حديث: «من كنت مولاه» وهو أصح) تحتمل أن يكون مقصوده هو أن حديث الطير ضعيف ولكن حديث من كنت مولاه اصح، ويحتمل أن يكون مقصوده أن حديث الطير صحيح ولكن حديث من كنت مولاه اصح، وان كان الافتراض الثاني هو الأرجح، لان صيغة التفضيل تستخدم عادة في إثبات الصفة المعينة، ثم تفضيلها بإثبات درجة أعلى وأقوى وأفضل لتلك الصفة، كقول القائل (كريم وأكرم) و(بخيل وابخل) فلابد من إثبات صفة الكرم أولا ومن ثم نثبت درجة أعلى واقوى وأفضل فنقول (أكرم)، وعلى أي الأحوال فهو اعتراف من الذهبي على صحته ولكنه اعتراف مبطن.

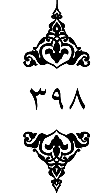
ثم تجرأ الذهبي أكثر واستجمع شجاعته في كتابه (تذكرة الحفاظ) وصرح بأن لحديث الطائر المشوي أصلاً صحيحاً باعتبار مجموع أسانيده وطرقه لا باعتبار انفرادها وتجزئها، قال: (وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جدا قد أفردتها في مصنف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل)[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٣ ص٢٣٣.

(٢) المصدر السابق ج١٧ ص١٦٩.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١٠٤٢ ـ١٠٤٣.



إعلان الحرب والنفير العام ضد حديث الطائر المشوي من محدثي أهل السنة

أولا: محاولاتهم المستميتة لرد هذا الحديث من جهة الإسناد وتضعيفه وتكذيبه

على الرغم من وجود أسانيد عديدة تصحح حديث الطائر المشوي، وعلى الرغم من وجود كثير ممن صحح أو حسن هذا الحديث الشريف، إلا أن من يقرأ تعليقات علماء أهل السنة على هذا الحديث يرى العجب العجاب، فما حورب حديث بمثل ما حورب به هذا الحديث، وما شنّع على حديث بأعظم مما شنّع على هذا الحديث، وما اجتهد محدثو أهل السنة على تأويل حديث وصرفه عن حقيقته ومعناه ولوازمه بمثل ما اجتهدوا في إقصاء هذا الحديث وصرفه عن معناه ولوازمه، وهو ما سيتضح جليا في الصفحات التالية، ونحن هنا سنختار جملة من أقوالهم وتشنيعاتهم ليعرف المسلم كيف يرد القوم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثابت والصحيح لمجرد انه لا يتناسب مع اعتقاداتهم، ولأنه يصطدم مع المنظومة الفكرية التي تربى عليها أهل السنة.

١: ما نقله ابن الجوزي في العلل المتناهية

قال: (وقد ذكره ـ أي حديث الطير ـ ابن مردويه من نحو عشرين طريقا كلها مظلم وفيها مطعن فلم أر الإطالة بذلك أنبأنا محمد بن ناصر قال أنبأنا محمد بن طاهر المقدسي قال كل طرقه باطلة معلولة...وقال ابن طاهر حديث الطائر موضوع إنما يجيء من سقاط أهل الكوفة عن المشاهير والمجاهيل عن انس وغيره قال ولا يخلو أمر الحاكم ـ الذي صحح بعض طرق الحديث ـ من أمرين إما الجهل بالصحيح فلا يعتمد على قوله وإما العلم به ويقول به فيكون معاندا كذابا دساسا)[1].

---

(١) العلل المتناهية لابن الجوزي: ج١، ص٢٦٣.



أقول: ومنه يظهر التعصب المفرط والأعمى الذي حدا بهم إلى تكذيب طرقه جميعها وأسانيده كلها، مع ان جملة من طرقه صحيحه وجملة اخرى حسنة كما اثبتنا سابقا، واعجب من ذلك قدح ابن طاهر للحاكم النيسابوري ورميه بالجهل تارة والعناد والكذب والدس تارة أخرى، وهو الأولى بمثل هذه الأوصاف، لأنه وبإنكاره أسانيد حديث الطائر المشوي كلها لا يخلو من أمرين، فإما أن يكون جاهلا بان للحديث طرقا صحيحة سليمة فلا يعتمد على قوله لجهله، وإما أن يكون عالما بوجود هذه الأسانيد الصحيحة فيكون بتكذيبه طرق الحديث وأسانيده كلها معاندا كذابا دساسا وهذا هو الظاهر من حاله.

٢: تكذيب ابن أبي داود السجستاني لحديث الطير

روى عبد الله بن عدي في (الكامل) قال: (سمعت علي بن عبد الله الداهري يقول سألت ابن أبي داود بالري عن حديث الطير فقال إن صح حديث الطير فنبوة النبي باطل لأنه حكى عن حاجب النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم خيانة وحاجب النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لا يكون خائنا)[1].

أقول: وقد كفانا الذهبي مؤونة الرد على هذا الناصبي بقوله في (سير اعلام النبلاء): (هذه عبارة رديئة، وكلام نحس... بل نبوة محمد ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ حق قطعي، إن صح خبر الطير، وإن لم يصح، وما وجه الارتباط؟هذا أنس قد خدم النبي ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ قبل أن يحتلم، وقبل جريان القلم، فيجوز أن تكون قصة الطائر في تلك المدة. فرضنا أنه كان محتلما، ما هو بمعصوم من الخيانة... وأبو لبابة ـ مع جلالته ـ بدت منه خيانة...وحاطب بدت منه

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٤ ص ٢٦٦.



خيانة...)[١]، فتكذيب حديث الطير بحجة ان حاجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخون باطل وهو من مكائد النواصب لدفع الحق بأسلوب المراوغة والتضليل.

أضف إلى ذلك ان طعن ابن أبي داود بالحديث يدخل ضمن ما يسمى عندهم بالطعن المذهبي الذي لا يقبل من صاحبه، ولا يؤثر على سلامة الحديث وصحته، وذلك لان ابن أبي داود كان معروفا ومتهما بالنصب لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (كان ابن أبي داود يتهم بالانحراف عن علي والميل عليه)[٢]، وقال ابن عدي في (الكامل): (ونسب في الابتداء إلى شيء من النصب، ونفاه ابن فرات من بغداد إلى واسط)[٣]، وكان يروي الأكاذيب العظام عن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، منها زعمه الكاذب بان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كان يتسلق ويتجسس على نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فعن (محمد بن الضحاك بن عمرو بن أبي عاصم النبيل يقول أشهد على محمد بن يحيى بن مندة بين يدي الله أنه قال لي أشهد على أبي بكر بن أبي داود بين يدي الله أنه قال لي روى الزهري عن عروة قال كانت قد حفيت أظافير علي من كثرة ما كان يتسلق على أزواج رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم)[٤]، فكيف يقبل اعتراض وإشكال من هو بهذه الدرجة من النصب والكذب على شخص اعترف أهل السنة والشيعة بأنه صحابي، بل من أعظم الصحابة بحسب النظرية السنية القائلة بان أفضل الصحابة هم أربعة، بل هو

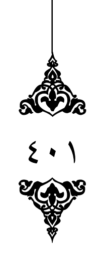
---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٣ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٩ ص٤٧٤.

(٣) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٤ ص ٢٦٦.

(٤) المصدر نفسه.



أعظمهم على وفق النظرية الإمامية الإثني عشرية.

أضف إلى ذلك ان عبد الله بن أبي داود مطعون في عدالته وصدقه وعلمه، ومن أول الطاعنين عليه أبوه سليمان بن الأشعث المشهور بابي داود وهو من أئمة أهل الحديث وصاحب أشهر كتاب في السنن المعروف بسنن أبي داود، فقد كان يقول: (ابني عبد الله هذا كذاب وكان ابن صاعد يقول كفانا ما قال أبوه فيه...وابن أبي داود قد تكلم فيه أبوه وإبراهيم الأصبهاني ونسب في الابتداء إلى شيء من النصب ونفاه ابن فرات من بغداد إلى واسط)[1].



٣: تكذيب ابن تيمية حديث الطائر المشوي

كان ابن تيمية مثل ما هم أتباعه اليوم من أشد المعارضين والمؤلبين والرادين لحديث الطائر المشوي بجميع طرقه وكل تفصيلاته، وكتاب (منهاج السنة النبوية) مشحون بالطعن بهذا الحديث الشريف، وفيما يأتي جملة من كلماته وأقواله المتعصبة.

ألف: زعمه ان الحديث لم يروه احد من أصحاب الصحيح ولا صححه أئمة الحديث

قال ابن تيمية: (فإن حديث الطير لم يروه أحد من أصحاب الصحيح ولا صححه أئمة الحديث ولكن هو مما رواه بعض الناس كما رووا أمثاله في فضل غير علي بل قد روي في فضائل معاوية أحاديث كثيرة وصنف في ذلك مصنفات وأهل العلم بالحديث لا يصححون لا هذا ولا هذا)[2].

أقول ويرد على كلام هذا المتعصب العنيد عدة أمور منها:

---

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٤ ص ٢٦٥.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٧ ص٣٧١.



أولا: قوله (فإن حديث الطير لم يروه أحد من أصحاب الصحيح) لا يقدح في حديث الطائر المشوي مطلقا، فقد سبق وبينا بان أصحاب الصحيح ـ البخاري ومسلم ـ لم يخرجا جميع الأحاديث النبوية الصحيحة في كتابيهما، وما تركاه من الصحيح أعظم وأكثر مما ذكراه، فمحاولته لاستغلال كتاب الصحيحين محاولة فاشلة.

ولو كان كلام ابن تيمية صحيحا لوجب عليه أن يحكم على جميع الأحاديث التي لم تذكر في الصحيحين بالوضع والكذب كي لا تبقى لأحاديث أهل السنة باقية، ولينسف المذاهب الأربعة نسفا.

إضافة إلى أن ثلاثة أرباع فضائل كل من أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير قد ذكرت في غير الصحيحين فيجب عليه تضعيفها أيضا والحكم عليها بالكذب والاختلاق.

ثانيا: وقوله: (ولا صححه أئمة الحديث ولكن هو مما رواه بعض الناس) وهذا الاعتراض اكذب وأفحش من سابقه، فقد صححه كما عرفنا كل من الحاكم النيسابوري، والعلائي، وتابعهم بدر الدين الزركشي وابن السبكي، والطبراني، والذهبي، والهيثمي، وغيرهم، وهؤلاء مجمع على إمامتهم في الحديث وعلو مرتبتهم في فن الجرح والتعديل، وهم ليسوا من بعض الناس كما وصفهم ابن تيمية.

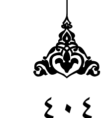
ثالثا: وقوله: (كما رووا أمثاله في فضل غير علي بل قد روي في فضائل معاوية أحاديث كثيرة وصنف في ذلك مصنفات) ومثل هذا الكلام إن نم عن شيء فإنما ينم عن عناد الرجل وقوة نصبه، وعدم إنصافه، إذ كيف يساوي ما بين فضائل الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وفضائل معاوية بن أبي



سفيان؟! فأين معاوية من علي؟! وأين الثرى من الثرية؟!، وأنى له أن يساوي بين حزب الله النجباء الذين ما أشركوا بالله طرفة عين أبدا، ومن هو نفس النبي وصهره، ومن هو من أهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، وبين حزب الشيطان وزمرة النفاق ووكر الخيانة، وابن هند آكلة الأكباد، وابن أبي سفيان المعروف عند السنة والشيعة بأنه كهف النفاق ومنبعه، وكيف يساوى أمير المؤمنين بأمير الفئة الباغية وزعيم القاسطين، الذي قتل عمار بن ياسر وغيره من آلاف الأولياء والصحابة، والذي ما دخل إلى هذا الدين إلا كرها بعد الفتح وشهر السيف على رقبته ورقبة الطلقاء من أهل بيته وقومه، فانا لله وإنا إليه راجعون إذ صار أمير المؤمنين وسيد الموحدين وأبو السبطين والريحانتين وسيدي شباب أهل الجنة وزوج سيدة نساء العالمين واخو النبي الأعظم ونفسه يقاس بالأدعياء والطلقاء ورعاع الناس، فأين ذهب إيمانك يا ابن تيمية، وأين غاب إنصافك، وكيف عميت بصيرتك عن أن تفرق ما بين أمير المؤمنين وبين أمير الفاسقين والظالمين؟!.

رابعا: وقوله (وأهل العلم بالحديث لا يصححون لا هذا ولا هذا) هو من الكذب القبيح ايضا، فأهل العلم صححوا من الأحاديث الدالة على فضائل الإمام أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بعدد شعر رأس ابن تيمية وربما أكثر، لكن عين النصب والبغض لأمير المؤمنين حجبت عن عينيه الرؤية، وعن عقله التفكّر والتدبر، نعم أهل الحديث ما صححوا فضيلة من فضائل معاوية بن أبي سفيان حتى قال ابن حجر في (فتح الباري): (اخرج ابن الجوزي أيضا من طريق عبد الله ابن أحمد بن حنبل سألت أبي ما تقول في علي ومعاوية فأطرق ثم قال اعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيبا فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه

فأطروه كيادا منهم لعلي فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما والله أعلم)[1].



فان شئت أيها القارئ العزيز أن ترى مصداقا واضحا لكلام احمد بن حنبل فانظر إلى ابن تيمية، فانه فتش عن عيب لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ليعيبه فلم يجد فجاء إلى رجل قد حاربه فساواه به وصيره له ندا وشبيها.

باء: زعمه ان الحديث من المكذوبات الموضوعات وافتراؤه على الحاكم النيسابوري

وقال ابن تيمية في (منهاج السنة النبوية): (إن حديث الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل قال أبو موسى المديني قد جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديث الطير للاعتبار والمعرفة كالحاكم النيسابوري وأبي نعيم وابن مردويه وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال لا يصح)[2].

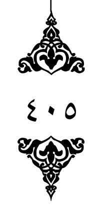
أقول: ويرد على كلام هذا المتعصب عدة أمور منها:

أولا: ان ابن تيمية قد أنكر حديث الطائر وجرح جميع طرقة ولم يبين تفصيلا لجرحه، وقد اتفقت كلمة المحدثين على ان الجرح غير المفسر للراوي أو الرواية لا يقبل قطعا، قال النووي في (شرح مسلم): (والجرح إذا لم يفسر لا يقبل)[3]، وقال الخطيب البغدادي: (سمعت القاضي أبا الطيب طاهر بن عبد الله ابن طاهر الطبري يقول لا يقبل الجرح إلا مفسرا وليس قول أصحاب الحديث فلان ضعيف وفلان ليس بشيء مما يوجب جرحه ورد خبره وإنما كان كذلك لان الناس

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٨١.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٧ ص٣٧١ ـ ٣٧٢.

(٣) شرح مسلم للنووي ج ١٠ ص ١٨١.



اختلفوا فيما يفسق به فلا بد من ذكر سببه لينظر هل هو فسق أم لا)[1]، وهو أمر مشهور تغني شهرته عن الإطناب والإكثار من ذكر الشواهد والأقوال.

وابن تيمية ـ عامله الله بعدله ـ في قوله (إن حديث الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل) أبهم من هم أهل العلم، ولماذا كذبوه ورموه بالوضع، فان كان يقصد جميعهم فقد كذب، وان كان يقصد بعضهم، فلماذا أحجم عن ذكر من صحح الحديث او حسنه، وإخفاء جزء من الحقيقة غير مقبول ولا هو علمي، وبالإخفاء يثبت أن الرجل ليس هدفه الوصول إلى الحقيقة، بل لديه حكم مسبق على الحديث لعدم التقائه مع هواه، لذلك صار يختار ما يؤيد رأيه ويخفي من الأقوال والآراء ما لو تبينت وظهرت لظهر كذبه وعوار كلامه.

ثانيا: وأما قول ابن تيمية (قال أبو موسى المديني قد جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديث الطير للاعتبار والمعرفة كالحاكم النيسابوري وأبي نعيم وابن مردويه وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال لا يصح) فهو كما تقدم انتقاء لبعض الأقوال دون بعض، وقول أبي موسى انه قد جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديث الطير للاعتبار والمعرفة، غير صائب قطعا، لان مجموعة أخرى جمعته للتصحيح والتوثيق كالطبراني وغيره، أما الحاكم فلم يجمعه للاعتبار قطعا، وإنما جمعه وذكره في كتابه المستدرك لتصحيحه والإشارة إلى ثبوته، وهو أمر مشهور.

وقول أبي موسى المديني ان الحاكم قد سئل عن حديث الطير فقال لا يصح، غير دقيق أيضا، لان الحاكم النيسابوري قد تغير اجتهاده بخصوص

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ١٣٥ ـ ١٣٦.



حديث الطير، فهو وان كان لم يصحح حديث الطير في أول أمره، إلا انه وبعد اطمئنانه بثبوته تغير اجتهاده وصححه، وذكر في كتابه المستدرك عدة طرق للحديث وحكم على جميعها بالصحة، وقد أشار الذهبي في غير موضع من كتبه إلى تغير اجتهاد الحاكم النيسابوري واستقرار رأيه على تصحيح الحديث وثبوته، قال الذهبي : (قال الحسن بن أحمد السمرقندي الحافظ سمعت أبا عبد الرحمن الشاذياخي الحاكم يقول: كنا في مجلس السيد أبي الحسن فسئل أبو عبد الله الحاكم عن حديث الطير فقال: لا يصح، ولو صح لما كان أحد أفضل من علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وآله. قلت ثم تغير رأى الحاكم وأخرج حديث الطير في مستدركه)[١].

وفي (سير أعلام النبلاء) قال الذهبي تعليقا على قول ابن طاهر وادعائه بان الحاكم النيسابوري قد اخرج حديث الطير من مستدركه بعد أن بلغه نقد الدارقطني : (قلت: هذه حكاية منقطعة، بل لم تقع، فإن الحاكم إنما ألف "المستخرج" في أواخر عمره، بعد موت الدارقطني بمدة، وحديث الطير ففي الكتاب لم يحول منه، بل هو أيضا في «جامع» الترمذي. قال ابن طاهر: ورأيت أنا حديث الطير جمع الحاكم بخطه في جزء ضخم، فكتبته للتعجب)[٢].

فيثبت بذلك أن الحاكم لم يكتبه بهدف التعجب، وإنما كتبه مصححا مثبتا له، وكذلك لم يخرجه من مستدركه، وان الذي كتبه للتعجب هو ابن طاهر وليس الحاكم، فاشتبه الأمر على ابن تيمية، وادعى زورا ان الحاكم هو الذي كتبه تعجبا.

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١٠٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٧ ص ١٧٦.

جيم: زعمه أن أكل الطير لا يستوجب أن يكون الآكل أحب الخلق إلى الله

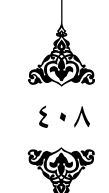
وقال ابن تيمية: (إن أكل الطير ليس فيه أمر عظيم يناسب إن يجيء أحب الخلق إلى الله ليأكل منه فان إطعام الطعام مشروع للبر والفاجر وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الآكل ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا فأي أمر عظيم هنا يناسب جعل أحب الخلق إلى الله يفعله)[1].

أقول: ويرد على المتعصب عدة أمور منها:

أولا: إن من نظر إلى مجادلات ابن تيمية العقيمة يرى منه وبوضوح الهروب المستمر وعدم التركيز على النقاط الأساسية والمفصلية، لذلك نراه هنا يهرب وبشجاعة عن مناقشة تصحيح كثير من علماء السنة للحديث وروده في كثير من الأسانيد الصحيحة والموثقة، وينتقل الى مناقشات فارغة وأساليب رخيصة، فإننا وقبل أن نناقش عبارات ابن تيمية الأخيرة نسأله هل الحديث عندك ثابت أم لا؟ فان قال لا قلنا ان النصوص التي ذكرناها فيما سبق وصححناها حجة عليك، وان قال نعم، فيصبح اعتراضك بان ليس في أكل الطير أمر عظيم يتناسب أن يجيء أحب الخلق إلى الله ليأكل منه هو اعتراض على فعل من أفعال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فالله ورسوله اعلم من ابن تيمية ومن جميع أتباعه ممن يقتنع بهذه الترهات التيمية، وهو صلى الله عليه وآله وسلم اعرف بما يصنعه وما يدعو به الله سبحانه، فلولا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بان الأمر يستحق لما تمناه من الله سبحانه، ولولا ان الله سبحانه يعلم ان الأمر يستحق لما استجاب لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم دعاءه وأعطاه أمنيته، وبعث له الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فأكل معه وشاركه طعامه.

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٧ ص٣٧٤.



فالعبرة إذن بثبوت الحديث فان ثبت فلا يجوز الاعتراض بمثل ما اعترض عليه هذا المعاند، لأنه ينجر حتما إلى الاعتراض على فعل من أفعال النبي الأعظم فيدخل صاحبه في باب من أبواب الكفر من حيث يعلم او لا يعلم، وليس هذا بعجيب فقد رأينا ان كل من يبغض عليا وأهل بيته لابد ان يفضي به بغضه ونصبه وعناده إلى باب من أبواب الكفر والنفاق.

فمن حق ابن تيمية أن يناقش فقط في صدوره أو عدم صدوره عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فان ثبت صدوره ـ كما فعلنا ذلك من قبل ـ كان عليه أن يسلم بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما وإلا كان داخلا في قوله سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1].

ثانيا: من أين علم ابن تيمية أنه ليس في أكل ذلك الطائر مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (زيادة وقربة عند الله ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا) فهل اطلع يا ترى على اللوح المحفوظ وعلم انتفاء القربة عند الله والمعونة على مصلحة الدين والدنيا، وهل بلغ ابن تيمية منزلة بحيث استطاع الإحاطة بجميع المصالح والمفاسد الدنيوية والأخروية حتى يتفوه بهذه الفرية الفاضحة، وهل هو إلا كذلك الذي وبخه القرآن بقوله ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[2].

ثالثا: ان الهدف الأساس من كلام ابن تيمية السابق هو تصوير ان الأكل من ذلك الطائر المشوي هو علة وسبب لصيرورة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحب

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٦.

(٢) سورة مريم الآية رقم ٧٨ ـ ٨٠.



الخلق إلى الله سبحانه والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، بحيث لو لم يأكل لما صار أحب الخلق إلى الله ورسوله، وهو أمر باطل قطعا، لان الأفضلية ليست تابعة للأكل من ذلك الطائر، فالإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه سواء أكان قد أكل من ذلك الطائر أم لم يأكل، فانه بعلم الله وبعلم رسوله هو أحب الخلق إلى الله ورسوله، وغاية ما فعله الأكل من ذلك الطائر المشوي هو الكشف عن شخصية ذلك الإنسان الموصوف بكونه أحب الخلق إلى الله ورسوله، فالأكل إذن كاشف وليس علة كما أراد أن يوهمنا ابن تيمية الحراني ـ عامله الله بعدله ـ.

رابعا: ليت ابن تيمية قد شحذ همته وقلمه في رد الفضائل التي وردت في حق أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم من الصحابة، والتي هي إلى الخيال اقرب منها إلى الحقيقة، وإلى الهزل هي اقرب من الجد مثل حديث (ان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[1] فلو ان هذا اللفظ جاء في حق السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أو في حق غيرها من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لرأيت كيف ضحك عليه ابن تيمية وكيف ألف كتبا ورسائل في رده والاستهزاء به، ولكن حب الشيء يعمي ويصم، فانا لله وإنا إليه راجعون.

خامسا: وللسيد علي الميلاني في (نفحات الأزهار) كلام مهم أحببنا ذكره هاهنا إتماما للفائدة، فقد علق على كلام ابن تيمية السابق بما هو نصه: (إن من الواضح جدا لدى جميع العقلاء دلالة المؤاكلة مع العظماء، على الشرف العظيم، فكيف بالمؤاكلة مع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي لا يشك مسلم في كونها شرفا عظيما جدا، فدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحب الخلق لنيل هذا الشرف العظيم في كمال المناسبة، ومن هنا قالت عائشة ـ لما سمعت هذه

---

(١) مسند احمد بن حنبل ج٣ ص١٥٧.



الدعوة ـ: «اللهم اجعله أبي». وقالت حفصة: «اللهم اجعله أبي». وقال أنس: «اللهم اجعله سعد بن عبادة»، وفي رواية: «اللهم اجعله رجلا منا حتى نشرف به»... لأن تخصيص رجل بالمؤاكلة ـ التي هي شرف عظيم ـ وطلب حضوره مرة بعد أخرى، ورد غيره، دليل واضح على فضل ذلك الرجل، وفي هذا مصلحة عظيمة من مصالح الدين)[1].

وقال السيد الميلاني أيضا: (فهل كان ابن تيمية يقول هذا لو كان هذا الحديث في حق أحد الشيخين أو الشيوخ، وهل كان يقدح فيه بمثل هذه الوجوه؟ لا والله، بل كانوا يجعلون هذا من أعظم مفاخره وأكبر مآثره؟! ولقالوا: إن مجرد المؤاكلة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضل عظيم، فكيف بامتناعه صلى الله عليه وآله وسلم عن مؤاكلة الغير معه، وإرادته هذا الشخص بالخصوص لذلك؟ وعلى الجملة، فإن التعصب والعناد هو الباعث لمثل ابن تيمية على الطعن والقدح في هذا الحديث الشريف، بمثل هذه الشبهات الركيكة والوساوس السخيفة)[2].

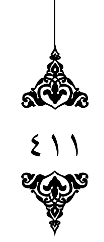
دال: زعمه أنّ هذا الحديث يناقض مذهب الرافضة ويكذّبه

وقال ابن تيمية الحراني: (إن هذا الحديث يناقض مذهب الرافضة فانهم يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أن عليا أحب الخلق إلى الله وانه جعله خليفة من بعده وهذا الحديث يدل على انه ما كان يعرف أحب الخلق إلى الله).

وقال أيضا: (أن يقال إما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف أن

(١) نفحات الأزهار للسيد علي الميلاني ج١٤ ص١٧١ـ١٧٢.

(٢) المصدر نفسه ص١٧٢.



عليا أحب الخلق إلى الله أو ما كان يعرف فان كان يعرف ذلك كان يمكنه أن يرسل يطلبه كما كان يطلب الواحد من الصحابة أو يقول اللهم ائتني بعلي فإنه أحب الخلق إليك فأي حاجة إلى الدعاء والإبهام في ذلك ولو سمى عليا لاستراح انس من الرجاء الباطل ولم يغلق الباب في وجه علي، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف ذلك بطل ما يدعونه من كونه كان يعرف ذلك ثم ان في لفظه أحب الخلق إليك وإلي فكيف لا يعرف أحب الخلق إليه)[1].

أقول: ويرد على هذا المجادل المعاند عدة أمور منها.

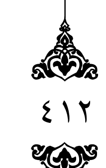
أولا: السؤال وطلب التوضيح للأمر المعلوم من الطرف الآخر أمر متعارف ومتداول في اللغة العربية، وقد تحدثت الآيات القرآنية في عدة آيات عن وقوع السؤال والاستفسار والاستفهام من الله سبحانه وتعالى عن أشياء هو اعلم بها لكونه علام الغيوب، كقوله تعالى لنبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[2]، وكقوله سبحانه للمسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهما: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[3].

فلم يكن السؤال هاهنا لطلب العلم من موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهما، لان ذلك محال على الله سبحانه، إذ أنّ الله علام الغيوب لا تخفى عليه خافية في

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٧ ص٣٧٤.

(٢) سورة طه الآية رقم ١٧ ـ ١٨.

(٣) سورة المائدة الآية رقم ١١٦.



السماوات ولا في الأرض، كذلك طلب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من الله سبحانه أن يأتيه بأحب خلقه يأكل معه من هذا الطعام، فانه ليس سؤالا عن مبهم قطعا، وإنما سؤال وطلب ودعاء لتبيان أمر آخر ستتعرف عليه في النقطة اللاحقة.

ثانيا: ان الحكمة من فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدم ذكر اسم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في دعائه، وجعل شخصية أحب الخلق إلى الله مبهمة غامضة، ربما تكون لأجل كشف ضغائن صدور قوم كانوا محيطين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن المقربين، فهل كان لأنس ابن مالك أن يكشف ما في قلبه من شحناء على أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لولا قضية إبهام الاسم وإخفاء الشخص، فلو كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد صرح في دعائه وقال اللهم ائتني بأحب خلقك إليك علي بن أبي طالب يأكل معي من هذا الطعام، لصار لزاما على انس بن مالك أن يدخله من المرة الأولى وإلا يفتضح أمره وينكشف مكنون سره، ولكن حينما أخفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسم أحب الخلق إلى الله ومواصفاته، اظهر انس شحناءه وكشف عن خفاياه وابتعاده عن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وحبه لقومه بمقدار جعله يحول ولمرات بين تحقق دعوة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد صرح باسم أحب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى وأوصافه لما ظهر تعصب كل من عائشة وحفصة إلى أبيهما، ولما ظهر كذلك ان كلاً من عائشة وحفصة كانتا تسربان الأخبار وما يقع في بيت رسول الله إلى خارج بيته مباشرة ومن دون تأخر، وإلا ما علة مجيء كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب مباشرة بعد تمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضور أحب الخلق إلى الله ليأكل معه من ذلك الطائر المشوي، وبعد أن قالت عائشة اللهم اجعله أبي، وبعد أن قالت حفصة، اللهم اجعله أبي، فهل مثل هذا الحضور هو مجرد صدفة أو أن الأمر كان

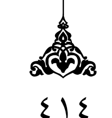


مدبرا وأنّ القوم قد كانوا ينتهزون كل فرصة لتثبيت أي فضيلة ممكنة، ولكن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبتعليم من الله سبحانه وتعالى كان يعلم أنّ الخبر قد تسرب من، فأفشل مخططهم برده لكل من أبي بكر وعمر وعثمان حينما طرقوا عليه الباب بعد دعوته المباركة، مما يدلنا على ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان ينتظر شخصا بعينه.

وقد ذكر حديث رد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر وعمر، النسائي في (السنن الكبرى) وأبو يعلى الموصلي في (مسند أبي يعلى) حيث قال: (زكريا بن يحيى ـ ثقة حافظ ـ قال حدثنا الحسن بن حماد ـ ثقة صدوق صاحب سنة ـ قال حدثنا مسهر بن عبد الملك ـ وثقه أبو يعلى الموصلي وأحسن الثناء عليه الحسن بن علي الخلال، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري فيه بعض النظر وهو جرح غير مفسر فلا قيمة له ـ عن عيسى بن عمر ـ ثقة ـ عن السدي ـ ثقة تكلم فيه بلا حجة ـ عن أنس ابن مالك ـ صحابي وهي أعلى مرتبة من مراتب العدالة عندهم ـ قال: (إن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كان عنده طائر فقال اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء أبو بكر فرده وجاء عمر فرده وجاء علي فأذن له)[1].

وكدليل آخر على ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف بان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحب الخلق إليه، وانه صلى الله عليه وآله وسلم كان ينتظر عليا دون غيره من البشر، فان بعض النصوص قد صرحت بان الإمام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم لما تأخر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن رده انس لعدة مرات، وبعد أن دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المرة الثالثة، قال له صلى الله عليه وآله وسلم: (ما حبسك

(١) السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٠٧، مسند أبي يعلى لأبي يعلى الموصلي ج ٧ ص ١٠٥ ـ ١٠٦.



علي فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم أنك على حاجة...)[١] وهو قول صريح في ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ما كان ينتظر غير أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

هاء: زعمه أنّ حديث الطائر المشوي معارض بحديث (...لاتخذت أبا بكر خليلا)

وقال ابن تيمية في منهاج السنة في محاولته لرد حديث الطائر المشوي وتكذيبه: (إن الأحاديث الثابتة في الصحاح التي أجمع أهل الحديث على صحتها وتلقيها بالقبول تناقض هذا فكيف تعارض بهذا الحديث المكذوب الموضوع الذي لم يصححوه، يبين هذا لكل متأمل ما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من فضائل القوم كما في الصحيحين انه قال «لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» وهذا الحديث مستفيض بل متواتر عند أهل العلم بالحديث فإنه قد اخرج في الصحاح من وجوه متعددة من حديث ابن مسعود وأبي سعيد وابن عباس وابن الزبير وهو صريح في انه لم يكن عنده من أهل الأرض أحد أحب إليه من أبي بكر فإن الخلة هي كمال الحب وهذا لا يصلح إلا لله فإذا كانت ممكنة ولم يصلح لها إلا أبو بكر علم انه أحب الناس إليه)[٢].

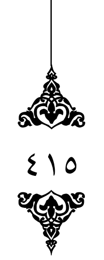
أقول: ويرد على هذا المتعنت المتعصب عدة أمور أهمها:

أولا: قوله عن حديث: (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا) بانه (الحديث مستفيض بل متواتر عند أهل العلم بالحديث فإنه قد اخرج في الصحاح من وجوه متعددة من حديث ابن مسعود وأبي سعيد وابن عباس وابن الزبير) محض افتراء وتفلسف وهذر للكلام.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) منهاج السنة لابن تيمية: ج٧، ص٣٧٥.



لان مجرد إخراجه من وجوه متعددة لا يصيره متواترا ولا مستفيضا، ولو كانت قاعدته سليمة وصحيحة للزم عليه ومن باب أولى تصحيح حديث الطائر المشوي، والحكم عليه بالتواتر أو الاستفاضة ، لأنه ورد عن طرق كثيرة جدا تفوق طرق الحديث الذي احتج به في فضائل أبي بكر، فلو كان حديث خلة أبي بكر متواترا أو مستفيضا لهذا السبب لكان حديث الطير أولى بالتواتر وأحق.

وقوله: إنّ أهل الحديث لم يصححوا حديث الطائر فهو كذب منه قد سبق الكلام عنه في الفقرات السابقة.

ثانيا: إن حديث (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا) قد صحح أهل السنة بعض طرقه، وان أكثر طرقه قد كذبت وضعفت، فكيف يكون حديثا أكثر طرقه مكذوبة وضعيفة متواترا ومستفيضا، وفيما يأتي جملة من أقوالهم وتصريحاتهم بضعف كثير من طرقه، استخرجناها من كتاب (مجمع الزوائد) للهيثمي وغيره.

قال الهيثمي: (عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. رواه الطبراني في الأوسط وفيه داود بن يزيد الأودي وهو ضعيف)[1].

وعن الهيثمي ايضا: (وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن إخوة الإسلام أفضل. رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن عبد الرحمن الواسطي ولم أعرفه)[2].

وقال الهيثمي: (وعن كعب بن مالك الأنصاري قال عهدي بنبيكم صلى

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٤٤.

(٢) المصدر نفسه.



الله عليه ـ وآله ـ وسلم قبل وفاته بخمس ليال فسمعته يقول لم يكن من نبي إلا وله خليل في أمته وان خليلي أبو بكر بن أبي قحافة وان الله اتخذ صاحبكم خليلا. رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف)[١].

وقال الهيثمي: (وعن أبي واقد قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابن أبي قحافة ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل. رواه الطبراني وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف)[٢].

وقال الهيثمي: (وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا وان خليلي أبو بكر. رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف)[٣].

وقال الهيثمي: (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ما من أحد أمن عليّ في يده من أبي بكر زوجني ابنته وأخرجني إلى دار الهجرة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخاه ومودة إلى يوم القيامة. رواه الطبراني وفيه نهشل بن سعيد وهو متروك)[٤].

وقال الهيثمي: (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ما من أحد أعظم عندي يدا من أبي بكر واساني بنفسه وماله. رواه الطبراني في الكبير والأوسط وزاد وأنكحني ابنته. وفيه أرطاة أبو حاتم وهو ضعيف)[٥].

---

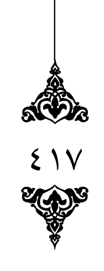
(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص٤٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه ص٤٥ ـ ٤٦.

(٥) المصدر السابق ص٤٦.



إضافة إلى أن هذه الرواية قد رواها عدة من المشهورين بالكذب وسرقة الحديث منهم، عمار بن هارون أبو ياسر المستملي، الذي قال عنه عبد الله بن عدي في (الكامل): (عمار بن هارون أبو ياسر المستملي بصري ضعيف يسرق الحديث ـ ومن أحاديثه المكذوبة قوله ـ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن الله عز وجل اتخذ صاحبكم خليلا وأبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون من موسى)[1].

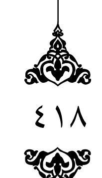
ومنهم يوسف بن خالد الذي أجمع أهل بلده على كذبه، قال عبد الله بن عدي: (...ثنا يوسف بن خالد السمتي ثنا كثير بن قاروندا عن عدي بن ثابت عن أبي الأحوص عن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخي وصاحبكم خليل الله» قال وهذا يرويه عن كثير يوسف بن خالد وكثير بن قاروندا عزيز الحديث كوفي وليوسف غير ما ذكرت من الحديث ورواياته فيها نظر وكان من أصحاب أبي حنيفة وقد أجمع على كذبه أهل بلده)[2].

فان قيل إن لحديث خلة أبي بكر طرقا أخرى صحيحة قلنا ولحديث الطائر المشوي طرق أخرى صحيحة، فان صححتم هذه لزم عليهم تصحيح حديث الطائر المشوي وان قالوا بكذب حديث الطائر المشوي لوجود بعض الطرق الضعيفة لزمهم الحكم على حديث خلة أبي بكر بالضعف أيضا، وإلا فقدحهم بحديث الطير وتصحيحهم لحديث الخلة ترجيح بلا مرجح.

---

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٥ ص ٧٥.

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ١٦٢.



وان قيل ان حديث الخلة متواتر لتعدد طرقه وكثرتها والمتواتر لا يلتفت إلى ضعف بعض طرقه لان حجيته تابعة لتواتره وليس لصحة طرقه وضعفها، قلنا ان حديث الطائر المشوي أولى بتطبيق هذه القاعدة عليه، لان طرقه كثيرة جدا تفوق حديث الخلة في الكثرة والجودة، فلو لم يلتفت إلى ضعف حديث الخلة لتواتره، لوجب عليهم أيضا عدم الالتفات لضعف بعض طرق حديث الطير، ولكان تواتره جابرا لضعف بعض طرقه.

ثالثا: ان هذه الخلة المزعومة لم تقع أصلا، وحديث الطير قد وقع فكيف يصح من ابن تيمية وغيره معارضة ما هو واقع ومتحقق بما لم يقع ولا تحقق، وبعبارة أخرى ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما طلب من رب العزة جل وعلا أن يأتي له بأحب الخلق إليه ليأكل معه من ذلك الطائر، قد وقع ذلك فعلا، فجاء الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فأكل من ذلك الطائر، فتحقق له وصف أحب الخلق إلى الله سبحانه.

أما حديث الخلة فلو سلمنا بصحته جدلا، فانه لا يثبت لأبي بكر فضيلة؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصيره خليله واقعا، واكتفى بإعطائه صفات يشترك فيها مع سائر الصحابة، ففي بعض النصوص: (ولكن أخوة الإسلام ومودته)[1]، وفي بعضها: (لكن خلة الإسلام أفضل)[2]، وفي بعضها (ولكنه أخي وصاحبي)[3]، وفي بعضها (ولكن أخوة الإسلام أفضل)[4]، وأمثال هذه الأوصاف العامة التي لا

---

(١) صحيح البخاري للبخاري ج ١ ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) فضائل الصحابة للنسائي ص ٣.

(٤) مسند ابن راهويه لإسحاق بن راهويه ج ٢ ص ٢٢.

تفيد زيادة كرامة ولا أفضلية، فإخوة الإسلام ومودته والصحبة والأخوة في الدين متحققة بين النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبين جميع أمته وصحابته، كما انها متحققة بين الصحابة أنفسهم، وبين بقية أفراد الأمة بعضهم مع بعضهم الآخر، فلا يمكن لمثل هذه الأوصاف العامة والمزايا التي لم يختص بها أبو بكر وحده أن تعارض حديث الطائر المشوي الذي اختص به أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه دون سائر الخلق.

رابعا: اننا لا نشك في أن حديث الخلة المزعوم هو من الأحاديث الموضوعة، ولنا على هذه الحقيقة عدة شواهد منها:

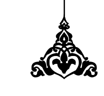
أ: ان هذا الحديث قد وقع كما زعموا في الأيام الأخيرة من حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ففي صحيح البخاري: (في مرضه الذي مات فيه)[1]، وفي صحيح مسلم: (قبل أن يموت بخمس)[2]، وفي هذا الوقت كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم في جيش أسامة بن زيد، فقد روى غير واحد من المؤرخين دخول هؤلاء وغيرهم من وجوه المهاجرين والأنصار في ذلك الجيش[3]، وقد اشتهر أمر عصيانهم وتخلفهم عن ذلك الجيش شهرة تغني عن الاستدلال، حتى اضطر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يخرج على الرغم من مرضه عاصبا رأسه مهدود القوى يتّكئ على الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ورجل آخر، فخطب فيهم محذرا ومشجعا ومصرا على إنفاذ جيش أسامة وإخراجه، حتى بلغ تشدده صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٠.

(٢) صحيح مسلم ج٢ ص٦٨.

(٣) راجع على سبيل المثال: الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج٢ ص٢٤٩، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٢٧ ـ ٢٢٩.





إلى درجة انه لعن كل من تخلف ولم يمض ويلتحق بذلك الجيش[(١)].

لكن القوم لم يخرجوا ولم يسيروا بهذا الجيش إلى أن لحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بربه وهو غضبان أسفا على أولئك الذين عصوا الرسول وخالفوا أمره وشملتهم اللعنة.

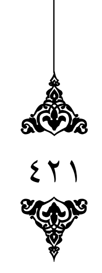
فكيف يعقل أن يكون أبو بكر من ضمن المتخلفين عن ذلك الجيش وشموله بذلك الذي صدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق من تخلف، ومع ذلك يتخذه أو كاد أن يتخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم خليلا، من دون العالمين، وهل هذا إلا تناقض حاشى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القيام به والوقوع فيه.

---

(١) قال الإيجي في كتابه (المواقف) ج ٣ ص ٦٤٩ ـ ٦٥٠: (قال الآمدي كان المسلمون عند وفاة النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم على عقيدة واحدة وطريقة واحدة إلا من كان يبطن النفاق ويظهر الوفاق ثم نشأ الخلاف فيما بينهم أولا في أمور اجتهادية لا توجب إيمانا ولا كفرا وكان غرضهم منها إقامة مراسم الدين وإدامة مناهج الشرع القويم وذلك كاختلافهم عند قول النبي في مرض موته «ائتوني بقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي» حتى قال عمر إن النبي قد غيبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط في ذلك حتى قال النبي «قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع» وكاختلافهم بعد ذلك في التخلف عن جيش أسامة فقال قوم بموجب الإتباع لقوله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم «جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه»).

وقال الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) ج ١ ص ٢٣: (الخلاف الثاني في مرضه أنه قال جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه فقال قوم يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة وقال قوم قد اشتد مرض النبي عليه الصلاة والسلام فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه (شرح نهج البلاغة) ج ٦ ص ٥٢: (وقام أسامة فتجهز للخروج، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله سأل عن أسامة والبعث، فأخبر أنهم يتجهزون، فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عنه وكرر ذلك).

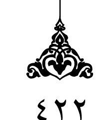


ب: ومما يدل على وضع هذا الحديث وانه لم يكن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانه اخترع وابتدع بعد استشهاده (صلى الله عليه وآله وسلم) وقيام من قام بعده، ان ابا بكر وعمر ومن كان معهما في سقيفة بني ساعدة لم يحتج أي منهم على الأنصار بهذا الحديث، مع انهم بأشد الحاجة إليه يومئذ لو كان هذا الحديث موجودا وله واقعية، فان القوم في سقيفة بني ساعدة حاولوا جاهدين تحشيد كل غث وسمين واستغلال أي أمر يمكن أن يثقل كفتهم أمام الأنصار، فاحتجوا بالصحبة وبالهجرة وبان أبا بكر كبير السن وغير ذلك من الأشياء العامة التي يشترك فيها مع بقية الصحابة، فلو كان لهذا الحديث وجود في زمن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لما تركه القوم ولصاحوا به ورفعوه على كل مئذنة ومنبر.

وتوجد أدلة أخرى تركناها للاختصار.

خامسا: ان حديث الخلة المزعوم قد وصف النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه خليل الله، وهو شاذ وغير محفوظ، وهو مخالف أيضا لإجماع الأمة الإسلامية شيعة وسنة، لان الأمة الإسلامية اجتمعت كلمتها على ان صفة (خليل الله) خاصة بنبي الله إبراهيم (صلوات الله وسلامه عليه)، وكون النبي الأعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (خليل الله) على ما تتبعناه لم نجده في نص وحديث آخر غير هذا الحديث المزعوم، ووجدنا أنّ كل من اثبت كون نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) (خليل الله) اعتمد على حديث الخلة، فيكون محتوى الحديث مخالفا لإجماع المسلمين، وما خالف إجماع المسلمين ضرب به عرض الحائط.

أضف إلى ذلك وجود نصوص كثيرة تحدثت عن اختصاص لقب (خليل الله) بنبي الله إبراهيم (صلوات الله وسلامه عليه) وعدم مشاركة غيره من أهل السماوات والأرض معه فيه، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في (المستدرك على الصحيحين)



قول الله سبحانه وتعالى لنبي الله إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم: (أما أنت يا إبراهيم فقد وجبت لك الجنة علي فأنت خليلي من بين أهل الأرض دون رجال العالمين وهي فضيلة لم ينلها أحد قبلك ولا أحد بعدك فخر إبراهيم ساجدا تعظيما لما سمع)[1].

وعن الحاكم أيضا في (المستدرك على الصحيحين): (فيقولون يا إبراهيم أنت خليل الرحمن قد سمع بخلتك أهل السماوات وأهل الأرض)[2].

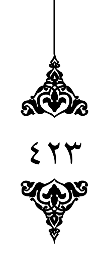
وعن احمد بن حنبل في مسنده قال: (...فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام يقول اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد فيستقبل العرش...)[3] فلو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ألقابه أو أوصافه (خليل الله) لورد الأمر (اكسوا خليلي) بصيغة المثنى.

وكذلك وردت الرواية باختصاص كل نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بلقب وصفة خاصة ميزته عن غيره ولا يشاركه فيها احد من بقية الأنبياء فضلا عن بقية العالمين، فنبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه خليل الله، ونبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه كليم الله، ونبي الله عيسى صلوات الله وسلامه عليه روح الله، ونبينا الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم حبيب الله، وقد وردت أحاديث عديدة في إيضاح اختصاص هؤلاء الأنبياء العظام بهذه الألقاب والأوصاف، ففي سنن الدارمي عن: (ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فتسمع حديثهم فإذا بعضهم يقول عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا فإبراهيم خليله وقال آخر ماذا بأعجب من:

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٢ ص ٥٦٠.

(٢) المصدر السابق ص ٥٤٩ ـ ٥٥٠.

(٣) مسند احمد ج ١ ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩.



وكلم الله موسى تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر وآدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجيه وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك بحلق الجنة ولا فخر فيفتح الله فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر)(١).

وعن: (عمرو بن قيس ان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال إن الله أدرك بي الأجل المرحوم واختصر لي اختصارا فنحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة واني قائل قولا غير فخر إبراهيم خليل الله وموسى صفي الله وأنا حبيب الله ومعي لواء الحمد يوم القيامة وان الله عز وجل وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث لا يعمهم بسنة ولا يستأصلهم عدو ولا يجمعهم على ضلالة)(٢).

فكون نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه (خليل الله) هي مسألة مفروغ منها، وكون نبينا صلى الله عليه وآله وسلم (حبيب الله) هي مسألة مجمع عليها، وما جاء في حديث الخلة المكذوب، مخالف لما مجمع على ثبوته واعتقاده، وما يكون كذلك يضرب به عرض الحائط حتى لو جاءت بعض نصوصه صحيحة السند.

سادسا: حتى لو تنزلنا وأغمضنا العين عن كل الملاحظات السابقة واللاحقة، وقلنا: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كاد يتخذ أبا بكر خليلا، وان أبا بكر وان لم يتخذه النبي كذلك إلا انه يتمتع بهذه الصفة، فانه مع كل هذا لا يصير أفضل

(١) سنن الدارمي لعبد الله بن بهرام الدارمي ج١ ص٢٦.

(٢) المصدر السابق ص٢٩.

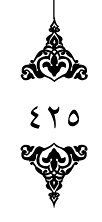
من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، لان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قد ثبت له مقام (أحب الخلق إلى الله) وأبا بكر بزعمهم قد ثبت له مقام (الخلة لرسول الله) ومقام الحب والمحبة ارفع درجة وأسمى من مقام الخلة، لان مقام الحبيب أعطي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومقام الخلة أعطي لإبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، وبما ان نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ارفع وأكمل من جميع الأنبياء فلابد أن يكون مقامه ـ الحبيب ـ ارفع من كل مقاماتهم حتى مقام الخليل، وعليه يصبح مقام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وما اختص بكونه (أحب الخلق إلى الله) أسمى وارفع مما أعطي أبا بكر من مقام الخلة لو صدقت الرواية، فكيف الحال والرواية المزعومة مكذوبة ملفقة.

سابعا: ان حديث الخلة المزعوم فيه ركاكة لغوية اعترف بها النووي في (شرح مسلم) بقوله: (قوله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم «ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله» هما بكسر الخاء فأما الأول فكسره متفق عليه وهو الخل بمعنى الخليل وأما قوله من خله فبكسر الخاء عند جميع الرواة في جميع النسخ وكذا نقله القاضي عن جميعهم قال والصواب الأوجه فتحها)[1].

واو: زعمه أنّ عائشة وأباها أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة وعلي صلوات الله وسلامه عليهما

واعترض ابن تيمية على حديث الطائر المشوي بقوله: (وقوله في الحديث الصحيح لما سئل أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قيل: من الرجال؟ قال: أبوها وقول الصحابة أنت خيرنا وسيدنا وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقوله عمر بين المهاجرين والأنصار ولا ينكر ذلك منكر وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم محبته تابعة لمحبة الله وأبو بكر أحبهم إلى الله تعالى فهو أحبهم إلى

(١) شرح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٥٣.



رسوله... فإن الصحابة أجمعوا على تقديم عثمان الذي عمر أفضل منه وأبو بكر أفضل منهما وهذه المسألة مبسوطة في غير هذا الموضع وتقدم بعض ذلك ولكن ذكرنا هذا لنبين أن حديث الطير من الموضوعات)[١].

أقول: ان جميع الأحاديث التي أوردها هذا المتعصب معارضة بغيرها من الأحاديث والدالة على خلاف مراده، فقد روي عن جميع بن عمير التيمي قال: دخلت مع عمتي على عائشة فسألت أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم؟ قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها إن كان ما علمت صواما قواما)[٢].

وعن ابن بريدة قال: (جاء رجل إلى أبي فسأله: أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من النساء؟ فقال: كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من النساء؛ فاطمة، ومن الرجال؛ علي)[٣].

وعن النعمان بن بشير قال: (استأذن أبو بكر على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فسمع صوت عائشة وهي تقول لقد علمت أن عليا أحب إليك من أبي مرتين أو ثلاثا قال فاستأذن أبو بكر فدخل فأهوى إليها فقال يا بنت فلانة لا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم. قلت[٤] رواه

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية الحراني ج٧ ص٣٨٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٥٧، وقد علق عليه الحاكم النيسابوري بقوله: (هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه).

(٣) سنن الترمذي ج٥ ص٣٦٢.

(٤) والقائل هو الهيثمي صاحب كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.



أبو داود غير ذكر محبة علي رضي الله عنه رواه البزار ورجاله رجال الصحيح)(١).

وقد صحح ابن حجر هذا الحديث والاعتراف من عائشة في (فتح الباري) بقوله: (وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي بسند صحيح عن النعمان بن بشير قال استأذن أبو بكر على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول والله لقد علمت أن عليا أحب إليك من أبي الحديث)(٢).

وهذه الأحاديث هي المتعينة دون التي ذكرها ابن تيمية في كلامه السابق، لعدة اسباب منها:

أ: ان أبا بكر لم يحتج في السقيفة بكونه أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كانت هذه الأحاديث لها حقيقة ومصداقية لما تهاون هو وأصحابه في ذكرها والاحتجاج بها.

ب: إضافة إلى ان أبا بكر وبمجرد أن وصل إلى الكرسي خطب خطبته المشهورة وصرح بعدم أفضليته على احد من المسلمين فضلا عن أفضليته على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فقد روى ابن كثير في (السيرة النبوية) عن أبي بكر في خطبته قوله: (أما بعد، أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني...ـ ثم علق ابن كثير بقوله ـ وهذا إسناد صحيح)(٣).

فأيهما نصدق يا ترى كلام أبي بكر على نفسه، وكلام عائشة عليها وعلى أبيها أم كلام ابن تيمية وأكاذيبه؟.

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ١٩.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٩٣.



وقد حاول ابن كثير أن يبرر لأبي بكر مقولته هذه واعترافه بأنه ليس من أفضل الصحابة بقوله: (فقوله رضي الله عنه: «وليتكم ولست بخيركم» من باب الهضم والتواضع)[١]، لكن ابن حزم أفحمه بالرد عليه وتكذيب هذا التبرير المضحك بقوله: (فإن قال قائل: إنما قال أبو بكر هذا تواضعاً!! قلنا له: هذا هو الباطل المتيقن، لأن الصديق الذي سماه رسول الله «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» بهذا الاسم[٢] لا يجوز أن يكذب، وحاشا له من ذلك، ولا يقول إلا الحق والصدق. فصحّ أن الصحابة متفقون في الأغلب على تصديقه في ذلك)[٣].

ونحن وان لم نكن نقر لابن حزم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سمى أبا بكر صديقا أو انه لم يكن يكذب أبدا، لأنه غير معصوم باعترافنا واعترافهم وغير المعصوم لابد أن يقع منه الكذب قطعا، إلا أننا إنما استشهدنا بكلامه لأنه أقوى عند الاحتجاج والإلزام، لان ابن حزم منهم بل من كبرائهم ورده عليهم هو رد بنفس الأدلة التي يعتقدون بصحتها ويؤمنون بصدقها.

وأما قول ابن تيمية: (وقول الصحابة أنت خيرنا وسيدنا وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقوله عمر بين المهاجرين والأنصار ولا ينكر ذلك منكر).

فليس في قول عمر هذا أي حجة على أفضلية أبي بكر، لان عمر بن الخطاب

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٩٣.

(٢) لقب الصديق هو من الألقاب التي أطلقها النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، ولكنه سرق منه ونسب إلى غيره مثلما سرقت كثير من ألقابه ونسبت إلى غيره وستأتي الاشارة إلى كثير منها في الصفحات القادمة من هذا الكتاب.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري: ج٤، ص١٠٦.



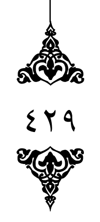
قالها ارتجالا في محل جدل مع الأنصار الذين لم يردوا عليه؛ لأنهم لم يكونوا في صدد المحاورة والنقاش حول من هو الأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما كان الأنصار وبعض المهاجرين يتمارى بعضهم مع بعض أيهم يأتي بكلام يغلب الآخر ويسكته، فلا يستكشف من سكوتهم الإقرار.

وكيف يستكشف الإقرار والأنصار كانوا فرقتين، ففرقة الخزرج كانت وبلا أدنى شك تفضل سعد بن عبادة، وفرقة الأوس كانت وبلا أدنى شك تفضل أسيد ابن حضير، وكثير من المهاجرين الذين لم يحضروا السقيفة لم يكونوا يفضلون أبا بكر، فعلي وبنو هاشم والزبير وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري وغيرهم من أعيان الصحابة كانوا يفضلون عليا على أبي بكر.

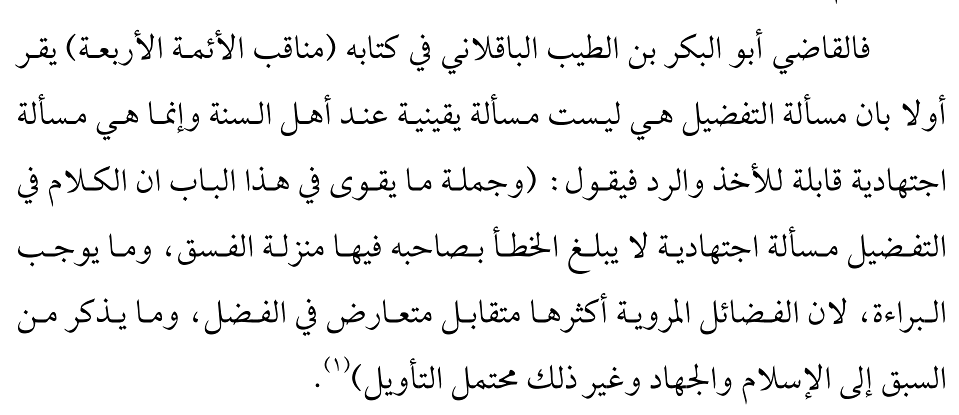
نعم كان هنالك ثلة قليلة ترى في أبي بكر أفضل من غيره، كعمر بن الخطاب وبعض من كان حاضرا في سقيفة بني ساعدة، ولا نريد أن ندخل في سبب هذا التفضيل من عمر بن الخطاب وغيره، ونكتفي بما خاطب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عمر بن الخطاب حينما رأى منه الاستقتال والاستماتة على بيعة أبي بكر فخاطبه بالقول: (إحلب حلبا لك شطره) أي نصفه، ثم لا عبرة بكلام عمر مع تكذيب أبي بكر لمقولته في خطبته التي تقدمت وتصريحه بأنه ليس أفضل هذه الأمة ولا خيرها.

وأما قوله: (فإن الصحابة أجمعوا على تقديم عثمان الذي عمر أفضل منه وأبو بكر أفضل منهما وهذه المسألة مبسوطة في غير هذا الموضع).

أقول: لا يزال ابن تيمية ــ عامله الله بعدله ــ ينتقل من كذبة إلى كذبة، وأعظم كذبة هي إدّعاؤه للإجماع في مسألة تفضيل عثمان بن عفان على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.



لان إجماع علماء أهل السنة على تفضيل أبي بكر وعمر على أمير المؤمنين لم يتحقق أصلا، فكيف عن أفضلية عثمان عليه صلوات الله وسلامه عليه، واليك دليل عدم انعقاد مثل هذا الإجماع الكاذب الذي ادعاه ابن تيمية، من أقوال علماء أهل السنة وأعلامهم.



فالقاضي أبو البكر بن الطيب الباقلاني في كتابه (مناقب الأئمة الأربعة) يقر أولا بان مسألة التفضيل هي ليست مسألة يقينية عند أهل السنة وإنما هي مسألة اجتهادية قابلة للأخذ والرد فيقول: (وجملة ما يقوى في هذا الباب ان الكلام في التفضيل مسألة اجتهادية لا يبلغ الخطأ بصاحبه فيها منزلة الفسق، وما يوجب البراءة، لان الفضائل المروية أكثرها متقابل متعارض في الفضل، وما يذكر من السبق إلى الإسلام والجهاد وغير ذلك محتمل التأويل)[1].

ثم يتوقف في مسألة التفضيل من دون أن يبدي أي ترجيح لأي طرف من الأطراف فيقول في الكتاب نفسه: (فأما القائلون بانا نقف من غير قطع على تفضيل أحد منهم أو قطع تساويهم في الفضل، فإنهم أقرب إلى الصواب، وأقدر على الاحتجاج)[2]

ثم صرح بعد ذلك بما يقضي على الإجماع الكاذب الذي ادعاه ابن تيمية، فقال: (وقد علمنا أن الصحابة مختلفة في التفضيل، فلا سبيل إذن لنا إلى العلم بان واحدا منهم أفضل من غيره)[3].

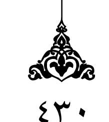
---

(١) مناقب الأئمة الأربعة للباقلاني ص٢٩٥ تحقيق الدكتورة سميرة فرحات، طبع دار المنتخب العربي ببيروت لسنة ١٤٢٢.

(٢) المصدر نفسه ص٥١٣ ـ ٥١٤.

(٣) المصدر نفسه.

وقال إمام الحرمين الجويني في كتابه (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد): (لم يقم عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الأئمة على بعض، إذ العقل لا يشهد على ذلك والأخبار الواردة في فضائلهم متعارضة...)[1].



وقال الآمدي في (أبكار الأفكار): (والذي عليه اعتماد الأفاضل من أصحابنا ـ يقصد بهم جمهور الأشاعرة ـ، انه لا طريق إلى التفضيل بمسلك قطعي، وأما المسالك الظنية فهي متعارضة، وقد يظهر بعضها في نظر بعض المجتهدين وقد لا يظهر)[2].

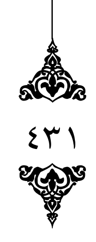
هذا وقد صرح مالك بن انس في كثير من كلماته التي نقلت عنه عدم تفضيله لأحد من العشرة ــ الذين يسمونهم بالعشرة المبشرة بالجنة ــ ولا غيرهم من الصحابة، قال ابن عبد البر في الاستيعاب عن عبد الله بن وهب: (قال سمعت مالكا يقول لا أفضل أحدا من العشرة ولا غيرهم على صاحبه وكان يقول هذا من علم الله الذي لا يعلمه غيره قال وقال مالك أدركت شيوخنا بالمدينة وهذا رأيهم)[3].

وقال ابن عبد البر أيضا عن إسماعيل بن أبي أويس: (عن مالك بن أنس قال ليس من أمر الناس الذين مضوا أن يفاضلوا بين الناس، وحدثنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا أحمد بن زهير قال سمعت مصعب بن عبد الله الوليدي يقول لم يكن أحد من مشايخنا الذين أدركت ببلدنا يفضل بين

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني ص٤٣١، حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، الناشر مكتبة الخانجى.

(٢) أبكار الأفكار للآمدي ص٣٠٩.

(٣) الاستذكار لابن عبد البر ج ٥ ص ١٠٨.



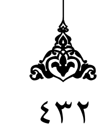
أحد من العشرة لا مالك ولا غيره)[١].

وقد نقل أبو الحسن الأشعري في (مقالات الإسلاميين) الاختلاف الشديد في تعيين من هو الأفضل ولم يذكر وقوع الإجماع الذي ادعاه ابن تيمية حيث قال: (واختلفوا في التفضيل: فقال قائلون: أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. وقال قائلون: أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أبو بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان. وقال قائلون: نقول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت بعد ذلك. وقال قائلون: أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم علي ثم بعده أبو بكر. وأجمع من ثبت فضل أبي بكر وعمر أن أبا بكر أفضل من عمر، وأجمع من ثبت فضل عمر وعثمان أن عمر أفضل من عثمان. وقال قائلون: لا ندري أبو بكر أفضل أم علي فإن كان أبو بكر أفضل فيجوز أن يكون عمر أفضل من علي ويجوز أن يكون علي أفضل من عمر وإن كان علي أفضل من عمر فهو أفضل من عثمان لأن عمر أفضل من عثمان وإن كان عمر أفضل من علي فيجوز أن يكون علي أفضل من عثمان ويجوز أن يكون عثمان أفضل من علي، وهذا قول الجبائي)[٢].

وقد ذهب جلة من العلماء كما وصفهم ابن عبد البر إلى تفضيل الصحابة الذين استشهدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من بقي منهم بعده، قال ابن عبد البر: (وقد ذهب قوم من جلة العلماء إلى القطع أن من مات في حياة رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من الشهداء مثل حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وسعد بن معاذ ومن جرى مجراهم ممن موتهم قبله وصلى عليهم وشهد

(١) الاستذكار لابن عبد البر ج٥ ص١١٠.

(٢) مقالات الاسلاميين لابي الحسن الاشعري ج١ ص١١٢.



بالجنة لهم أفضل ممن بقي بعده من أصحابه)[١].

ومنهم من كان يفضل عمر بن الخطاب على الجميع، كما قال ابن حجر في (فتح الباري): (ومنهم من قال أفضلهم مطلقا عمر)[٢].

ومنهم من كان لا يفرق أيهم صار الأفضل بشرط أن يعترف بفضل الشيخين ويحبهما، كما نقل ابن عبد البر في (الاستيعاب): (وذكر عبد الرزاق عن معمر قال لو أن رجلا قال عمر أفضل من أبي بكر ما عنفته وكذلك لو قال علي أفضل من أبي بكر وعمر لم أعنفه إذا ذكر فضل الشيخين وأحبهما وأثنى عليهما بما هما أهله فذكرت ذلك لوكيع فأعجبه واشتهاه)[٣].

كما وذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبنو هاشم، وشيعتهم قاطبة، وطائفة كثيرة من الصحابة والتابعين، ومعظم المعتزلة، والزيدية قاطبة إلى تفضيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، بصورة قاطعة لا تردد فيها.

وقد أخرجت كتب أهل السنة بأسانيد حسان كما قال الهيثمي في (مجمع الزوائد)[٤]، عن أبي الطفيل قال: (خطبنا الحسن بن علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه وذكر أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه خاتم الأوصياء ووصي الأنبياء وأمين الصديقين والشهداء ثم قال يا أيها الناس لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون لقد كان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عليه ولقد

---

(١) الاستذكار لابن عبد البر ج ٥ ص ١٠٦.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ١٥.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣ ص ١١٥٠.

(٤) ج٩ ص١٤٦.



قبضه الله في الليلة التي قبض فيها وصي موسى وعرج بروحه في الليلة التي عرج فيها بروح عيسى بن مريم وفى الليلة التي أنزل الله عز وجل فيها الفرقان... ثم قال من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ثم تلا هذه الآية قوله يوسف ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ ثم أخذ في كتاب الله ثم قال أنا ابن البشير أنا ابن النذير وأنا ابن النبي أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه وأنا ابن السراج المنير وأنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وولايتهم فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾...)[1].

فالإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه قد صرح وصدح بهذه الخطبة في الكوفة على مرأى ومسمع من مئات ـ إن لم يكن آلاف ـ الصحابة والتابعين، ولم يعترض أحد من هؤلاء الصحابة والتابعين على تفضيل الإمام أمير المؤمنين بتلك الكلمات، وهو إقرار منهم بصحة جميع ما في تلك الخطبة فتأمل.

ولولا خوف الإطالة لسردنا على القارئ الكريم عشرات المصادر التي صرحت بأن جملة من عظماء الصحابة كانوا يذهبون إلى تفضيل أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب على كل من أبي بكر وعمر وعثمان بل على جميع الخلق باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

فأين الإجماع المزعوم مع وجود كل هذا الخلاف، نعم قد ادعى غير واحد من أمثال ابن تيمية هذا الإجماع لإرغام أنوف أعدائهم وإفحام خصومهم والتشويش على خصومهم وهي طريقة معروفة مشهورة لمن يدلس الحق ويطمس الحقيقة.

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ج٩ ص١٤٦.





وأخيرا يتضح لك ان قول ابن تيمية الذي حاول أن ينهي به شبهاته المسمومة حينما قال (ولكن ذكرنا هذا لنبين أن حديث الطير من الموضوعات) هو عين الكذب وان شبهاته الفارغة هي الموضوعة وليس حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

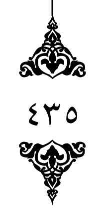
ثانيا: الإرهاب والتعسف في حق كل من يصحح حديث الطائر المشوي

بعد أن بينا في النقطة الأولى محاولات القوم المستميتة لرد أسانيد حديث الطير وطرقه وتضعيفها، نود أن نستعرض للقارئ الكريم بعض الأساليب الإرهابية والتعسفية التي استخدمت ضد كل من يحاول أن يذكر أو يصنف أو يروي أو يصحح حديث الطائر المشوي، ومنها نفهم سبب خوف كثير من أعلام أهل السنة ومحدثيهم تصحيح الحديث، ونفهم سبب عدم إخراج هذا الحديث في الصحاح أو الكتب المعتبرة الأخرى عند أهل السنة، لان من يرويه أو يصححه أو يجمع طرقه يرمى بالتشيع أو الرفض أو يضرب ويحبس في داره إن لم يقتل ويستباح دمه، وعلى هذه الحقيقة شواهد كثيرة منها.

ألف: طردهم ابن السقا وغسلهم موضعه بسبب تحديثه برواية الطائر المشوي

روى الذهبي في غير كتاب من كتبه قصة طرد ابن السقاء من تلامذته وطلابه من المسجد؛ لأنه حدثهم بحديث الطائر المشوي، فلم تنشرح قلوبهم لهذا الحديث ومحتواه، ولم يكتفوا بطرده حتى غسلوا مكانه الذي كان يجلس عليه، لاعتقادهم بان ابن السقا قد خرج عن الدين وصار نجسا وقد تنجس مكانه فاستوجب عليهم غسله وتطهيره، وقد ذكر الذهبي هذه القصة في كتابه (تذكرة الحفاظ) بعد تعريفه بشخصية ابن السقا ومنزلته العمية بقوله: (ابن السقاء الحافظ الإمام محدث واسط أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي...وقال علي

ابن محمد الطيب الجلابي في تاريخه: ابن السقاء من أئمة الواسطيين والحفاظ المتقنين...واتفق انه أملى حديث الطير فلم تحتمله نفوسهم فوثبوا به وأقاموه وغسلوا موضعه فمضى ولزم بيته فكان لا يحدث أحدا من الواسطيين، فلهذا قل حديثه عندهم)[1].



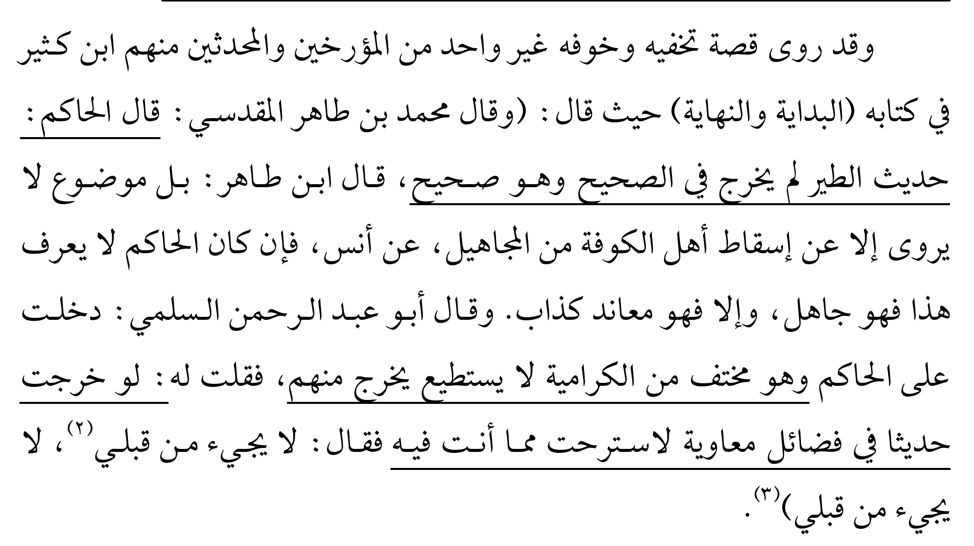
باء: خوف الحاكم النيسابوري وتخفيه في داره بعد كسر منبره لأنه حدث بحديث الطير وغيره

روى الحاكم النيسابوري عدة فضائل من فضائل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وصححها، وانتقد أصحاب الحديث وعاب عليهم عدم إخراجها في كتب الصحيح، منها حديث المنزلة، وحديث الطائر المشوي، وغير هذه الأحاديث، لكن علماء أهل السنة ومحدثيهم أنكروا عليه وبشدة إخراجه مثل هذه الأحاديث التي تضرهم وتحرجهم ولا تنفعهم، ولم يلتفتوا إلى أقواله وتصحيحاته ورموه تارة بأنه من المتساهلين في الرواية، ورماه بعضهم الآخر بالتشيع، وشنع عليه بعضهم الآخر بأنه رافضي خبيث، حتى بلغ به الحال أن حوصر إعلاميا واجتماعيا، وهيجت عليه هذه الأقوال وغيرها رعاع الناس وسفهاؤهم من أنصار الأمويين ومحبي أعداء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهوجم بعد أن كثرت عليه الاعتراضات والتحريض من بعض المخالفين بسبب إخراجه تلك الأحاديث، وحطموا منبره الذي كان يجلس عليه للتحديث والرواية، وهرب منهم وبقي متخفيا في بعض المنازل خوف القتل والأذى، وقد ذكر الخطيب البغدادي سبب هذه الفتنة بقوله: (جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم يلزمهما إخراجها في

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج٣ ص٩٦٥ ـ ٩٦٦، وراجع أيضا: سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٦ ص٣٥٢.





صحيحيهما، منها الحديث الطائر «ومن كنت مولاه فعلى مولاه» فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا فيه إلى قوله، ولا صوبوه في فعله)(١).

وقد روى قصة تخفيه وخوفه غير واحد من المؤرخين والمحدثين منهم ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) حيث قال: (وقال محمد بن طاهر المقدسي: قال الحاكم: حديث الطير لم يخرج في الصحيح وهو صحيح، قال ابن طاهر: بل موضوع لا يروى إلا عن إسقاط أهل الكوفة من المجاهيل، عن أنس، فإن كان الحاكم لا يعرف هذا فهو جاهل، وإلا فهو معاند كذاب. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: دخلت على الحاكم وهو مختف من الكرامية لا يستطيع يخرج منهم، فقلت له: لو خرجت حديثا في فضائل معاوية لاسترحت مما أنت فيه فقال: لا يجيء من قبلي(٢)، لا يجيء من قبلي)(٣).

وقال الذهبي في (تاريخ الإسلام): (وكان منحرفا غاليا عن معاوية وأهل بيته، يتظاهر به ولا يعتذر منه. فسمعت أبا الفتح سمكويه بهراة يقول: سمعت عبد الواحد المليحي يقول: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: دخلت على أبي عبد الله الحاكم وهو في داره لا يمكنه الخروج إلى المسجد من أصحاب أبي عبد الله بن كرام، وذلك أنهم كسروا منبره ومنعوه من الخروج، فقلت له: لو خرجت وأمليت في فضائل هذا الرجل شيئا لاسترحت من هذه المنحة. فقال: لا يجيء من قلبي، لا يجيء من قلبي)(٤).

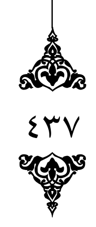
---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٣ ص ٩٤.

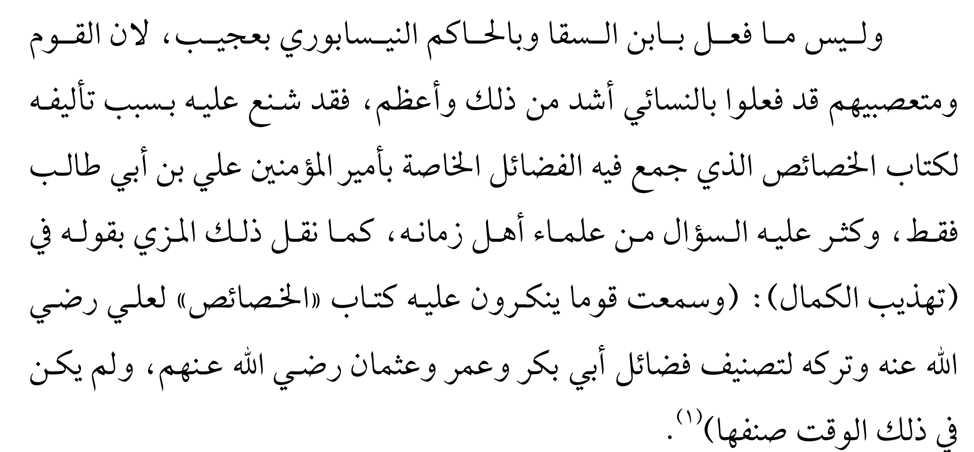
(٢) الصحيح من قلبي وليس من قبلي

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٤٠٩.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢٨ ص ١٣٢.



جيم: مقتل النسائي بسبب تأليفه كتاب (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)



وليس ما فعل بابن السقا وبالحاكم النيسابوري بعجيب، لان القوم ومتعصبيهم قد فعلوا بالنسائي أشد من ذلك وأعظم، فقد شنع عليه بسبب تأليفه لكتاب الخصائص الذي جمع فيه الفضائل الخاصة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقط، وكثر عليه السؤال من علماء أهل زمانه، كما نقل ذلك المزي بقوله في (تهذيب الكمال): (وسمعت قوما ينكرون عليه كتاب «الخصائص» لعلي رضي الله عنه وتركه لتصنيف فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولم يكن في ذلك الوقت صنفها)(١).

أقول: والله لو أن النسائي صنف كتابا مستقلا في فضائل عمر أو عثمان أو أبي بكر وغض الطرف عن ذكر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، لما أنكر عليه المنكرون ولا شنع عليه المشنعون ولا عاتبه احد من أهل زمانه في إغضائه وعدم ذكره لعلي بن أبي طالب وعدم تأليفه كتابا فيه، ولكنها العصبية العمياء قاتلها الله وقاتل من ينتهجها ويؤمن بها.

فكان النسائي يجيب المعترضين عليه بقوله الذي نقله أبو بكر المأموني حيث قال: (سألته عن تصنيفه كتاب الخصائص فقال دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير وصنفت كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله)(٢).

لكن هذا الجواب لم يقنع المتعصبين واستمرت عليه الضغوطات بحسب الظاهر مما اضطره اختيارا أو إجبارا إلى كتابة كتاب آخر أسماه (فضائل الصحابة)، ولكن المتعصبين لم يكتفوا منه بهذا القدر من التنازل والاعتذار، حتى طلبوا منه أن

---

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ١ ص ٣٣٨.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٣٣.

يكتب في فضائل معاوية بن أبي سفيان، حتى لا يكون لعلي فضائل وليس لمعاوية مثلها، لان ذلك انتقاص لمعاوية وإعلاء لشأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فلما رفض إعطاءهم سؤلهم والنزول عند رغباتهم ضربوه ضربا مبرحا أمرضه وأدى به إلى الوفاة، قال أبو بكر المأموني بعد كلامه المتقدم: (ثم صنف بعد ذلك كتاب فضائل الصحابة وقرأها على الناس وقيل له وأنا حاضر ألا تخرج فضائل معاوية فقال أي شيء أخرج اللهم لا تشبع بطنه وسكت، وسكت السائل)[(١)].

لكن هذا السكوت كان بمنزلة الهدوء الذي يسبق العاصفة، فقد طولب مرة أخرى بذكر فضائل معاوية بن أبي سفيان وروايتها وبعد رفضه للانصياع حدثت الفضيحة، قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: (سمعت علي بن عمر يقول: كان أبو عبد الرحمان النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعلمهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرملة، فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع. فقال: أخرجوني إلى مكة، فأخرجوه إلى مكة وهو عليل، وتوفي بها مقتولا شهيدا)[(٢)].

وقال ابن الأثير: (وقال الدارقطني: كان أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح من السقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرملة، فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه في الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة، فأخرجوه وهو عليل، فتوفي بمكة مقتولا

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٣٣.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ج ١ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩.



شهيدا، مع ما رزق من الفضائل رزق الشهادة في آخر عمره)[١].

وقال ابن الأثير في موضع آخر: (أنه إنما صنف الخصائص في فضل علي وأهل البيت، لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها في سنة ثنتين وثلاثمائة عندهم نفرة من علي، وسألوه عن معاوية فقال ما قال، فدققوه في خصيتيه فمات. وهكذا ذكر ابن يونس وأبو جعفر الطحاوي: أنه توفي بفلسطين في صفر من هذه السنة)[٢].

من هنا ومن خلال هذه الشواهد العديدة نفهم أمرين مهمين:

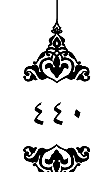
الأول: ان من يحاول الخروج عن الاعتقاد المألوف والمتداول عند أهل السنة يواجه بالضرب والإقصاء بل والقتل، لذلك لا نجد كثيراً من علمائهم يصرحون بكثير من الأحاديث الصحيحة عن أهل البيت وفضائلهم وأفضليتهم على غيرهم مع معرفتهم بها، خوفا من التيار الجماهيري الذي يمكن أن يثور عليه ويتصرف بطريقة تؤدي إلى قتله أو تهجيره أو إلحاق ضرر بالغ به أو بذويه.

الثاني: ان هذا التعامل القاسي والرهيب كانوا يتعاملون به مع علمائهم ومحدثيهم وحفاظهم من أهل ملتهم ومذهبهم وطريقتهم، فكيف كانوا يتعاملون يا ترى مع مخالفيهم ومعارضيهم ومن لا يشاركونهم في كثير من الأمور كالشيعة الإمامية وغيرهم، فمن هنا نعلم مدى قسوة تلك الأزمنة المظلمة، ومدى الاضطهاد والتعسف والإرهاب الفكري والاجتماعي الذي مورس ضد محدثي الشيعة الإمامية وسائر أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والذي ما يزال مستمرا إلى يوم الناس هذا.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ١٤١.

(٢) المصدر نفسه.



ثالثا: رفضهم الحديث ليس له أساس علمي وهو رفض مذهبي متعصب

إن لكل مذهب من المذاهب أو طائفة من الطوائف عقائد وأفكاراً ومتبنيات معينة، تتبلور ومع مرور الوقت شيئا فشيئا فتصبح قاعدة أساسية لا يمكن التنازل عنها أو التهاون فيها بحال من الأحوال، وهو ما يمكن أن نسميه بأصول المذهب، وأهل السنة بمحدثيهم وعلمائهم وعامتهم ونتيجة للتربية التي تلقوها عبر مئات السنين من الدول والحكومات التي تولت الزعامة منذ استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والى اليوم، تبلورت وتأسست لديهم مجموعة من الأفكار التي صارت مع مرور الوقت قاعدة لا يمكن التفاوض عليها، وأساساً لا يمكن التنازل عنه بحال من الأحوال.

وإحدى هذه القواعد والأسس التي تكونت وتبلورت مع مرور الوقت هي مسألة تفضيل كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فهذا التفضيل وكما عرفنا من قبل لم يكن على عهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك لم يكن على عهد الصحابة، لان كثيرا من الصحابة والتابعين سواء أفي عصر النبي الأعظم أم بعده كانوا يعتقدون بأفضلية الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على جميع الصحابة، ولهم في ذلك أدلة ومواقف وأقوال قالها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حق الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، ولكن هذه الفكرة قد تغيرت مع مرور الوقت لأسباب لا تخفى على المتتبع، فالحكومات التي تصدرت كرسي الخلافة كانت مجتمعة على رفض أن يكون للإمام أمير المؤمنين أي أفضلية على الشيخين، والناس على دين ملوكها، فصار من يقول بخلاف ما تقول به السلطة خارجاً عن القانون ويرمى بالرفض تارة وبالتشيع تارة أخرى، وكثيراً ما يضاف إليها كلمات أخرى



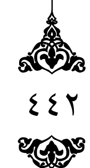
مثل شيعي خبيث أو رافضي ملعون أو رافضي متحرق أو غير ذلك، وهي تهم خطيرة آنذاك، والذي يتهم بها يصبح منبوذا من العامة ومطارداً مستباح الدم والمال من الدولة، وبهذه الطريقة تم استئصال فكرة أفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه من الجذور، ولم يبق لها قائل، وإذا تجرأ احد أعلام أهل السنة وقالها أو أشار إليها أو لمح لها فانه يحل عليه غضب السلطة والعلماء والعامة على حد سواء، ويطرد من درسه ويضرب ويحاصر في داره حتى يموت أو يتم اغتياله، كما فعلوا مع النسائي والحاكم النيسابوري وغيرهما.

وبهذا صار تفضيل أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه عقيدة وأساساً لا يمكن التنازل عنه والتفاوض بشأنه، وأصبح هذا الأمر أصلاً من أصول المذهب عندهم، هرم عليه الكبير، وشاب عليه الصغير، وألفته النفوس واستعذبته الأسماع، ولو أن الأمر توقف عند هذا الحد لهان الخطب، لكنه تعدى إلى أن أصبحت هذه العقيدة ميزانا توزن به الأحاديث النبوية، ومعيارا تصحح من خلاله الأحاديث النبوية أو ترفض، فما وافقها حكموا عليه بالصحة حتى وان جاء بالأسانيد الضعيفة أو المكذوبة، وما خالفها رفض وحكم عليه بالوضع والبطلان والشذوذ والغرابة وغير ذلك من الأوصاف حتى ولو جاء بأسانيد معتبرة صحيحة[1]، وهذا انحراف خطير جدا، لان

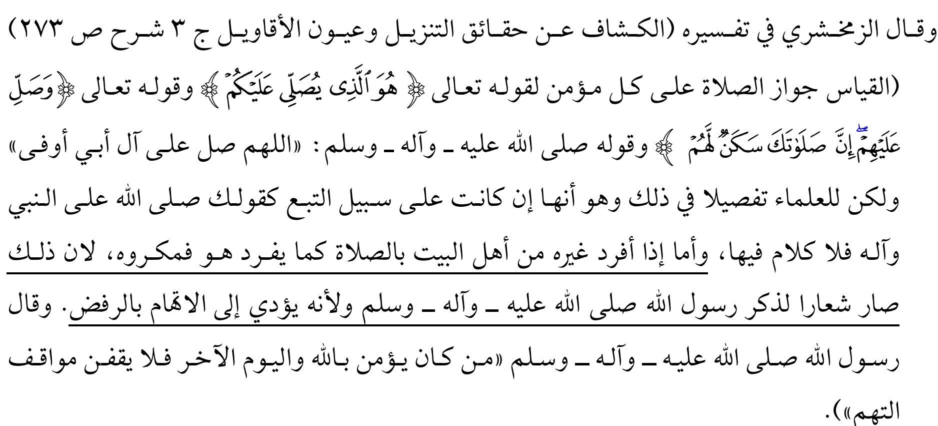
---

(١) وليس هذا القول منا تجنيا على أهل السنة ولا من باب الكذب عليهم فقد احتوت كتبهم وأبحاث علمائهم على عدة شواهد يتيقن معها الباحث من تأثير العقيدة على تصحيح الأحاديث والعمل بها او تكذيبها وتركها، فكم من حديث صحيح قد ثبت لديهم صحته عن النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه لكنهم فعلوا خلافه، وعملوا بعكسه، لان عقيدتهم وما تربت عليه أجيالهم تستمج هذه الأحاديث الصحيحة، ولا تستسيغ العمل بها.

ومن الشواهد على هذه الحقيقة ورود النص الصحيح عندهم بصحة الصلاة على أي إنسان كان، بان ←



يقال له (صلى الله عليك) ولكنهم رفضوا أن يقال (صلى الله على علي) أو (صلى الله على فاطمة) أو (صلى الله على الحسن والحسين) أو أن يقول (اللهم صل على محمد وآل محمد) ويقصد بآل محمد خصوص علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل لابد بزعمهم أن يدخل معهم آل جعفر بن أبي طالب وآل عقيل بن أبي طالب وغيرهم كزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة، وفي هذا الصدد يقول ابن حجر في (فتح الباري ج ١١ ص ١٤٦) (وقال ابن القيم المختار أن يصلي على الأنبياء والملائكة وأزواج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وآله وذريته وأهل الطاعة على سبيل الإجمال وتكره في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعارا ولا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه كما يفعله الرافضة... «تنبيه» اختلف في السلام على غير الأنبياء بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي فقيل يشرع مطلقا وقيل بل تبعا ولا يفرد لواحد لكونه صار شعارا للرافضة).



وقال الزمخشري في تفسيره (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ج ٣ شرح ص ٢٧٣) (القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ﴾ وقوله تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ وقوله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: «اللهم صل على آل أبي أوفى» ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها، وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه، لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض. وقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم»).

وقد تركوا سنة التختم باليمين مع ان فيها أحاديث صحيحة وتختموا باليسار لان الشيعة تتختم باليمين فلم تطاوعهم أنفسهم في التشبه بهم، فقد ورد في (سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٢٠٣ باب التختم باليمين) عن عبد الله بن جعفر قال: (إن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، كان يتختم في يمينه)، ومع ذلك نرى ابن عبد البر في (التمهيد ج٦ ص٨٠ ـ ٨١) يقول: (قد كان التختم في اليمين مباحا حسنا لأنه قد تختم به جماعة من السلف في اليمين كما تختم منهم جماعة في الشمال وقد روي عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم الوجهان جميعا فلما غلبت الروافض على التختم في اليمين ولم يخلطوا به غيره كرهه العلماء منابذة لهم وكراهية للتشبه بهم).

المفروض والصحيح هو ان يعرض المسلم عقائده على الكتاب العزيز والقرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قبله، وما خالف ذلك رفضه وضرب به عرض الجدار.

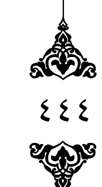


وحديث الطير قد مر بهذه المشكلة الخطيرة نفسها، لأنه يصرح وبكل وضوح ان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه هو الفرد الأحب إلى الله سبحانه ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وليس لأبي بكر وعمر وعثمان نصيب من هذه المنزلة الرفيعة، بل أكثر من ذلك فان بعض طرق الحديث تثبت بما لا يقبل الشك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحبط عدة محاولات لهم لإدخال أنفسهم في ضمن

ولو أحصينا جميع المخالفات لخرجنا عن الاختصار ولاحتاج الأمر إلى بحث مستقل، لكن ابن تيمية يريحنا ويريح القارئ الكريم؛ لأنه يجعل قاعدة كلية لهذه المسألة فيجوز مخالفة كل سنة تكون شعارا لأهل البدع في نظره القاصر، فيقول في (منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٤ ص١٤٥) (وهذا القول يقوله سائر الأئمة فإنه إذا كان في فعل مستحب مفسدة راجحة لم يصر مستحبا ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعارا لهم فلا يتميز السني من الرافضي ومصلحة التميز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب).

فسبحان الله كيف يصير في الفعل المستحب مفسدة راجحة، والمستحبات احكام شرعية انزلت وشرعت لكمال الانسان ومراعاة مصالحه الدنيوية والاخروية، فكيف يقلبها ابن تيمية وغيره من المصلحة الى المفسدة لمجرد ان مخالفيهم يفعلون تلك المستحبات ويتمسكون بها، وهذه اكبر ضربة لمن يدعي بان مصطلح (أهل السنة) مشتق ومأخوذ من التزام القوم بالسنة النبوية والاقتداء الحرفي والكامل بها، إذ يتبين ومن خلال تلك الأمثلة وغيرها الكثير ان هذا الالتزام بالسنة النبوية منهم هو التزام مزاجي أو كيفي، فمتى ما تماشت السنة مع ميولهم العقائدية وما تربوا عليه اخذوا بها ومتى ما خالفت السنة النبوية هذه الميول وتلك العقائد التي ترعرعوا عليها تركوها وضربوا بها عرض الجدار، وهذا أمر خطير للغاية، إذ صارت السنة النبوية تابعة غير متبوعة، وهو خلاف منهج القرآن والسنة المطهرة.

الحديث واستغلال الظروف، وهذه صدمة قوية وضربة قاضية لذلك المبدأ الفكري والعقائدي الذي تربى عليه صغيرهم ومات عليه كبيرهم، فكان من الطبيعي أن يرفض حتى لو جاء بمائة طريق صحيح، وحتى لو صححه عشرات الحفاظ والنقاد، ما دام يؤيد مذهب الشيعة او الروافض كما يحبون ان يسمونا، وليس هذا من باب الافتراء على القوم بل هذا هو المفهوم من كلمات أعلامهم وتصريحاتهم فيحديث الطائر المشوي نختار منها على نحو الإجمال والاختصار ما يأتي:



ألف: التوربشتي يحاول إدخال أبي بكر وعمر وعثمان في حديث الطائر المشوي

قال المباركفوري في (تحفة الأحوذي): (قَالَ التُّورِبَشْتِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ لا يُقَاوِمُ مَا أَوْجَبَ تَقْدِيمَ أَبِي بَكْرٍ وَالْقَوْلُ بِخَيْرِيَّتِهِ مِنْ الأَخْبَارِ الصِّحَاحِ مُنْضَمًّا إِلَيْهَا إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ لِمَكَانِ سَنَدِهِ فَإِنَّ فِيهِ لأَهْلِ النَّقْلِ مَقَالا وَلا يَجُوزُ حَمْلُ أَمْثَالِهِ عَلَى مَا يُخَالِفُ الإِجْمَاعَ... فَالسَّبِيلُ أَنْ يُؤَوَّلَ عَلَى وَجْهٍ لا يُنْقَضُ عَلَيْهِ مَا اِعْتَقَدَهُ وَلا يُخَالِفُ مَا هُوَ أَصَحُّ مِنْهُ مَتْنًا وَإِسْنَادًا وَهُوَ أَنْ يُقَالَ يُحْمَلُ قَوْلُهُ بِأَحَبِّ خَلْقِك عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ اِئْتِنِي بِمَنْ هُوَ مِنْ أَحَبِّ خَلْقِك إِلَيْك فَيُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ وَهُمْ الْمُفَضَّلُونَ بِإِجْمَاعِ الأُمَّةِ...فَيُؤَوَّلُ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَوْ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِأَحَبِّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ مِنْ بَنِي عَمِّهِ وَذَوِيهِ)[1].

أقول: ويرد على هذا القائل عدة أمور مهمة منها:

١: حاول التوربشتي من خلال قوله(هَذَا الْحَدِيثُ لا يُقَاوِمُ مَا أَوْجَبَ تَقْدِيمَ أَبِي بَكْرٍ وَالْقَوْلُ بِخَيْرِيَّتِهِ مِنْ الأَخْبَارِ الصِّحَاحِ مُنْضَمًّا إِلَيْهَا إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ لِمَكَانِ سَنَدِهِ فَإِنَّ فِيهِ لأَهْلِ النَّقْلِ مَقَالا وَلا يَجُوزُ حَمْلُ أَمْثَالِهِ عَلَى مَا يُخَالِفُ الإِجْمَاعَ) أن

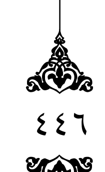
(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري ج١٠ ص١٥٣.



يضرب حديث الطائر المشوي من خلال سنده بحجة أن لأهل النقل فيه مقالاً، وكذلك حاول ضربه من خلال الإجماع الذي زعمه على أفضلية أبي بكر على غيره، وضربه أيضا لمخالفته للأخبار التي دلتهم بزعمه على أفضلية أبي بكر على غيره من الصحابة.

وجميع هذه الأدلة باطلة زائفة، فأما طعن حديث الطائر من خلال سنده وان لأهل النقل فيه مقالاً، فقد أثبتنا بطلانه وعدم إنصافه، وإلا فأي حديث من أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عندهم ليس لأهل النقل فيه مقال، فمعظم أحاديثهم سواءأ التي في الصحيحين أم غيرهما من الكتب، قد اختلفت أقوالهم فيها ما بين مكذب ومصدق، وما بين مضعف ومقوٍّ، فلو التزموا بإبطال كل حديث يوجد لأهل النقل فيه مقال لما بقي لهم حديث أصلا.

وأما الإجماع المزعوم على أفضلية أبي بكر على سائر الصحابة عموما وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على وجه الخصوص فهو إجماع كاذب لا رصيد له من الحقيقة، لأننا عرفنا في موضوع سابق، ان الصحابة والتابعين وغيرهم قد اختلفوا اشد الاختلاف فيمن هو الفضليات الصحابة، فمنهم من كان يرى أن الأفضل هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وهو الموافق للحق، ومنهم من كان يرى أن الأفضل هم الشهداء الذين استشهدوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من كان يرى ان عمر بن الخطاب هو الأفضل، ومنهم من كان يرى ان زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هن الأفضل، ومنهم من كان يرى غير ذلك كله، ولو أردنا الاستقصاء لطال بنا المقام، وهذا يكذب ادعاء الإجماع، نعم الإجماع قد حصل في عصور متأخرة جدا عن عصر الصحابة والتابعين وتابعي



التابعين، بل لم يكن في زمن أصحاب المذاهب الأربعة[١]، وقد تشكل وتبور بعدهم بوقت طويل، فهو إجماع متأخر بينا أسبابه من قبل، وهو ليس بحجة قطعا، لان الإجماع المعتد به والذي يكون له حجة شرعية هو إجماع الأمة منذ زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومرورا بعصر الصحابة ثم التابعين وتابعي التابعين ويستمر إلى يومنا هذا، وكل إجماع لا يكون كذلك فهو إجماع مكذوب ملفق، والإجماع الذي ادعاه التوربشتي وغيره من هذا القبيل.

أما محاولة ضرب الحديث بحجة انه مخالف للأحاديث التي نصت على أفضلية أبي بكر فهي محاولة فاشلة تضاف إلى محاولاته السابقة، لان جميع أحاديث فضائل أبي بكر وباعتراف أعلام أهل السنة معارضة بأحاديث أخرى نصت على أفضلية غيره عليه[٢]، إضافة إلى تكذيب أبي بكر لهذه الأفضلية بقوله: (وليتكم ولست

---

(١) تقدم قول انس بن مالك الذي نقله ابن عبد البر في (الاستذكار ج٥ ص١٠٨) (عن عبد الله بن وهب قال سمعت مالكا يقول لا أفضل أحدا من العشرة ولا غيرهم على صاحبه وكان يقول هذا من علم الله الذي لا يعلمه غيره قال وقال مالك أدركت شيوخنا بالمدينة وهذا رأيهم)، وفي (ص١١٠) عن إسماعيل بن أبي أويس: (عن مالك بن أنس قال ليس من أمر الناس الذين مضوا أن يفاضلوا بين الناس، وحدثنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا أحمد بن زهير قال سمعت مصعب بن عبد الله الوليدي يقول لم يكن أحد من مشايخنا الذين أدركت ببلدنا يفضل بين أحد من العشرة لا مالك ولا غيره).

(٢) قد تقدم قول إمام الحرمين الجويني في كتابه (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص٤٣١) (لم يقم عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الأئمة على بعض، إذ العقل لا يشهد على ذلك والأخبار الواردة في فضائلهم متعارضة...)، وقول الآمدي في (أبكار الأفكار ص٣٠٩) (والذي عليه اعتماد الأفاضل من أصحابنا ــ يقصد بهم جمهور الأشاعرة ــ، انه لا طريق إلى التفضيل بمسلك قطعي، وأما المسالك الظنية فهي متعارضة، وقد يظهر بعضها في نظر بعض المجتهدين وقد لا يظهر).

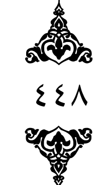


بخيركم). فجميع محاولات التوربشتي لضرب الحديث هي محاولات عقيمة تعود بالضرر عليه وتظهر مدى انحيازه وتصلبه في الباطل، لدفعه لكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحجج واهية ضعيفة.

٢: ولما كان التوربشتي يعلم في قرارة نفسه كذب الأدلة التي قدمها لرفض حديث الطائر المشوي وخطأها وضحالتها، عمد إلى محاولة أخرى هي أقبح من محاولاته السابقة، وهي المحاولة التي يلجأ إليها جميع محدثي أهل السنة حينما يضطرهم الحق إلى الاعتراف بشيء لا تستسيغه نفوسهم، فيهربون إلى التأويل للخروج من المأزق، فيحاول احدهم أن يجد للحديث ككل أو لبعض ألفاظه مخرجاً مشتركاً أو وجهاً ثانياً فيتمسك به ويرفض الرضوخ للمعنى الذي لا ينسجم مع مبتغاه[1]، وقد طبق التوربشتي هذه المحاولة هنا، فقال: (يُحْمَلُ قَوْلُهُ بِأَحَبِّ خَلْقِك عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ اِئْتِنِي بِمَنْ هُوَ مِنْ أَحَبِّ خَلْقِك إلَيْك فَيُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ وَهُمْ الْمُفَضَّلُونَ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ) ولا أظن أنّ هذا التأويل السقيم يحتاج إلى وقفة طويلة، لان قائله نسي او تعمد النسيان أنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم اعلم الناس بالعربية وهو أفصح من نطق الضاد، ولو أراد معنى غير الذي قاله في الحديث لما احتاج إلى رأي التوربيشي، فلو أراد أن يدخل غير علي في قوله: (ائتني بأحب خلقك) أو يستثني غيره من هذه الجملة لما عجز صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك حتى يحتاج إلى التوربشتي لينبهه إلى ذلك حاشاه، ولكنها العصبية البغيضة ومحاولة تحريف الكلم عن مواضعه.

---

(١) كما فعلوا مع حديث (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) فانهم لما وجدوا ان الحديث متواتر ولا يمكن نكرانه ورد أسانيده عمدوا الى تأويلهم للفظ المولى، فقالوا ان قصد النبي ليس هو الولاية بمعنى الحكومة والامارة، بل بمعنى الصديق والمحب وغير ذلك، فزعموا ان النبي كان يريد من كنت حبيبه فعلي حبيبه او من كنت صديقه فعلي صديقه وغير ذلك من الوجوه السقيمة.



باء: التفتزاني يقول إنّ أبا بكر وعمر مستثنيان من عبارة (ائتني بأحب خلقك)

قال التفتزاني في (شرح المقاصد في علم الكلام): (لا كلام في عموم مناقبه ووفور فضائله واتصافه بالكمالات واختصاصه بالكرامات إلا أنه لا يدل على الأفضلية بمعنى زيادة الثواب والكرامة عند الله بعدما ثبت من الاتفاق الجاري مجرى الإجماع على أفضلية أبي بكر ثم عمر...وأن أحب خلقك يحتمل تخصيص أبي بكر وعمر منه عملا بأدلة أفضليتهما... وأما حديث العلم والشجاعة فلم تقع حادثة إلا ولأبي بكر وعمر فيه رأي وعند الاختلاف لم يكن يرجع إلى قول علي رضي الله تعالى عنه البتة...)[1].

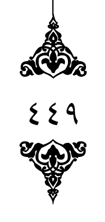
أقول: ومعنى تخصيص كل من أبي بكر وعمر من حديث الطائر المشوي، هو ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كان أحب الخلق إلى الله لكن باستثناء أبي بكر وعمر بن الخطاب فإنهما أحب إلى الله منه.

وهو كلام ضعيف للغاية فلو كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يريد ذلك لصرح به، وبما انه لم يصرح فيثبت انه لم يكن يريده، إضافة إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كان قاصدا استثناء كل من أبي بكر وعمر لما ردهما عن بابه حينما أرادا الدخول عليه والأكل معه من ذلك الطائر المشوي، فالإطلاق في اللفظ يشملهما وغيرهما، ولا يخرجان ولا غيرهما عن هذا الحديث.

جيم: الألباني يقول يمكن تصحيح الحديث لو ورد بغير صيغة التفضيل

قال الألباني في (السلسلة الضعيفة) بعد أن أورد جملة من طرق حديث الطائر المشوي وأسانيده: (قلت: فلو أن الحديث كان في أكثر طرقه بلفظ من هذه الألفاظ المتفقة المعنى، ولم تكن باسم التفضيل «أحب خلقك»، لكان من الممكن القول بثبوته، ويكون كحديث الراية الصحيح الذي في بعض رواياته: «لأعطين

(١) المقاصد في علم الكلام للتفتزاني ج٣ ص٤٦٦.



الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله...» رواه البخاري «٤٢١٠»، ومسلم «١٢٧/٧». لكن الواقع أن أكثر الروايات بلفظ اسم التفضيل: «أحب».. ومن هنا جاء الحكم عليه بالوضع ـ كما تقدم ـ)[1].

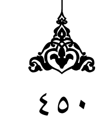
أقول: وهذا تصريح واضح ومهم يقدمه لنا الشيخ الألباني عن علة حكمهم على حديث الطائر المشوي بالوضع والنكارة والغرابة وغير ذلك من ألفاظ الجرح التي أطلقوها ضده، فالسبب إذن ليس عدم صحة أسانيده، أو ضعف رجال سلسلته، بل السبب هو ان حديث الطير يخصص مرتبة (الأحب) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، ولو كان الحديث لم يأتِ بهذه العبارة وجاء مثلا بصيغة (اللهم ائتني من أحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر) التي تقتضي كون الإمام أمير المؤمنين ليس هو الحبيب الوحيد أو الأفضل، فيترك الباب مفتوحا لدخول غيره معه، لان حرف الجر (من) يفيد التبعيض ويترك هنالك مجالا لدخول الأغيار، لصححوا الحديث.

إذن فمشكلة حديث الطائر المشوي ومعضلته هو انه جاء بلفظ (أحب خلقك) الذي قطع الطريق على كل من يحاول أن يدخل نفسه أو يدخله الآخرون في هذا الحديث غير أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فلما لم يستطيعوا احتماله ولا تأويله حكموا عليه بالوضع كما قال الألباني.

وبهذا ينتهي الكلام عن حديث الطائر المشوي الذي يثبت ان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أحب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى بعد نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تركنا كثيراً من كلمات القوم وطعونهم واقتصرنا على ما تقدم؛ لان الهدف من هذا الكتاب هو استعراض النماذج المهمة لا استقصاء جميع تلك النماذج.

---

(١) السلسلة الضعيفة للألباني ج١٤ ص١٨٤.



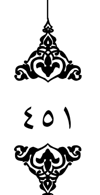
الحديث الثالث: فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنات وسيدة نساء أهل الجنة

بعض النصوص الصحيحة التي صرحت بهذه الفضيلة

وردت نصوص كثيرة صحيحة نصت بأجمعها على أن السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها لقبّها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بسيدة نساء هذه الأمة، أو سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء أهل الجنة، وغير ذلك، وفي بعض النصوص ان الله سبحانه هو الذي وصفها بذلك كما سيأتي، وقد اخترنا عدة نصوص من باب الشاهد والاختصار وليس من باب التطويل والاستقصاء، وهي كما يأتي:

أولا: ما أخرج في مسند احمد بن حنبل

قال: (ثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي قال ثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل قال حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا زكريا بن أبي زائدة عن الفراس عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم إنه أسر إليها حديثا فبكت فقلت لها استخصك رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حديثه ثم تبكين ثم إنه أسر إليها حديثا فضحكت فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عما قال فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حتى إذا قبض النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم سألتها فقالت إنه أسر إلي فقال إن



جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وانه عارضني به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي وانك أول أهل بيتي لحوقا بي ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك ثم قال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين قالت فضحكت لذلك)[١].

وورد أيضا في المسند: (حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يونس ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في الأرض أربعة خطوط قال تدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله اعلم فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن أجمعين)[٢].

ثانيا: ما أخرجه البخاري في صحيحه

قال البخاري: (حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا عن فراس عن عامر عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مرحبا يا بنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثا فبكت فقلت لها لم تبكين ثم أسر إليها حديثا فضحكت فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عما قال فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حتى قبض النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فسألتها فقالت أسرّ إليّ أن

---

(١) مسند احمد للإمام احمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق ج١ ص٢٩٣.



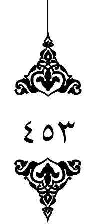
جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وانك أول أهل بيتي لحاقا بي فبكيت فقال أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك)[1].

وروى البخاري أيضا في (باب من ناجى بين يدي الناس ولم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به): (حدثنا موسى عن أبي عوانة حدثنا فراس عن عامر عن مسروق حدثتني عائشة أم المؤمنين قالت انا كنا أزواج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عنده جميعا لم تغادر منا واحدة فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي لا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فلما رآها رحب قال مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها فبكت بكاء شديدا فلما رأى حزنها سارها الثانية إذا هي تضحك فقلت لها أنا من بين نسائه خصك رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بالسر من بيننا ثم أنت تبكين فلما قام رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم سألتها عما سارك قالت ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم سره فلما توفي قلت لها عزمت عليك بمالي عليك من الحق لما أخبرتني قالت أما الآن فنعم فأخبرتني قالت أما حين سارني في الأمر الأول فإنه أخبرني ان جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وانه قد عارضني به العام مرتين ولا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقي الله واصبري فاني نعم السلف انا لك قالت فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارني الثانية قال يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة)[2].

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٣.

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٤١ ـ ١٤٢.



ثالثا: ما أخرجه مسلم في صحيحه

روى مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة مع ما رواه كل من احمد بن حنبل والبخاري ننقل منها محل الشاهد طلبا للاختصار، قال: (حدثنا) أبو كامل الجحدري فضيل بن حسين حدثنا أبو عوانة عن فراس عن عامر عن مسروق عن عائشة...قال يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة قالت فضحكت ضحكي الذي رأيت)[1].

رابعا: ما رواه الهيثمي وصححه

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد): (وعن عائشة قالت ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها قالت وكان بينهما شيء فقالت يا رسول الله سلها فإنها لا تكذب. رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى إلا أنها قالت ما رأيت أحدا قط أصدق من فاطمة، ورجالهما رجال الصحيح)[2].

وقال الهيثمي أيضا: (عن النعمان بن بشير قال استأذن أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول والله لقد عرفت ان عليا وفاطمة أحب إليك مني ومن أبي مرتين أو ثلاثا فاستأذن أبو بكر فأهوى إليها فقال يا بنت فلانة لا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قلت رواه أبو داود غير ذكر علي وفاطمة رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)[3].

---

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٤٢ ـ ١٤٤.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٢٠١.

(٣) المصدر السابق ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.





وقال أيضا: (وعن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في الأرض أربعة خطوط فقال أتدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ومريم ابنة عمران وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون. رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح)[١].

خامسا: تصحيح الحاكم وابن حجر لطرق تفضيل السيدة خديجة والسيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليهما

قال الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين): (الأخبار ثابتة صحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله ان فاطمة عليها السلام سيدة نساء هذه الأمة)[٢].

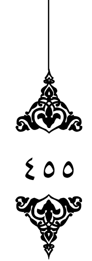
كما تجدر الإشارة إلى أن الحاكم قد صحح كذلك حديث نزول الملك من عند العلي الأعلى لإخبار النبي بان فاطمة بنت محمد هي سيدة نساء أهل الجنة، فروى عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (نزل من السماء ملك فاستأذن الله أن يسلم علي لم ينزل قبلها فبشرني ان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)

ثم علق الحاكم النيسابوري على هذا الحديث بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ـ أي مسلم والبخاري في صحيحيهما ـ)[٣].

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٢٢٣.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٤ ص ٤٤.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ١٥١.



أما ابن حجر فقد قال: (وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة على غيرهما وذلك فيما سيأتي في قصة مريم من حديث علي بلفظ خير نسائها خديجة وجاء في طريق أخرى ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة وذلك فيما أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والطبراني وأبو داود في كتاب الزهد والحاكم...)[١].

سادسا: تصحيح المناوي لحديث خير نساء العالمين أربع

قال المناوي في (التيسير بشرح الجامع الصغير): («خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» والمراد أن كلا منهن خير نساء الأرض في عصرها وأما التفضيل بينهن فمسكوت عنه «حم طب عن أنس» بإسناد صحيح)[٢].

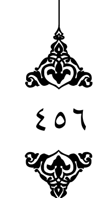
أقول: سيأتي أن التفضيل بينهن غير مسكوت عنه، وان الأدلة قائمة على أن أفضل الأربعة اثنتان خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما، وان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هي أفضل الاثنتين، فتكون صلوات الله وسلامه عليها أفضل الجميع بأدلة ستأتي في محلها إن شاء الله سبحانه.

سابعا: تصحيح الآلوسي لحديث ولم يكمل من النساء إلا أربع

قال الآلوسي في تفسيره: (وفي «الصحيح» كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون. ومريم ابنة عمران. وخديجة بنت خويلد. وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وفضل عائشة على

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٣٢١.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ج١ ص١٠٧٧.



النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[١].

أقول: سيأتي ان عبارة (وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) مدسوسة في ضمن هذه الأحاديث لهدف مذهبي، لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث في صدد تبيان الكاملات الأربع من النساء، ودخول عائشة أجنبي عن الهدف وغير متناسب مع السياق، فنشاز هذه العبارة بيّن وواضح يعرفه أدنى من له ذوق في اللغة والأدب.

هذا وستأتي قريبا نصوص أخرى كثيرة سواء من النصوص الروائية أم من أقوال أعلام أهل السنة وتصريحاتهم في الاعتراف والإذعان بكون السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها أفضل نساء العالمين من الأولين والآخرين.

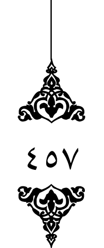
محاولات علماء أهل السنة التغطية على هذه الأحاديث وتمييعها

لم يكن هذا الحديث بمعزل عن الهجمات التي شنت ضد سائر فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولم تكن فضائل السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بمستثناة من تلك الحرب الضروس التي شنت على فضائل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فمثلما كانت الحرب شديدة وقاسية ضد فضائل الرجال، كذلك كانت قاسية وضروساً في ساحة فضائل النساء، فالحرب نفس الحرب والأهداف نفس الأهداف والغايات في كلا الحربين واحدة.

وقد أوضحنا في أوراق سابقة من هذا البحث، ان حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانت مليئة بتصريحات لا تعد ولا تحصى في حق أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان كفتهم كانت مثقلة بآيات كثيرة وأحاديث جمة نطقت

---

(١) تفسير الآلوسي ج ٢٨ ص ١٦٥.



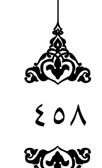
بتفضيلهم والثناء عليهم وجعلهم في مرتبة لا يطمع في إدراكها طامع، وهي إلى الآن وعلى الرغم من تعاضد قوى الظلام وسياسات الشر على طمسها وتحريفها وإخفائها تشع كالشمس في رابعة النهار أو كالقمر المنير في الليلة الحالكة الظلام، فكيف يا ترى كانت ستكون لو لم يمارس ضدها ذلك الإرهاب الفكري الذي طمس كثيرا من معالمها وملامحها ورونقها.

وكذلك أوضحنا ان الذين تسلقوا كرسي الحكم بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا فقراء من حيث التأييد والتزكية والتفضيل، ولكن وبعد أن جرت الدنيا بأيديهم، وسيطروا على الأموال والدماء، تغيرت الأوضاع وتبدلت الأحوال، فصار الذي قد كان بالأمس ينادي عليه أبو سفيان (غلبكم على هذا الأمر أذل أهل بيت في قريش)[1]، والذي يصف نفسه مخاطبا الطائر بقوله: (طوبى لك يا طير والله لوددت أني كنت مثلك، تقع على الشجرة وتأكل من الثمر ثم تطير وليس عليك حساب ولا عذاب، والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق مر علي جمل فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم إزدردني ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا)[2]، فصار مثل هذا الإنسان البسيط القدر والمنزلة وباعترافه، بعد توليه السلطة، وبعد جريان انهار الذهب والفضة على الوضاعين (يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق)[3] (ورئيسا في قريش

(١) هذا الكلام قاله أبو سفيان قاصدا به أبا بكر بعد بيعته في السقيفة، راجع: المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ٥ ص ٤٥١.

(٢) وهذا أيضا مما قاله أبو بكر على نفسه كما في المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج ٨ ص ١٤٤، وراجع أيضا كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٢ ص ٥٢٨.

(٣) صحيح البخاري ج ٣ ص ٥٨.



مكرما، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام)[١].

وصارت زعيمة المعارضة ورأس الحربة التي طالما طعنت نحور أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وصدورهم، والتي ثبت في الخبر الصحيح أنها تظاهرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي وصاحبتها مرارا وتكرارا، حتى نزل فيهما قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، فما زال قوله سبحانه في سورة التحريم ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[٢] يشهد على فعلتهما، ويصدح بمعاناة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من هاتين المرأتين اللتين كانتا تغضبان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يبقى عامة يومه غضبان، وإذا بين ليلة وضحاها تصبح من كانت تغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبيبته، وصارت من تتظاهر عليه وتتآمر لها فضل كفضل الثريد على سائر الطعام، وأصبحت بعد أن لم تكن، أفضل زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم وأقرب إليه من بناته.

فيوم السقيفة لم يكن انقلابا عسكريا أو سياسيا أو حكوميا فحسب، بل كان انقلابا أخلاقيا عقائديا مبدئيا بالدرجة الأولى، غير جميع القيم، وزيف كل الحقائق التي كانت كالشمس على عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، صير السادة أتباعا، وجعل من الأتباع ملوكا.

وواحدة من الحقائق التي زيفت وطمست وبدلت وحيكت حولها المؤامرات والخطط والمكائد بعد يوم السقيفة المشؤوم، هي حقيقة كون السيدتين خديجة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) سورة التحريم الآية ٤ ـ ٥.

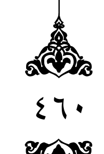


وفاطمة صلوات الله وسلامه عليها سيدتي نساء هذه الأمة وبلا منازع، بل وسيدتي نساء أهل الجنة وبلا منافس، فالدولة لم يكن يروقها هذا الأمر، لان السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كانت على قمة تيار المعارضة للدولة البكرية، فكان تثبيت هذا الوصف لها صلوات الله وسلامه عليها معناه تقويتها وشد القلوب والأفئدة نحوها، وهو يعني إضعاف الدولة وضربها في الصميم، إذ كيف تكون هذه الدولة شرعية وسيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة تقول بعدم شرعيتها، وترفع راية الحرب ضدها، وتدعو الناس جهرة وخفية للإطاحة بها، ونزع يد الطاعة عنها، وهو أمر إن لم يؤثر على الدولة البكرية في حينها، لاجتماع الأمة على هضم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقهرهم وغصب حقهم[1]، لكنه سيكون اخطر بكثير بالنسبة للأجيال القادمة والتي ستتساءل عن سبب ممانعة سيدة نساء العالمين ومعارضتها لهذه الدولة وستكتشف هذه الأجيال أمورا لا ترغب الدولة بفضحها وكشفها للأجيال القادمة.

فرأت الدولة انها إذا ما أرادت البقاء والصمود أن تقضي على هذه الفضيلة مهما كلفها الأمر، وسنورد للقارئ الكريم كيف خاض أهل السنة دولة وعلماءً، معارك شرسة وضارية ضد هذه الفضيلة، وكيف استماتوا في محاولة تفضيل عائشة بنت أبي بكر على نساء العالمين لا سيما خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما، وكيف جعلوها طرفا للتفاضل معهن ومع آسيا بنت مزاحم ومريم ابنة عمران صلوات الله وسلامه عليهما، بعد أن لم تكن تصلح طرفا للتفاضل مع بقية زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن أن تصلح طرفا للتفضيل مع سيدتي النساء خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما.

---

(١) إلا القليل ممن وفى ببيعته وراعى لهم حرمتهم.



أولا: محاولات متعمدة لتفضيل مريم بنت عمران وآسية على خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما

لم تكن أحاديث التفضيل لسيدات نساء العالمين ـ فاطمة وخديجة ومريم وآسية ـ تروق لرواة الحديث ولا للدولة، ولكن لا حيلة لدى القوم، لان هذه الأحاديث متواترة لفظا أو معنى، وقد ذكرتها جميع صحاحهم وسننهم ومسانيدهم، فالأمر اكبر من أن يسيطر عليه، فكان لابد للقوم من وضع مخططات بديلة تغير مسار تلك الأحاديث وتمنع أن يستغلّها خصومهم من أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فشنوا على هذه الفضيلة حربا من عدة محاور، ومن أكثر من اتجاه، وواحدة من تلك المحاور التي شنت الحرب منها، هي محاولاتهم اليائسة لجعل مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم أفضل من سيدتي نساء العالمين خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما، فالمهم عند القوم أن لا تكون السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها هي المتصدرة، ولا أمها خديجة بنت خويلد صلوات الله وسلامه عليها، خديجة التي كانت لعائشة معها أنباء وهنبثة وقيل وقال، سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله سبحانه، وسنتلو على القارئ الكريم بعض الطرق التي استخدمت لتحقيق هذا الغرض الشيطاني.

ألف: إشاعتهم أحاديث ليس فيها ذكر للسيدة خديجة والسيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهما

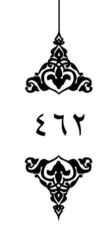
إن من أوضح نصوص التفضيل لسيدتي نساء العالمين خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنتها صلوات الله وسلامه عليهما هو حديث (خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون) والذي مر تصحيحه، وحديث (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع : آسية بنت مزاحم

امرأة فرعون. ومريم ابنة عمران. وخديجة بنت خويلد. وفاطمة بنت محمد) والذي مر أيضا ذكره وتصحيحه، وأحاديث أخرى كثيرة كلها تجمع على أن أفضل النساء عددهن أربع لا اقل من ذلك ولا أكثر، وهذا هو المعروف والمحفوظ والمشهور في كتب الحديث والرواية.



لكن ولان القوم ثقل عليهم أن تنفرد كل من السيدة فاطمة وأمها خديجة صلوات الله وسلامه عليهما بهذه المزية العظيمة والفضيلة الجليلة، ولا يكون لعائشة ولا لغيرها نصيب من ذلك، ابتدعوا أحاديث سرقت من السيدة فاطمة والسيدة خديجة صلوات الله وسلامه عليهما هذه المزية وسلبتهم هذه الفضيلة، وأُخرجا من تلك الأحاديث إخراجا متعمدا، وأهمل ذكرهما إهمالا مقصودا، واستبدلوا اسميهما باسم جديد هو اسم عائشة بنت أبي بكر، التي أقحم ذكرها في هذا الحديث إقحاما، كما سنرى ذلك واضحا من سياق ألفاظ الحديث.

وقد لعب أبو موسى الأشعري، الحليف والصديق والمقرب من السلطة منذ نعومة أظفاره، وحبيب قلوب الخوارج الذين قدموه ليكون الحكم في مسألة التحكيم التي وقعت بعد معركة صفين والتي اثبت فيها أبو موسى الأشعري بأنه ليس عدوا لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فحسب بل ومغفل أيضا والقضية مشهورة لا داعيَ للخوض فيها، فقد أخرج له أحمد بن حنبل في مسنده والبخاري ومسلم في صحيحيهما وغيرهم حديثا يفضل فيه آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران ويقحم معهما عائشة ويتجاهل ـ مأثوما موزورا ـ وبشكل متعمد ذكر سيدتي النساء خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما حيث قال مدعيا: (قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على



سائر الطعام)[١].

فاخرج أبو موسى الأشعري بظلمه كلاً من السيدة خديجة والسيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليهما من حديث التفضيل، وأقحم عائشة في وسط هذا الحديث إقحاما، وهذا الإخراج والإقحام متعمد واضح الأهداف، يشعر به ويعرفه أدنى الناس معرفة وإدراكا، وإلا لماذا أخرجت هاتان الشخصيتان بالتحديد؟ ولماذا دخلت هذه الشخصية بالتحديد أيضا؟ سؤال سهل ينتظر التاريخ من أبي موسى الأشعري ومن الذين روجوا حديثه وذكروه في صحاحهم الإجابة المقنعة الواضحة.

وقد أدرك القوم خطورة هذا الحذف المتعمد والمكشوف، وأدركوا انه كان ينبغي عليهم ان يتصرفوا بدهاء أكثر يبعد الشكوك ولا يثير الشبهات، فعمدوا إلى رواية حديث آخر، أدخلوا فيه السيدة خديجة صلوات الله وسلامه عليها، ولكنهم أصروا على إخراج السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها من هذا الحديث، فقد روى ابن كثير في (البداية والنهاية) حديثا صححه عن: (شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن إياس رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث، مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» رواه ابن مردويه في تفسيره. وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده)[٢].

أقول: ولنا على الحديثين عدة ملاحظات منها:

---

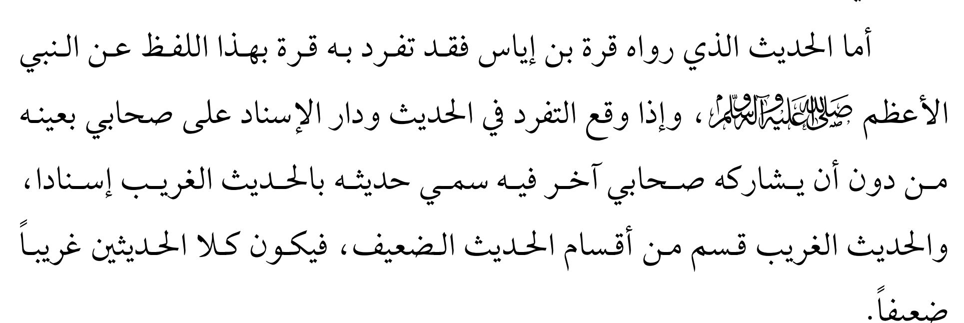
(١) راجع: مسند احمد ج ٤ ص ٣٩٤، و ج ٤ ص ٤٠٩ مع تقديم ذكر مريم على آسية امرأة فرعون، وراجع أيضا صحيح البخاري ج ٤ ص ١٣١ ــ ١٣٢، وصحيح مسلم ج ٧ ص١٣٣ بلفظ (...غير مريم بنت عمران وآسية...).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٥٩ ـ ١٦٠.



١: تفرد أبي موسى الأشعري وقرة بن إياس بهذا الحديث

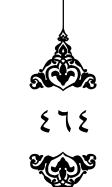
ففيما يخص الحديث الأول الذي رواه أبو موسى الأشعري فقد تفرد به أبو موسى الأشعري عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يروِ هذا الحديث بهذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أبو موسى وهذا معنى التفرد.



أما الحديث الذي رواه قرة بن إياس فقد تفرد به قرة بهذا اللفظ عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا وقع التفرد في الحديث ودار الإسناد على صحابي بعينه من دون أن يشاركه صحابي آخر فيه سمي حديثه بالحديث الغريب إسنادا، والحديث الغريب قسم من أقسام الحديث الضعيف، فيكون كلا الحديثين غريباً ضعيفاً.

ثم ان الحديث الثاني أيضا تفرد به معاوية بن قرة عن أبيه لان إياس بن معاوية لا يروي عنه احد غير ابنه، فيكون الحديث أضعف وأضعف، وقد ذكر بعضهم وهو الحق ان حديث أبي موسى الأشعري أيضا قد تفرد به محمد ابن جعفر، وهو أمر آخر يضاف إلى سابقه فيزداد به الحديث ضعفا على ضعفه.

والحديثان أيضا غريبان من حيث المتن، لان ما هو مجمع عليه بين المسلمين دخول السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليهما في ضمن النساء الكاملات مع كل من مريم وآسية وخديجة صلوات الله وسلامه عليهن أجمعين، فإخراجها وحصر الكمال في اثنتين أو ثلاث يعدّ مخالفة واضحة وصريحة لما هو مجمع عليه وما هو ثابت في الأحاديث الصحيحة، وهذه المخالفة تسمى بغرابة المتن، والمتن إذا صار غريبا ضعفت الرواية وسقطت في مقام التعارض.



٢: ان رواته متهمون بالانحراف عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلا يقبل منهم حديثهم بسبب الخصومة

ان كلاً من أبي موسى الأشعري وقرة بن إياس وابنه معاوية بن قرة متهم بالولاء للأمويين، ولجهات كانت معروفة بالعداوة والنصب لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيكونون من المتهمين الذين لا يقبل قولهم في حق خصومهم بسبب العداوة المذهبية أو التعصب غير الشرعي.

أما انحراف أبي موسى الأشعري عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه فهو أشهر من نار على علم، وقد شهد عليه عمار بن ياسر بالنفاق وان رسول الله قد لعنه ليلة الجبل ويقصد بها ليلة العقبة، فقد أخرج المتقي الهندي في (كنز العمال): (عن أبي نجاء حكيم قال: كنت جالسا مع عمار فجاء أبو موسى فقال: ما لي ولك؟ ألست أخاك؟ قال: ما أدري ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يلعنك ليلة الجبل، قال: إنه قد استغفر لي، قال عمار: قد شهدت اللعن ولم أشهد الاستغفار)[(١)]، لكن حديث عمار بن ياسر هذا لم يرق لعبد الله بن عدي، فشن عليه حملة في كتابه (الكامل) قائلا: (وهذا الحديث يروى من هذا الطريق ويرويه هذا الشيخ محمد بن علي بن خلف ومحمد بن علي هذا عنده من هذا الضرب عجائب وهو منكر الحديث والبلاء فيه عندي من محمد بن علي بن خلف)[(٢)].

إلا أن تضعيفه لمحمد بن علي بن الخلف المعروف بالعطار ورمي أحاديثه بالنكارة لم ينفع ابن عدي، لان الخطيب البغدادي اخرج توثيقا صريحا له نقله عن محمد بن منصور بقوله في (تاريخ بغداد): (محمد بن علي بن خلف، أبو عبد الله العطار الكوفي... سمعت محمد بن منصور يقول: كان محمد بن علي بن خلف ثقة

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٣ ص ٦٠٨.

(٢) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٢ ص ٣٦٢.



مأمونا حسن العقل)[١]، فالنكارة في أحاديثه من جهة أنها تخالف ما يعتقده ابن عدي من عدالة الصحابة ليس إلا، وهو قدح اجتهادي ليس فيه حجة قاطعة.

أضف إلى ذلك ان أبا موسى كان واجدا على الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بسبب عزله إياه عن إمارة الكوفة، كما قال ابن عبد البر في (الاستيعاب): (لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره عثمان على الكوفة إلى أن مات وعزله علي رضي الله عنه عنها فلم يزل واجدا منها على علي حتى جاء منه ما قال حذيفة فقد روي فيه لحذيفة كلام كرهت ذكره والله يغفر له ثم كان من أمره يوم الحكمين ما كان)[٢]، وقوله (فقد روي فيه لحذيفة كلام كرهت ذكره) فيه إشارة إلى ما كان يصرح به حذيفة من الإعلان بنفاق أبي موسى الأشعري.

وقد وصفه بالنفاق أيضا مالك الأشتر بقوله الذي ذكره الطبري في تاريخه إذ قال: (...نزل أبو موسى فدخل القصر فصاح به الأشتر أُخرج من قصرنا لا أم لك أخرج الله نفسك فوالله إنك لمن المنافقين قديما...)[٣].

وقد نص الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على عدم وثاقته وخيانته وابتعاده عن روح الولاء لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بقوله الذي نقله ابن الأثير في (الكامل في التاريخ) حيث قال: (...قال علي فإنه ليس بثقة قد فارقني وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى آمنته بعد أشهر...)[٤]، فيتلخص مما تقدم ان أبا

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٣ ص ٢٦٩.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣ ص ٩٨٠.

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٠١.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٣١٨ ـ ٣١٩.



موسى الأشعري شهد عليه عدة من الصحابة والتابعين بالنفاق وعدم الثقة، كما انه من المنحرفين عن الإمام أمير المؤمنين والموتورين منه، فإذا ما حدث حديثا فيه قدح أو انتقاص في حقه أو حق أهل بيته فانه لا يقبل منه للعداوة الظاهرة منه.

وأما راوي الحديث الثاني وهو (قرة بن إياس) وولده (معاوية بن قرة) فقد كان هواهم أمويا وهم من أعوان معاوية بن أبي سفيان وجنده، وقد قتل (قرة بن إياس) في جيش جهزه معاوية لقتال الأزارقة أو الخوارج، بقيادة (عبد الرحمن بن عبيس بن كريز القرشي العبشمي)[1] ومثل هؤلاء لا يقبل حديثهم إذا كان فيه انتقاص لأهل البيت أو إجحاف في حقهم بسبب هواهم الأموي المعروف بالعداوة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولان كلامهم حول أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لابد وان يكون منطلقا من وجهة نظر الساسة الأمويين.

٣: إن الحديث مقطع من عدة أحاديث ومجموع في حديث واحد لأسباب مذهبية

ان التحليل العلمي لحديث كل من أبي موسى الأشعري وحديث قرة بن إياس يثبت أنّ حديثيهما عبارة عن عدة أحاديث قطعت أطرافها، ومن ثم أدمجت مع حديث آخر، فخرج علينا حديث جديد ملفق من عدة أحاديث، وقد تم التقطيع والقص لفقرات الحديث ومن ثم إدخال حديث في حديث بعناية تامة وهدف مسبق ليؤدي إلى نتيجة مخطط لها سلفا.

فالحديث الأصلي هو ما رواه عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه قال: (كان ثابت البناني يحدث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال " خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت

(١) راجع كلاً من الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣ ص ١٢٨٠، التاريخ الكبير للبخاري ج ٧ ص١٨٠.



خويلد وفاطمة بنت رسول الله)[١] فزيادة كون عائشة كالثريد لم تأتِ هنا كما هو ملاحظ.

ويوجد حديث آخر مستقل روي عن انس وعن عائشة، فقد جاء عن انس بلفظ: (قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[٢]، وفي لفظ عائشة جاء هكذا: (إن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام)[٣]وليس فيه كما ترى ذكر لمريم ولا آسية ولا غيرهما.

وفيما بعد أخذ أبو موسى الأشعري جزءاً من الحديث الأول وهو ما يتعلق بمريم وآسية، وأخذ قرة ابن إياس مريم وآسية وخديجة، ثم أدخلا فيه حديث عائشة وأنس بن مالك المختص بالثريد، فكونوا منه وجبة جديدة شهية تجمع بين سيدات النساء وسيدات الطعام، وبهذا الشكل أخرجت السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها من هذه المائدة وتم استدعاء عائشة لتكون الطبق المميز في هذه السفرة الغنية والمليئة بالثريد.

فهذه بعض الملاحظات على هذه النقطة وقد تركنا غيرها للاختصار.

باء: محاولة ابن حزم إعطاء مقام النبوة لمريم كي تصبح أفضل من السيدتين فاطمة وخديجة صلوات الله وسلامه عليهما

انفرد ابن حزم الأندلسي وتابعه بعض معاصريه ومن أتى بعده بفكرة نبوة النساء، وقد عقد في غير واحد من كتبه بحثا أظهر فيه إيمانه بفكرة وجود نبيات من

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧١.

(٢) مسند احمد ج ٣ ص ١٥٦.

(٣) المصدر السابق ج ٦ ص ١٥٩.



النساء، مستفيدا بذلك من المعنى اللغوي لكلمة (نبي)، ففي كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) عقد بحثا بعنوان (نبوة النساء) اعترف فيه بان النزاع وإثارة هذا الموضوع لم يقع في العصور السابقة على عصره، وان المتنازعين اختلفوا إلى فرق ثلاث قد بينها بقوله: (هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه إلا عندنا بقرطبة وفي زماننا فإن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة في النساء جملة وبدعت من قال ذلك وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة وذهبت طائفة إلى التوقف في ذلك)[1].

وادعى ابن حزم ان المخالفين لفكرة نبوة النساء لا يملكون دليلا على مخالفتهم إلا قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾[2]، وان هذا لا يعد دليلا ناهضا، لان الآية المباركة تتكلم عن الرسالة والمرسلين ولا أحد يقول بان من النساء مرسلات، ثم يضع قاعدة يلزم بها نفسه تنص على ان كل من يعلمه الله سبحانه بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبئا له بأمر فهو نبي، فقال: (ما نعلم للمانعين من ذلك حجة أصلاً إلا أن بعضهم نازع في ذلك بقول الله تعالى﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾... وهذا أمر لا ينازعون فيه ولم يدع أحد أن الله

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٢ ص٥٩.

(٢) أقول قد تكرر هذا اللفظ في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، ففي سورة يوسف الآية رقم ١٠٩ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، وفي سورة النحل الآية رقم ٤٣ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، وفي سورة الأنبياء الآية رقم ٧ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.



تعالى أرسل امرأة وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق في ذلك بأن ينظر في معنى لفظة النبوة في اللغة التي خاطبنا الله بها عز وجل فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحي إليه منبئا له بأمر ما فهو نبي بلا شك)[١].

ومن هذا المنطلق ذهب ابن حزم إلى نبوة أم إسحاق؛ لان الملائكة حدثتها وبشرتها، فقال: (فقد جاء القرآن بأن الله عز وجل أرسل الملائكة إلى نساء فأخبروهن بوحي حق من الله تعالى فبشروا أم إسحاق بإسحاق عن الله تعالى قال عز وجل ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾[٢] فهذا خطاب الملائكة لأم إسحاق عن الله عز وجل بالبشارة لها بإسحاق ثم يعقوب ثم بقولهم لها أتعجبين من أمر الله ولا يمكن البتة أن يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه)[٣].

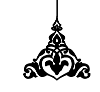
ثم ذهب إلى نبوة مريم بنت عمران عليها السلام بحجة ان جبرائيل قد أرسل إليها وخاطبها، وكذلك ذهب إلى نبوة أم موسى لان الله قد أوحى إليها أن تلقي ابنها في البحر، قال ابن حزم: (ووجدناه تعالى قد أرسل جبريل إلى مريم أم عيسى عليهما السلام يخاطبها وقال لها: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ورسالة من الله تعالى إليها... ووجدنا أم موسى عليهما الصلاة والسلام قد أوحى الله إليها بإلقاء ولدها في اليم وأعلمها أنه سيرده

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٢ ص٥٩ ـ ٦٠.

(٢) سورة هود الآية رقم ٧١ ـ ٧٣.

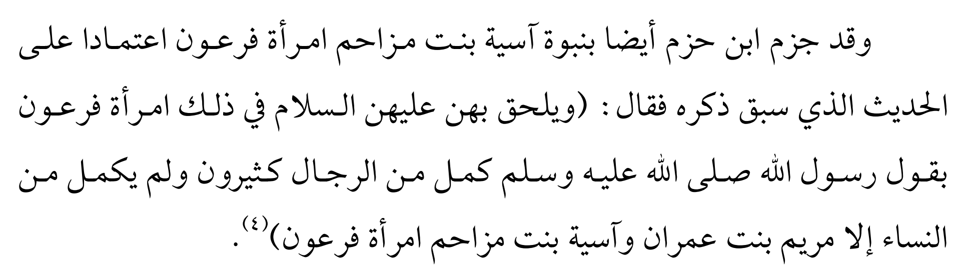
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٢ ص٦٠.






إليها ويجعله نبيا مرسلا فهذه نبوة لا شك فيها)[١].

ثم استدل ابن حزم بدليل ثانٍ أراد من خلاله إثبات صحة نبوة مريم بنت عمران عليها السلام، من خلال ذكرها ضمن عدة من الأنبياء في سورة مريم، ثم أردف ذكرهم بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾[٢]، فادخلها سبحانه بزعم ابن حزم في ضمنهم فتكون مشمولة بنفس وصفهم، قال ابن حزم: (ووجدنا الله تعالى قد قال وقد ذكر من الأنبياء عليهم السلام في سورة كهيعص ذكر مريم في جملتهم ثم قال عز وجل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم)[٣].



وقد جزم ابن حزم أيضا بنبوة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون اعتمادا على الحديث الذي سبق ذكره فقال: (ويلحق بهن عليهن السلام في ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثيرون ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)[٤].

ثم حاول الاستفادة من كل ذلك بالجزم بكون مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم أفضل النساء مطلقا، فقال: (وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من أوتيت النبوة من النساء بلا شك إذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة فلم يكمل فصح بهذا الخبر أن هاتين المرأتين كملتا

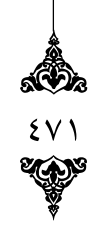
(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٢ ص٦٠.

(٢) سورة مريم الآية رقم ٥٨.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٢ ص٦٠.

(٤) المصدر نفسه.

كمالا لم يلحقهما فيه امرأة غيرهما أصلا)[1] فتندرج كل من السيدتين فاطمة وخديجة صلوات الله وسلامه عليهما تحت هذا الكلام.



وقد اخذ القرطبي هذا المعنى ليقول بكل صراحة: (فَظَاهِر الْقُرْآن وَالْأَحَادِيث يَقْتَضِي أَنَّ مَرْيَم أَفْضَل مِنْ جَمِيع نِسَاء الْعَالَم مِنْ حَوَّاء إِلَى آخِر اِمْرَأَة تَقُوم عَلَيْهَا السَّاعَة؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَة قَدْ بَلَّغَتْهَا الْوَحْي عَنْ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّكْلِيفِ وَالْإِخْبَار وَالْبِشَارَة كَمَا بَلَّغَتْ سَائِر الْأَنْبِيَاء؛ فَهِيَ إِذًا نَبِيَّة وَالنَّبِيّ أَفْضَل مِنْ الْوَلِيّ فَهِيَ أَفْضَل مِنْ كُلّ النِّسَاء ثم بعدها فاطمة ثم خديجة ثم آسية)[2].

أقول: ويرد على كلام ابن حزم السابق عدة ملاحظات مهمة، نورد فيما يأتي بعضاً منها:

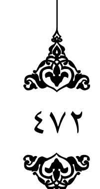
١: ان القول بنبوة النساء قول شاذ مخالف لإجماع أهل السنة فضلا عن سائر الأمة

اعترف ابن حزم في كلامه السابق بان القول بنبوة النساء قول محدث، تكلم فيه أهل زمانه، ويقصد بأهل زمانه الذين عاشوا في سنة (٤٥٦ للهجرة) أو قبلها بقليل، وهو دليل على قيام الإجماع من الأمة الإسلامية جمعاء بجميع طوائفها ومذاهبها وأعلامها على عدم نبوة النساء، وإجماع من هذا القبيل حجة شرعية، لا يضره مخالفة ابن حزم وشذوذه.

فان قال قائل وأين الذين صرحوا بهذا الإجماع على عدم نبوة النساء؟ قلنا لا يلزم في الإجماع أن يكون مصرحا به منقولا، فيكفي أن تأخذ الأمة الإسلامية بأمر جامع لا يشذ منهم شاذ ولا يخرج عليه منهم خارج فيكون إجماعا معتبرا.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٢ ص٦٠.

(٢) تفسير القرطبي ج٤ ص٨٣.



إضافة إلى وجود تصريح منقول من الحسن البصري المتوفى في سنة (١١٠ للهجرة) يمكن أن يكون كاشفا وبوضوح عن مثل هذا الإجماع، فقد نقل عن الحسن البصري قوله: (لَيْسَ فِي النِّسَاء نَبِيَّة وَلا فِي الْجِنّ)[1]، ولم ينقل لقوله هذا مخالف قبله ولا بعده إلى زمن ابن حزم، فيكون القول بإجماع الأمة على عدم تحقق مرتبة النبوة بالنسبة للنساء هو المتعين، ويكون قول ابن حزم مخالفاً لهذا الإجماع، وما خالف إجماع الأمة يعرض عنه ولا يؤخذ به.

إضافة إلى كل ذلك فلو كان لقول ابن حزم مصداقية وحقيقة لما أهملت آيات القرآن الكريم والنصوص النبوية الشريفة هذا الأمر ولأوضحته وصرحت به، ولتم تداوله على ألسنة الصحابة والتابعين واشتهرت به أقوالهم؛ لأنه أمر لا يسكت عنه لو كان موجودا، لان القرآن والسنة والصحابة والتابعين قد نقلوا لنا أمورا اصغر من هذا واقل أهمية فكيف يهملون جميعا مثل هذا الأمر المهم والضروري.

٢: لا يمكن الاعتماد على المعنى اللغوي بمفرده لإثبات نبوة النساء

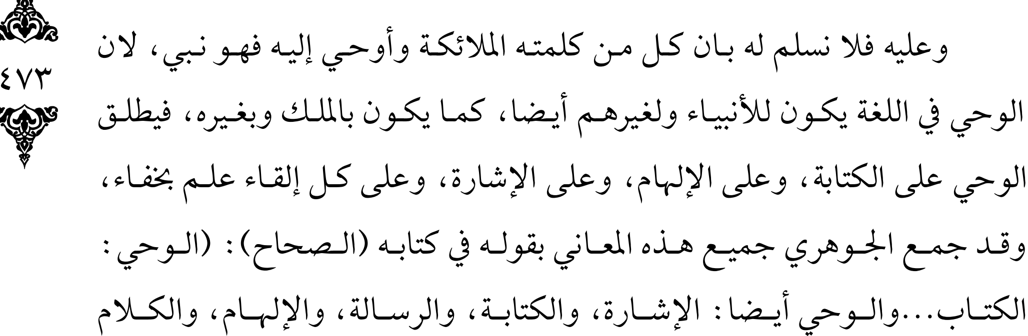
ان محاولة ابن حزم الأندلسي الاستفادة من المعنى اللغوي لكلمة (نبي) لإثبات ان من (أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحي إليه منبئا له بأمر ما فهو نبي) هي محاولة غير سديدة، لان المعاني اللغوية تختلف في كثير من الأحيان اختلافا كبيرا عن المعاني الشرعية، ولا يمكن الأخذ بالمعنى اللغوي مجردا عن النصوص الشرعية، فمعنى الصلاة لغة هي الدعاء، بينما المعنى الشرعي يختلف عن هذا اختلافا جذريا، فهي عبارة عن الهيئة المخصوصة المؤلفة من القراءة والركوع والسجود وغير ذلك من أركان الصلاة وواجباتها وشروطها وقيودها،

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج٦ ص٣٣٩.



وكذا الحال بالنسبة لبقية المسائل الشرعية والوظائف العبادية التي يكون المعنى اللغوي لها مختلفا اختلافا كبيرا عن معناها الشرعي، وعليه فلا يمكن له الاعتماد على المعنى اللغوي مجردا عن نظرة النصوص الشرعية إليه.



وعليه فلا نسلم له بان كل من كلمته الملائكة وأوحي إليه فهو نبي، لان الوحي في اللغة يكون للأنبياء ولغيرهم أيضا، كما يكون بالملك وبغيره، فيطلق الوحي على الكتابة، وعلى الإلهام، وعلى الإشارة، وعلى كل إلقاء علم بخفاء، وقد جمع الجوهري جميع هذه المعاني بقوله في كتابه (الصحاح): (الوحي: الكتاب...والوحي أيضا: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك...)[١].

وقد يطلق الوحي على الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[٢]، قال الخليل الفراهيدي في كتابه (العين): (وأوحى إليها في معنى الأمر. قال الله عز وجل: «بأن ربك أوحى لها»)[٣].

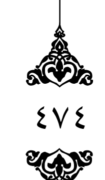
فلا يخرج الوحي إلى مريم وآسية وأم إسحاق عن واحدة من هذه المعاني، فتبشير الملائكة لسارة بولادة إسحاق ومن ثم يعقوب كما في قوله عز وجل ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[٤] لا حجة فيه على نبوة النساء مطلقا، لان الآية ليس فيها تصريح بان البشرى لأم إسحاق كانت من الملائكة بشكل مباشر، فلعله وهو الأقوى ان البشرى لها كانت بوساطة نبي الله وخليله

(١) الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢٥١٩ ـ ٢٥٢٠.

(٢) سورة الزلزلة الآية رقم ٤ ـ ٥.

(٣) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج٣ ص٣٢٠.

(٤) سورة هود الآية رقم ٧١ ـ ٧٣.



إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، فيكون خليل الله الواسطة بينها وبينهم، ويشهد لهذا الاحتمال قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[(٣)]، فهذه الآيات صريحة في ان البشارة كانت بالأصل لنبي الله إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه، وبالتبع لسارة أم إسحاق، وهذا الأمر يبطل استدلال ابن حزم للقاعدة المشهورة، وإذا ورد الاحتمال بطل الاستدلال.

وكذلك يبطل قول ابن حزم بان (أم موسى عليهما الصلاة والسلام قد أوحى الله إليها بإلقاء ولدها في اليم وأعلمها أنه سيرده إليها ويجعله نبيا مرسلا فهذه نبوة لا شك فيها) اذ ليس فيه تصريح قاطع وغير قابل للشك بنوع هذا الوحي، فقد يكون بالإلهام، وهو المشهور شهرة قوية، وقد يكون بالإشارة اليقينية التي تفهم منها أم موسى بان هذه الإشارة من الله سبحانه، وقد يكون عبارة أوحينا بمعنى أمرنا لان الأمر هو إحد معاني الوحي.

وكذلك إرسال جبرائيل إلى مريم ليهب لها غلاما زكيا فهو لا يدخل في باب النبوة في شيء، لان القول بنبوتها يلزم منه القول بأنها رسولة، لان الرسول كما هو مشهور من يأتيه الملك ويكلف بتكاليف يؤمر بإبلاغها إلى العباد، ومريم قد حصل معها هذا الأمر، ففي قوله تعالى ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[(٤)] قد تم تكليفها من الله تعالى بان

---

(١) سورة هود الآية رقم ٦٩.

(٢) سورة الحجر الآية رقم ٥٣.

(٣) سورة الذاريات الآية رقم ٢٨.

(٤) سورة مريم الآية رقم ٢٦.



تقول للناس ما قد بينته الآية وهذا الأمر يقتضي بحسب قواعدهم أن تكون رسولة، وهو باطل لورود النص القرآني بان الرسالة لا تعطى إلا للرجال دون النساء كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾، فإذا بطل كونها رسولة بطل كذلك كونها نبية، لان من يقول بنبوتها لابد وان يقول برسالتها والثاني باطل فالأول مثله.

وأما الدليل الثاني الذي قدمه على نبوة مريم بقوله: (ووجدنا الله تعالى قد قال وقد ذكر من الأنبياء عليهم السلام في سورة كهيعص ذكر مريم في جملتهم ثم قال عز وجل ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ ﴾ وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم) فهو دليل غير معتبر أيضا، لان هذه الآية الكريمة التي استشهد بها ابن حزم قد تحدثت عن الأنبياء الذين نصت الآيات التي قبل هذه الآية بكونهم أنبياء، أو قام الدليل القطعي على نبوتهم، مثل نبي الله زكريا ويحيى، والمذكورين في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا.. وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا... وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا... فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾ ومن ثم جاءت الآية المباركة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ ﴾، فالآية الكريمة تحدثت عن أنبياء قد تم تشخيصهم وذكرهم فيما سبق، ولا تريد تعميم القول على كل من ذكر في هذه السورة، هذا أولا.

وثانيا ليس في ذكر مريم في ضمن هذه السورة مع هؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دليل على نبوتها، لان القرآن غالبا ما يتحدث في ضمن السورة الواحدة عن عدة أنبياء وعن عدة شخصيات أخرى، فقد تحدث عن نبي

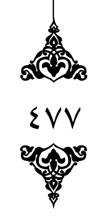


الله موسى وهارون صلوات الله وسلامه عليهما وفي الوقت نفسه تحدث عن فرعون وهامان وقارون، وتحدث عن نبي الله يوسف ويعقوب صلوات الله وسلامه عليهما وفي الوقت نفسه تحدث عن زليخا وأخوة يوسف، فليس كل من يرد اسمه بين الأنبياء لابد وان يكون نبيا.

وأما إلحاقه لآسية بنت مزاحم بمريم بنت عمران وغيرها وحكمه بنبوتها اعتمادا على الحديث الذي رواه (كمل من الرجال كثيرون ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون) فهو من أعجب العجب، إذ لو كان هذا الاستدلال متينا صحيحا، للزمه القول بنبوة كل من خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما بالاعتماد على نفس هذا الحديث نفسه، لأننا قد بينا سابقا بان الرواية الصحيحة هي (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون. ومريم ابنة عمران. وخديجة بنت خويلد. وفاطمة بنت محمد) فالعلة بالقول بنبوة خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما هي نفسها بالنسبة لآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

ولو قال بان النبوة قد ختمت بنبوة نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لقلنا بان ذلك لا يمنع من وصول كل من السيدتين خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما إلى هذا المقام السامي، وان منع الشرع من إطلاق لفظ النبية عليهما، وهذا هو الحق، فإذا لم يقر به لزمه عدم الإقرار بنبوة آسية بنت مزاحم اعتمادا على هذا الحديث.

وبهذا نستطيع الجزم بكذب نظرية نبوة النساء التي اخترعها ابن حزم والتي حاول البعض الاستفادة منها لتفضيل مريم بنت عمران وغيرها على كل من السيدتين الجليلتين خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليهما.



ثانياً: محاولاتهم تفضيل عائشة على السيدة خديجة والسيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليهما

لقد أخذت مسألة تفضيل نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عامة على سائر الصحابة وغيرهم من نساء المؤمنين عامة، أو تفضيل عائشة بنت أبي بكر على كل من خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما حيزا كبيرا في كلمات علماء أهل السنة وأقوالهم، فقد حاولوا جمع كل شاردة وواردة والاستفادة من كل ما يمكن الاستفادة منه في هذا المجال، ولكنهم ولحسن الحظ لم يعثروا على شيء ذي قيمة في هذا المجال، لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكما قلنا سابقا لم يعط امتياز التفضيل إلا لأهل بيته خاصة، وإذا أعطى لغيرهم شيئا لم يجعله إلا دون مرتبتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لذلك عجز أنصار الدولة وأصحاب الحديث عن إيجاد ما يمكن الاستفادة منه في حربهم ضد فضائل السيدتين الطاهرتين خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما، فتشبثوا كما سنرى بمجموعة من الأدلة الواهية التي هي كخيوط العنكبوت، من قبيل حديث الثريد، أو بعض الصفات التي حدثت بها عائشة عن نفسها، تجر بذلك النار إلى قرصها، وسنورد فيما يأتي أهم ما حاولوا الاستدلال به في تفضيلها على سيدتي النساء خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما، تاركين الخوض في جميع تلك الأدلة واستقصاء جميع ما قيل في هذا الموضوع، لان سردها والرد عليها يتطلب تأليفا مستقلا، عسى الله سبحانه أن يوفقنا لمثله في المستقبل آمين.

ألف: محاولات لابن حزم في تفضيل زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ابنته فاطمة صلوات الله وسلامه عليها

قال ابن حزم الأندلسي في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل): (وأما فضلهن على بنات النبي صلى الله عليه وسلم فبين بنص القرآن لا شك فيه قال الله



عز وجل ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ فهذا بيان قاطع لا يسع أحدا جهله)(1).

أقول: هذه الآية التي استشهد بها ابن حزم هي آية نزلت في ضمن آيات تحدثت عن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابد من ذكرهن لتصبح عند القارئ العزيز فكرة كاملة عن هذه الآية وما يحيطها من القرائن والدلائل التي يبطل سياقها ما ادعاه ابن حزم.

وهذه الآيات المباركة هي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾(2).

فهذه الآيات كلهن باستثناء قوله سبحانه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ قد نزلت في نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهي تشير إلى عدة أشياء مهمة منها:

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج1 ص475.

(2) سورة الأحزاب الآية رقم 28 ـ 34.



١: ان من زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم من كانت تميل إلى الدنيا ومنهن من كن يؤذينه

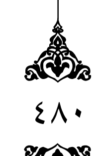
إن منهن من كانت تميل إلى متاع الدنيا، ومنهن من تؤذيه بغيرتها، ومنهن من تكلفه من النفقة ومتطلبات الدنيا والحلي ما كان يرهق كاهله صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك خاطبهن الله سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ ويشهد لذلك أيضا ما قيل في سبب نزول هذه الآية ووقوع هذا التخيير والتهديد لهن من الله سبحانه، فعن العيني في كتابه (عمدة القارئ) قال: (قال المفسرون: كان نساء النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، يسألنه من عروض الدنيا والزيادة في النفقة ويتأذى بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن وآلى منهن شهرا ولم يخرج إلى أصحابه، فنزلت آية التخيير. قوله: (إن كنتن تردن الحياة الدنيا)[1].

وقال العيني أيضا: (وقيل: لأنهن اجتمعن يوما فقلن: نريد ما تريد النساء من الحلي حتى قال بعضهن: لو كنا عند غير النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لكان لنا شأن وثياب وحلي، وقيل: لأن كل واحدة طلبت منه شيئا فكان غير مستطيع فطلبت أم سلمة معلما، وميمونة حلة يمانية، وزينب ثوبا مخططا وهو البرد اليماني. وأم حبيبة ثوبا سحوليا، وحفصة ثوبا من ثياب مصر، وجويرية معجرا، وسودة قطيفة خيبرية، إلا عائشة فلم تطلب شيئا)[2].

ولكن إخراج العيني لعائشة من هذا الأمر تحيز واضح وهو مخالف للنصوص التاريخية، لان بعض النصوص صرحت وبشكل جلي وواضح ان

(١) عمدة القاري للعيني ج ١٩ ص ١١٧.

(٢) المصدر نفسه.



عائشة كانت سبب هذه المشكلة التي وقعت بين النبي وبين زوجاته، كما قال الزيلعي في (تخريج الأحاديث والآثار): (حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الأعلى ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن في قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ قال أمره الله أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار قال قتادة وهي غيرة من عائشة في شيء أرادته من الدنيا وكانت تحته تسع نسوة....)[1].

أضف إلى ذلك أن الآية الكريمة صريحة في ان نساء النبي ينقسمن إلى قسمين فقسم محسنات أما القسم الثاني فغير محسنات وهو الظاهر من قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾، وهذا بيان قاطع وتصريح واضح لا يسع لأحد جهله، الا من اعمى الله بصره وبصيرته عن رؤية البديهيات، ثم اذا كان فيهن غير المحسنات صار كثير من نساء المؤمنين خيراً منهن وافضل، فكيف تقاس من حالهن بهذا الشكل بسيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها.

٢: ان التفضيل مشروط بالتقوى وطاعة الله ورسوله، فمن فقدت الشرط فقدت الاحترام

وبعد أن أوضحت لنا الآيتان السابقتان ان نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كن على صنفين، صنف كان يتعمد أذى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ويتمنى الدنيا وزينتها، وصنف منهن يردن الله ورسوله والدار الآخرة وهن المحسنات اللاتي اعد الله لهن أجرا عظيما، ولكي يحكم الله سبحانه بينهم بالعدل، فلا يضيع أجر من أحسن منهن، وفي المقابل لا يتجاوز عن المسيئة منهن، شدد على المسيئة منهن وتوعدها بضعفين من العذاب، وان منزلتهن كنساء وزوجات للنبي الأعظم

(١) تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ٣ ص ١٠٥.

صلى الله عليه وآله وسلم لن تمنع من مجازاتهن وعذابهن، بل ان قربهن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكونهن من زوجاته سيكون سببا لإنزال العقاب المضاعف عليهن كما قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾.

وبالعكس بالنسبة للمطيعات منهن، فان من تقنت منهن وتعمل صالحا يؤتها الله ضعفين من الأجر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾.

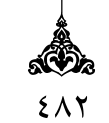
إذن فمجرد كونهن زوجات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون فضلا وفخرا لهن ما لم تنظم إليه التقوى والعمل الصالح، ولو كان مجرد كون المرأة زوجة للرسول أو النبي يصيرها أفضل أهل زمانها لما ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[1]، فإطلاق القول بأفضلية نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سائر النساء قول لا يتماشى مع روح القرآن وجوهره.

٣: ان الأفضلية في الآية تخص الثواب والعقاب لا غير

نحن لا نسلم لابن حزم ولا لغيره بأن قوله تعالى ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ ينص أو يشير إلى أفضليتهن على سائر النساء مطلقا، وبمعنى آخر ان الأفضلية هنا ليست إلا من حيث الثواب والعقاب، فالآيات كلها تتحدث عن تكليفهن بتكاليف معينة وترتيب الأثر الشرعي والجزائي على هذه التكاليف،

---

(١) سورة التحريم الآية رقم ١٠.



فبعد تخييرهن بين الحياة الدنيا وزينتها وبين تسريحهن سراحاً جميلاً جاء الجواب لمن اختارت الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ولابد من التأكيد على كلمة ﴿أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ إذ القرآن لا يرى مجرد اختيارهن لله ولرسوله فضيلة تعصمهن فيما يأتي من قابل أيامهن.

وبعد تحذيرهن بقوله سبحانه ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ يأتي الجزاء والأثر لمن تأتي بالفاحشة المبينة بقوله ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

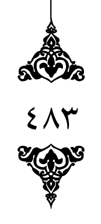
ثم يبين سبحانه ان المضاعفة لا تختص بالعذاب أو النكال فقط، بل تكون للحسنات والثواب أيضا، فمن تقنت منهن وتعمل صالحا تؤت ضعفين من الثواب والأجر ولها رزق كريم كما قال سبحانه ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

٤: ان مضاعفة الثواب والعقاب يشمل غير زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا اختصاص لهن به

ان مضاعفة الثواب ومضاعفة العذاب ليس أمرا خاصا بزوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بل شاركهن في هذا الأمر كثير ممن تكلمت آيات القرآن الكريم عنهم، فقد ضاعف الله سبحانه الثواب لمن ينفقون أموالهم ابتغاء رحمة الله قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

وقد أعطى سبحانه كفلين من رحمته لكل من يؤمن بالله ويتقيه، قال تعالى:

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٥.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

بل وضاعف سبحانه لمن ينفق أمواله في سبيل الله سبعمائة ضعف كما في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] والآيات التي تحدثت عن مضاعفة الحسنات والثواب كثيرة جدا تفوق ما نحن فيه من الاختصار.

إذن فحتى مسألة التشريف لنساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بمضاعفة الثواب على اعمالهن الصالحة هي ليست مما انفردن به دون بقية المسلمين، بل شاركهن في هذا الأمر طوائف ممن ذكرتهم الآيات السابقة وطوائف أخرى تركنا ذكرهم للاختصار.

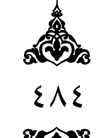
٥: ليس في كون المرأة زوجة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فضل لذاته ولابد ان يكون مقرونا بالتقوى والطاعة

لا يعني كلامنا السابق ان نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليس لهن فضيلة تذكر على غيرهن، كلا وكيف يكون كذلك وقد ثبت لبعضهن فضائل جمة لا تحصى كمثل الذي ثبت للسيدة خديجة بنت خويلد صلوات الله وسلامه عليها، بل الذي اقصده من كلامي السابق ان مجرد كون إحداهن زوجة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لا يصيرها أفضل من بقية نساء المسلمين، فربما كانت إحداهن أشر نساء المسلمين جميعا ان لم تلتزم بالتقوى والعمل الصالح ولم تقر في بيتها وغير ذلك من الأحكام والواجبات التي ألزمهن الله سبحانه بها.

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة الاية ٢٦١.

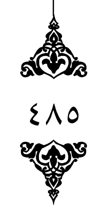


ففي مقام تفضيلهن على غيرهن يجب أن لا ينظر إليهن جملة واحدة، بل لابد وان ينظر الى حال كل واحدة منهن على حدة، فمن ثبت التزامها بالتقوى والبقاء في بيتها بعد رحيل زوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت من القانتات المصلحات المتمسكات ببقية الواجبات الملقاة على عاتقهن كانت منزلتها حيث انزلها الله سبحانه ثابتة يجب مراعاتها، أما اللاتي يثبت إخلالهن بحكم من الأحكام كعدم اللبث في بيوتهن كما أمرهن الله سبحانه أو عدم التقوى والطاعة لله ورسوله فلا فضل لها ولا كرامة، وسيقع في حقها ما وعدها الله سبحانه به من مضاعفة العذاب والنكال وكان ذلك على الله يسيرا.

٦: عائشة لم تلتزم بالشروط التي وضعتها الآية لزوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

بعد المراجعة لأقوال علماء أهل السنة ومحدثيهم تبين لنا وبوضوح أن زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفقا للمنظور السني تتراوح مراتبهن في الفضل، وان مرتبة الأفضل بالنسبة لهن مترددة ما بين السيدة خديجة الكبرى صلوات الله وسلامه عليها، وعائشة بنت أبي بكر، فبعضهم يقدم خديجة وبعضهم يقدم عائشة وبعضهم يتوقف، وكما اعتقد لا ينبغي التوقف في تفضيل السيدة خديجة على سائر نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن ضمنهم عائشة بنت أبي بكر، بل ولا ينبغي التوقف أيضا في تفضيل باقي نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عائشة بنت أبي بكر.

فأما تفضيل السيدة خديجة صلوات الله وسلامه عليها على سائر نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلورود الروايات الكثيرة والمتواترة لفظا أو معنى على كونها وابنتها الزهراء سيدتي نساء العالمين وسيدتي نساء أهل الجنة، وهو يعم نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهن، فنساء النبي داخلات في ضمن (نساء العالمين)



وكذا هن داخلات في ضمن (أهل الجنة) فتكونان أفضل منهن على وفق هذه الرواية.

وأما تقديم باقي زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على عائشة، فلالتزامهن أو أكثرهن بما كلفن به من التكاليف التي أوضحتها الآيات التي تقدمت سابقا، وعدم التزام عائشة بنت أبي بكر بجميع تلك الأحكام والشروط أو أغلبها، وخير دليل على عدم تمسكها وخضوعها لما افترضه الله سبحانه عليها، هو خروجها يوم الجمل، وسط الأعراب والرجال الأجانب، تنتقل من بلد إلى بلد، تاركة بيتها الذي أمرت بالاستقرار والمكث فيه حتى حلول أجلها، وليتها اكتفت بهذا القدر من المخالفة، فقد خرجت على إمام زمانها، وجيشت الجيوش ضده، وأراقت دماء الآلاف من الأبرياء من الصحابة والمؤمنين، وشقت عصا المسلمين، بما بقي أثره إلى يوم الناس هذا، بل وسيبقى هذا الأثر إلى قيام يوم الدين.

٧: خديجة أفضل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر نسائه أفضل من عائشة وفاطمة أفضل الجميع

فيتبين من جميع ما سبق ان سائر نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من عائشة بنت أبي بكر، وان خديجة أفضل نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لا لكونها زوجته فحسب بل لورود الأدلة الكثيرة على فضلها وعلو مرتبتها وقد تقدم بعضها وسيأتي بعضها الآخر إن شاء الله تعالى، وان السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أفضلهن جميعا، لأنها سيدة نساء أهل الجنة وسيدة نساء العالمين وجميع النساء داخلات في ضمن هذا اللفظ ومنهن زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حتى السيدة خديجة على ما لها من الفضل وعلو المنزلة والجاه عند الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.



باء: محاولة أخرى من محاولات ابن حزم لتفضيل عائشة على السيدة الزهراء صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهَا

وكمحاولة أخرى يائسة من ابن حزم لتفضيل عائشة على السيدة فاطمة الزهراء صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهَا حاول ابن حزم وبجميع جهده التفريق ما بين السيادة والفضل، ليصل عن طريق هذا التفريق إلى ان السيدة الزهراء صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهَا هي سيدة نساء المؤمنين ولكن عائشة أفضل منها لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم المزعوم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، فقال ابن حزم موزورا غير مأجور: (واستدركنا بيانا زائدة في قول النبي صلى الله عليه وسلم في أن فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو نساء هذه الأمة فنقول وبالله تعالى التوفيق إن الواجب مراعاة ألفاظ الحديث وإنما ذكر عليه السلام في هذا الحديث السيادة ولم يذكر الفضل وذكر عليه السلام في حديث عائشة الفضل نصا بقوله عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام...والسيادة غير الفضل ولا شك أن فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبي صلى الله عليه وسلم لها فالسيادة من باب الشرف لا من باب الفضل فلا تعارض بين الحديث البتة والحمد لله رب العالمين وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما هو حجة في اللغة العربية كان أبو بكر خير وأفضل من معاوية وكان معاوية أسود من أبي بكر ففرق ابن عمر كما ترى بين السيادة وبين الفضل والخير وقد علمنا أن الفضل هو الخير نفسه لأن الشيء إذا كان خيرا من شيء آخر فهو أفضل منه بلا شك)[1].

أقول: ويرد على هذا المتبجح المعاند عدة أمور منها:

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٤ ص١٠٣.



١: معنى السيادة في (سيدة نساء العالمين) و(سيدة نساء أهل الجنة) هو بمعنى أفضلهن

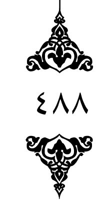
ان الأحاديث التي وردت عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حق ابنته وبضعته السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها يفسر بعضها بعضا، فقد ورد التعبير عن السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بـ(سيدة نساء العالمين) أو (سيدة نساء أهل الجنة) أو (سيدة نساء المؤمنين) كما في الحديث المروي في صحيح البخاري ومسلم ومسند احمد (...أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين...)[1]، وفي أحاديث أخرى ورد التعبير عنها صلوات الله وسلامه عليها (أفضل نساء أهل الجنة) كما في الحديث الذي أخرجه احمد بن حنبل في مسنده عن: (ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في الأرض أربعة خطوط قال تدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله اعلم فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن أجمعين)[2] فدل وبوضوح ان السيادة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم هي بمعنى التفضيل.

فيصبح كلام ابن حزم وإشكاله بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر السيادة ولم يذكر الفضل لا معنى له وهو كلام لا يقوله عالم متتبع للآثار والسنة النبوية المطهرة، لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ذكر الفضل في أحاديث أخرى، فإذا عطفنا أحاديث الفضل على أحاديث السيادة تبين أن معنى السيادة هنا هو الفضل، ويتبين أيضا تدليس ابن حزم وكذبه.

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٣.

(٢) المصدر السابق ج١ ص٢٩٣.



٢: لا يمكن لحديث الثريد من معارضة حديث (سيدة نساء العالمين) و(سيدة نساء أهل الجنة)

ان حديث الثريد المزعوم وان ذكر فيه التفضيل صريحا ولكن هيهات أن يعارض أو يساوي حديث (سيدة نساء العالمين) أو (سيدة نساء أهل الجنة) أو (أفضل نساء أهل الجنة فاطمة) فأين الثريد من سيادة نساء أهل الجنة، وأين سيدة الثريد من سيدة نساء العالمين، فحديث الثريد لو سلم من التزوير والكذب فليس له الأهلية للوقوف بوجه أحاديث تفضيل بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيدة نساء الدنيا والآخرة، ومحاولة ابن حزم الأندلسي للحط من قدر السيدة فاطمة الزهراء ورفع قدر عائشة بنت أبي بكر بحجة حديث الثريد هي محاولة مكشوفة الأغراض والأهداف للجاهل قبل العالم.

٣: دس ابن حزم لسمومه في العسل محاولة منه لتجريد السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها من فضائلها

ان محاولة ابن حزم لتجريد السيدة فاطمة الزهراء من كل فضل وميزة وكمال واضحة لا تخفى على بصير، وقوله (ولا شك أن فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبي صلى الله عليه وسلم لها فالسيادة من باب الشرف لا من باب الفضل) هو دس للسم في العسل، فهو يحاول ان يوحي للقارئ وبطريقة مفبركة أن لا فضل لسيدة نساء العالمين صلوات الله وسلامه عليها إلا بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها، وهو نفي منه لان يكون للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أي مزايا روحية وكمالات معنوية وهو قول لا يقوله إلا ناصبي متعصب للباطل زائغ عن الحق، لان السيادة كما أثبتنا في الفقرة الأولى هي من باب الشرف والفضل على حد سواء.



٤: إبطال كون ابن عمر حجة في اللغة العربية وهو الذي عجز عن طلاق زوجته

ان استشهاده بكلام ابن عمر على التفريق ما بين السيادة والفضل عجيب للغاية، والأعجب منه زعمه بان ابن عمر حجة في اللغة العربية، وهو من الأقوال التي لا ينفك سامعها عن الضحك، فمتى أصبح ابن عمر حجة في اللغة؟! ومن القائل بحجيته يا ترى سوى ابن حزم الدافع عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فضائلهم بأدنى سبب ومختلف الحجج، أليس ابن عمر هذا هو الذي عجز عن طلاق امرأته ولم يعرف كيف يطلقها، فكيف بمن لا يعرف أن يطلق امرأته أن يصير حجة في اللغة العربية.

ولكن هلا كلف ابن حزم نفسه ورجع إلى باقي أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شأن السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ليقارن ويكتشف بان معنى السيادة في الحديث هو معنى التفضيل نفسه كما أوضحنا ذلك في الفقرة الأولى بدلا من أن يأتي بكلام ابن عمر الذي يعرفه الجميع ويعرف توجهاته الأموية المناهضة لأهل البيت عليهم السلام.

جيم: محاولة ابن القيم تفضيل عائشة على السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بالعلم والمعرفة

حاول طائفة من أعلام أهل السنة ومحدثيهم تسليط الضوء على كثرة ما روي عن عائشة من الروايات والأحكام والأخبار والاستفادة من هذه الكثرة في مسألة التفضيل فيما بينها وبين السيدة خديجة بنت خويلد والسيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليهما، فزعموا أنّ كثرة الرواية والنقل تدل على العلم، والعلم يدل على الفضل، وليس للسيدة خديجة ولا السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليهما من الرواية والأحكام مثل ما لعائشة، وهذا يعني انها افضل، وهذا ملخص مفيد لمقاصد القوم ونياتهم على اختلاف ألفاظهم.



قال ابن القيم الجوزية: (فائدة التفضيل بين عائشة وفاطمة: الخلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة أو فاطمة أفضل إذا حرر محل التفضيل صار وفاقا فالتفضيل بدون التفصيل لا يستقيم فإن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله عز وجل فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالنص لأنه بحسب تفاضل أعمال القلوب لا بمجرد أعمال الجوارح وكم من عاملين أحدهما أكثر عملا بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة.

وإن أريد بالتفضيل التفضل بالعلم فلا ريب أن عائشة أعلم وأنفع للأمة وأدت إلى الأمة من العلم ما لم يؤد غيرها واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة أفضل فإنها بضعة من النبي وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير أخواتها وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الأمة وإذا ثبتت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل)[1].

ويرد على كلام ابن القيم بأمور عديدة منها:

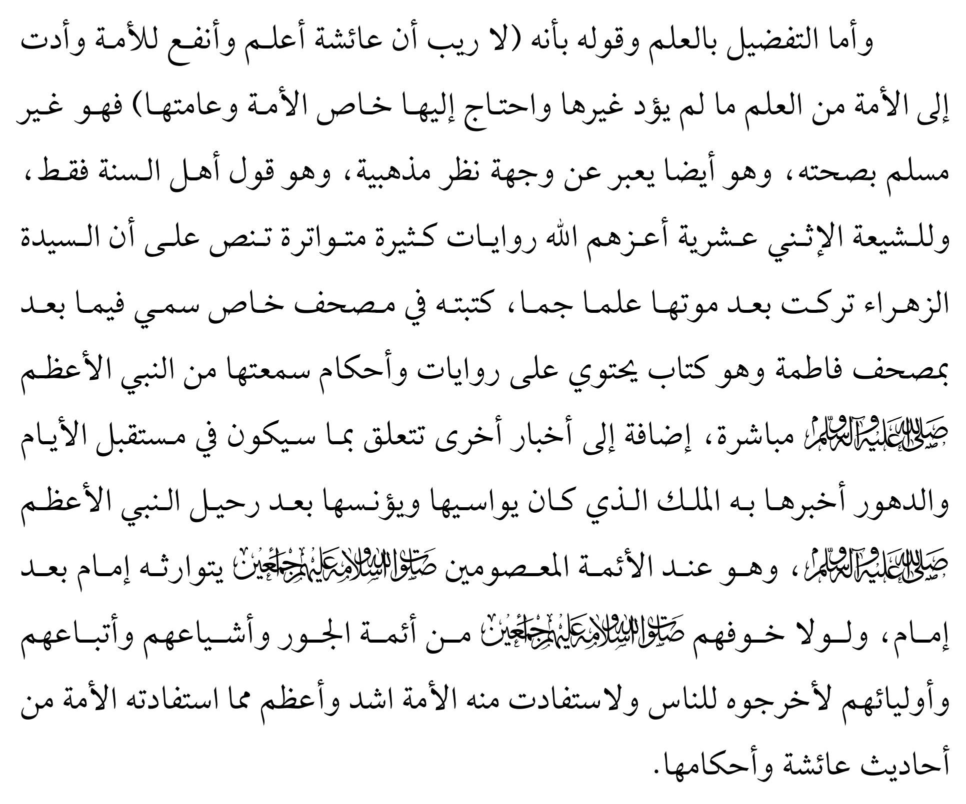
١: السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها أعظم ثوابا عند الله سبحانه من عائشة

ان التفضيل بكثرة الثواب عند الله سبحانه وان كان لا يطلع عليه إلا بالنص لأنه من أعمال القلوب، إلا أن النص موجود في مورد التفضيل ما بين السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها وعائشة، فالحديث الذي وصف السيدة فاطمة الزهراء بسيدة نساء أهل الجنة كافٍ لمعرفة كثرة ثوابها عند الله سبحانه؛ لأنها صلوات الله وسلامه عليها لو لم تكن أكثر نساء العالمين ثوابا لما صارت أفضلهن، فصيرورتها سيدة لنساء أهل الجنة يثبت فضلها على عائشة بنت أبي بكر بل على سائر نساء العالمين من حيث الثواب المتعلق بالجوارح والقلوب.

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية ج٣ ص٦٨٢.





٢: السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أعظم علما واكبر فائدة من عائشة

وأما التفضيل بالعلم وقوله بأنه (لا ريب أن عائشة أعلم وأنفع للأمة وأدت إلى الأمة من العلم ما لم يؤد غيرها واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها) فهو غير مسلم بصحته، وهو أيضا يعبر عن وجهة نظر مذهبية، وهو قول أهل السنة فقط، وللشيعة الإثني عشرية أعزهم الله روايات كثيرة متواترة تنص على أن السيدة الزهراء تركت بعد موتها علما جما، كتبته في مصحف خاص سمي فيما بعد بمصحف فاطمة وهو كتاب يحتوي على روايات وأحكام سمعتها من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، إضافة إلى أخبار أخرى تتعلق بما سيكون في مستقبل الأيام والدهور أخبرها به الملك الذي كان يواسيها ويؤنسها بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو عند الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يتوارثه إمام بعد إمام، ولولا خوفهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أئمة الجور وأشياعهم وأتباعهم وأوليائهم لأخرجوه للناس ولاستفادت منه الأمة اشد وأعظم مما استفادته الأمة من أحاديث عائشة وأحكامها.

ثم ان السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لم يمهلها الأجل ولم تعطها السلطة التي كانت عائشة إحدى ركائزها ودعائمها الفرصة لنيل ما تستحقه من العناية بها وبحديثها، فقد قطفت زهرة عمرها في الأيام الأولى لرحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا، فلم تحظ بفرصتها كمحدثة وعالمة، ولم تهتم السلطة بها وبحديثها مثلما اهتمت بعائشة وبحديثها، بل العكس هو الذي جرى عليها بأبي هي وأمي، فقد عاشت تلك الأيام القليلة بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهي حبيسة بيتها، بسبب ضرب السلطة ورموزها لها، حتى اسقطوا جنينها، وكسروا ضلعها، وصادروا نحلتها، ومنعوها إرثها، وروعوا



أولادها، وأحرقوا بيتها، فهل ينتظر من مثل هؤلاء أن يصغوا إلى رواياتها، وينقلوا حديثها، ويقروا بعلمها، ويفضلوها على عائشة التي لولاها لما قامت لدولة أبيها قائمة، هيهات أن يفعلوا كل ذلك.

كما وهنالك شواهد عديدة تشير وبوضوح إلى أن السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها كانت في حياة أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أعلم من عائشة، بل وأعلم من سائر نساء المؤمنين حتى نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ففي الحديث المروي عن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (قال لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذات يوم: أي شيء خير للمرأة؟ فلم يكن عندنا لذلك جواب، فلما رجعت إلى فاطمة قلت: يا بنت محمد، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألنا عن مسألة فلم ندر كيف نجيبه! فقالت: وعن أي شيء سألكم؟ فقلت: قال: أي شيء خير للمرأة؟ قالت: فما تدرون ما الجواب: قلت لها: لا، فقالت: ليس خير من أن لا ترى رجلا ولا يراها، فلما كان العشي جلسنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت له: يا رسول الله إنك سألتنا عن مسألة فلم نجبك فيها، ليس للمرأة شيء خير من أن لا ترى رجلا ولا يراها، قال: ومن قال ذلك؟ قلت: فاطمة: قال: صدقت، إنها بضعة مني)[(١)] وهذا الحدث كان في وقت عائشة وزمانها فأين ذهب علمها عنها؟ ولماذا لم تجب عن سؤال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟.

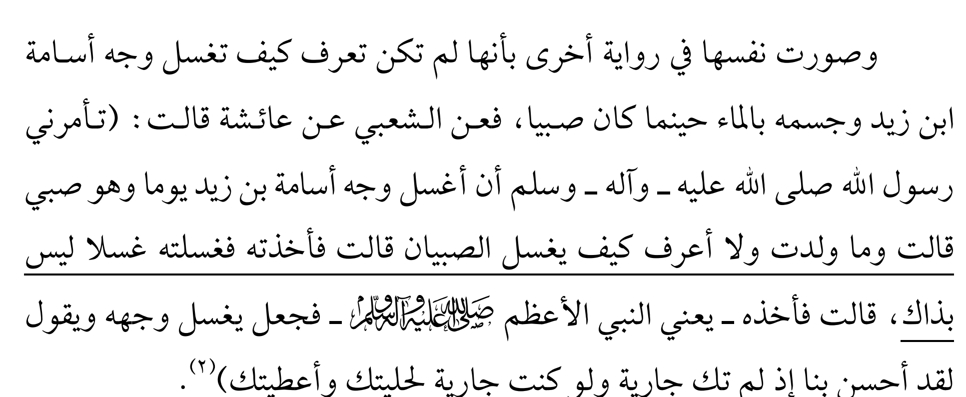
٣: عائشة تصور نفسها للناس بأنها سفيهة قليلة المعرفة وكثيرة اللهو واللعب

إن عائشة بنت أبي بكر كانت ولحين وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تصور نفسها بنفسها للتاريخ وتصف لنا شخصيتها وأنها الفتاة الصغيرة الحديثة السن والسفيهة بحسب تعبيرها، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن (يحيى بن عباد بن عبد الله

(١) كنز العمال للهندي ج ١٦ ص ٦٠١.

ابن الزبير عن أبيه عباد قال سمعت عائشة تقول مات رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بين سحري ونحري وفي دولتي لم أظلم فيه أحدا فمن سفهي وحداثة سني ان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قبض وهو في حجري ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي)[1].





وصورت نفسها في رواية أخرى بأنها لم تكن تعرف كيف تغسل وجه أسامة ابن زيد وجسمه بالماء حينما كان صبيا، فعن الشعبي عن عائشة قالت: (تأمرني رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أن أغسل وجه أسامة بن زيد يوما وهو صبي قالت وما ولدت ولا أعرف كيف يغسل الصبيان قالت فأخذته فغسلته غسلا ليس بذاك، قالت فأخذه ـ يعني النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ـ فجعل يغسل وجهه ويقول لقد أحسن بنا إذ لم تك جارية ولو كنت جارية لحليتك وأعطيتك)[2].

وصورت نفسها بأنها كانت حريصة على اللهو، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عروة عن عائشة انها قالت: (رأيت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يسترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو)[3].

وقد وصفتها بريرة إحدى النساء اللاتي عشن مع عائشة زمنا طويلا وعلمن بحالها وشؤونها بوصف ينم عن إهمالها وعدم مبالاتها واكتراثها بما يدور حولها بقولها: (أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله)[4].

---

(١) مسند احمد لأحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٧٤.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٣ ص٢٧٢.

(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٥٩.

(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٧.

وأخرج البخاري في قصة الإفك المزعومة اعترافها بأنها لم تكن تقرأ كثيرا من القرآن، وأنها أحقر من أن يتكلم القرآن بأمرها، فقالت: (...وأنا جارية حديثة السن لا اقرأ كثيرا من القرآن....ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري)[1].



وانها وعلى الرغم من زواجها من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومضي سنين عديدة من هذا الزواج تصر على تصوير نفسها بأنها جارية صغيرة مدللة تأتي الجواري الصغار إليها يلعبن معها، وأنها كانت لديها دمى تلعب بها وغير ذلك من المضحكات، فقد روى البخاري عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إذا دخل يتقمعن منه فيسر بهن إلي فيلعبن)[2].

وفي سنن أبي داود: (حدثنا مسدد، ثنا حماد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كنت ألعب بالبنات، فربما دخل علي رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وعندي الجواري، فإذا دخل خرجن، وإذا خرج دخلن)[3].

وفي سنن أبي داود أيضا عن عائشة قالت: (قدم رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من غزوة تبوك، أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت:

---

(١) صحيح البخاري ج٣ ص١٥٧.

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ١٠٢.

(٣) سنن أبي داود لابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٤٦٢.

فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه)[1].

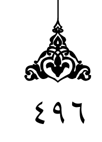


فإذا جمعنا كلمات عائشة التي قالتها بنفسها عن نفسها فسنكتشف بأنها، لا تعرف حتى كيف يغسل وجه الصبي وبدنه مع أن هذا الأمر بديهي، فمثلما يغسل الإنسان وجه نفسه كذلك يغسل وجه غيره، ولكنها لم تدركه على الرغم من بداهته، وإنها كانت جارية حريصة على اللهو، وتنام عن عجين أهلها حتى تأتي الدابة فتأكله، وتدع أهلها بلا خبز ولا عجين، ولا تقرأ كثيرا من القرآن، وإنها كانت بمنزلة أحقر من أن يتكلم القرآن بأمرها، وإنها كانت على الرغم من زواجها من سيد المرسلين وخيرة الأنبياء والأولياء صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنها تصر على التصرف بطفولة وقلة اكتراث بمركزها الاجتماعي فكانت تلعب بالدمى شأنها شأن الأطفال الصغار وتدخل عليها الجواري الصغار ليلعبن معها، وان هذه الحالة من الطفولية والبساطة في التصرفات قد صاحبتها إلى حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث بقيت تصف نفسها بحداثة السن والسفاهة في الرأي والتصرف كما تقدم.

فامرأة بهذا الوصف وبهذه الشأنية وبهذا القدر والمنزلة كيف أصبحت يا ترى وبين ليلة وضحاها أفضل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل وأفضل من سائر نساء المسلمين، وحتى غالى بعضهم وقارن بينها وبين مريم العذراء وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين، وإنها اعلم الصحابة، وإنها كما يقول ابن القيم (عائشة أعلم وأنفع للأمة وأدت إلى الأمة من العلم ما لم يؤد غيرها واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها)، أو كما يقول ابن كثير في (البداية

(١) سنن أبي داود لابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

والنهاية): (وروت بعده عنه عليه السلام علما جما كثيرا طيبا مباركا فيه)[1]، أو كما يقول ابن حجر في (فتح الباري): (وقد حفظت عنه شيئا كثيرا وعاشت بعده قريبا من خمسين سنة فأكثر الناس الأخذ عنها ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئا كثيرا حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها)[2]، فهل يعقل مسلم عاقل أن يأخذ ربع دينه من امرأة وصفت نفسها بالسفاهة تارة وبالحرص على اللهو واللعب تارة أخرى.



٤: السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها أفضل من عائشة بشرف الأصل وجلالة النسب

وبهذا يندفع وجهان من أوجه التفضيل لعائشة على سيدة نساء العالمين صلوات الله وسلامه عليها فمن حيث كثرة الثواب فان الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أكثر كما بينا في النقطة الأولى، ومن حيث العلم فان السيدة الزهراء اعلم كما بينا في النقطة الثانية والثالثة، وبقي وجهان من أوجه التفضيل التي أقرها ابن القيم بقوله: (وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة أفضل فإنها بضعة من النبي وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير أخواتها وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الأمة وإذا ثبتت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل)[3] ونحن نوافقه الرأي، ففاطمة وبلا خلاف بين المسلمين أفضل نسبا من عائشة بنت أبي بكر بل ومن سائر نساء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جميع نساء المسلمين، وبهذا تثبت أفضليتها صلوات الله وسلامه عليها بجميع أوجه التفضيل، وصار الكلام بعلم وعدل.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٥٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٨٢ ـ ٨٣.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية ج٣ ص٦٨٢.



دال: تصريح خطير لابن كثير بان من فضّل عائشة على خديجة حملته قوة التسنن على ذلك

قال ابن كثير: (وأما أهل السنة فمنهم من يغلو أيضا ويثبت لكل واحدة منهما ـ أي السيدة خديجة وعائشة ـ من الفضائل ما هو معروف، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق، ولكونها أعلم من خديجة فإنه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها... وروت بعده عنه عليه السلام علما جما كثيرا طيبا مباركا فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور «خذوا شطر دينكم عن الحميراء»)[١].

أقول: ويرد على كلام ابن كثير عدة ملاحظات منها:

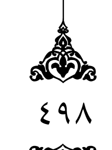
١: العصبية والعناد أساس لجميع محاولات تفضيل غير أهل البيت عليهم

ان قول ابن كثير (ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق) شاهد صدق على أنمنشأ كل قدح وتشكيك وتأويل لفضائل أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين ومقاماتهم هو العصبية والتمذهب والنصب، فخديجة إنما احتوشوها من كل جانب، وهضموا حقها، لأنها أم الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، ولأنها أحب زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إليه، ولأنها أم أولاده، وعائشة إنما رفعت فوق رؤوسهم واستميت في الدفاع عنها واثبات فضائلها بكل حد وحديد؛ لأنها ابنة أبي بكر، فتقويتها وتقوية فضائلها هو في الحقيقة تقوية لأبيها ودولته ومن ثمَّ تقوية للتسنن وإرغام لأنف الخصوم.

٢: لا يمكن لابن كثير إثبات هذه الكذبة

ان ادعاءه بأن عائشة بنت أبي بكر (أعلم من خديجة فإنه لم يكن في الأمم

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٥٩.



مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها) هو محض كذب وافتراء فمن أين لابن كثير إثبات انه لم يكن في الأمم السابقة أو اللاحقة مثل عائشة فهل عاش ابن كثير في أكثر من أمة من الأمم السابقة حتى يجري استقراء تاما على كذبته هذه، فدون إثبات هذا المدعى خرط القتاد، وهيهات له ان يثبت ذلك.

٣: السيدة خديجة صلوات الله وسلامه عليها أعلم من عائشة لهذه الأسباب

نحن لا نقر لابن كثير بأن عائشة كانت أعلم من خديجة، فعلم عائشة ومستواه قد تبين لنا جليا من كلامها نفسه وتصريحاتها عينها، والسيدة خديجة وان لم ينقل عنها من الأحكام ما نقل عن عائشة بنت أبي بكر، أو أنها صلوات الله وسلامه عليها لم يرو عنها مثل ما روي عن عائشة، إلا أن هذا لا يعني ان عائشة أعلم منها، فالنبي الأعظم كان موجودا والوحي ينزل عليه بالتشريع والأحكام فلم تكن السيدة خديجة بحاجة إلى نقل الأحكام أو الرواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كانت صلوات الله وسلامه عليها قد بقيت بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم مثلما بقيت عائشة لنقل عنها أكثر مما نقل عن عائشة بأضعاف مضاعفة، لأنها عاشت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمرا أطول مما عاشته عائشة.

ولان اختصاصها صلوات الله وسلامه عليها بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقربها منه كان اكبر واخص من قرب عائشة واختصاصها به، ولان اطلاعها على تفاصيل الدعوة النبوية أشمل وأوسع من اطلاع عائشة، بل وحتى أبيها أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، لاسيما الأيام والأشهر والسنين الأولى من عمر الرسالة الإسلامية، فلو كانت صلوات الله وسلامه عليها قد بقيت ووصلت إلى العمر الذي وصلت إليه عائشة بنت أبي بكر، وسمحت لها الدولة بالكلام وإخراج مكنون علمها كما سمحت لعائشة، لأصبحت مرجعا علمياً مهماً من مراجع الفقه والأحكام والرواية



والتفسير والتاريخ ومنابعها، لا يلحق بها لاحق، ولا يطمع في إدراكها طامع، باستثناء الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٤: اعتراف علماء أهل السنة بوفور علم السيدة خديجة صلى الله عليها وآلها وسلم وفقهها

وقد دلت بعض الروايات على وفور علمها وفقهها، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة انه قال: (أتى جبريل النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه أدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)(١).

وعن النسائي في (فضائل الصحابة) عن أنس قال: (جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وعنده خديجة فقال إن الله يقرئ خديجة السلام فقالت إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته)(٢).

وعن الحاكم النيسابوري في (المستدرك على الصحيحين): (عن أنس رضي الله عنه قال أتى جبرئيل عليه الصلاة والسلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وعنده خديجة رضي الله عنها فقال إن الله يقرئ خديجة السلام فقالت إن الله هو السلام وعليك السلام ورحمة الله. وقال ـ الحاكم النيسابوري ـ هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)(٣).

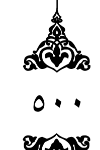
وفي لفظ ابن السني وبعد إيراده لجوابها صلوات الله وسلامه عليها السابق زاد عبارة:

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٣١.

(٢) فضائل الصحابة للنسائي ص ٧٥.

(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٨٦.



(وعلى من سمع السلام إلا الشيطان)[١].

وقد علق ابن حجر في (فتح الباري) تعليقا مهما على هذه الروايات بقوله: (قال العلماء في هذه القصة دليل على وفور فقهها لأنها لم تقل وعليه السلام كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد السلام على الله فنهاهم النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وقال إن الله هو السلام فقولوا التحيات لله فعرفت خديجة لصحة فهمها ان الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين لان السلام اسم من أسماء الله وهو أيضا دعاء بالسلامة وكلاهما لا يصلح ان يرد به على الله فكأنها قالت كيف أقول عليه السلام والسلام اسمه ومنه يطلب ومنه يحصل فيستفاد منه انه لا يليق بالله الا الثناء عليه فجعلت مكان رد السلام عليه الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره فقالت وعلى جبريل السلام ثم قالت وعليك السلام ويستفاد منه رد السلام على من أرسل السلام وعلى من بلغه والذي يظهر ان جبريل كان حاضرا عند جوابها فردت عليه وعلى النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مرتين مرة بالتخصيص ومرة بالتعميم ثم أخرجت الشيطان ممن سمع لأنه لا يستحق الدعاء بذلك قيل إنما بلغها جبريل عليه السلام من ربها بواسطة النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم احتراما للنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم)[٢].

وقال العيني تعليقا على تلك الأحاديث: (فيه دلالة على صحة فهم خديجة وقوة إدراكها مثل هذا. فإن قلت: لما ردت الجواب بما ذكرنا، هل كان جبريل، عليه الصلاة والسلام، حاضرا؟ قلت: بلى، كان حاضرا فردت عليه وردت على

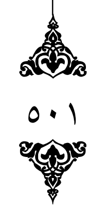
---

(١) عمدة القاري للعيني ج ١٦ ص ٢٨١.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ١٠٥.

النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، مرتين، ثم أخرجت الشيطان ممن سمع لأنه لا يستحق الدعاء بذلك)[1].

وقد استدل أبو بكر بن داود وابن العربي بقصة سلام الله سبحانه على السيدة خديجة بأفضلية السيدة خديجة على عائشة، قال ابن حجر: (قال السهيلي استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لان عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه وخديجة ابلغها السلام من ربها وزعم ابن العربي انه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة ورد بأن الخلاف ثابت قديما وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا)[2].



أقول: ورواية سلام جبرائيل على عائشة المذكور آنفا، هي من الروايات المطعون فيها، فهي شاذة كما قال ابن حجر في (فتح الباري): (ومما نبه عليه انه وقع عند الطبراني من رواية أبي يونس عن عائشة انها وقع لها نظير ما وقع لخديجة من السلام والجواب وهي رواية شاذة والعلم عند الله تعالى)[3].

٥: تكذيب حديث خذوا شطر دينكم عن الحميراء يعني عائشة

ان استدلال ابن كثير على أفضلية عائشة بنت أبي بكر بقوله: (حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء») هو استدلال باطل وتدليس على الجهال، لان هذا الحديث مما تكلم فيه، وثبت عند الخاص والعام بطلانه، وانه مكذوب على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد اعترف ابن كثير نفسه ببطلانه، فقال في (البداية والنهاية): (أما ما يلهج به كثير من الفقهاء

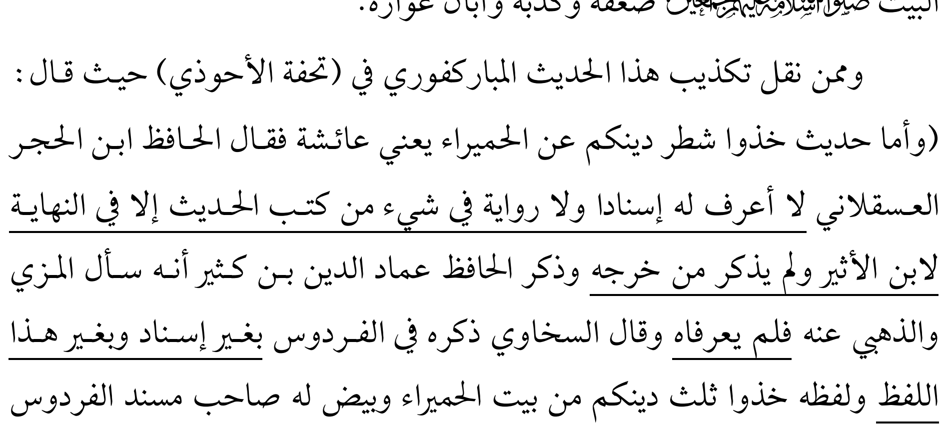
(١) عمدة القاري للعيني ج ١٦ ص ٢٨١.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ١٠٥.

(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ١٠٦



وعلماء الأصول من إيراد حديث: «خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء» فإنه ليس له أصل ولا هو مثبت في شيء من أصول الإسلام، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزي فقال: لا أصل له)[1]، وهذه هي إحدى ازدواجيات الموازين لدى علماء أهل السنة ومحدثيهم، فإنهم يستشهدون بالحديث المكذوب من غير أن يبينوا ضعفه، في الوقت الذي يكون الاستشهاد به لمصلحتهم، ويشنعون عليه ويكذبونه متى ما خلت منه المصلحة، فابن كثير استشهد بهذا الحديث حينما كان الأمر يتعلق بسلب فضائل خديجة وإعلاء شأن عائشة، أما حينما خلت المسألة من انتقاص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ضعفه وكذبه وأبان عواره.



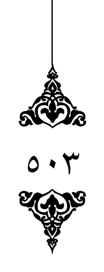
وممن نقل تكذيب هذا الحديث المباركفوري في (تحفة الأحوذي) حيث قال: (وأما حديث خذوا شطر دينكم عن الحميراء يعني عائشة فقال الحافظ ابن الحجر العسقلاني لا أعرف له إسنادا ولا رواية في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير ولم يذكر من خرجه وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه وقال السخاوي ذكره في الفردوس بغير إسناد وبغير هذا اللفظ ولفظه خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء وبيض له صاحب مسند الفردوس ولم يخرج له إسنادا وقال السيوطي لم أقف عليه كذا في المرقاة)[2].

وقد نقل تكذيب الحديث العجلوني في (كشف الخفاء) بقوله: («خذوا شطر دينكم عن الحميراء» قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث ابن الحاجب من إملائه لا أعرف له إسنادا، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير ذكره في مادة «ح م ر»، ولم يذكر من خرجه ورأيته في الفردوس بغير لفظة وذكره

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٠٠.

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري ج ١٠ ص ٢٥٩.



عن أنس بغير إسناد بلفظ خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء، وذكره ابن كثير أنه سأل الحافظين المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه، وقال السيوطي في الدرر لم أقف عليه، لكن في الفردوس عن أنس خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة انتهى، وقال الحافظ عماد الدين في تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب: هو حديث غريب جدا، بل هو منكر، سألت عنه شيخنا المزي فلم يعرفه، وقال لم أقف له على سند إلى الآن، وقال شيخنا الذهبي هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها سند انتهى، قال القاري لكن في الفردوس من غير إسناد وخذوا ثلث دينكم من بيت عائشة، لكن معناه صحيح، ثم قال وقد اشتهر أيضا حديث كلمتين يا حميراء، وليس له أصل عند العلماء)[1].

وبهذا تندفع جميع شبهات ابن كثير لا كثر الله من شبهاته المتعصبة ضد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هاء: محاولة استدلالهم بحديث الثريد على حسن خلق عائشة وحلاوة منطقها ونحو ذلك

قد حاول البعض الاستفادة من حديث الثريد المزعوم، للوصول إلى رسم صورة شاعرية لعائشة بنت أبي بكر، وقد تفلسف هذا البعض في تسطير الفضائل والفوائد للثريد وعكس هذه الفضائل والفوائد على عائشة بنت أبي بكر، والمباركفوري في (تحفة الأحوذي) كان احد هؤلاء المتفلسفين حيث قال: (قوله «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» الثريد بفتح المثلثة وكسر الراء معروف وهو أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم، من أمثالهم «الثريد أحد اللحمين» وربما أكله أنفع وأقوى من نفس اللحم النضيج إذا ثرد

(١) كشف الخفاء للعجلوني ج ١ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.



بمرقته، قال التوربشتي: قيل إنما مثل الثريد لأنه أفضل طعام العرب، ولا يرون في الشبع أغنى غناء منه، وقيل: إنهم كانوا يحمدون الثريد فيما طبخ بلحم، وروى سيد الطعام اللحم، فكأنها فضلت على النساء كفضل اللحم على سائر الأطعمة، والسر فيه أن الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤونة في المضغ وسرعة المرور في المريء فضرب به مثلا ليؤذن بأنها أعطيت مع حسن الخلق والخلق وحلاوة النطق فصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل والتحبب إلى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها وحسبك أنها عقلت عن النبي ما لم تعقل غيرها من النساء وروت ما لم يرو مثلها من الرجال)[١].

وقال ابن عبد الهادي: (قوله كفضل الثريد هو أفضل طعام العرب لأنه مع اللحم جامع بين اللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤونة في المضغ فيفيد أنها جامعة لحسن الخلق وحلاوة المنطق ونحو ذلك)[٢].

أقول: وفي كلام المباركفوري وابن عبد الهادي عدة مغالطات نشير فيما يأتي إلى بعضها:

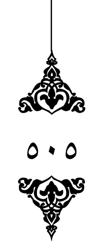
١: إثبات ان حديث الثريد صدر عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من باب المزاح وتخفيف الغيرة

ان حديث الثريد لو تأمل فيه المتأمل لوجده للهزل هو أقرب منه إلى الجد، فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان معروفا بالمزاح مع أصحابه وزوجاته وسائر المسلمين، ومن رجع إلى سيرته صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال الصحابة الذين عاشروه وخالطوه وجد تصديق ما ذهبنا إليه، وفي هذا الصدد يقول الحلبي في (السيرة

---

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري ج١٠ ص٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) حاشية السندي على النسائي لابن عبد الهادي ج ٧ ص ٦٨.



الحلبية): (كان صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ....كان صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يمازح أصحابه قال وقد جاء إني لأمزح ولا أقول إلا حقا لكن جاء عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مزاحا وكان يقول إن الله تعالى لا يؤاخذ المزاح الصادق في مزاحه وجاء عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما رأيت أحدا أكثر مزاحا من رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت في النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم دعابة وعن بعض السلف كان للنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مهابة فكان يبسط الناس بالدعابة...)[١].

وقال عبد الله بن قدامة في (المغني): (وقد كان النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يمزح ولا يقول إلا حقا ومزاحه أن يوهم السامع بكلامه غير ما عناه وهو التأويل)[٢].

وقد ذكرت روايات كثيرة تحكي حسن مزاحه وحلاوة دعابته، منها ان امرأة عجوزاً أتت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: لا تدخل الجنة عجوز فبكت، فقال: إنك لست يومئذ بعجوز، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾[٣] وغير ذلك كثير جدا.

واني لأجزم بأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) والمسمى والمعروف بحديث الثريد ان صح صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو من قسم المزاح الذي كان يمازح به النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوجاته.

---

(١) السيرة الحلبية للحلبي ج ٣ ص ٤٤٠.

(٢) المغني لعبد الله بن قدامة ج ١١ ص ٢٤٤.

(٣) سورة الواقعة الآية رقم ٣٥ ـ ٣٧.

وكل واحد من الناس وعلى اختلاف مستوى معرفتهم وإدراكهم يدرك انه من قبيل المزاح بمجرد سماعه لكلمات هذا الحديث، فعائشة قد عرف عنها واشتهر بأنها كثيرة الغيرة من سائر زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومن ابنته فاطمة صلوات الله وسلامه عليها وحتى من الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وقد مرت فيما سبق بعض الشواهد على هذه الحقيقة وستأتي شواهد أخرى لاحقا، والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم بشديد غيرتها، وقد كانت هذه الغيرة تشتد وتتعاظم كلما سمعت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يصف السيدة خديجة ضرتها وابنتها السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها بأنهن سيدات نساء العالمين تارة، وسيدات نساء أهل الجنة تارة ثانية، وإنهن فضلن على سائر نساء العالمين من الأولين والآخرين حتى على مريم العذراء وآسية بنت مزاحم صلوات الله وسلامه عليهما.

فكان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يرى شدة الغيرة فيها والحرص على أن يكون لها ألقاب نظير ما لسيدتي نساء العالمين من ألقاب، ومن شدة رحمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعطفه ورقة قلبه قال لها حديث الثريد ليطيب قلبها من جهة، وليخفف غيرتها من جهة ثانية، وليوضح للأمة ان هذا الحديث بهذا اللفظ هو من قبيل دعاباته صلى الله عليه وآله وسلم.

وإلا لو كان لعائشة فضل حقيقي تتفاضل به على سائر النساء لعبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغير هذا التعبير، ولقال فضلت بالتقوى أو بالعلم أو الطاعة أو الخلق أو غير ذلك من جهات الفضل التي يتفاضل بها أبناء آدم بعضهم على بعض، ولما عجز النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن الإتيان بلفظ يشعر السامع بأنّ قصده جدي وليس بدعابة كما الحال بالنسبة لحديث الثريد، وكيف يعجز عن ذلك وهو سيد البلغاء وأفصح العرب لسانا وبيانا، فلما لم يفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، وجاء

بلفظ يعلم كل من سمعه بأنه مزحة ودعابة من دعاباته صلى الله عليه وآله وسلم، علمنا انه لم يكن يقصد المعنى الحقيقي للتفضيل، وان تفضيله لعائشة وتشبيهها بالثريد دون الجوهر أو الذهب أو الكبريت الأحمر وغير ذلك هو تفضيل صوري يقصد منه الدعابة وجبر الخاطر وتخفيف الغيرة.

٢: كل ما ذكر للثريد من الفوائد موجود في غيره من الأطعمة مثله أو أحسن منه

ان ما سطروه من فوائد للثريد من حيث انه (جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤونة في المضغ وسرعة المرور في المريء) كلها فوائد استحسانية لا دليل عليها إلا الذوق الشخصي، ولا يثبت فيها فضل مطلق للثريد على غيره من الأطعمة، وإلا فلو رجع الإنسان وقاس بمنطق الإنصاف لا بمنطق التعصب والتحيز لوجد ان لكل نوع من أنواع الطعام فوائد ومنافع إن لم تكن أكثر من الثريد فهي مساوية له قطعا، وقد يكون الثريد أفضل من بعض الطعام إلا ان بعضه الآخر أفضل منه قطعا والى هذا المعنى أشار ابن حجر في (فتح الباري) حيث قال معلقا على حديث الثريد المزعوم: (وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة فقد يكون مفضولا بالنسبة لغيره من جهات أخرى)[١].

ثم ان ثبوت الفضل للثريد على سائر الطعام لو ثبت فعلا، لكان في ذلك الزمن فقط دون الأزمنة اللاحقة والحالية، فالثريد في هذا الزمن ليس هو الأفضل قطعا ولا من أفضلها، فقد وجدت في هذا الزمن أصناف وأنواع للطعام تفوق الثريد جودة ولذة وذوقا، والى هذا المعنى يشير العيني في (عمدة القاري) بقوله: (والظاهر أن فضل الثريد على سائر الطعام إنما كان في زمنهم لأنهم قلما كانوا يجدون الطبيخ، ولا سيما إذا كان باللحم، وأما في هذا الزمان فأطعمة معمولة من أشياء كثيرة متنوعة فيها من

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٣٢١.

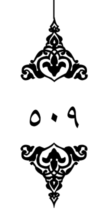
أنواع اللحوم ومعها أنواع من الخبز الحواري، فلا يقال: إن مجرد اللحم مع الخبز المكسور أفضل من هذه الأطعمة المختلفة الأجناس والأنواع، وهذا ظاهر لا يخفى)[١] والمفروض ان حديث الثريد لو كان حقيقيا لانطبق صدقه على كل زمان، حتى زماننا، وهذا لم يحصل فيتبين لنا ان حديث الثريد المزعوم إما هو مكذوب عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وإما قد صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم من باب المزاح فصيره القوم حقيقة بعد أن عجزوا عن إيجاد ما يساوي أو يشابه أحاديث السيادة والسؤدد لسيدتي نساء العالمين وسيدتي نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما.

٣: لا رواية صحيحة تنص على وجود فضل للثريد، ورواية فضل عائشة غريبة المتن شاذة المعنى

إننا لم نجد حديثا آخر صحيحا يثبت وجود الفضل للثريد على سائر الطعام إلا هذا الحديث وهو حديث عائشة وان فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، فهو وان كان صحيحا في بعض طرقه على مباني أهل السنة فقط وقواعدهم، إلا انه الوحيد في بابه، فلم يقدر القوم على إيجاد حديث آخر معاضد له يذكر فيه فضل الثريد على سائر الطعام، فلو كان للثريد فضل على سائر الطعام لذكر في أحاديث وأقوال أخرى للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أو الصحابة، كما ذكر فضل التمر واللبن واللحم والرمان وغيره من الأطعمة المذكورة والمشهورة الفضل على لسان الروايات الشريفة، فلما لم نجد للثريد فضلاً ولا ذكراً في الروايات الشريفة علمنا ان الحديث غريب المتن شاذ المعنى.

نعم روى البعض روايات تذكر ان للثريد فضلاً لكنها ضعيفة بأجمعها، لا تثبت حقا ولا تدفع شبهة ولا تنفع كشاهد أو معاضد، منها ما ذكره ابن الأشعث السجستاني في (سنن أبي داود) وضعفه بقوله: (حدثنا محمد بن حسان السمتي،

(١) عمدة القاري للعيني ج ١٦ ص ٢٥١.



ثنا المبارك بن سعيد، عن عمر بن سعيد، عن رجل من أهل البصرة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم الثريد من الخبز، والثريد من الحيس، قال أبو داود: وهو ضعيف)[١].

وقد جمعها الهيثمي في (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) وأشار إلى مواضع ضعفها وعوارها بقوله: («باب ما جاء في الثريد» عن أبي هريرة قال دعا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بالبركة في الثريد والسحور. رواه أحمد وأبو يعلى وفيه محمد ابن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح. وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال السحور بركة والثريد بركة والجماعة بركة. رواه أبو يعلى وفيه أبو ياسر عمار بن هارون وهو ضعيف. وعن أبي هريرة قال دعا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بالبركة لثلاثة السحور والثريد والكيل. رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه جماعة لم أجد من ترجمهم. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أثردوا ولو بالماء. رواه الطبراني في الأوسط وفيه جماعة لم أجد من ترجمهم. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أثردوا ولو بالماء. رواه الطبراني في الأوسط وفيه عباد بن كثير الرملي وثقة بن معين وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات)[٢].

وبهذا يثبت أن لا وجود لحديث صحيح في فضل الثريد، وان الثريد لم يكن معروف الفضل يومئذ، فكيف يفضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عائشة بشيء لم يكن مشهورا بالفضل، وهذا دليل آخر على كذب الحديث، أو خروجه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل المزاح وعدم إرادة المعنى الجدي للتفضيل.

---

(١) سنن أبي داود لابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٢٠٥ باب في أكل الثريد.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٥ ص ١٨ ـ ١٩.



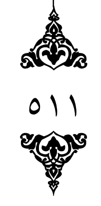
٤: لا ارتباط بين فوائد الثريد وحسن خلق عائشة وحلاوة نطقها وفصاحتها وغير ذلك

ثم ان المستدل بحديث الثريد انتقل وبصورة ملفتة للانتباه من ذكره لمنافع الثريد وانه سهل التناول وقليل المؤونة في المضغ وسريع المرور في المريء، إلى تسطير فضائل لعائشة لا ربط فيما بينها وبين تلك الفوائد المزبورة، فقال: (فضرب به ـ أي بفضل الثريد ـ مثلا ليؤذن بأنها أعطيت مع حسن الخلق والخلق وحلاوة النطق فصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل والتحبب إلى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها).

وأي ارتباط يا أولي الألباب بين سهولة تناول الثريد وبين حسن الخلق والخلق وحلاوة النطق لعائشة؟ وأي وجه شبه بين قلة مؤونة المضغ للثريد وسرعة مروره بالمريء وبين فصاحة لهجة عائشة وجودة قريحتها ورزانة رأيها ورصانة عقلها وتحببها إلى البعل وصلاحها للتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها؟! أليس هذا من التكلف وتحميل الألفاظ ما لا تطيق والتشبيه بغير وجه شبه، وهو أمر مذموم عقلائيا ولغويا وذوقيا.

ثم أليست هذه الألفاظ والأوصاف والنعوت مشتركة بين زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأي واحدة منهن من وجهة نظر أهل السنة لم تكن تتمتع بحسن الخلق وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وصلاحها للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها، فإفراد عائشة دون سائر زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بلا دليل ولا مبرر، ولو كانت هذه الصفات جميعها مجموعة في شخصية عائشة كما ادعى الخصم لما تزوج عليها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مرات وكرات، ولما فضل عليها غيرها كما سنعرف ذلك لاحقا.

نعم لو كان للحق صوت يسمع، لوجب وصف السيدة خديجة صلوات الله وسلامه عليها بتلك الأوصاف التي وصفت بها عائشة بنت أبي بكر، فهي التي أعطيت كل هذه الصفات وأكثر، لذلك لم يتزوج عليها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ما دامت على قيد



الحياة، اعتزازا بها وحفظا لحقها، ولكونها جامعة لسائر الصفات التي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها وغير ذلك من صفات الفضل والكمال.

٥: هل روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما لم ترو الرجال عنه صلى الله عليه وآله وسلم

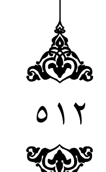
وأما قول هذا المتفلسف: (وحسبك أنها عقلت عن النبي ما لم تعقل غيرها من النساء وروت ما لم يرو مثلها من الرجال) فهو محض كذب، فإنها ما عقلت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر مما عقلته باقي النساء، فأم سلمة مثلا عقلت عن النبي أمورا لم تعقلها عائشة ولا غيرها، وقصة وضع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تربة كربلاء عندها لتعلم من خلالها تاريخ استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وموعده أمر لا ينكره إلا مكابر، وكذلك الحال بالنسبة للسيدة خديجة والسيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليهما فان النبي اسر لهما أسرارا لم يسرها لعائشة ولا لغيرها، نعم قد كان لعائشة روايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من باقي نسائه لان الدولة آنذاك قد سمحت لها بالرواية والتدوين والنقل ولم تسمح لغيرها، فكثرت رواياتها وعزت وندرت روايات الأخريات، وهو أمر يشين ويعيب به صاحبه أكثر مما يفتخر به ويمتدح عليه.

أما روايتها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يرو مثلها من الرجال فهو كذب أيضا، فقد روى أبو هريرة روايات أكثر منها، وكذلك روى ابن عمر روايات أكثر مما روته هي وغيرها، وقد صنف ابن حزم الظاهري في كتابه (أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد) مرتبة عائشة في الرواية فجعلها الرابعة من حيث عدد المرويات عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل أبا هريرة في المرتبة الأولى حيث روى عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خمسة آلاف وثلثمائة وأربعة وسبعين حديثا[1]، وجعل

---

(١) أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد لابن حزم الظاهري تحقيق وتعليق مسعد عبد الحميد السعدني ص٣١ مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الله بن عمر بن الخطاب في المرتبة الثانية حيث روى عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ألفي حديث وستمائة حديث وثلاثين حديثا [١]، وجعل انس بن مالك في المرتبة الثالثة لأنه روى عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ألفي حديث ومائتي وستة وثمانين حديثا) [٢]، ثم تأتي مرتبة عائشة بنت أبي بكر وهي الرابعة حيث روت عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (ألفي حديث ومائتي وعشرة أحاديث) [٣].



ثالثا: حذف حديث في فضل فاطمة من صحيح مسلم وإضافة حديث الثريد مكانه

اعترف الحاكم النيسابوري في كتابه (المستدرك على الصحيحين) بأن مسلماً النيسابوري انفرد بإخراج حديث (خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) فقال: (إنما تفرد مسلم بإخراج حديث أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: خير نساء العالمين أربع) [٤].

ولكننا وحين رجوعنا إلى صحيح مسلم لم نجد لحديث (خير نساء العالمين أربع) أثراً يذكر، وهو يعني ان يد التحريف والتزوير قد طالت هذا الحديث وحذفته، وهي مظلومية أخرى لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تضاف إلى مظلومياتهم.

وليت أن الأمر اقتصر على هذا المقدار من التحريف، فقد اعترف الزيلعي في (تخريج الأحاديث والآثار) ان حديث (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) قد أخرجه البخاري في صحيحه ورواه الباقون من أصحاب

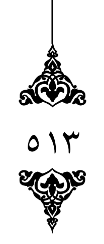
---

(١) أسماء الصحابة، لابن حزم الظاهري ص٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٥٤.



الكتب الستة إلا مسلماً النيسابوري لم يخرج في كتابه الصحيح، قال الزيلعي: (والحديث رواه البخاري في صحيحه ليس فيه خديجة ولا فاطمة رواه في بدء الخلق في باب قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ من حديث مرة الهمداني عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام انتهى، وكذلك رواه في الأطعمة في باب الثريد وسنده فيه ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة به ورواه الباقون إلا مسلما فالترمذي وابن ماجة في الأطعمة والنسائي في المناقب)[(١)].

إلا أننا وحين الرجوع إلى صحيح مسلم وجدنا حديث الثريد موجودا ومذكورا فيه[(٢)]، وهذا يعني ان يد المحرفين لم تكتف بإخراج حديث (خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) من صحيح مسلم حتى أضافت إليه حديث الثريد بعد أن لم يكن فيه، كرامة لعائشة وإرضاء لشيعتها ومحبيها.

وبهذا ينتهي الكلام عن هذا الحديث، وقد تركنا الكثير من إشكالات القوم وأقوالهم وشبهاتهم ومحاولاتهم لضرب جميع ما يشير إلى أفضلية السيدة الزهراء وأمها السيدة خديجة صلوات الله وسلامه عليهما على نساء العالمين ونساء أهل الجنة، كل ذلك طلبا للاختصار، ولان الهدف الأساس كما ذكرنا مرارا ليس الاستقصاء لجميع كلماتهم بل عرض البعض منها ليتضح للقارئ الكريم فداحة الأمر وعظيم الجريرة التي اقترفها محدّثو أهل السنة ضد فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومناقبتهم.

---

(١) تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ٤ ص ٦٧.

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص١٣٣.



الحديث الرابع: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة

بعض نصوص هذا الحديث مع ذكر تصحيحها ومن قال بتواترها

١: ما رواه احمد بن حنبل في مسنده

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مَرْدَانُبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي نُعْمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)(١).

أقول: وهذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات، ورواته بأجمعهم من رجال الشيخين، باستثناء يزيد بن مردانبة، الذي أخرج له النسائي، وهو ثقة، وتفصيل حالهم باختصار كالتالي:

ألف: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ

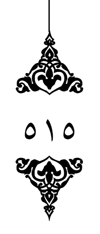
قال العجلي في (معرفة الثقات): (أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي الزبيري الكوفي. مات بالأهواز سنة ٢٠ هـ. روى عنه العجلي في موضعين وقال: كوفي ثقة وكان يتشيع)(٢).

وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (محمد بن عبد الله بن الزبير أبو أحمد الزبيري الكوفي مولى لبنى أسد... أبو بكر بن أبي خيثمة فيما كتب إلي قال: سمعت يحيى بن معين يقول أبو أحمد الزبيري ثقة، نا عبد الرحمن قال سئل أبو زرعة عن أبي احمد الزبيري فقال صدوق حدثنا عبد الرحمن قال سئل أبي عن

---

(١) مسند احمد: ج٣، ص٣.

(٢) معرفة الثقات للعجلي ج ١ ص ٣٨.



أبي احمد الزبيري فقال حافظ للحديث عباد مجتهد له أوهام)[١].

أقول: ولا يقدح قول الأخير إنّ لمحمد بن عبد الله الزبيري أوهاماً، في الحديث الذي نحن بصدده لان هذا الحديث محفوظ من طرق أخرى بنفس اللفظ مما يدل على أن محمد بن عبد الله الزبيري لم يتوهم فيه وهذه قاعدة عندهم مشهورة معروفة.

وقد ذكره أيضا ابن حبان في كتابه (الثقات) فقال: (أبو أحمد الزبيري اسمه محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي من أهل الكوفة يروي عن الثوري وإسرائيل روى عنه أحمد بن حنبل وأهل العراق مات سنة ثلاث ومائتين بالأهواز)[٢]

وقال الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (...سمعت ابن نمير يقول: أبو أحمد الزبيري صدوق وهو في الطبقة الثالثة من أصحاب الثوري. ما علمت إلا خيرا، مشهور بالطلب، ثقة صحيح الكتاب...حدثنا عبد الرحمن بن يوسف بن خراش قال: محمد بن عبد الله الأسدي أبو أحمد الزبيري، صدوق)[٣].

وقال الذهبي في (تذكرة الحفاظ): (أبو أحمد الزبيري محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر الحافظ الثبت الأسدي الزبيري... وقال بندار: ما رأيت رجلا قط أحفظ من أبي احمد. وقال العجلي: ثقة يتشيع وقال أبو حاتم: حافظ عابد مجتهد له أوهام. وقيل كان يصوم الدهر)[٤].

أقول: روى له أصحاب الكتب الستة وهم كل من (البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه).

---

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٧ ص ٢٩٧.

(٢) الثقات لابن حبان ج ٩ ص ٥٨.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٣ ص ٢٠ ـ ٢١.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣٥٧.



باء: يَزِيدُ بْنُ مَرْدَانُبَةَ

قال ابن معين في (تاريخ ابن معين): (يزيد بن مردانبة ثقة)[١]، وقال العجلي في (معرفة الثقات): (يزيد بن مردانبة كوفي ثقة)[٢].

وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عن يزيد بن مردانبة فقال قال وكيع: ثنا يزيد بن مردانبة وكان ثقة)[٣].

وقال المزي في (تهذيب الكمال): (يزيد بن مردانبة القرشي الكوفي التاجر... قال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين: ثقة. وقال عبد الرحمان ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: قال وكيع: حدثنا يزيد بن مردانبة وكان ثقة. قلت: فما تقول فيه؟ قال: لا بأس به. وذكره ابن حبان في كتاب " الثقات)[٤].

وقال الذهبي في (الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة): (يزيد بن مردانبة الكوفي، عن أنس، وأبي بردة، وعنه أبو نعيم، والخريبي، ثقة)[٥].

وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (يزيد بن مردانبة بنون ثم موحدة الكوفي أصله من أصبهان، صدوق من الخامسة)[٦].

---

(١) تاريخ ابن معين برواية الدوري ج ٢ ص ٢٤.

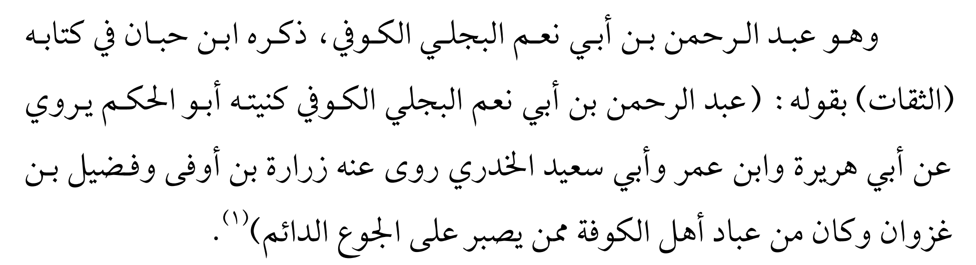
(٢) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ٣٦٧.

(٣) الجرح والتعديل للرازي ج ١ ص ٢٢٨.

(٤) تهذيب الكمال للمزي ج ٣٢ ص ٢٤١ ـ ٢٤٣.

(٥) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج ٢ ص ٣٨٩.

(٦) تقريب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٣٣١.





جيم: ابْنُ أَبِي نُعْمٍ

وهو عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي الكوفي، ذكره ابن حبان في كتابه (الثقات) بقوله: (عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي الكوفي كنيته أبو الحكم يروي عن أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد الخدري روى عنه زرارة بن أوفى وفضيل بن غزوان وكان من عباد أهل الكوفة ممن يصبر على الجوع الدائم)[١].

وقال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (عبد الرحمن بن أبي نعم الإمام الحجة القدوة الرباني أبو الحكم البجلي الكوفي)[٢].

وقال الذهبي في (ميزان الاعتدال): (عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي. كوفي، تابعي مشهور. روى عن أبي هريرة، وابن عمر، وطائفة. وعنه مغيرة، وفضيل بن غزوان، وخلق: وكان من الأولياء الثقات)[٣].

وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (عبد الرحمن بن أبي نعم بضم النون وسكون المهملة البجلي أبو الحكم الكوفي العابد صدوق من الثالثة مات قبل المائة)[٤].

دال: أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري، وهو صحابي، ومرتبة الصحابي من أعلى مراتب الوثاقة عندهم.

إذن فالحديث بهذا السند صحيح.

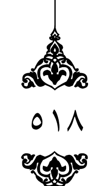
---

(١) الثقات لابن حبان ج ٥ ص ١١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥ ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٥٩٥.

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٥٩٣.



٢: ما رواه احمد بن حنبل في مسنده أيضا

حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ مَيْسَرَةَ بْنِ حَبِيبٍ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: (سَأَلَتْنِي أُمِّي مُنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قَالَ فَقُلْتُ لَهَا مُنْذُ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَنَالَتْ مِنِّي وَسَبَّتْنِي قَالَ فَقُلْتُ لَهَا دَعِينِي فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ ثُمَّ لا أَدَعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكِ قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ فَصَلَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم الْعِشَاءَ ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فَنَاجَاهُ ثُمَّ ذَهَبَ فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقُلْتُ حُذَيْفَةُ قَالَ مَالَكَ فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ فَقَالَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلِأُمِّكَ ثُمَّ قَالَ أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ قَالَ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَهُوَ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطْ الْأَرْضَ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَاسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)[١].

أقول: وهذا الحديث صحيح ورواته رواة الكتب الستة، وتفصيل حال رجال إسناده كالتالي:

ألف: حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ

قال ابن سعد في (الطبقات الكبرى): (حسين بن محمد بن بهرام المروزي ويكنى أبا أحمد وكان ثقة)[٢]، وقال العجلي في (معرفة الثقات): (حسين بن محمد ابن بهرام بصري ثقة)[٣].

(١) مسند احمد: ج٥، ص٣٩٢.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٧ ص ٣٣٨.

(٣) معرفة الثقات للعجلي ج ١ ص ٣٠٣.

وقال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (أبو أحمد المؤدب الإمام الحافظ الثقة، أبو أحمد، حسين بن محمد بن بهرام المروذي المؤدب، نزيل بغداد...قال معاوية بن صالح الأشعري: قال لي أحمد بن حنبل: اكتبوا عن أبي أحمد حسين ابن محمد. وجاء أحمد معي إليه يسأله أن يحدثني. وقال محمد بن سعد: ثقة. وقال النسائي: ليس به بأس)[١].

وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (الحسين بن محمد بن بهرام التميمي أبو أحمد أو أبو علي المروذي بتشديد الراء وبذال معجمة نزيل بغداد ثقة من التاسعة مات سنة ثلاث عشرة أو بعدها بسنة أو سنتين)[٢].

أقول: قد اخرج له وروى عنه جميع أصحاب الكتب الستة(البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) وغيرهم.

باء: إِسْرَائِيل

وهو إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني، أبو يوسف الكوفي من كبار أتباع التابعين، وقد وثقه ابن سعد في (الطبقات الكبرى) بقوله: (إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ويكنى أبا يوسف توفي بالكوفة سنة اثنتين وستين ومائة وقال أبو نعيم سنة ستين ومائة وكان ثقة حدث عنه الناس حديثا كثيرا)[٣].

ووثقه العجلي في (معرفة الثقات) بقوله: (إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٠ ص ٢١٦.

(٢) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص٢١٨.

(٣) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٦ ص ٣٧٤.



كوفي ثقة وقال مرة جائز الحديث)[١].

وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (حدثنا عبد الرحمن حدثنا ابن أبي خيثمة فيما كتب إلي قال سمعت يحيى بن معين يقول: إسرائيل بن يونس ثقة. حدثنا عبد الرحمن حدثنا حرب بن إسماعيل الكرماني فيما كتب إلي قال: قال أحمد بن حنبل: إسرائيل كان شيخا ثقة وجعل يعجب من حفظه. حدثنا عبد الرحمن سمعت أبي يقول: إسرائيل ثقة متقن من أتقن أصحاب أبي إسحاق)[٢].

وقد ذكره ابن حبان في (الثقات) بقوله: (إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني من أهل الكوفة أخو عيسى بن يونس يروي عن أبي إسحاق وسماك يروى عنه أهل العراق ولد سنة مائة ومات سنة ستين ومائة وقد قيل سنة اثنتين وستين ومائة كنيته أبو يوسف سمعت ابن خزيمة يقول سمعت الدورقي يقول سمعت ابن مهدي يقول قال عيسى بن يونس قال إسرائيل كنت أحفظ حديث يونس بن أبي إسحاق كما أحفظ السورة من القرآن)[٣].

وكذلك ذكره ابن حبان في (مشاهير علماء الأمصار) قائلا: (إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي أبو يوسف من المتقنين مات سنة ستين ومائة)[٤].

أقول: وقد اخرج له جميع أصحاب الكتب الستة وغيرهم.

---

(١) معرفة الثقات للعجلي ج ١ ص ٢٢٢.

(٢) الجرح والتعديل للرازي ج ٢ ص ٣٣١.

(٣) الثقات لابن حبان ج ٦ ص ٧٩.

(٤) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ٢٦٧.



جيم: مَيْسَرَةُ بْنُ حَبِيبٍ

وهو من كبار أتباع التابعين، قال العجلي في (معرفة الثقات): (ميسرة بن حبيب النهدي ثقة كوفي روى عن المنهال بن عمرو وهو في عداد الشيوخ)[١].

وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (ميسرة بن حبيب النهدي أبو حازم الكوفي... حدثنا عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلي قال أملى عليّ أبي بأن أبا حازم ميسرة ثقة. حدثنا عبد الرحمن قال ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال: ميسرة بن حبيب ثقة. حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عن ميسرة بن حبيب أحب إليك أو الحجاج بن أرطأة وابن أبي ليلى؟ فقال: ميسرة أحب إلى من الحجاج بن أرطأة وابن أبي ليلى على قلة ما ظهر من حديثه. حدثنا عبد الرحمن قال قيل لأبي فما قولك فيه؟ قال: لا بأس به)[٢].

وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (قال عبد الله بن أحمد أملى علي أبي ان أبا خازم ميسرة ثقة وقال ابن معين والعجلي والنسائي ثقة وقال أبو داود معروف وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن ميسرة بن حبيب وحجاج بن أرطاة وابن أبي ليلى فقال ميسرة أحب إلي على قلة ما ظهر من حديثه فما تقول فيه قال لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات)[٣].

أقول: وقد روى له البخاري في كتابه (الأدب المفرد) وكذلك روى له كل من ابي داود والترمذي والنسائي، فهو من أصحاب الكتب الستة، وقد ذكره الذهبي في (الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة) قائلا: (ميسرة بن حبيب النهدي،

---

(١) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص٣٠٦.

(٢) الجرح والتعديل للرازي ج ٨ ص ٢٥٣.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٠ ص ٣٤٥.

عن المنهال، وعدي بن ثابت، وعنه شعبة، وإسرائيل، ثقة. د ت س[1])[2].

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: (بخ د ت س «البخاري في الأدب المفرد وأبي داود والترمذي والنسائي» ميسرة بن حبيب النهدي أبو خازم الكوفي)[3].





وقال في (تقريب التهذيب): (ميسرة بن حبيب النهدي بفتح النون أبو حازم الكوفي صدوق من السابعة بخ د ت س)[4].

دال: الْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو

وهو من صغار التابعين، قال الدوري في (تاريخ ابن معين): (سمعت يحيى يقول المنهال بن عمرو ثقة)[5]، وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (منهال بن عمرو الأسدي مولى لبني عمرو بن أسد بن خزيمة كوفي...نا عبد الرحمن قال ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال: المنهال بن عمرو ثقة)[6].

وقال العجلي في (معرفة الثقات): (منهال بن عمرو كوفي ثقة)[7]، وقال

---

(١) الحروف (د، ت، س) هي حروف اختصار يستعملها أصحاب الجرح والتعديل وأصحاب الحديث يرمزون بها لأصحاب الكتب الستة، فحرف (د) يقصدون به (ابو داود)، وحرف (ت) يقصدون به (الترمذي)، وحرف (س) يقصدون به (النسائي)، فهؤلاء ثلاثة من أصحاب الكتب الستة، ويوجد ثلاثة آخرون يرمز إليهم كالتالي: فالبخاري يرمز له بحرف (خ)، ومسلم يرمز له بحرف (م)، وابن ماجة يرمز له بحرف (ق).

(٢) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج ٢ ص ٣١٠.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٠ ص ٣٤٤

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٢٣٢.

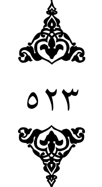
(٥) تاريخ ابن معين برواية الدوري ج ١ ص ٢٩٩.

(٦) الجرح والتعديل للرازي ج ٨ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧

(٧) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ٣٠٠.

المزي في (تهذيب الكمال): (عن يحيى بن معين: ثقة وكذلك قال النسائي...وقال الدارقطني: صدوق)[1].

وقال ابن حجر في(تقريب التهذيب): (المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي صدوق ربما وهم من الخامسة)[2].



أقول: وقد روى له أصحاب الكتب الستة باستثناء مسلم، قال المزي في (تهذيب الكمال): (وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» روى له الجماعة سوى مسلم)[3].

هاء: زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ

من كبار التابعين، وهو كما وصفه ابن عبد البر ووثقه في (الاستيعاب) بقوله: (زر بن حبيش بن حباشة بن أوس بن هلال أو بن بلال الأسدي من بني أسد بن خزيمة يكنى أبا مريم وقيل يكنى أبا مطرف أدرك الجاهلية ولم ير النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وهو من جلة التابعين من كبار أصحاب ابن مسعود أدرك أبا بكر وعمر وروى عن عمر وعلي وروى عنه الشعبي وإبراهيم النخعي وكان عالما بالقرآن قارئا فاضلا توفي سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مائة وسنة وعشرين سنة يعد في الكوفيين وقيل إنه مات سنة إحدى وثمانين والأول أصح)[4].

وقال محمد بن سعد في (الطبقات الكبرى): (وكان ثقة كثير الحديث)[5]،

---

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٨ ص ٥٧٠ ـ ٥٧١.

(٢) تقريب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٢١٦.

(٣) تهذيب الكمال ج ٢٨ ص ٥٧٢.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٦٣.

(٥) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٦ ص ١٠٥.



وعده محمد بن سعد ممن كان يحب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه فقال: (وقال يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم قال كان زر بن حبيش أكبر من أبي وائل فكانا إذا اجتمعا لم يحدث أبو وائل عند زر وكان زر يحب عليا وكان أبو وائل يحب عثمان)[١]، وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: (كان أبو وائل عثمانيا، وكان زر بن حبيش علويا)[٢].

وقد ذكره ابن حبان في (الثقات) قائلا: (زر بن حبيش الأسدي من أهل الكوفة من بني غاضر كنيته أبو مريم وقد قيل أبو مطرف يروي عن عمر وعلي روى عنه أهل الكوفة مات سنة ثنتين وثمانين قبل الجماجم وهو ابن اثنتين وعشرين ومائة سنة وكان من أعرب الناس وكان عبد الله بن مسعود يسأله عن العربية)[٣].

أقول: روى له جميع أصحاب الكتب الستة، وقد ذكره الذهبي في (الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة)[٤].

واو: حُذَيْفَةُ

حذيفة بن اليمان: اسمه حسيل، ويقال: حسل، بن جابر بن أسيد، أبو عبد الله العبسي صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو صحابي، ومرتبة الصحابي عندهم من اعلى مراتب الوثاقة.

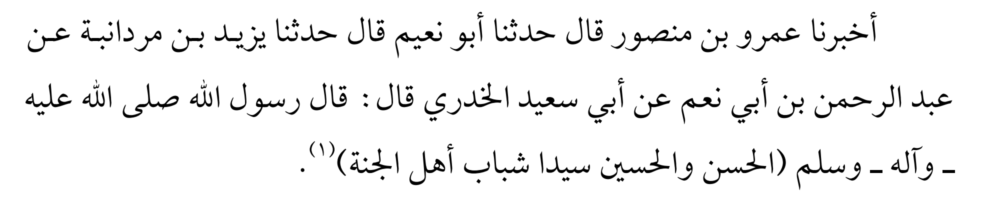
فالحديث بناء على ما تقدم صحيح لا مرية فيه.

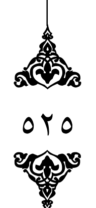
(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٦ ص ١٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٩٩.

(٣) الثقات لابن حبان ج ٤ ص ٢٦٩.

(٤) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج ١ ص ٤٠٢.





٣: ما رواه النسائي في السنن الكبرى

أخبرنا عمرو بن منصور قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا يزيد بن مردانبة عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)[١].

وهذا أيضا حديث صحيح رجاله ثقات، وتفصيل حالهم كالتالي:

ألف: عمرو بن منصور

وهو من أوساط الآخذين عن تبع الأتباع، قال المزي في (تهذيب الكمال): (قال بشر بن أحمد الاسفراييني عن عبد الله بن محمد بن سيار الفرهياني: سمعت عباسا العنبري يقول: ما قدم علينا مثل عمرو بن منصور وأبي بكر الوراق)[٢]، وقال في موضع آخر من كتابه: (روى عنه: النسائي فأكثر، وعبد الله بن محمد بن سيار، والقاسم بن زكريا المطرز. قال النسائي: ثقة، مأمون، ثبت)[٣].

وقال عنه الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (عمرو بن منصور الحافظ، المجود، المصنف، أبو سعيد النسائي، أحد من يضرب به المثل في الحفظ، وهو قديم الوفاة. حدث عن: أبي مسهر الغساني، وأبي نعيم، وأبي اليمان، وآدم بن أبي إياس، ومسلم بن إبراهيم، وطبقتهم. حدث عنه: النسائي كثيرا، وعبد الله بن محمد بن سيار، وقاسم بن زكريا المطرز، وآخرون. قال النسائي: ثقة، مأمون، ثبت)[٤].

وقال الذهبي في (ميزان الاعتدال): (وعمرو بن منصور النسائي [س].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٤٩.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ج ١ ص ٤٧٧.

(٣) المصدر السابق ج ٢٢ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٣ ص ٣٨٢.



متأخر، ثقة. من شيوخ أبي عبد الرحمن النسائي. لحق أبا نعيم وطبقته. قال النسائي: ثبت مأمون)(١)

وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (عمرو بن منصور النسائي أبو سعيد ثقة ثبت من الحادية عشرة)(٢).

باء: أبو نعيم

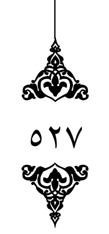
وأبو نعيم هو الفضل بن دكين الأحول الكوفي، وهو من كبار الآخذين عن تبع الأتباع، وقد ذكره العجلي في (معرفة الثقات) ووثقه بقوله: (الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول كوفي ثقة ثبت في الحديث)(٣).

وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (الفضل بن دكين أبو نعيم الملائي الأحول كوفي... ثنا صالح بن أحمد بن حنبل قال قلت لأبي: وكيع وعبد الرحمن بن مهدي وأبو نعيم ويزيد بن هارون أين يقع أبو نعيم من هؤلاء؟ قال أبو نعيم يجيء حديثه على النصف من هؤلاء إلا انه كيس يتحرى الصدق، قلت فأبو نعيم أثبت أم وكيع؟ قال أبو نعيم أقل خطأ... نا عبد الرحمن نا أبي قال سألت علي بن المديني من أوثق أصحاب الثوري؟ قال يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع وأبو نعيم، وأبو نعيم من الثقات... نا عبد الرحمن قال سألت أبي عن أبي نعيم الفضل بن دكين فقال ثقة كان يحفظ حديث الثوري ومسعر حفظا جيدا كان يحزر حديث الثوري ثلاثة آلاف وخمسمائة حديث، وحديث مسعر نحو خمسمائة حديث كان يأتي بحديث الثوري عن لفظ واحد لا يغيره وكان لا يلقن وكان حافظا متقنا، نا عبد الرحمن قال

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٢٨٩.

(٢) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٧٤٧.

(٣) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ٢٠٥.



سئل أبو زرعة عن أبي نعيم وقبيصة فقال أبو نعيم أتقن الرجلين)[١].

وذكره ابن حبان في (الثقات) بقوله: (الفضل بن دكين بن حماد أبو نعيم الملائي مولى طلحة بن عبيد الله القرشي من أهل الكوفة يروي عن الأعمش وفطر ابن خليفة كان مولده سنة ثلاثين ومائة ومات آخر يوم من شعبان سنة ثمان أو تسع عشرة ومائتين وكان أصغر من وكيع بسنة وكان أتقن أهل زمانه)[٢].

وقال الذهبي في (تذكرة الحفاظ): (أبو نعيم الفضل بن دكين «واسم دكين» عمرو بن حماد «بن زهير» الحافظ الثبت الكوفي الملائي التاجر من موالي طلحة بن عبيد الله التيمي... وقال أحمد بن صالح: ما رأيت محدثا أصدق من أبي نعيم وقال يعقوب الفسوي: أجمع أصحابنا ان أبا نعيم كان غاية في الإتقان. وقال أبو «حاتم: أبو» نعيم حافظ متقن. وقال محمد بن عبد الوهاب الفراء: كنا نهاب أبا نعيم أشد من هيبة الأمير. وقال يحيى القطان: إذا وافقني هذا الأحول ما أبالي من خالفني)[٣].

أقول: وقد روى للفضل بن دكين أربعة من أصحاب الكتب الستة وهم كل من (البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه).

جيم: يزيد بن مردانبة

قد مرت ترجمته وتوثيقه في الحديث الأول، فراجع.

دال: عبد الرحمن بن أبي نعم

قد مرت ترجمته أيضا وتوثيقه في الحديث الأول، فراجع.

---

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٧ ص ٦١ ـ ٦٢.

(٢) الثقات لابن حبان ج ٧ ص ٣١٩.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

هاء: أبو سعيد الخدري

وهو صحابي ومرتبة الصحابي عندهم أعلى مراتب التوثيق.

فالحديث صحيح لا ريب فيه.





٤: تصحيح زيادة (وأبوهما خير منهما)

يوجد حديث آخر مروي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ورد فيه ذكر الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما وانهما سيدا شباب أهل الجنة، مع إضافة حقيقة جديدة ومهمة وهي تصريحه صلى الله عليه وآله وسلم الواضح والجلي بان أباهما أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه خير منهما.

وهذا الأمر مجمع عليه عند المسلمين كافة وبجميع مذاهبهم، أما عند الشيعة الإثني عشرية فالأمر واضح، وذلك لأنهم يعتقدون بان أفضل الخلق عند الله وأحبهم إليه مرتبون على النحو التالي، فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في المرتبة الأولى، إذ ليس يوجد انس ولا جان ولا نبي ولا مرسل ولا عبد ولا حر ولا اسود ولا ابيض أحب إلى الله سبحانه منه إليه، ومن ثم يأتي الامام امير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصهره في المرتبة الثانية من حيث الفضل والرفعة، ثم تأتي الصديقة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها بضعة النبي وسيدة نساء العالمين في الدنيا والآخرة في المرتبة الثالثة، ثم يأتي الإمامان الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما في المرتبة الرابعة بعد جدهما المصطفى وأبيهما وأمهما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وبإجماع كلمة الشيعة الإثني عشرية هو أفضل من ابنيه ولديه الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما،



وعليه فإذا كان الإمامان الحسن والحسين سيديّ شباب أهل الجنة فإن أباهما سيدهما وسيدهما يعني سيد سيدي شباب أهل الجنة.

وبمعنى آخر، إذا كان الإمامان الحسن والحسين أفضل شباب أهل الجنة وإذا عرفنا أن جميع أهل الجنة شباب جرد مرد كما في الأحاديث الصحيحة، فهذا يعني أن الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما سيدا جميع أهل الجنة ومنهم الأنبياء والمرسلون والشهداء والصديقون حتى أبينا آدم وأمنا حواء وبقية الرسل من أولي العزم وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان الحديث مطلق لا يخرج منه احد إلا بدليل قاطع وقوي، وعليه فيكون معنى (وأبوهما خير منهما) هو أن الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أفضل من ولديه، وهو ومن باب أولى أفضل من جميع أهل الجنة ومنهم الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وغيرهم ممن تقدّم ذكرهم، لان الأفضل من الأفضل هو أفضل من الجميع فتأمل.

نعم يستثنى من هذا الأمر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لقيام الدليل القطعي عند الشيعة الإمامية بأفضليته على الإمام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما وعلى جميع أهل السماوات والأرض، فهو صلى الله عليه وآله وسلم خارج تخصصا عن القاعدة السابقة.

أما على وفق المنظور السني، فإضافة (وأبوهما خير منهما) مما اجتمعت عليه كلمتهم، فهم يعتقدون بأفضلية ما يسمونهم بالخلفاء الأربعة الراشدين، على باقي الصحابة أجمع، ومنهم الإمامان الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، وهذا الإجماع على ما فيه من علات ومؤاخذات يكفي لتصحيح زيادة (وأبوهما خير منهما) بغض النظر عن الأسانيد التي نقلت لنا هذه الإضافة، لان الأمة عندهم لا تجتمع على باطل، أو خطأ، وقد علمنا أن الأمة على اختلاف مشاربها مجمعة على



أفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه على ولديه صلوات الله وسلامه عليهما.

ومثل هذا الإجماع وان كان حجة شرعية ومدركا قويا يصحح قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما) بغض النظر عن أسانيده إلا أننا سنذكر للقارئ الكريم عدة ممن روى هذا الحديث وصححه والتفصيل موكول إلى محله.

والحاكم النيسابوري في (المستدرك على الصحيحين) ممن روى الحديث وصححه، حيث قال: («حدثنا» أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل ثنا السري بن خزيمة ثنا عثمان بن سعيد المري ثنا علي بن صالح عن عاصم عن زر عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما * هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ولم يخرجاه)[١].

وقد وافقه الذهبي على هذا القول في (تلخيص المستدرك) فقال: (صحيح)[٢].

وقد اخرج ابن ماجة في صحيحه هذا الحديث عن: (محمد بن موسى الواسطي. ثنا المعلى بن عبد الرحمن. ثنا ابن أبي ذئب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. وأبوهما خير منهما)[٣].

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٦٧.

(٢) المستدرك بتعليق الذهبي ج٣ ص١٨٢ حديث رقم ٤٧٧٩.

(٣) سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني ج ١ ص ٤٤.



وقد صحح الألباني هذا السند في (صحيح وضعيف ابن ماجة)[١]، وكذلك صحح الألباني حديثين وردت فيهما هذه الزيادة والمروية عن الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه وابن عمر، والتي أوردها ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق) فراجع[٢].

٥: بعض من قال بتواتر حديث الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة

قال بتواتره المناوي في (فيض القدير شرح الجامع الصغير) فبعد ان بين طرق تخريج الحديث ختمها بقوله: (قال الترمذي: حسن صحيح قال المصنف: وهذا متواترا)[٣].

وقد عده الحافظ السيوطي من الأحاديث المتواترة، وقد نقل المباركفوري في (تحفة الأحوذي) قول السيوطي بتواتر حديث (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) فقال: (وهذا الحديث مروي عن عدة من الصحابة من طرق كثيرة ولذا عده الحافظ السيوطي من المتواترات)[٤].

وممن اعترف بتواتر حديث الثقلين الشيخ محمد ناصر الألباني وهو وهابي العقيدة والفكر، فبعد أن استعرض جميع طرق هذا الحديث وزياداته وصحح كثيرا منها قال في (السلسلة الصحيحة): (وبالجملة فالحديث صحيح بلا ريب بل هو متواتر كما نقله المناوي وكذلك الزيادات التي سبق تخريجها، فهي صحيحة ثابتة)[٥].

---

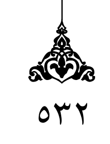
(١) صحيح وضعيف ابن ماجة للألباني ج١ ص١٩٠.

(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني ج١ ص٣.

(٣) فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٣ ص٥٥٠.

(٤) تحفة الأحوذي للمباركفوري ج ١٠ ص ١٨٦.

(٥) السلسلة الصحيحة للألباني ج٢ ص٤٣٨.



محاولات أهل السنة للتشويش على هذا الحديث

تعرض هذا الحديث شأنه شأن الأحاديث والفضائل الأخرى لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى شيء من التشويش ومحاولة التغطية والتعمية على ألفاظه أو مداليله، وفيما يأتي جملة من تلك المحاولات:

١: محاولتهم إقحام نبي الله عيسى ويحيى في ضمن الحديث

لم ترض الدولة التي حكمت المسلمين، ولا محدثو أهل السنة ورواتهم وعلماؤهم، أن تكون لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو لأحدهم فضيلة مستقلة، يمتازون بها عن غيرهم، لان السياسة التي قام عليها الفكر السني، قائمة ومنذ اليوم الأول على جعل أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أناسا عاديين، لا امتياز لهم ولا خصوصية ينفردون بها عن باقي الصحابة، أو غيرهم من الناس.

وإذا ما وجدت فضيلة أو خصوصية قيلت في حقهم على لسان القرآن الكريم أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم يسارعون بإدخال وإقحام غيرهم معهم في تلك الفضيلة أو الخصوصية، لكي لا تكون دليلا على تقدمهم على غيرهم من الصحابة لا سيما الثلاثة منهم وعائشة، وقد مرت شواهد كثيرة على هذه الحقيقة، ولكي لا يحتج بتلك الأحاديث محتج من خصوم أهل السنة، فإذا ما احتج منهم محتج محاولا الاستفادة من هذه الأحاديث لإثبات حق أهل البيت ووجوب تقديمهم على العالمين جوبه واصطدم بحجة ان هذه الفضائل ليست مختصة بأهل البيت وقد شاركهم الناس بذلك فيضيعون بذلك الهدف الأساس من صدورها عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.



وحديث (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) لم يستثن من هذا المخطط الملعون، فان القوم لما أحسوا أن هذا الحديث مما يتفرد به الإمامان الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، وانه يؤدي إلى سيادة الإمامين صلوات الله وسلامه عليهما على أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وغيرهم من الصحابة بل وغيرهم من سائر الأنبياء والمرسلين والشهداء والصديقين في الجنة، عمدوا إلى إقحام بعض الشخصيات واستثنائها من عموم هذا الحديث وشموله، فرووا حديثا استثنوا منه نبي الله عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه، ونبي الله يحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه عليهما، ورووا حديثا آخر استثنوا منه كلاً من أبي بكر وعمر وسيأتي تفصيله بعد هذا الحديث.

ألف: مناقشة ما صححه الحاكم النيسابوري

قال الحاكم النيسابوري في (المستدرك على الصحيحين): («حدثنا» أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني ثنا الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة * هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة وأنا أتعجب انهما ـ أي البخاري ومسلم ـ لم يخرجاه)[1].

أقول: ليس تعجب الحاكم النيسابوري في محله، لان البخاري ومسلماً إنما لم يخرجاه لعدم وروده بطريق صحيح قطعا، وأما تصحيحه لسند هذا الحديث فهو في غير محله أيضا، لعدة أسباب منها:

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٦٦ ـ ١٦٧.



أولا: ان الذهبي تعقب تصحيح الحاكم ولم يقره على قوله

ان الذهبي تعقب تصحيح الحاكم النيسابوري لهذا الحديث في كتابه (تلخيص المستدرك) بقوله:

(الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم فيه لين)[١]، وقد ضعفه ابن معين أيضا كما نقله الرازي في (الجرح والتعديل بقوله: الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي كوفي... عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال: الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم ضعيف... حدثنا عبد الرحمن قال ذكره أبي. حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم فقال: صالح الحديث)[٢].

ووصفه ابن حجر بسوء الحفظ في (تقريب التهذيب) قائلا: (الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم بضم النون وسكون المهملة الكوفي البجلي صدوق سيئ الحفظ من السابعة)[٣]، وهذه الزيادة من سوء حفظه حتما، لان ما هو محفوظ ومشهور ومتواتر ليس فيه مثل هذه الزيادة.

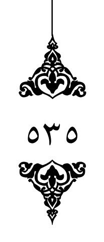
وتوثيق أبي حاتم له بقوله (صالح الحديث) لا ينفع في هذا المورد بالذات، لان سيئ الحفظ إنما يكون حديثه صالحا فيما لو وافق غيره من الحفاظ الأثبات، ولم يأت بزيادة منكرة ليست بمحفوظة، والحكم بن عبد الرحمن هنا لم يوافق قوله قول الحفاظ الأثبات وأتى بزيادة لم تأتِ عن ثقة حافظ ثبت، فهو في هذا الحديث غير صالح الحديث.

---

(١) المستدرك بتعليق الذهبي ج٣ ص١٨٢ حديث رقم ٤٧٧٨.

(٢) الجرح والتعديل للرازي ج ٣ ص ١٢٣.

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٢٣٢.



ثانيا: في السند عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني وهو ضعيف متهم بالإرجاء ويخطئ

وليس الحكم بن عبد الرحمن وحده المطعون فيه في هذا الإسناد، فعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني أيضا ضعيف يخطئ، وانه يعتقد بالإرجاء، وهي عقيدة فاسدة بإجماع الشيعة والسنة، وهي من العقائد التي بثتها وشجعتها واعتقدت بها الدولة الأموية الغاشمة.

أما ضعفه فواضح في كلمات أهل الجرح والتعديل، فعن محمد بن سعد في (الطبقات الكبرى) انه قال: (عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني ويكنى أبا يحيى وكان ضعيفا)[١]، وقال العجلي في (معرفة الثقات): (عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني كوفي ضعيف الحديث مرجئ)[٢].

وقال عبد الله بن عدي في (الكامل): (عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني كوفي يكنى أبا يحيى... وقد ضعفه أحمد بن حنبل وضعف ابنه يحيى)[٣].

وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (عبدالحميد بن عبدالرحمن الحماني بكسر المهملة وتشديد الميم أبو يحيى الكوفي لقبه بشمين بفتح الموحدة وسكون المعجمة وكسر الميم بعدها تحتانية ساكنة ثم نون صدوق يخطئ ورمي بالإرجاء من التاسعة)[٤].

وقال الصفدي في (الوافي بالوفيات): (عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني الكوفي ولاؤه لحمان وهم بطن من تميم وأصله خوارزمي ولقبه بشمين...وثقه ابن معين وقال النسائي ليس بالقوي وقال أبو داود كان داعية في الإرجاء)[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٦ ص ٣٩٩.

(٢) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ٧٠.

(٣) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٥ ص٣٢١.

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر ج١ ص٥٥٦.

(٥) الوافي بالوفيات للصفدي ج ١٨ ص.٤٣



وتوثيق يحيى بن معين متضارب فيه، فقد نقلت عنه بعض الأخبار بأنه وثقه، ونقلت عنه أخبار أخرى بأنه ضعفه، قال عبد الله بن عدي في (الكامل): (حدثنا علان ثنا ابن أبي مريم سألت يحيى بن معين عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني فقال ضعيف ليس بشيء حدثنا أحمد بن علي عن بحر قال: ثنا عبد الله بن أحمد الدورقي قال: قال يحيى بن معين يحيى بن عبد الحميد الحماني ثقة وأبوه ثقة)[1] وعند حصول مثل هذا التضارب فإما أن يهمل هذا القول المتضارب، وأما يرجع فيه إلى المشهور، وفي كلتا الحالتين تسقط وثاقة الحماني هذا.

وأما ذكر ابن حبان له في ضمن كتابه (الثقات) فلا عبرة به، لان ابن حبان معروف بالتسرع في توثيق المجاهيل والضعفاء، ولا ريب أن توثيقه هذا داخل في هذا الأمر، ولأنه لو كان ثقة لما خفيت وثاقته عن احمد بن حنبل والنسائي وابن سعد وغيرهم.

ثالثا: أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم كان أموي الانتماء فهو متهم في هذا الحديث

قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (الأصم محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان، الإمام المحدث مسند العصر، رحلة الوقت، أبو العباس الأموي مولاهم)[2].

وقال خير الدين الزركلي في (الأعلام): (محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي بالولاء، أبو العباس الأصم: محدث، من أهل نيسابور)[3].

---

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٥ ص٣٢١.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٥ ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣.

(٣) الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٧ ص ١٤٥.

وكون أبي العباس الأصم أموي الولاء يبعث في القلب الريبة، لان القرائن تشير بأجمعها على أن لبني أمية يداً طولى في خلق هذه الزيادة.

فالحديث الذي صححه الحاكم غير صحيح يجمع الضعيف، والمرجئ، والمشهور بالخطأ، وسئ الحفظ، والأموي الهوى، فكيف يمكن تصحيح مثل هذا الحديث أيها الحاكم النيسابوري؟!.

باء: مناقشة رواية النسائي في كتابه (السنن الكبرى)

قال النسائي: (اخبرنا محمد بن آدم بن سليمان عن مروان عن الحكم وهو ابن أبي نعيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا)[1].

أقول: وهذه الرواية ضعيفة أيضا لعدة أسباب منها:

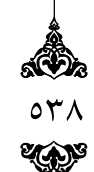
أولا: لوجود (مروان) في إسناده وهو مدلس وقد عنعن

وهو: (مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري، أبو عبد الله الكوفي) وهو من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين، وهو وان روى عنه أصحاب الكتب الستة (البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة) إلا انه كان مدلسا، ويغير في أسماء من يروي عنهم، ويروي عن أشخاص مجهولين أو ضعفاء ويكني عنهم ولا يذكر أسماءهم كي لا يعرفوا، وكان يلتقط شيوخه من السكك، وغير ذلك من الأمور القادحة بالعدالة والضبط والوثاقة.

قال الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق،

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٥٠.



أخبرنا هبة الله بن محمد بن حبش الفراء، حدثنا أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: رأيت أبا حذيفة عبد الله بن مروان بن معاوية قد جاء إلى يحيى بن معين فسلم عليه، فلما قام قال له أبو شيبة ابن عمي: يا أبا زكريا، كيف كان مروان في الحديث؟ فقال: كان ثقة فيما روى عمن يعرف. وقال: إنه كان يروي عن أقوام لا يروي عنهم ويغير أسماءهم، وكان يحدث عن محمد بن سعيد الذي كان صلب وهو يكني اسمه، فكان يقول: حدثنا محمد بن أبي قيس لكيلا يعرف...، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا موسى بن إبراهيم بن النضر العطار، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: وسألت عليا ـ يعني ابن المديني ـ عن مروان بن معاوية فقال: كان يوثق، وكان يروي عن قوم ليس بثقات ويكني عن أسمائهم)[1].

وقال سليمان بن خلف الباجي في (التعديل والتجريح): (مروان بن معاوية ابن الحارث بن أسماء بن خارجة أبو إسحاق الفزاري الكوفي... قال أبو حاتم هو صدوق لا يدفع عن صدق وتكثر روايته عن الشيوخ المجهولين... قال أبو بكر سمعت ابن معين يقول كان مروان بن معاوية يغير الأسماء يعمي على الناس كان يحدثنا عن الحكم بن أبي خالد وإنما هو الحكم بن ظهير)[2].

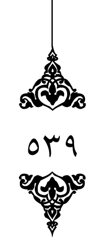
وقال الذهبي في (تذكرة الحفاظ): (وقال ابن معين: كان يلتقط شيوخا من السكك)[3]، وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (مروان بن معاوية بن الحارث ابن أسماء الفزاري أبو عبد الله الكوفي نزيل مكة ودمشق ثقة حافظ وكان يدلس أسماء الشيوخ من الثامنة مات سنة ثلاث وتسعين)[4].

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣ ص١٥٢.

(٢) التعديل والتجريح لسليمان بن خلف الباجي ج ٢ ص ٨٠٥.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ١٧٢.



أقول: إن مروان بن معاوية قد عنعن[١] في هذا الإسناد، وهو مدلس، والمدلس إذا عنعن لا تقبل روايته بالاتفاق، قال الزيلعي في (نصب الراية): (والمدلس إذا عنعن لا يحتج به بالاتفاق)[٢]، وقال محمد ناصر الألباني في (إرواء الغليل): (والمدلس إذا عنعن، لا يحتج به بالاتفاق)[٣]، وقال الشنقيطي في (أضواء البيان): (والمدلس إذا عنعن لم تقبل روايته عند أهل الحديث)[٤].

ثم العجب كل العجب من أئمة الحديث من أهل السنة كيف وثّقوا مثل هذا الراوي المدلس والكذاب على الرغم من رميه بكل تلك الطامات العظام، وهم الذين ضعفوا كثيرا من الرواة الآخرين لمجرد كون أحدهم شيعيا، أو انه يفضل الإمام علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر وعثمان، أو لان اغلب رواياته في فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أو غير ذلك من الأسباب التافهة، والشواهد كثيرة لا يسعنا استيعابها، فهذا شاهد آخر على تعصب القوم وعدم إنصافهم العلمي في التعامل مع فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم الناقلين لها، وإلا فلو تجرد القوم عن روح التعصب الأعمى فكيف يمكن ان يوصف رجل بالوثاقة وهو يلتقط شيوخه من السكك أي انه لا يبالي

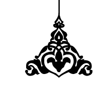
(١) سبق وان تعرفنا على معنى المدلس وخطورة التدليس، أما معنى (عنعن) فهو أن يقول الراوي: (عن فلان عن فلان عن فلان)، وقوله (عن فلان) هو المقصود بالعنعنة، وعبارة عن فلان هذه لا تعدّ تصريحا بأنه سمع ذلك فعلا من فلان، فلربما سمعه من غيره وأخفاه، لهذا لا يعتد أهل الحديث بعنعنة المدلس، ولا يؤخذ قوله إلا إذا صرح بالسماع، بان يقول حدثنا فلان، لان عبارة حدثنا صريحة بان هذا المدلس قد سمع فعلا من فلان ذاك.

(٢) نصب الراية للزيلعي ج ٢ ص ٤٢.

(٣) إرواء الغليل لمحمد ناصر الألباني ج٢ ص٣٢٠.

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٤٦٤.

عمن اخذ وماذا أخذ، أم كيف يوصف بالثقة من كان يغير الأسماء ويدلس الشيوخ يريد بذلك قلب الحقائق والتزوير والتعمية على الناس، فأين الأنصاف في التقييم يا أهل الحديث وأئمته؟!.



ثانيا: لوجود الحكم بن أبي نعيم بن عبد الرحمن

وقد مرت ترجمته في مناقشة ما صححه الحاكم النيسابوري قبل عدة صفحات، وقد تبين انه ضعيف سئ الحفظ، وان توثيق ابي حاتم له لا ينفعه في هذا المورد بالذات.

جيم: مناقشة رواية الطبراني في كتابه المعجم الكبير

قال الطبراني في (المعجم الكبير): (حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم الأسماء حدثني أبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا مشهور الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا)[1].

أقول: وهذه الرواية أيضا ساقطة عن الاعتبار لعدة أسباب منها:

أولا: لوجود أسباط بن نصر الهمداني الذي يقلب الأسانيد والموصوف بالأهوج

وهو من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين، روى له جميع أصحاب الكتب الستة، على الرغم من كون عامة أحاديثه وباعترافهم سقطاً مقلوبة الأسانيد، وانه أهوج، وليس بالقوي، قال المزي في (تهذيب الكمال): (أسباط بن نصر الهمداني، أبو يوسف، ويقال: أبو نصر الكوفي... قال حرب بن إسماعيل: قلت لأحمد: كيف حديثه؟ قال: ما أدري. وكأنه ضعفه. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ٣٨.



بن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: سمعت أبا نعيم يضعف أسباط بن نصر، وقال: أحاديثه عامته سقط مقلوب الأسانيد. وقال محمد بن مهران الجمال: سألت أبا نعيم عنه، فقال: لم يكن به بأس، غير أنه كان أهوج. وقال النسائي: ليس بالقوي. روى له الجماعة)[1].

ولم يكتب عنه احمد بن حنبل ولا وكيع ولا أبو نعيم، ففي كتاب (العلل) المنسوب لأحمد بن حنبل: (سألته عن أسباط بن نصر فقال ما كتبت من حديثه عن أحد شيئا ولم أره عرفه ثم قال وكيع وأبو نعيم يحدثان عن مشايخ الكوفة ولم أرهما يحدثان عنه)[2].

وأسباط بن نصر هو الذي اعترض لأجله أبو زرعة على مسلم النيسابوري وعاب عليه إخراج حديثه في صحيحه (صحيح مسلم) لبعد حديث أسباط بن نصر عن الصحيح بحسب تعبير أبي زرعة، ففي (تهذيب الكمال) قال المزي: (...حدثنا سعيد بن عمرو البرذعي، قال: شهدت أبا زرعة يعني الرازي ذكر كتاب «الصحيح» الذي ألفه مسلم بن الحجاج، ثم الفضل الصائغ على مثاله، فقال لي أبو زرعة: هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه، فعملوا شيئا يتسوقون به، ألفوا كتابا لم يسبقوا إليه، ليقيموا لأنفسهم رياسة قبل وقتها. وأتاه ذات يوم وأنا شاهد رجل بكتاب «الصحيح» من رواية مسلم، فجعل ينظر فيه، فإذا حديث عن أسباط بن نصر، فقال أبو زرعة: ما أبعد هذا من الصحيح يدخل في كتابه أسباط بن نصر؟!)[3].

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ٢ ص ٣٥٧ـ٣٥٩.

(٢) العلل لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٩٥ ـ ٩٦.

(٣) تهذيب الكمال للمزي ج ١ ص ٤١٩.



أقول: ولا يعتد بتوثيق يحيى بن معين وقوله عن أسباط بن نصر بانه (ثقة)[١]، وكذلك لا يعتد بذكر ابن حبان له في كتابه (الثقات)[٢]، وعدم الاعتداد بتوثيقهما راجع إلى قاعدة مشهورة عندهم تنص على ان (الجرح المفسر مقدم على التعديل المجمل)، ومن طعن وجرح أسباط بن نصر قد فسر هذا الطعن بكونه أحاديثه مقلوبة الأسانيد ساقطة، أو انه أهوج وغير ذلك، أما من وثقه فقد أجمل فيه القول، واكتفى بقوله (ثقة) كما فعل يحيى بن معين، أو ذكر اسمه ومن روى عنه أو روى عنهم فقط كما فعل ابن حبان، ولكنهما لم يبينا سبب توثيقه، فيكون جرح الجارحين له مقدماً على توثيق الموثقين عملا بقاعدة (الجرح المفسر مقدم على التعديل المجمل).

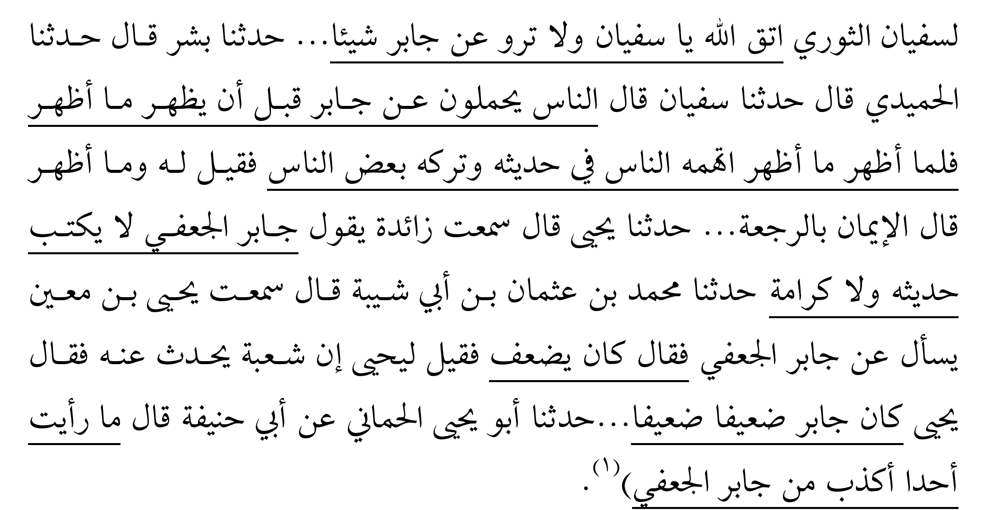
ثانيا: لوجود جابر بن يزيد الجعفي

وهو من صغار التابعين، روى عنه ثلاثة من أصحاب الكتب الستة (أبو داود والترمذي وابن ماجة) وغيرهم، وهو عندهم متروك الحديث، رافضي خبيث، يؤمن بالرجعة ويكذب، وانه لا يكتب حديثه ولا كرامة، قال العقيلي في (ضعفاء العقيلي): (جابر بن يزيد الجعفي... حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا عباس بن محمد قال حدثني يحيى بن يعلى المحاربي عن زائدة قال كان جابر الجعفي كذابا يؤمن بالرجعة... عن ثعلبة بن سهيل الطهوي قال: قال لي ليث لا تقربن جابر الجعفي ولا تسمع منه... حدثنا أبو يحيى الحماني قال سمعت الربيع بن المنذر يقول

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ٢ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٩.

(٢) قال ابن حبان في الثقات ج ٦ ص٨٥: (أسباط بن نصر الهمداني كنيته أبو نصر من أهل الكوفة يروي عن سماك بن حرب والسدي روى عنه عمرو بن محمد العنقزي وعمرو بن حماد بن طلحة القناد).





لسفيان الثوري اتق الله يا سفيان ولا ترو عن جابر شيئا... حدثنا بشر قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان قال الناس يحملون عن جابر قبل أن يظهر ما أظهر فلما أظهر ما أظهر اتهمه الناس في حديثه وتركه بعض الناس فقيل له وما أظهر قال الإيمان بالرجعة... حدثنا يحيى قال سمعت زائدة يقول جابر الجعفي لا يكتب حديثه ولا كرامة حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال سمعت يحيى بن معين يسأل عن جابر الجعفي فقال كان يضعف فقيل ليحيى إن شعبة يحدث عنه فقال يحيى كان جابر ضعيفا ضعيفا...حدثنا أبو يحيى الحماني عن أبي حنيفة قال ما رأيت أحدا أكذب من جابر الجعفي)[1].

وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (جابر بن يزيد الجعفي الكوفي أبو محمد... حدثنا عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول: جابر الجعفي يكتب حديثه على الاعتبار ولا يحتج به. حدثنا عبد الرحمن قال سمعت أبا زرعة يقول: جابر الجعفي لين)[2].

وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي أبو عبد الله الكوفي ضعيف رافضي من الخامسة مات سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين)[3].

أقول: وان كانت جميع الأمور التي من اجلها قد تم تضعيف جابر بن يزيد الجعفي غير منطقية وغير مبررة، كمثل رميهم له بالرفض، أو اعتقاده بالرجعة، وأمثال هذه الأمور، إلا أن تضعيفهم له كاف لرد الرواية من باب الإلزام، عملا بما

---

(١) ضعفاء العقيلي للعقيلي ج ١ ص ١٩١ ـ ١٩٦.

(٢) الجرح والتعديل للرازي ج ٢ ص٤٩٨.

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ١٥٤.





اشتهر عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم)[1].

فيثبت بما مر أن الرواية التي رواها الطبراني في معجمه الكبير ضعيفة ساقطة عن الاعتبار، وبها يثبت عدم صحة زيادة (إلا ابني الخالة....) ويبقى حديث (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) على إطلاقه شاملا لكل أهل الجنة وبلا استثناء عدا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأبوهما الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وامهما الزهراء سيدة نساء العالمين صلوات الله وسلامه عليها.

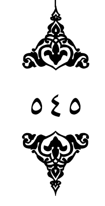
٢: محاولتهم اختلاق حديث (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة) وتصحيحه

تعددت ضربات مطارق رواة أهل السنة لفضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فما تكاد فضائل هؤلاء الأطهار تفوق من ضربة من ضرباتهم ومطرقة من مطارقهم حتى يوجهوا لها ضربة أخرى بهدف قتلها أو إضعافها على اقل التقادير، فحديث (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) ما كاد يفوق من ضربة إدخال ابني الخالة عيسى ويحيى في ضمن الحديث وإقحامها، حتى ألحقوه بضربة أخرى هي قلب ألفاظ هذا الحديث ونسبته إلى أشخاص آخرين، ليقطعوا الطريق أمام من يحاول الاستفادة من حديث لإثبات أفضليتهم على الصحابة عامة وعلى أبي بكر وعمر وعثمان خاصة.

فلعل سائلاً من المسلمين وبعد قراءته حديث (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما) يقول: إذا كان هؤلاء الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أفضل من جميع الصحابة، فلماذا تقدم أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم عليهما وعلى أبيهما؟.

---

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٩ ص٣٢٢.



وإذا كانا وأبوهما أفضل المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا تجاهلهم التاريخ؟ ولماذا أخذ المسلمون السنة ورواتهم عن غير أهل البيت أضعاف ما أخذوه عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟.

بل لماذا لم يأخذوا عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين شيئا يذكر فيما لو قسناه بما تم أخذه عن أبي هريرة أو أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وغيرهم من الصحابة العاديين من ذوي الرتب المتواضعة بالقياس إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟.

فمقدار ما أخذ عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه من الاحاديث والسنن والروايات هو خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا فقط[١]، بينما لم يأخذوا عن السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها سوى ثمانية عشر حديثا فقط[٢]، أما الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه فلم يأخذوا منه إلا ثلاثة عشر حديثا فقط[٣]، وكان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو الأقل من حيث عدد الأحاديث التي رويت عنه في كتبهم، فلم يرووا عنه إلا ثمانية أحاديث[٤] فقط.

فهل يعقل ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعلم الصحابة من بعده صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يحفظ سوى خمسمائة حديث فقط؟.

---

(١) أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد لابن حزم الظاهري، تحقيق وتعليق مسعد عبد الحميد السعدني، ص٣٣ أصحاب المئتين.

(٢) المصدر السابق ص٤٢ أصحاب الثمانية عشر.

(٣) أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد لابن حزم الظاهري، تحقيق وتعليق مسعد عبد الحميد السعدني، ص٤٥ أصحاب الثلاثة عشر.

(٤) المصدر السابق ص٥٠ أصحاب الثمانية.



أم هل يعقل ان سيدة نساء العالمين وأم أبيها ومن يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها لم تكن تحفظ سوى ثمانية عشر حديثا عن أبيها التي عاشت معه جميع سني عمرها؟.

أم هل يعقل ان الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما سيدي شباب أهل الجنة ومن تربيا في حجره وعاشا في كنفه سنين طويلة لم يتعلّما من جدهما إلا ثلاثة عشر حديثا بالنسبة للإمام الحسن وثمانية أحاديث بالنسبة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهما؟.

أم ان هنالك أمراً خفياً، وتجاهلاً متعمداً لهؤلاء الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لإبعادهم وابعاد اخبارهم والحجر عليهم وعليها قدر المستطاع؟! ووحده المغفل الذي يعتقد أنّ مثل هذا الإعراض عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعن رواياتهم قد جاء بحسن نية وعدم قصد، وان السلطة لم يكن لها يد في التعمية والتضليل على أخبارهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإرعاب من يرغب أو ينوي الرواية عنهم وتخويفه.

ولا اقصد بالسلطة هنا السلطة الأموية والعباسية والسلطات التي أتت من بعدهما إلى اليوم، بل اقصد بالسلطة سلطة الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، لان الطامة قد بدأت من هناك، وان خطة التجاهل والإغماض والإقصاء في تلك الأيام قد أسست، ومن ثم استمرت وأصبحت عبر السنين أمرا مسلما ومستساغا لا يرتاب فيه.

والأعجب من ذلك كله هو قلة حياء وإنصاف من محدثي أهل السنة عند اعتذارهم عن سبب قلة مرويات أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كتبهم ومدوناتهم وتصانيفهم، فحينما سئل مالك بن أنس صاحب كتاب (الموطأ) الذي يعد من أقدم مصادر التدوين الروائي في هذا العصر، عن سبب قلة مرويات



الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وقلة مرويات ابن عباس في كتابه الموطأ فانه يجيب كما نقله الزرقاني في (شرح الزرقاني على الموطأ) بقوله: (لم يكونا ببلدي ولم ألق رجالهما)[1]، ويجدر الإشارة إلى أن المرويات التي نقلها مالك بن أنس في الموطأ عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لم تتجاوز الثلاث عشرة رواية أو قريباً من ذلك، كذلك يجدر الإشارة إلى أن مالكاً من أهل المدينة لم يرحل إلى غيرها لطلب الحديث فكتب أكثر روايات الموطأ عن رواة أهل المدينة ومحدثيهم فقط.

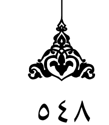
ولا يخفى على المتتبع المنصف ضعف ما قاله مالك بن أنس وما اعتذر به وعدم إنصافه، فقوله إنّ عليا لم يكن ببلدي محض كذب، لان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أقام في المدينة المنورة قرابة ست وثلاثين سنة، ولم يرحل عنها إلا أربع سنوات تقريبا هي مدة بقائه في الكوفة، فهل يعقل أن يضيع مالك بن انس مدة أربع وثلاثين سنة من مدة بقاء الإمام صلوات الله وسلامه عليه مع ما فيها من كثير حديث وفقه وتفسير لأجل أربع سنوات ابتعد فيها الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن أرضه وموطنه، إن هذا لشيء عجيب!.

ثم إذا ابتعد الإمام عن موطنه، فان أصحابه والراوين عنه كانوا ما يزالون في المدينة أو رجعوا إليها بعد استشهاد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وأكثرهم من أهل المدينة، فلماذا لم يأخذ عنهم مالك أحاديثه؟!

ثم إذا كان عذر مالك مع أحاديث أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لهذا السبب فبماذا يعتذر عن أحاديث الإمام الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، وندرة وجودها في (الموطأ) إن قلنا بوجودها أصلا؟.

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ، ج١ ص١٣ طبعة دار الكتب العلمية.



ومع ملاحظة ان الإمام الحسن قد رجع إلى المدينة وحدث بها وبقي بها إلى أن استشهد صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، والإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لم يخرج من المدينة إلا في رحلته الأخيرة إلى كربلاء، فلماذا قلت روايته عنهم بل انعدمت؟ الم يكونوا من أهل المدينة وقد رووا ما لا يحصى من الروايات والأحكام؟.

ولماذا ندرت رواياته عن الإمام علي بن الحسين وابنه محمد وابنه جعفر صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، الم يكونوا من أهل المدينة ولم يخرجوا منها؟.

كل هذه التساؤلات وغيرها تجعل من الباحث يتيقن بان عدم اخذ مالك وعدم اهتمام الباقين ممن صنّف الحديث ودوّنه راجع إلى أسباب التعصب المذهبي والفكري، وان جميع ما يعتذرون به داخل في المثل المشهور (عذر أقبح من فعل).

ثم إذا كان هذا عذر مالك بن انس فما هو عذر البخاري ومسلم واحمد وغيرهم من أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن الذين طافوا بلاد المسلمين وجمعوا آلاف الأحاديث إن لم نقل ملايين الأحاديث، فلماذا اغفلوا وتجاهلوا مرويات أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ؟، ومن أفضل من أهل البيت حتى ينقل منه؟، فهل معاوية بن أبي سفيان أفضل من سيدي شباب أهل الجنة؟، أم هل ان عمرو بن العاص أفضل منهما؟!، كلا وألف كلا.

فلماذا إذن نقلوا عن معاوية مئة وستة وثلاثين حديثا[(١)]، ونقلوا عن عمرو بن العاص تسعة وثلاثين حديثا[(٢)]، بينما نقلوا عن الحسنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا ذلك العدد القليل الذي ذكرناه، والحسنان صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا ان لم نقل بعصمتهما وإمامتهما فهما

(١) أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد لابن حزم الظاهري، تحقيق وتعليق مسعد عبد الحميد السعدني، ص٣٥ أصحاب المائة.

(٢) المصدر السابق ص٣٩ أصحاب العشرات.

على اقل التقادير من الصحابة الذين عاشوا مع النبي الأعظم سنين طويلة وقضوا معه أكثر ساعات عمريهما، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص لم يدخلا إلى الإسلام إلا في سنين متأخرة ولم يرافقا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو عاشا معه بالمقدار الذي عاشه الحسنان صلوات الله وسلامه عليهما، فلماذا قلت روايات هؤلاء وزادت روايات أولئك، هذا سؤال سيبقى يحتاج إلى إجابة صريحة وغير متعصبة من إخواننا أهل السنة.

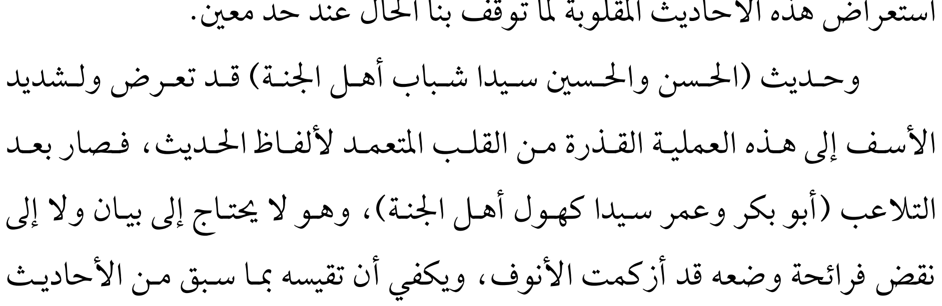
ولا ينفع جوابهم بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما ما زالا صغيرين فلم يحفظا عن جديها الشيء الكثير، لان مثل هذا الجواب مكشوف كذبه مفضوح أمره، لان في الصحابة من كان اصغر من الإمامين صلوات الله وسلامه عليهما أو بعمرهما أو اكبر منهما بقليل، ولم يرَ النبي بالمقدار الذي رآه الإمامان الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، إلا أن القوم رووا عنهم أكثر مما رووا عن الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، والأمثلة على هذه الحقيقة كثيرة، وبهذا يتضح ان إعراضهم عن الإمامين وعن أبويهما من قبل ليس لغرض صغر السن وقصر العمر وأمثال ذلك، بل السبب يعود كما ذكرنا من قبل إلى سياسة وخطة منظمة ومعدة لإبعاد أهل هذا البيت وإقصائهم وإقصاء كل ما يتعلق بهم وكل ما يذكر بهم ورواياتهم كانت إحدى هذه الأمور المقصاة.

إذن فمن اجل أن تفتح كل هذه الملفات الحرجة والمحرجة، وكي لا تتشعب الأسئلة ويقع القوم في الإحراج من الواعين من أبناء الأمة الإسلامية، عمد القوم إلى مخطط آخر نجح إلى حد بعيد في صد الناس وتضليلهم عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا المخطط هو الذي أسميناه واسماه البعض بمخطط قلب الأحاديث النبوية الواردة بحق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والأمثلة على هذا المخطط كثيرة، فيكفي أن تتأمل في قلب تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين





علي بن أبي طالب بالفاروق، أو فاروق هذه الأمة، والذي سرق منه وأعطي لغيره، وبمعنى آخر قلبوه لصالح غيره، وتأمل في أمر النبي للمسلمين بسد الأبواب التي كانت شارعة في المسجد إلا باب علي، وكيف قلبوه إلى حديث سد الأبواب إلا خوخة أو باب أبي بكر، ولاحظ كيف قلبوا حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)، إلى: (...أبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون من موسى)، وغير ذلك الكثير الكثير، ولو قررنا استعراض هذه الأحاديث المقلوبة لما توقف بنا الحال عند حد معين.

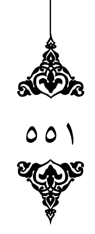


وحديث (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) قد تعرض ولشديد الأسف إلى هذه العملية القذرة من القلب المتعمد لألفاظ الحديث، فصار بعد التلاعب (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة)، وهو لا يحتاج إلى بيان ولا إلى نقض فرائحة وضعه قد أزكمت الأنوف، ويكفي أن تقيسه بما سبق من الأحاديث الموضوعة لتعرف حقيقته، وسبب إيجاده، وعلة اختلاقه.

ولكننا ومع ذلك ولكي تتم الحجة على من لا يعلم سنقدم بعض الإيرادات على هذا الحديث المختلق، والتي منها:

أولا: الجنة ليس فيها شيوخ بإجماع المسلمين وأهل الجنة شباب جرد مرد كما ورد في الحديث

من أقوى ما اعترض به على هذا الحديث هو مخالفته للمتعارف عند المسلمين، لان المسلمين قديما وحديثا استقرت عقيدتهم على أن أهل الجنة شباب لا يهرمون ولا يكبرون ولا يموتون ولا عنها يرحلون، وان عمر الإنسان مقسم إلى ثلاث مراحل، كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ



ٱلْقَدِيرُ ﴾[1] فعدّ القرآن الكريم مرحلة ما قبل الشباب ضعفا وكذلك مرحلة ما بعد الشباب، فالشباب إذن هي المرحلة الأفضل من مراحل العمر البشري، وبهذه المرحلة بالذات سيدخل أهل الجنة جنتهم، إذ من غير المعقول أن يدخل الله سبحانه أهل الجنة وهم في مرحلة الطفولة الضعيفة، ولا في مرحلة الكهولة والشيخوخة التي عدّها القرآن الكريم من مراحل الضعف، لان الضعف لا يتناسب وعالم الجنة، لان الضعف نقص والجنة فيها الكمال بأبهى صوره.

فمن هنا يعلم ان أهل الجنة شباب لا أطفال ولا كهول، وان هذا الشباب دائم لا يفنى ولا يتبدل أو يبلى، وقد عضدت الروايات والأحاديث هذه العقيدة، فصرحت بان أهل الجنة مخلدون بلا موت ولا بؤس، لا يبلى شبابهم ولا تخرق ثيابهم، ففي مسند احمد بن حنبل: (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ حَدَّثَنَا سَعْدَانُ الْجُهَنِيُّ عَنْ أَبِي مُجَاهِدٍ الطَّائِيِّ عَنْ أَبِي مُدِلَّةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا عَنْ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا قَالَ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ مِلَاطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ حَصْبَاؤُهَا الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ وَتُرْبَتُهَا الْوَرْسُ وَالزَّعْفَرَانُ مَنْ يَدْخُلُهَا يَخْلُدُ لا يَمُوتُ وَيَنْعَمُ لا يَبْأَسُ لا يَبْلَى شَبَابُهُمْ وَلا تُخَرَّقُ ثِيَابُهُمْ)[2].

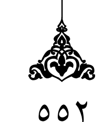
أقول: الشاهد هو في قوله (لا يبلى شبابهم) فهو نص صريح على ان أهل الجنة شباب لا ينتقلون عنه إلى مرحلة الكهولة والشيخوخة.

وسند الحديث صحيح او حسن على اقل التقادير، فوكيع هو: (وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان الكوفي، من قيس عيلان من صغار أتباع التابعين روى عنه جميع أصحاب الكتب الستة وهو ثقة حافظ عابد).

---

(١) سورة الروم الآية ٥٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٤٤٥.



وسعدان الجهني هو: (سعدان بن بشر، ويقال: ابن بشير، الجهني القبي الكوفي، وهو من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين، روى له البخاري والترمذي وابن ماجة، وهو صدوق صالح الحديث).

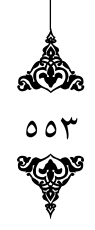
وأبو مجاهد الطائي هو: (سعد أبو مجاهد الطائي الكوفي، وهو من طبقة الذين عاصروا صغار التابعين، روى له البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة وآخرون، ذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه احمد بن حنبل: لا بأس به، وقال وكيع: ثقة).

وأبو مدلة هو: (أبو مدلة، المدني، مولى عائشة، يقال اسمه عبيد الله بن عبد الله، وهو من الطبقة الوسطى من التابعين، روى له الترمذي وابن ماجة وآخرون، وقد وثق، ذكره ابن حبان في كتابه الثقات، وابن المدينة كان يرميه بالجهالة ويقول: أبو مدلة مولى عائشة لا يعرف اسمه مجهول، ولم يرو عنه غير أبي مجاهد.

أقول: وهذا لا يضر وثاقته فجهالة الاسم مع معرفة الشخص لا تضر الوثاقة ولا تعد جهالة تامة تسقط الوثاقة، وإذا لم يعرف ابن المديني اسمه وجهله فقد عرفه غيره وسماه فترتفع عنه جهالة الاسم وتثبت وثاقته.

وأما أبو هريرة فمعروف فهو عندهم من الصحابة ودرجة الصحابي هي أعلى درجات التوثيق عندهم، فالحديث صحيح وان تنزلنا فهو حسن.

وروى المتقي الهندي في (كنز العمال) حديثا عن الخطيب في كتابه (المتفق والمفارق) وصححه بقوله: (يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تصحوا ولا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ـ أخرجه ـ الخطيب في المتفق والمفترق عن أبي سعيد



وأبي هريرة معا ورجاله ثقات)[١].

وقد عضدت هذه الأحاديث والروايات شروح علماء أهل السنة وكلماتهم أيضا، فعن المناوي في (فيض القدير في شرح الجامع الصغير) وعند شرحه للحديث الأول الذي تقدم قال: («لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم» إشارة إلى بقاء الجنة وجميع ما فيها ومن فيها وأن صفات أهلها من الشباب ونحوه لا يتغير وملابسهم لا تبلى وقد نطق بذلك التنزيل في عدة آيات لهم فيها نعيم مقيم أكلها دائم وظلها وفي طي ذلك تعريض بذم الدنيا فإن من فيها وإن نعم يبأس ومن أقام فيها لم يخلد بل يموت ويفنى شبابه ويبلى جسده وثيابه)[٢].

وقال أيضا في محل آخر عند شرحه لحديث (من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن): (وأهل الجنة كلهم شباب كما دل عليه خبر أهل الجنة جرد مرد لا يفنى شبابهم)[٣].

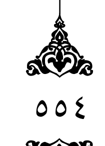
فآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكلمات أعلام أهل السنة، والمجمع عليه عند المسلمين إلا من شذ منهم، كلها متفقة على أن جميع أهل الجنة هم من الشباب، ولا مكان للكهول بينهم، فان كان أبو بكر وعمر سيدخلان الجنة شابين فالإمام الحسن والحسين سيداهما، وعلي كذلك سيدهما، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الجميع، وان كانا سيدخلانها كهلين، فهذا يعني انهما سيدخلان في مكان غير الجنة التي سيدخلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي والحسنان صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسائر أهل الإيمان.

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٤ ص ٤٩٢.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٣ ص ٤٨٠.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: ج٦، ص١٩٦.



ثانيا: طعن أصحاب الحديث وأهل الجرح والتعديل بطرق هذا الحديث

لا يمكن لنا في هذه العجالة استعراض جميع طرق حديث (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة) لأنهم رووه بطرق متعددة كثيرة وإيرادها على كثرتها هنا يستلزم جهدا كبيرا، ويخرج بنا عن حالة الاختصار التي انتهجناها في عرض الأحاديث ومناقشتها، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله كما يقول المثل المعروف، لذا قررنا استعراض بعض طرق الحديث وتبيان ما قاله أعلام السنة حولها، وفيما يأتي جملة من هذه الأقوال:

١: تضعيف الهيثمي لعدة طرق من طرق الحديث

قال الهيثمي: في (مجمع الزوائد): (وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لأبي بكر وعمر «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين». رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه على بن عابس وهو ضعيف.

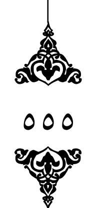
وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين لا تخبرهما يا علي» رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه المقدام بن داود وقد قال ابن دقيق المعيد إنه وثق وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال بمثل حديث متنه ان النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: «أبو بكر وعمر سيدا كهول الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي» رواه البزار وقال لا نعلم رواه عن عبيد الله بن عمر إلا عبد الرحمن بن ملك بن مغول، قلت وهو متروك)[1].

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٥٣.

٢: تضعيف أبي داود لبعض طرق الحديث لوجود عبد الرحمن بن مالك الكذاب في سنده

جاء في (سؤالات الآجري لأبي داود): (سألت أبا داود عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول، فقال: آية من الآيات، كذاب. وسئل أبو داود عنه مرة أخرى، فقال: كان يضع الحديث. روي عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة)[١].



٣: رمي الطبراني لأكثر أسانيد الحديث بالتفرد

ألف: الرواية الأولى

قال الطبراني في (المعجم الأوسط): (حدثنا أحمد قال حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم قال حدثنا عبيد بن الصباح قال حدثنا فضيل بن الاستثناء عن فراس عن الشعبي عن الحارث عن علي قال كنت عند النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فأقبل أبو بكر وعمر فقال هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين خلا النبي والمرسلين لا تخبرهما يا علي. لم يرو هذا الحديث عن فضيل إلا عبيد تفرد به أحمد بن عثمان)[٢].

أقول: والحديث إضافة إلى علة التفرد ضعيف، لوجود أكثر من راوٍ مطعون في وثاقته، كالحارث الذي نقل الرواية عن الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه، وهو: (الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الحوتي الخارفي) وكان الشعبي يقول: (حدثنا الحارث الأعور وكان كذابا)[٣] ويوجد فيها رجال آخرون تركنا الخوض في

---

(١) سؤالات الآجري لأبي داود لسليمان بن الأشعث ج ١ ص ١٥٢.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ج ٢ ص ٩١.

(٣) علل الترمذي ص٤١٠.

تفاصيلهم كمثل فراس وعبيد فكلاهما له أوهام ولعل هذا من أوهامهما.

والحارث وان كان عند الشيعة ثقة ومن أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الأجلاء، إلا أن تضعيفهم له كاف لإسقاط روايتهم هذه المكذوبة والمنسوبة إلى علي كذبا وافتراء من باب (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم).





باء: الرواية الثانية

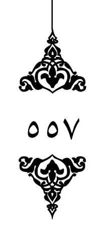
وقال الطبراني أيضا في (المعجم الأوسط): (حدثنا علي بن العباس الأسماء الكوفي قال نا زكريا بن يحيى الأكفاني قال نا خنيس بن بكر بن خنيس قال نا مالك بن مغول عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: قال رسول الله «ص» أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين. لم يرو هذا الحديث عن مالك إلا خنيس، تفرد به: زكريا بن يحيى، ولا يروي عن ابن أبي جحيفة إلا بهذا الإسناد)[1].

أقول: وهو مع علة التفرد ضعيف أيضا، ففيه خنيس بن بكر بن خنيس، وهو شيخ ضعيف، قال الخطيب البغدادي: (أخبرنا أحمد بن محمد الكاتب أخبرنا أبو مسلم بن مهران قال قرأت على محمد بن أبي طالب بن علي قال: قال أبو علي صالح بن محمد: خنيس بن بكر بن خنيس شيخ ضعيف)[2].

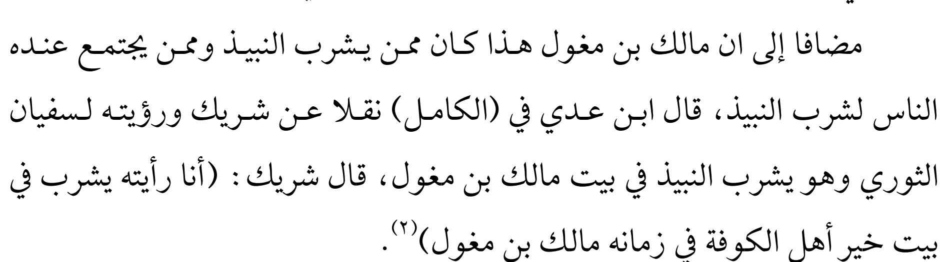
وفيه أيضا مالك بن مغول، وأصحاب الحديث من السنة وان وثقوه إلا أننا نتهمه في هذا الحديث لان مالك بن مغول هذا كان يبغض عليا ويزري عليه وعلى عمار بن ياسر، قال عبد الله بن عدي في (الكامل): (ثنا محمد بن الليث ثنا إسماعيل السدي ثنا علي بن قادم عن عبد السلام بن حرب قال قلت لشريك هل

(١) المعجم الأوسط للطبراني ج ٤ ص ٢٧٢.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ ص ٣٣٨.



لك في أخ تعوده قال من قلت مالك بن مغول قال ليس لي بأخ من أزري على علي وعمار بن ياسر)[١] ومثل هذا الشخص يكون متهما فيما لو روى حديثا ينقص من قدر علي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا الحديث داخل في ضمن هذا العنوان.



مضافا إلى ان مالك بن مغول هذا كان ممن يشرب النبيذ وممن يجتمع عنده الناس لشرب النبيذ، قال ابن عدي في (الكامل) نقلا عن شريك ورؤيته لسفيان الثوري وهو يشرب النبيذ في بيت مالك بن مغول، قال شريك: (أنا رأيته يشرب في بيت خير أهل الكوفة في زمانه مالك بن مغول)[٢].

جيم: الرواية الثالثة

وقال الطبراني: (حدثنا محمد بن أحمد بن عنبسة البزار المصيصي ثنا محمد ابن كثير المصيصي ثنا الأوزاعي عن قتادة عن أنس قال نظر النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إلى أبي بكر وعمر فقال هذان سيدا كهول أهل الجنة * لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا محمد بن كثير، ولم يروه عن قتادة إلا الأوزاعي)[٣].

أقول: وفي الحديث تفردان كما صرح الطبراني وهو ضعف على ضعف، إضافة إلى أن محمد بن كثير المصيصي كان كثير الغلط ولابد أن هذه من أغلاطه.

دال: الرواية الرابعة

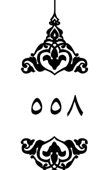
قال الطبراني: (حدثنا مقدام ثنا عمي سعيد بن عيسى نا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ولا

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٤ ص ١٠.

(٢) المصدر السابق ص١١.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ج ٧ ص ٦٨.

تخبرهما يا علي لم يرو هذا الحديث عن جعفر بن محمد إلا سفيان بن عيينة تفرد به سعيد بن عيسى)[1].



أقول: والرواية مع التفرد ضعيفة، لوجود (مقدام) فيها، وهو: (مقدام بن داود بن عيسى بن تليد)، وهو ليس بثقة، وضعيف، ولم يكن محمودا في الرواية، وممن تكلم فيه، قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (مقدام بن داود بن عيسى بن تليد... قال النسائي في «الكنى»: ليس بثقة. وقال أبو عمرو محمد بن يوسف الكندي: كان فقيها مفتيا، لم يكن بالمحمود في الرواية. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال ابن يونس: تكلموا فيه. مات في رمضان سنة ثلاث وثمانين ومئتين)[2].

وقال ابن حجر («مقدام» بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني أبو عمرو المصري...قال النسائي في الكنى ليس بثقة، وقال ابن يونس وغيره تكلموا فيه، وقال محمد بن يوسف الكندي كان فقيها مفتيا لم يكن بالمحمود في الرواية)[3].

هاء: الرواية الخامسة

قال الطبراني في (المعجم الأوسط): (حدثنا عبد الله بن ناجية البغدادي قال نا عبيد الله بن يوسف الجبيري قال نا علي بن عابس عن بدر بن الخليل وعبد الملك ابن أبي سليمان وأبي الجحاف وكثير النواء كلهم سمعوا عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين يعني أبا بكر وعمر لا تخبرهما ذلك يا علي)[4].

---

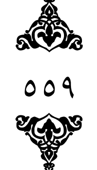
(١) المعجم الأوسط للطبراني ج ٨ ص ٣٤٠.

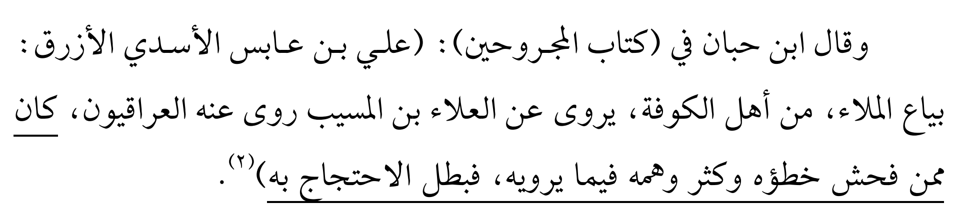
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٣ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

(٣) لسان الميزان لابن حجر ج ٦ ص ٨٤.

(٤) المصدر نفسه.

أقول: والحديث أيضا ضعيف لان فيه علي بن عابس، وهو (على بن عابس الأسدي الأزرق الكوفي الملائي) وهو من صغار أتباع التابعين، روى له الترمذي وغيره، وهو ضعيف وليس بشيء، قال الدوري في (تاريخ ابن معين): (سمعت يحيى يقول علي بن عابس ليس بشيء)[1].





وقال ابن حبان في (كتاب المجروحين): (علي بن عابس الأسدي الأزرق: بياع الملاء، من أهل الكوفة، يروى عن العلاء بن المسيب روى عنه العراقيون، كان ممن فحش خطؤه وكثر وهمه فيما يرويه، فبطل الاحتجاج به)[2].

وقال عبد الله بن عدي في (الكامل): (وقال النسائي علي بن عابس ضعيف)[3]. وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (علي بن عابس بموحدة مكسورة بعدها الأسدي الكوفي ضعيف من التاسعة)[4].

واو: الرواية السادسة

قال الطبراني في (المعجم الصغير): (حدثنا محمد بن أحمد بن عنبسة البزار بكفربيا حدثنا محمد بن كثير الصنعاني حدثنا الأوزاعي عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال: رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة لم يروه عن الأوزاعي إلا محمد بن كثير)[5].

أقول: وهذه الرواية إضافةً إلى علة التفرد فهي ضعيفة بمحمد بن كثير، وهو

(١) تاريخ ابن معين ليحيى بن معين برواية الدوري ج ١ ص ٢٠٩.

(٢) كتاب المجروحين لابن حبان ج ٢ ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٥ ص.١٨٩

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٦٩٧.

(٥) المعجم الصغير للطبراني ج ٢ ص ٧٧.



(محمد بن كثير بن أبى عطاء الثقفي، أبو يوسف الصنعاني ثم المصيصي) من صغار أتباع التابعين، روى له ثلاثة من أصحاب الكتب الستة، هم أبو داود والترمذي والنسائي، وآخرون من غيرهم، قال الآجري في (سؤالات الآجري لأبي داود): (سمعت أبا داود ذكر محمد بن كثير المصيصي فقال: لم يكن يفهم الحديث)[١].

وكان احمد بن حنبل يضعفه جدا، ففي كتاب (العلل): (ذكر أبي محمد بن كثير المصيصي فضعفه جدا وقال سمع من معمر ثم بعث إلى اليمن فأخذها فرواها وضعف حديثه عن معمر جدا وقال هو منكر الحديث أو قال يروي أشياء منكرة)[٢].

ورواية محمد بن كثير للحديث المزعوم (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة) قد طعن المزي فيها على وجه الخصوص، ففي (تهذيب الكمال) قال: (وقال يونس بن حبيب الأصبهاني: ذكرت لعلي بن المديني محمد بن كثير المصيصي وأنه حدث عن الأوزاعي، عن قتادة، عن أنس قال: «نظر النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إلى أبي بكر، وعمر، فقال: هذان سيدا كهول أهل الجنة». فقال علي: كنت أشتهي أن أرى هذا الشيخ فالآن لا أحب أن أراه)[٣].

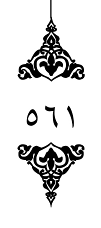
وعدم رغبة علي بن المديني في رؤية محمد بن كثير بعد أن كان يشتهي رؤيته، قد جاء بعد سماعه لهذا الحديث بهذا السند، وليس ذاك إلا لنكارته وضعفه وتلاعبه بالإسناد أو كذبه في المتن مما أدى إلى إسقاط عدالته ووثاقته التي أدت بدورها إلى انقلاب رغبة علي بن المديني وحبه للقاء محمد بن كثير إلى كره لقائه وعدم محبة رؤيته.

---

(١) سؤالات الآجري لأبي داود لسليمان بن الأشعث ج ٢ ص ٢٥٨.

(٢) العلل لأحمد بن حنبل ج ٣ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٣) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٦ ص ٣٣١، وراجع أيضا الجرح والتعديل للرازي ج ٨ ص ٦٩.



٤: طعن الدارقطني في عدة طرق من طرق الحديث

ألف: طعنه في طريق الحسين عن علي

ورد في كتاب (علل الدارقطني): (وسئل عن حديث الحسين بن علي عن علي عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة، فقال يرويه علي بن الحسين بن علي واختلف عنه فرواه الحسين بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه الحسين عن علي وخالفه محمد بن عبد الرحمن المليكي فرواه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن علي ولم يذكر الحسين وكذلك روي عن الزهري عن علي بن الحسين عن جده علي قاله الموقري عن الزهري وقيل الموقري عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي ورواه إبراهيم بن صرمة عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسبب عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي)(١).

أقول: وهذا هو ما يسمى بالاضطراب في السند، وهو يؤدي إلى تضعيف الحديث بلا أدنى شك.

باء: طعنه لطريق الحارث عن علي

وورد في كتاب (علل الدارقطني) أيضا: (وسئل ــ أي الدارقطني ــ عن حديث الحارث عن علي عن النبي صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم في أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين فقال: يرويه الشعبي واختلف عنه فرواه الحكم بن عتيبة وزكريا بن أبي زايدة وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي وفراس بن يحيى وليث بن أبي سليم عن الشعبي عن الحارث عن علي فأما حديث الحكم فرواه عنه محمد بن مرة والحسن بن

---

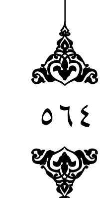
(١) علل الدارقطني ج ٣ ص ٩٣ ـ ٩٤.



عمارة وأما حديث زكريا بن أبي زايدة فرواه عنه الهذيل بن ميمون واختلف عنه فقال محمد بن الصباح الجرجرائي عن الهذيل بن ميمون عن زكريا عن الشعبي وقال محمد بن يحيى بن أبي سمينة عن الهذيل عن زكريا عن أبي إسحاق ثم قالا عن الحارث عن علي وأما حديث عبد الأعلى فرواه عنه محمد ابن طلحة وأما حديث ليث بن أبي سليم فرواه عنه منصور بن أبي الأسود وأما حديث فراس فرواه عنه شريك بن عبد الله وفضيل بن مرزوق وعبد الله بن ميسرة أبو ليلى والحسن بن عمارة وقيل إن شريكا وفضيل بن مرزوق إنما أخذاه عن الحسن بن عمارة ولم يسمعاه من فراس ورواه بن عيينة عن فراس ولم يسمعه منه وإنما أخذه عن الحسن بن عمارة عنه ورواه إبراهيم بن طهمان عن الحسن بن عمارة عن فراس عن الشعبي فقال عن حارثة بن مضرب عن علي وقيل عن ابن عيينة فيه أقاويل عدة وقال المسيب بن واضح عنه عن فراس وقال أبو مسلم المستملي عبد الرحمن بن يونس وابن المقرئ عن ابن عيينة عن الحسن ابن عمارة عن فراس وقال بن أبي عمر العدني عن ابن عيينة حدثنا بعض أصحابنا عن فراس وقال عمر والناقد عن ابن عيينة ذكر ذلك عن الشعبي وقال مشكدانة عن ابن عيينة ثنا غير واحد عن الشعبي وقال كثير بن يحيى عن ابن عيينة عن عبيد المكتب عن الشعبي وقال يعقوب الدورقي عن ابن عيينة ذكره داود عن الشعبي وقال هارون بن حاتم عن ابن عيينة عن خالد بن سلمة الفافا عن الشعبي وقال البرتي عن إسحاق بن إسماعيل عن ابن عيينة عن ليث عن الشعبي عن الحارث عن علي حدثناه النجاد عنه وقال سعيد بن عيسى بن تليد عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر حدثناه أبو عبد الله الأيلي قال ثنا مقدام بن داود بن عيسى ثنا عمي سعيد بن عيسى ثنا ابن عيينة الحديث



وقال سعيد ابن أبي مريم عن بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي وكلهم قالوا عن الحارث عن علي، وقال حجاج بن إبراهيم الأزرق عن ابن عيينة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي وكذلك قال علي بن شبرمة عن شريك عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي وكذلك قال وضاح بن حسان عن فضيل بن مرزوق عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي وكذلك قيل عن هذيل ابن ميمون عن زكريا عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي فأما حديث بن أبي مريم عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن الحارث عن علي فقد خالفه المحاربي رواه عن إسماعيل عن زبيد عن الشعبي عن من حدثه عن علي وقال المحاربي أيضا عن أبي جناب الكلبي واسمه يحيى بن أبي حية عن زبيد الأيامي عن الشعبي عن يثيع أو ابن يثيع عن علي وقال محمد بن أبان عن أبي جناب عن الشعبي عن زيد بن يثيع عن علي ولم يذكر فيه زبيدا وقال بكر ابن خنيس عن أبي جناب عن الشعبي عن الحارث عن علي وقال مغيرة بن مسلم وإسحاق الأزرق عن أبي جناب عن الشعبي عن علي وقال إسحاق الأزرق أيضا عن أبي جناب عن أبي إسحاق عن يثيع أو ابن يثيع عن علي وقال عثمان بن مطر الشيباني عن أبي جناب الكلبي عن زر بن حبيش وسويد بن غفلة وعمرو بن شرحبيل وأبي الجعد مولى أشجع والمسيب بن عبد خير ووهب أبي جحيفة عن علي واختلف عن مالك بن مغول فرواه هشيم عن مالك بن مغول عن الشعبي وعن أبي إسحاق الكوفي عن الشعبي عن الحارث عن علي ورواه أحمد بن يونس عن مالك بن مغول عن الشعبي عن علي ولم يذكر بينهما أحدا ورواه يونس بن أبي إسحاق وطعمة بن غيلان وسيار بن ثوبان عن الشعبي عن علي وروي عن عكرمة بن إبراهيم عن سعيد بن مسروق عن



الشعبي عن الحارث بن سويد عن علي وروي عن فطر عن أبي إسحاق عن الشعبي عن علي وخالفه شريك من رواية علي بن شبرمة عنه وفضيل بن مرزوق من رواية وضاح عنه قالا عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي وقد تقدم ذكر ذلك وروي هذا الحديث عن الحسن بن علي بن أبي طالب عن علي وروي عن الحسن بن علي عن علي وروي عن جابر بن عبد الله عن علي)[١].

أقول: وهذه المناقشة الطويلة وأشباهها وان لم تكن واضحة عند كثير من القراء الكرام بسبب عدم اشتغالهم أو قلة بضاعتهم في علم الحديث إلا أنها مهمة جدا عند من له استئناس وإحاطة بهذا العلم لذلك ذكرناها على طولها، وهي كسابقتها تثبت وقوع الاضطراب في سند هذا الحديث فتتسبب في إسقاطه عن الاعتبار.

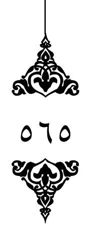
جيم: طعنه في طريق زر بن حبيش عن علي

وورد في (علل الدار قطني) أيضا: (وسئل ـ أي الدار قطني ـ عن حديث زر بن حبيش عن علي عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في أبي بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة فقال حدث به روح بن مسافر ومفضل بن فضالة المصري أبو مالك أخو مبارك بن فضالة بن أبي أمية عن عاصم عن زر وتابعه حفص بن سليمان المقري واختلف عنه فرواه علي بن يزيد الصدائي وعلي بن عياض وعمرو ابن عون عن حفص عن عاصم عن زر وروى عن سليمان الشاذكوني عن حفص عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي والمشهور حديثه عن زر والله أعلم والمفضل بن فضالة القتباني كنيته أبو معاوية)[٢].

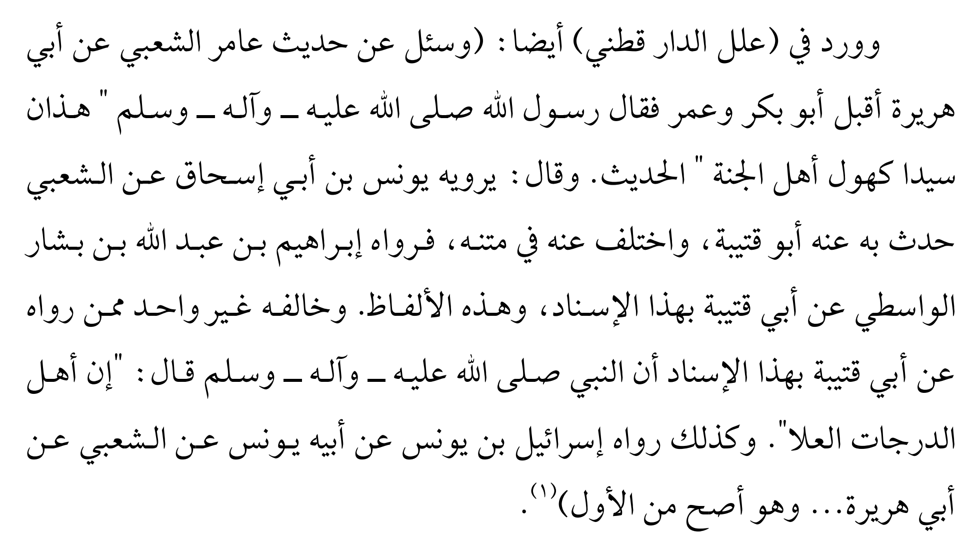
---

(١) علل الدارقطني ج ٣ ص ١٤٢ ـ ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠١ ـ ٢٠٣.



دال: طعنه في طريق الشعبي عن أبي هريرة



وورد في (علل الدار قطني) أيضا: (وسئل عن حديث عامر الشعبي عن أبي هريرة أقبل أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم " هذان سيدا كهول أهل الجنة " الحديث. وقال: يرويه يونس بن أبي إسحاق عن الشعبي حدث به عنه أبو قتيبة، واختلف عنه في متنه، فرواه إبراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي عن أبي قتيبة بهذا الإسناد، وهذه الألفاظ. وخالفه غير واحد ممن رواه عن أبي قتيبة بهذا الإسناد أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: "إن أهل الدرجات العلا". وكذلك رواه إسرائيل بن يونس عن أبيه يونس عن الشعبي عن أبي هريرة... وهو أصح من الأول)[1].

أقول: ويفهم من كلام الدار قطني شيئان الأول: هو أنّ لطريق الشعبي عن أبي هريرة علّتين، الأولى هو الاضطراب في السند، والثانية هو الاضطراب في المتن، وهذا الأمر يزيد في ضعف الحديث ويوهنه وهناً على وهنه.

والشيء الثاني: ان احد طرق هذا الحديث اصح من الأول، حيث قال: (وكذلك رواه إسرائيل بن يونس عن أبيه يونس عن الشعبي عن أبي هريرة... وهو أصح من الأول) وهذا خطأ فاحش من مثل الدار قطني، لان هذا الطريق ضعيف للغاية، فيونس هو (يونس بن أبي إسحاق: عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي، أبو إسرائيل الكوفي) وهو من صغار التابعين، وهو صاحب حديث مضطرب، وفي حديثه زيادة على حديث الناس، وهو وان وثق بعضهم إلا انه لا يحتج بحديثه، وقد ذكر هذه العلل جميعهن الرازي في (الجرح والتعديل) فقال: (وحدث عبد الرحمن عن سفيان عنه. نا عبد الرحمن نا صالح بن أحمد بن حنبل حدثنا علي ـ يعنى ابن

---

(١) علل الدار قطني ج ١١ ص ١١٣ ـ ١١٤.

المديني ـ قال سمعت يحيى بن سعيد القطان وذكر يونس بن أبي إسحاق فقال: كانت فيه غفلة وكان منه سجية يقول حدثني أبي قال سمعت عدى بن حاتم نا عبد الرحمن نا محمد بن حمويه ابن الحسن قال سمعت أبا طالب قال: قال أحمد بن حنبل: يونس بن أبي إسحاق حديثه فيه زيادة على حديث الناس. قلت يقولون انه سمع في الكتاب فهو أتم قال: إسرائيل ابنه قد سمع من أبي إسحاق وكتب فلم يكن فيه زيادة مثل ما يزيد يونس. نا عبد الرحمن انا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إلي قال سألت أبي عن يونس بن أبي إسحاق فقال: حديثه مضطرب. نا عبد الرحمن قال ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال: يونس بن أبي إسحاق ثقة. نا عبد الرحمن قال سألت أبي عن يونس بن أبي إسحاق فقال: كان صدوقا إلا انه لا يحتج بحديثه)[1].

ويونس بن أبي إسحاق فوق كل ذلك من المدلسين، وقد عنعن في هذه الرواية فلا تقبل روايته، وقد صرح ابن حجر العسقلاني في (طبقات المدلسين) بان يونس السبيعي قد تعمد التدليس في هذا الحديث بالذات، فأخفى اسم الحارث المجمع على ضعفه، قال ابن حجر: (يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي حافظ مشهور كوفي يقال انه روى عن الشعبي حديثا وهو حديثه عن الحارث عن علي رضي الله تعالى عنه حديث: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة فأسقط الحارث)[2].

فكيف يا ترى خفي عن الدارقطني جميع هذه الحقائق حتى حكم بأن هذا الطريق أصح من الطريق الآخر الذي ذكره، وإذا كان حال الطريق الأصح هكذا فكيف سيكون حال الطريق الثاني؟!.

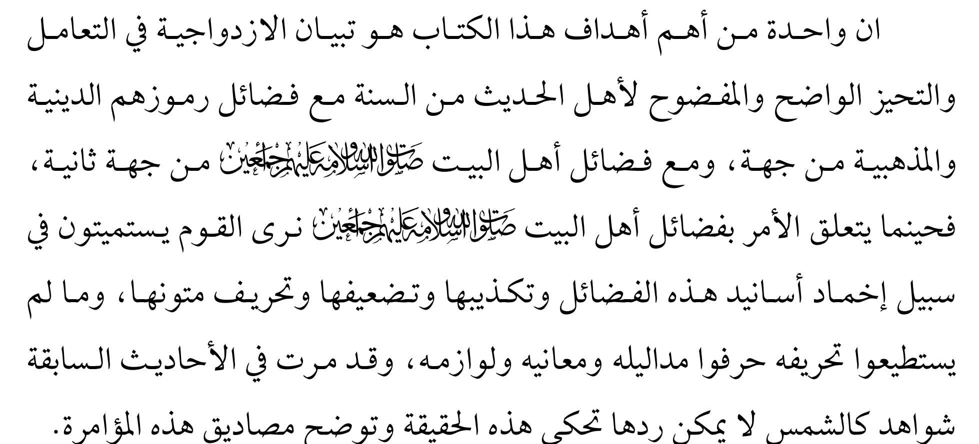
---

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٩ ص ٢٤٤.

(٢) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس المعروف بطبقات المدلسين لابن حجر العسقلاني.



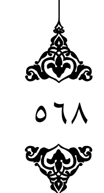
فضح الشيخ الألباني الوهابي ورد تحسينه لحديث أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة



ان واحدة من أهم أهداف هذا الكتاب هو تبيان الازدواجية في التعامل والتحيز الواضح والمفضوح لأهل الحديث من السنة مع فضائل رموزهم الدينية والمذهبية من جهة، ومع فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من جهة ثانية، فحينما يتعلق الأمر بفضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نرى القوم يستميتون في سبيل إخماد أسانيد هذه الفضائل وتكذيبها وتضعيفها وتحريف متونها، وما لم يستطيعوا تحريفه حرفوا مداليله ومعانيه ولوازمه، وقد مرت في الأحاديث السابقة شواهد كالشمس لا يمكن ردها تحكي هذه الحقيقة وتوضح مصاديق هذه المؤامرة.

وبعكس هذا كان يتعامل أهل الحديث السنة مع فضائل رموزهم المذهبية، بالأخص مع فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعائشة وغيرهم، فنراهم يحسنون من الأحاديث ما هو مكذوب، ويصححون ما هو باطل، ويقوون ما هو ضعيف، ويجبرون ما هو ساقط عن الاعتبار على وفق الموازين الشرعية وقوانين الجرح والتعديل، فتغيب عنهم روح المسؤولية الشرعية وتتغير عندهم القواعد وتتبدل لديهم الموازين وكيف يتحول العلم إلى ألعوبة ووسيلة لإرضاء الحس الطائفي والمذهبي البغيض على حساب الحقيقة والإنصاف العلمي والموضوعي.

ونحن فيما سبق أوضحنا مصاديق كثيرة جدا لهذه الحقيقة المرة البشعة، وسنستعرض هنا مصداقاً آخر من مصاديق هذا المخطط الماكر، والشيخ محمد ناصر الألباني هو الذي سيظهر لنا هذه الحقيقة جلية واضحة من خلال الطريقة التي سينتقد فيها حديث (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة) فهل يا ترى سيطبق قواعد الجرح والتعديل على أصولها الصحيحة، أم هل انه سيطبقها تطبيقا كيفيا



مزاجيا بهدف الخروج من خلال هذا التطبيق الكيفي بنتيجة هو مقتنع بها مسبقا، لذلك يحاول جاهدا لَيَّ أعناق النصوص والقواعد ليسوقها إلى حيث ما يحب لا إلى حيث ما هي تحب وتريد، وهو ما سنراه واضحا وجليا من خلال محاولاته المستميتة لتحسين بعض الطرق الساقطة والواهية والمكذوبة لحديث (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين).

١: تضعيفه لطريق الحارث عن علي

قال الألباني متحدثا عن هذه الرواية المكذوبة في (السلسلة الصحيحة): (روي عن جمع من الصحابة منهم علي بن أبي طالب وأنس بن مالك وأبو جحيفة وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري.

١ : أما حديث علي، فله عنه طرق: الأولى: عن الحارث عنه به وزاد: «لا تخبرهما يا علي». أخرجه الترمذي «٤/ ٣١٠» وابن ماجه «١/ ٤٩» وابن عدي «٢١٤/ ٢» والخطيب وابن شاهين في «السنة» «رقم ٦٧ نسختي» والخطيب في «تاريخ بغداد» «١٠/ ١٩٢» وابن عساكر في «تاريخ دمشق» «٩/ ٣٠٧/ ٢». قلت: سكت عنه الترمذي، والحارث ضعيف، وأسقطه بعض الرواة من السند عند ابن عساكر في بعض رواياته. وجعل بعضهم مكانه زيد بن يثيع وهو ثقة. لكن الراوي عن الشعبي ضعيف)[1].

أقول: قد أنصف الألباني نفسه وأنصفنا في هذا الحكم، ولا يمكن تجاهل هذا الأمر منّا، فالحق أحق أن يتبع ويقال ويعمل به، وإسقاطه وتضعيفه لهذا الطريق صحيح لا ريب فيه.

---

(١) السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الألباني ج٢ ص٣٢٣.



٢: تحسينه لطريق زر بن حبيش عن علي

وقال الألباني في المصدر نفسه: (الثانية: عن زر بن حبيش عنه. أخرجه الدولابي في «الكنى» «٢/٩٩» وابن عدي «٢/١٠٠» وعبد الغني المقدسي في «الإكمال» «٢/١٤/١» وابن عساكر «١/٣١٠/٩» من طرق عن عاصم بن بهدلة عنه. وقال المقدسي: «هذا حديث مشهور، له طرق جمة، روي عن جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم». قلت: وهذا إسناد حسن، معروف الحسن، فإن زرا هذا ثقة من رجال الشيخين، وعاصم، أخرجا له مقرونا، قال الحافظ: «صدوق له أوهام، حجة في القراءة»)[1].

أقول: وهنا لم ينصف الألباني نفسه، ولم يعمل بقواعد الجرح والتعديل، وخالف المنهج العلمي وأخلد إلى الأرض واتبع هواه، ولم يحسن في تحسين هذا الطريق المكذوب، وذلك للأسباب التالية:

ألف: ان محاولته التمهيد قبل الحكم على هذا الطريق بأنه حسن بقول المقدسي: (هذا حديث مشهور، له طرق جمة، روي عن جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم) هي محاولة فاشلة منه ومن المقدسي، لأنه وبحسب قواعدهم في الجرح والتعديل، لا اعتبار لكثرة الطرق وقلتها في تصحيح الأسانيد أو تحسينها وعدمه، فرب حديث لم يصل إلا عبر طريق واحد لكنه صحيح، ورب حديث وصل إلينا بعشرات الطرق لكنه يبقى ضعيفاً ولا يحتج به، فرب ضعيف لا تزيده كثرة الطرق إلا ضعفا، وهذا الأمر وهو عدم تقوية الحديث الضعيف بكثرة طرقه مما اشتهر عندهم ولم يخف على مطلع.

وفي هذا الصدد يقول ابن الصلاح في (مقدمة ابن الصلاح): (ليس كل

(١) السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الألباني ج٢ ص٣٢٣.





ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه... ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف وتقاعد هذا الجابر عن جبره وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهما بالكذب أو كون الحديث شاذاً)[١].

وقال الزيلعي في (نصب الراية): (وكم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف...بل قد لا يزيد الحديث كثرة الطرق إلا ضعفاً)[٢].

وقال الشيخ عبد الله بن يوسف الجديع في (تحرير علوم الحديث): (وعدم الاعتبار بما ثبت أنه كذب أو منكر، ظاهر، وإن تعددت له الطرق وكثرت، فلا تعني كثرتها في التحقيق شيئاً؛ لجواز التواطؤ من قبل الكذابين والمتهمين على تنويع الأسانيد للحديث الواحد، فربما نتج تعدد الطرق عن رواية رجل من الضعفاء، عرف بذلك الحديث، فسرقه المتهمون وتداولوه بينهم، يسرقه بعضهم من بعض)[٣].

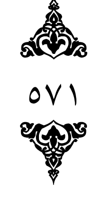
إذن فمحاولة الاستفادة من كثرة طرق الحديث المزعوم هي محاولة فاشلة لا تنطلي إلا على المغفلين الساذجين من أتباع هذا الشيخ الذي انتقص من نفسه وكتابه بهذه الخدعة المكشوفة.

باء: وأما قوله: (قلت: وهذا إسناد حسن، معروف الحسن) فهو محض كذب وتزوير، وهو إدعاء بلا دليل، ولو كان صدقا لبين من هم الذين حسنوه؟ وأين حسنوه؟ وعلى فرض وجود من حسنه فهل حسنوه على وفق قواعد صحيحة بعيدة عن التعصب والطائفية؟ وأين هذه الشهرة المزعومة؟ ومن قال بها ومن هم

(١) مقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن ص٣٥.

(٢) نصب الراية للزيلعي ج١ ص٤٨٤.

(٣) تحرير علوم الحديث لعبد الله بن يوسف الجديع ج٢ ص٢٠٠.



أفرادها؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة، فنحن هنا لا نقول للشيخ الألباني وتلاميذه ومن هم على نهجه إلا ما قاله الله سبحانه لبعض عباده ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾.

تاء: أحببت أن أنقل للقارئ الكريم تمام الإسناد الذي حكم عليه الألباني بأنه حسن وان حسنه واضح، ليتضح من خلال ترجمة رجال سنده كذب الألباني وتزويره وانه إنسان مخادع يختار من الكلام ما يتناسب وغرضه ويترك منه ما لا يتلاءم أو يتضارب مع هواه.

والسند الأول هو كما في (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر حيث قال: (ورواه زر بن حبيش عن علي أخبرناه أبو العز أحمد بن عبيد الله السلمي أنا أبو محمد الحسن بن علي أنا علي بن محمد بن أحمد بن لؤلؤ حدثنا إسحاق بن عبد الله ابن إبراهيم الكوفي حدثنا حسين بن علي الصدائي حدثنا أبي علي بن يزيد حدثنا حفص بن سليمان الغاضري عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن علي قال بينا أنا قاعد عند النبي «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» إذ أقبل أبو بكر وعمر فقال يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما، فما أخبرتهما حتى ماتا ولو كانا حيين ما حدثت بهذا الحديث)[(١)].

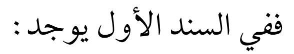
وأما السند الثاني فهو كالتالي: (أخبرناه أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو الحسين بن النقور أنا أبو طاهر المخلص نا أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسان الأنباري نا أبي نا أبي عن حفص أبي عمر البزاز عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن علي قال بينا رسول الله «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» وأنا في المسجد ليس معنا ثالث إذ أقبل أبو بكر وعمر كل واحد منهما آخذ بيد صاحبه فقال يا علي

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٤ ص ١٧١ ـ ١٧٢.



هذان سيدا كهول أهل الجنة ممن مضى من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين يا علي لا تخبرهما بذلك فما أخبرتهما حتى ماتا ولو كانا حيين ما حدثت به أحدا)[١].

أقول: والشيخ الألباني عامله الله بعدله حينما قال: (فإن زرا هذا ثقة من رجال الشيخين، وعاصم، أخرجا له مقرونا، قال الحافظ: «صدوق له أوهام، حجة في القراءة) قد اختار اثنين من رجال هذين الإسنادين فصدق في توثيق أحدهما وكذب في توثيق الآخر، وأخفى رجالاً آخرين لو ترجم لهم وأوضحهم لبان كذبه وانكشف تدليسه.



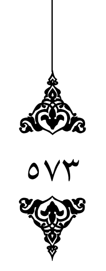
ففي السند الأول يوجد:

أ: (علي بن يزيد) وهو: (علي بن يزيد بن سليم الصدائي الكوفي، الأكفاني، والد الحسين بن علي بن يزيد الصدائي المذكور قبله في نفس السند، وهو من صغار التابعين لم يرو له إلا النسائي من بين أصحاب الكتب الستة) وكان ليس بالقوي، منكر الحديث عن الثقات، وأحاديثه لا تشبه أحاديث الثقات، فهو في أحاديثه متردد بين ثلاثة أوصاف فإما أن يأتي بإسناد لا يتابع عليه، أو يأتي بمتن عن الثقات منكر، أو يروي عن مجهول، وغير ذلك من الأوصاف القادحة.

قال الرازي في (الجرح والتعديل): (علي بن يزيد الصدائي أبو الحسن... حدثنا عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلي قال: سألت أبي عن علي بن يزيد الصدائي فقال ما كان به بأس، حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عن علي بن يزيد الصدائي فقال ليس بقوي منكر الحديث عن الثقات)[٢].

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٤ ص ١٧١ ـ ١٧٢.

(٢) الجرح والتعديل للرازي ج ٦ ص ٢٠٩.



وقال عبد الله بن عدي في (الكامل): (أحاديثه لا تشبه أحاديث الثقات إما أن يأتي بإسناد لا يتابع عليه أو بمتن عن الثقات منكر أو يروي عن مجهول... ولعلي بن يزيد غير ما ذكرت أحاديث غرائب وعامة ما يرويه مما لا يتابع عليه)[١].

وقال الذهبي في (ميزان الاعتدال): (علي بن يزيد الصدائي، أبو الحسن صاحب الأكفان... وقال أبو حاتم: منكر الحديث عن الثقات)[٢]، وقال ابن حجر في (علي بن يزيد بن سليم الصدائي بضم المهملة وتخفيف الدال بمدة الأكفاني فيه لين من التاسعة)[٣].

فهذا الطريق ضعيف منكر يقينا، بوجود هذا الراوي، وهو وان وثقه بعضهم كابن حبان وأمثاله من المتساهلين، إلا أن جرح الذين جرحوه كان مفسرا كما ترى والجرح المفسر مقدم على التوثيق المبهم كما هو ثابت في محله.

والعجيب ان الألباني في كتابه (السلسلة الصحيحة) حكم على حديث في سنده علي بن يزيد الصدائي بالضعف فقال: (من حديث أبي سعيد الخدري. يرويه علي بن يزيد الصدائي، أنبأنا فضيل بن مرزوق عن عطية عنه مرفوعا به...قلت: وهذا إسناد ضعيف مسلسل بالضعفاء، عطية العوفي فمن دونه)[٤]، وقد لينه في مواضع أخرى من كتبه، فكيف خفي حاله عليه هنا؟.

ب: وفي السند الأول والثاني يوجد (حفص)، وهو (حفص بن سليمان الأسدي أبو عمر البزاز الكوفي القارئ ويقال له الغاضري، وهو حفص بن أبي داود

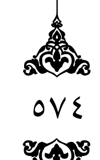
---

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٥ ص ٢١٢ ـ ٢١٣.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ١٦٢.

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص٧٠٥.

(٤) السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الألباني ج٣ ص٢٦.



المعروف بصاحب عاصم، وهو من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين، روى له ثلاثة من أصحاب الكتب الستة، هم الترمذي، والنسائي في مسند علي، وابن ماجة) وهو متروك الحديث، واهٍ، ليس بثقة، ضعيف الحديث، كذاب، يضع الحديث، فهذه بعض الأوصاف التي وصفه بها أهل الجرح والتعديل السنة، وفيما يأتي بعض أقوالهم:

قال يحيى بن معين في (تاريخ ابن معين): (ليس بثقة)[١]، وقال احمد بن حنبل في (العلل): (متروك الحديث)[٢]، وقال البخاري في (التاريخ الصغير): (منكر الحديث)[٣]، وقال الرازي: (حدثنا عبد الرحمن قال ذكره أبي نا أبو قدامة السرخسي قال سألت يحيى بن معين عن حفص بن سليمان يعني ابا عمر القارئ ـ فقال: ليس بثقة. حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عن حفص بن سليمان الكوفي الذي يروي عن علقمة بن مرثد وليث بن أبي سليم فقال: لا يكتب حديثه، وهو ضعيف الحديث، لا يصدق، متروك الحديث. قلت ما حاله في الحروف؟ قال: أبو بكر بن عياش أثبت منه. حدثنا عبد الرحمن قال سئل أبو زرعة عن حفص بن أبي داود فقال: هو حفص بن سليمان، وهو ضعيف الحديث)[٤].

وقال ابن حبان في (كتاب المجروحين): (كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويها من غير سماع)[٥]، وقال عبد الله بن عدي في (الكامل): (أحمد بن محمد البغدادي قال سمعت يحيى بن معين يقول كان حفص بن سليمان وأبو بكر بن عياش من أعلم الناس بقراءة عاصم

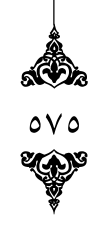
(١) تاريخ ابن معين ليحيى بن معين برواية الدارمي ص٩٨.

(٢) العلل لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٨٠.

(٣) التاريخ الصغير للبخاري ج ٢ ص ٢٣٣.

(٤) الجرح والتعديل للرازي ج ٣ ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٥) كتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص ٢٥٥.



وكان حفص أقرأ من أبي بكر وكان أبو بكر صدوقا وكان حفص كذابا)[١]هذا وقد تركنا كثيرا من أقوال القدح التي قيلت بحقه طلبا للاختصار.

أقول: فلماذا لم يبين الشيخ الألباني حال حفص هذا قبل حكمه على ذلك الحديث بأنه حسن، ولا أكاد أتردد بان الألباني إنما لم يذكره مخافة أن ينكشف أمره ويفتضح سره، وها قد فضحه الله سبحانه في هذا الكتاب الذي بين يديك.

أضف إلى ذلك هذا الشيخ المتعصب المدلس قد حكم في كتابه (إرواء الغليل) على حديث في سنده (حفص بن سليمان المقرئ) بقوله: (وهذا إسناد ضعيف جدا، أبو عمر هذا هو حفص بن سليمان القارئ الكوفي وهو متروك الحديث)[٢] فما له تذكره هنا وحكم بضعف الحديث بسبب وجوده في السند، لكنه أعمى عينيه وصم أذنيه عن حديث (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة) فحسنه من دون شعور وبلا تردد، وهل هذا إلا التعصب الأعمى؟ وهل هذا إلا الكيل بمكيالين وعدم النزاهة في العلم وعدم الإخلاص في العمل؟.

ج: وفي السندين يوجد (عاصم) وهو (عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود، الأسدي الكوفي، أبو بكر المقرئ، من طبقة الذين عاصروا صغار التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة وغيرهم)، وهو الذي قال عنه الألباني آنفا: (وعاصم، أخرجا له مقرونا، قال الحافظ: «صدوق له أوهام، حجة في القراءة) والألباني في هذه الجملة لم يقل الحقيقة بأكملها، فهو قد أخفى أشياء أخرى تؤثر على سلامة الرواية وصحتها، من قبيل اضطرابه في الحديث، وسوء حفظه، وكثرة الخطأ في حديثه، وانه عثماني، وغير ذلك من الأمور القادحة.

---

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٢ ص ٣٨٠.

(٢) إرواء الغليل لمحمد ناصر الألباني ج ١ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.



قال الرازي في الجرح والتعديل: (وقد تكلم فيه ابن علية فقال كأن كل من كان اسمه عاصما سيئ الحفظ، نا عبد الرحمن قال وذكر أبي عاصم بن أبي النجود فقال محله عندي محل الصدق صالح الحديث ولم يكن بذاك الحافظ)[1].

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: (وخطأه أبو بكر بن أبي داود... قال ابن سعد كان ثقة إلا أنه كان كثير الخطأ في حديثه... وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وهو ثقة... قال ابن خراش في حديثه نكرة وقال العقيلي لم يكن فيه إلا سوء الحفظ وقال الدارقطني في حفظه شيء... وقال العجلي كان عثمانيا)[2].

أقول: وسيّئ الحفظ في الرواية ومن كان في حديثه اضطراب وكثير الخطأ في الحديث لا تؤخذ بروايته حتى لو كان ثقة، إلا أن يوافق حديثه حديث الثقات، وحديث (سيدا كهول أهل الجنة) لم يروَ عن ثقة، وعليه فلا يمكن أن يؤخذ برواية عاصم لسوء حفظه وعدم موافقة حديثه لحديث الثقات.

ولو اعرضنا بوجهنا عن سوء حفظ عاصم وكثرة خطئه واضطراب حديثه، لما أمكن لنا قبول روايته لسبب آخر مهم، وهو كونه عثمانيا، والعثمانيون معروفون ببغضهم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ووضعهم وتشجيعهم لكل حديث يؤدي إلى خفض منزلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عموما والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على وجه الخصوص، ويعلي من مراكز خصومهم وفضائلهم، فهو متهم بعثمانيته، مردود الرواية فيما يخص الانتقاص من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكرامتهم وفضائلهم، ولا ريب ان حديث (سيدا كهول أهل الجنة) مما يدخل تحت هذه القاعدة فتأمل.

---

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٦ ص ٣٤١.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٣٥ ـ ٣٦.

إذن: فيتضح لنا في هذا الحديث الذي حسنه الشيخ الألباني، ان فيه اثنين من الضعفاء وواحد من سيئي الحفظ والمتهمين بالعثمانية، وسند هذا حاله لا يصححه أو يحسنه إلا من عميت بصيرته وداس على ضميره وباع نزاهته العلمية بثمن أو عصبية.

٣: تحسينه لحديث في زوائد مسند احمد بن حنبل

قال الألباني في (السلسلة الصحيحة): (الثالثة: قال عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» «١/٨٠»: حدثني وهب بن بقية الواسطي حدثنا عمر «في الأصل: عمرو» بن يونس اليمامي عن عبد الله بن عمر اليمامي عن الحسن بن زيد بن حسن حدثني أبي عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: «كنت عند النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين». قلت ـ والقائل هو الشيخ الألباني ـ: وهذا سند حسن، رجاله كلهم ثقات معروفون، غير الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، وثقه ابن سعد والعجلي وابن حبان، وقال ابن معين: ضعيف، وقال ابن عدي: أحاديثه عن أبيه أنكر مما روى عن عكرمة. وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق، يهم، وكان فاضلا». وبقية الرجال مترجمون في «التهذيب» غير عمر بن يونس اليمامي، فترجمه ابن أبي حاتم «٣/١/١٤٢ـ١٤٣» وروى عن أحمد وابن معين أنهما قالا: ثقة. وأخرجه ابن عساكر «٩/٣٠٧/١» من طريق ابن أحمد وغيره عن وهب به. وتابعه عنده إبراهيم بن مرزوق أنبأنا عمر ابن يونس به)[1].

أقول: وتحسينه لهذا الطريق مرفوض أيضا وذلك للأسباب التالية:

(١) السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الألباني ج٢ ص٣٢٣.



ألف: لقد اضطرب أهل الحديث اضطرابا شديدا في تعريف الحديث الحسن وكيفية تمييزه وما هي شروطه وحدوده[١]، إلا أن أفضل من وضع للحديث الحسن تعريفاً وشرطاً هو ابن القطان بحسب ما فهمته من كلماتهم، فذهب في كتابه (بيان الوهم والإيهام) بعد أن عرف الحديث الحسن بقوله: (ونعني بالحسن، ما له من الحديث منزلة بين منزلتي الصحيح والضعيف، ويكون الحديث حسنا هكذا، إما بأن يكون أحد رواته مختلفا فيه؛ وثقه قوم وضعفه آخرون، ولا يكون ما ضعف به جرحا مفسرا، فإنه إن كان مفسرا، قدم على توثيق من وثقه، فصار به الحديث ضعيفا)[٢].

---

(١) واضطرابهم في تعريف الحديث الحسن ليس بالامر الخافي على ادنى من له اطلاع على قواعدهم الرجالية، ففي هذا الصدد يقول الذهبي في (الموقظة في علم المصطلح والحديث ج١ ص١ ـ٣) (الحَسَن: وفي تحرير معناه اضطراب... ـ ثم قال بعد استعراض عدة تعاريف لعدة علماء ـ ثم لا تَطمَعْ بأنَّ للحسَنِ قاعدةً تندرجُ كلُ الأحاديثِ الحِسانِ فيها، فأَنَا على إياسٍ من ذلك، فكم من حديث تردَّدَ فيه الحُفَّاظُ، هل هو حسَنٌ أو ضعيفُ أو صحيح؟ بل الحافظُ الواحدُ يتغيَّرُ اجتهادُه في الحديث الواحد، فيوماً يَصِفُه بالصحة، ويوماً يَصِفُه بالحُسْن، ولربما استَضعَفَه).

وهذا الذي صرح به الذهبي ليس بغريب لأننا قد أوضحنا من قبل بان القوم ليس لهم قواعد ثابتة ولا قوانين محددة يستطيع الباحث من خلالها تمييز الحقيقة عن غيرها، فالتصحيح والتحسين والتضعيف في اغلب حالاته يكون مزاجيا تابعا للظروف والأحوال فإذا وافق الحديث هوى المحدث صححه، وإذا خالف هواه أو متبنياته ضعفه أو حسنه بحسب الظرف والحاجة، لذلك نرى الواحد منهم ـ كما قال الذهبي ـ يتغير اجتهاده في الحديث الواحد كما يقول الذهبي، فيصفه يوما بالصحة وفي يوم ثانٍ يصفه بالحسن ويضعفه في اليوم الثالث، وهذه المرحلة هي من أخطر المراحل التي يمكن أن يصل إليها المسلمون، وهي مرحلة جعل الحديث الشريف والسنة المطهرة تابعة لهوى المصححين وأفكارهم ومتبنياتهم، وهذا من أعظم الأخطار، لان المفترض وما ينبغي أن يكون هو ان يجعل المسلم ـ سواء كان محدثا أو فقيها أو باحثا أو رجلا عاديا ـ هواه وأفكاره ومتبنياته وعقائده ومواقفه كلها تابعة للسنة النبوية المطهرة لا أن تكون السنة تابعة لهواه ومزاجه الشخصي كما بينا.

(٢) بيان الوهم والإيهام لابن القطان ج٣ ص٣٣٨.



وعلى هذا الأساس نرجع إلى الحديث الذي حسنه الشيخ الألباني فان كان في رجال سنده شخص جرح بجرح مفسر كالوهم أو الغفلة أو التدليس أو الكذب أو غير ذلك يخرج حينئذ الحديث من حد الصحيح والحسن إلى حد الضعيف، فان لم نجد جرحا مفسرا ووجدنا الاختلاف في الراوي الواحد توثيقا وتضعيفا من دون تفسير لأحدهما حكم حينئذ بحسنه.

والسند وان كان اغلب رجاله قد وثقوا من قبلهم، إلا أن العلة فيه كما لا يخفى هي في (الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب) فهو قد وثقه جماعة وضعفه آخرون، لكن الذي ضعفه أعطى علة مفسرة لتضعيفه، فيقدم حينئذ الجرح على التعديل ويخرج الحديث بذلك من الصحيح أو الحسن إلى الضعيف، والعلة المفسرة هي الانقطاع فيما أسنده عن أبيه لان أباه مات وهو صغير، وأيضا أحاديثه معضلة، وان فيها نكارة وخصوصا التي رواها عن أبيه وعكرمة، قال الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (أن أباه توفي وهو غلام حدث)[1]، وقال الذهبي: (ذكره ابن حبان في الثقات. وقال يحيى: ضعيف الحديث. وقال ابن عدي: أحاديثه معضلة، وأحاديثه عن أبيه أنكر مما روى عن عكرمة)[2]، وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد المدني صدوق يهم)[3].

والحسن بن زيد فوق كل ذلك كان من أعوان السلطة العباسية المعروفة بتوجهاتها المعادية لجميع ما من شأنه ان يرفع مكانة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين،

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٧ ص٣٢١.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج١ ص٤٩٢.

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر ج١ ص٢٠٤.

والمؤيدة لجميع ما من شأنه الانتقاص منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والناشرة لكل ما يحط من قدرهم ويجفوهم ويثقل كفة معارضيهم، وحديث (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة) داخل تحت هذا الأمر قطعا، فيكون متهما بوضعه وسرقته من الضعفاء، وهو فوق ذلك كله متهم بدماء العلويين من أبناء الأئمة الأطهار، فهو الذي حرض المنصور العباسي على قتل محمد ذي النفس الزكية وأبيه بوشايته عليهم، قال ابن خلدون في (تاريخ ابن خلدون): (كان أبو جعفر المنصور قد اختص من العلوية من بني الحسن السبط حفيده الحسن بن زيد بن الحسن وولاه المدينة وهو الذي امتحن الإمام مالكا رحمه الله كما هو معروف وهو الذي أعز المنصور من قبل ببني حسن وأخبره بدسيسة محمد المهدي وابنه عبد الله في شأن الدعاء لهم حتى قبض عليهم وحملهم إلى العراق كما قدمناه)[1]، قال ابن الأثير في (الكامل في التاريخ): (فكان موسى بن عبد الله بن الحسن يقول بعد ذلك اللهم اطلب الحسن بن زيد بدمائنا)[2].

إذن فالحسن بن زيد بن الحسن وان كان من أولاد الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلا انه ممن خالف خطهم ونصر عدوهم وحرض على قتل ذراريهم فهو متهم في دينه وإيمانه فضلا عما قدمناه من اتهامه بوثاقته وحفظه، فيخرج من حد الثقة إلى حد الضعيف هو وحديثه بلا أدنى إشكال.

باء: ان الشيخ الألباني قد تناقض أشد التناقض في تحسين أو أحاديث (الحسن بن زيد بن الحسن) تضعيفها فقد حسن أحاديثه في بعض كتبه وذكر أقوال المادحين له كما فعل ذلك هنا، لكنه ضعفه في أحاديث أخرى مبينا أقوال الذامين له وأوجه عدم قبول روايته.

---

(١) تاريخ ابن خلدون لابن خلدون ج ٤ ص٢٢.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثيرج ٥ ص ٥١٣ ـ ٥١٤ فيها القصة مفصلة.



ففي معرض كلامه عن حديث (إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه عز وجل فليقرأ) قال في (السلسلة الضعيفة): (ضعيف جدا... قلت: وهذا إسناد واه...والحسن ابن زيد، الظاهر أنه الحسن بن زيد الهاشمي، أورده الذهبي في «الضعفاء» وقال: «ضعفه ابن معين». وقال الحافظ: «صدوق، يهم»...قلت: ولذلك قال الفقيه ابن عبد الهادي الحنبلي في «هداية الإنسان» (١/٣٢/٢): «إسناده مظلم، ولا يثبت مرفوعا». قلت: ولا موقوفا، فإنه لم يرد إلا من هذا الوجه الواهي)[١].

أقول: ما هذا التناقض أيها الألباني وأين ذهب الإنصاف، ولماذا لم تتذكر هذه الطعون والمثالب في حديث (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة) فتحكم عليه بالضعف على اقل التقادير إن لم يكن موضوعا كما دلت عليه القرائن الكثيرة.

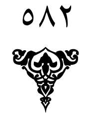
وفي معرض حديثه عن حديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (كان إذا توضأ، فضل ماء حتى يسيله على موضع سجوده) قال في (السلسلة الضعيفة): (والواقع أن النفس لم تطمئن لهذا الحديث؛ لغرابته، وشبهة الانقطاع بين زيد بن الحسن وأبيه، فإن هذا مات سنة «٥٠» وزيد في «١٢٠»، ما يبعد ثبوت سماعه منه...وأيضا فـ «حسين بن زيد» أورده الذهبي في «المغني»، وقال: «قال أبو حاتم: تعرف وتنكر». وأيضا فـ«زيد بن الحسن» نفسه على جلالته، لم يوثقه غير ابن حبان «٤/٢٤٥»، ولم يرو عنه كبير ثقة)[٢].

أقول: فأين ذهب عنك رشدك أيها الألباني ولماذا لم تحكم على حديث (سيدا كهول أهل الجنة) بالانقطاع، إذ إن الحسين يرويه عن أبيه وأنت أثبتّ انه يبعد سماعه عنه، وكيف حسنت حديثه وأنت تعترف بأنه لم يوثقه غير ابن حبان

(١) السلسلة الضعيفة للألباني ج٤ ص٣٤١ حديث رقم ١٨٤٢.

(٢) المصدر السابق ج٥ ص١٤٩ حديث رقم ٢١٥٠.

ولم يرو عنه كبير ثقة، وهل هذا إلا من باب الازدواجية في الحكم والكيل بمكيالين بما يجعل الباحث يقف طويلا من تصحيح الألباني وتحسينه لكثير من الأحاديث الضعيفة والواهية والمكذوبة.

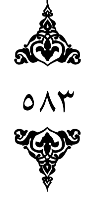


٤: تضعيفه لطريق الزهري عن علي ولطريق أنس بن مالك

قال الألباني: (الرابعة: عن الوليد بن محمد الموقري عن الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب به. أخرجه الترمذي «٤/ ٣١٠» وقال: «حديث غريب من هذا الوجه». قلت: ــ والقول للألباني ــ: والوليد هذا متروك متهم بالكذب. وأخرجه ابن عساكر «١٣/ ١» عنه، ومن طريق عصمة بن محمد الأنصاري أنبأنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب به. قلت ـ والقول للألباني ـ: وهذا إسناد متصل ولكن عصمة بن محمد كذاب يضع الحديث كما قال ابن معين).

أقول: وقد كفانا الألباني مؤونة رد هذا الحديث وتكذيبه، لكنه مع هذا أخفى أو لا اقل إن أحسنا الظن به لم يتنبه على أن الحديث مرسل أيضا، لان علي ابن الحسين لم يسمع من جده علي بن أبي طالب، وهذا مشهور لا نرى حاجة في إطالة الكلام فيه.

وأما حديث أنس فقد قال عنه الألباني ما نصه: (و أما حديث أنس، فله عنه طريقان: الأولى: يرويه قتادة عنه به، وفيه الزيادة. أخرجه الترمذي «٤/ ٣١٠» والضياء المقدسي في «المختارة» «١٩٧ ــ ١٩٨» وابن عساكر «٢/ ٢٥٠/ ١، ٩/ ٣١١/ ١، ١٣/ ٢٤/ ١» من طريق محمد بن كثير قال: حدثنا الأوزاعي عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن غريب من هذا الوجه». قلت ـ والقول للألباني ــ: رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن كثير وهو الصنعاني المصيصي قال



الحافظ: «صدوق كثير الغلط». قلت: ويبدو أن بعضهم توهم أنه محمد بن كثير العبدي البصري، وهو من رجال الشيخين أيضا. فقال المناوي: «قال الصدر المناوي: سنده سند البخاري» فالتبس عليه الصنعاني المضعف بالبصري الثقة، وقد خولف في إسناده كما يأتي وأشار ابن أبي حاتم «٢/٣٩٠» إلى أنه منكر.

الثانية: أخرجه ابن عساكر (٩ / ٣١٠ / ٢) والضياء (١٤٥ / ٢) من طريق أبي يعلى الموصلي: حدثنا سهل بن زنجلة الرازي حدثنا عبد الرحمن بن عمر حدثنا عبد الله بن يزيد العبدي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: فذكره مرفوعا. قلت ـ والقول للألباني ـ: وهذا إسناد لم أعرف منه غير سهل هذا، وهو ثقة)[١].

أقول: ومعنى انه لم يعرفهم أي انهم مجهولو الحال والوثاقة ومن كان كذلك سقطت روايته عن الاعتبار، فكفانا الله سبحانه بذلك شر هذه الطرق الضعيفة المظلمة.

٥: تحسينه لطريق مالك بن مغول عن عون بن أبي جحيفة

قال الألباني: (وأما حديث أبو جحيفة، فيرويه خنيس بن بكر بن خنيس حدثنا مالك بن مغول عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه به. أخرجه ابن حبان «٢١٩٢» وكذا ابن ماجه «٥١/١» والدولابي في «الكنى» «١٢٠/١» من طرق عنه. قلت ـ والقول للألباني ـ: وهذا إسناد حسن رجاله ثقات غير خنيس هذا، قال صالح جزرة: «ضعيف». وذكره ابن حبان في «الثقات». وسكت عليه البوصيري في «الزوائد» «١/٨»، لكنه نص في «المقدمة» أن ما سكت عليه، ففيه نظر)[٢].

---

(١) السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الألباني ج٢ ص٣٢٣.

(٢) المصدر نفسه.



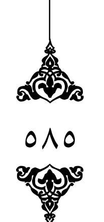
أقول: لم يحسن الألباني في قوله: (وهذا إسناد حسن)، ولم يحسن كذلك إذ اكتفى بتوثيق ابن حبان لخنيس بن بكر بن خنيس، ولم يحسن أيضا إذ لم يذكر عللاً أُخر لهذا الحديث، وسنفصل القول في كل ذلك بالنقاط التالية:

ألف: ذكرنا فيما سبق ان الطبراني في (المعجم الوسيط) قد أعل هذه الرواية بالانفراد، فقال: (حدثنا علي بن العباس الأسماء الكوفي قال نا زكريا ابن يحيى الأكفاني قال نا خنيس بن بكر بن خنيس قال نا مالك بن مغول عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: قال رسول الله «ص» أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين. لم يرو هذا الحديث عن مالك إلا خنيس، تفرد به زكريا بن يحيى، ولا يروي عن ابن أبي جحيفة إلا بهذا الإسناد)[1].

وعلة الانفراد علة معتد بها في ميدان الجرح والتعديل ومع ذلك لم يذكرها الشيخ الألباني في معرض نقده لهذه الرواية، لأنه لو ذكرها وذكر تضعيف وقدحهم في خنيس بن بكر بن خنيس لحصل يقين بضعفها وكذبها.

باء: والشيخ الألباني عامله الله بعدله ذكر أنّ جميع رجال السند ثقات إلا خنيس بن بكر بن خنيس ولكنه لم يذكر ان مالك بن مغول كان متهما ببغض الإمام أمير المؤمنين علي صلوات الله وسلامه عليه والإزراء عليه وعلى عمار بن ياسر، كما في (الكامل) لعبد الله بن عدي حيث قال: (حدثنا محمد بن الليث ثنا إسماعيل السدي ثنا علي بن قادم عن عبد السلام بن حرب قال قلت لشريك هل لك في أخ تعوده قال من قلت مالك بن مغول قال ليس لي بأخ من أزرى على علي وعمار بن

(١) المعجم الأوسط للطبراني ج ٤ ص ٢٧٢.



ياسر)[١]، وهذا الأمر يؤثر تأثيرا بالغا في قبول قوله أو عدمه، لان فيه تهمة الكذب لنصرة مذهبه ومعتقده وهو كثير لأننا قد بينا في صفحات سابقة أن جملة من الرواة كانوا يضعون الأحاديث نصرة لأفكار أو مذاهب أو اعتقادات كانوا يعتقدون بها، ويضعون كذلك أحاديث تستنقص وتسيء إلى مناوئيهم ومنافسيهم.

جيم: ان لكل محدث او عالم في مجال الجرح والتعديل قواعد خاصة يرتضيها ويلزم نفسه بها وعلى أساسها يبني جميع تصحيحاته أو تضعيفاته للأسانيد والمتون، ومن القواعد التي بنى الشيخ الألباني عليها جميع كتبه هي قاعدة عدم الاكتفاء بتوثيق ابن حبان للراوي فيما لو انفرد بتوثيقه ولم يشاركه احد من بقية أعلامهم في ذلك التوثيق، لان الشيخ الألباني يعتقد كما هو حال أغلب علماء أهل السنة أن ابن حبان متساهل في توثيقه للرجال، فهو في كتابه (الثقات) قد وثق كثيراً من الرجال المجهولين والضعفاء ومن أجمع بقية أعلام أهل السنة على تضعيفه وتكذيبه، بل كثيراً ما تناقض ابن حبان مع نفسه فأورد قسما كبيرا من الرواة في كتابه (الثقات) ثم أعاد ذكرهم وطعن في وثاقتهم في كتاب (المجروحين) وهو أمر مشهور وقد بينا في صفحات سابقة من هذا البحث هذا التناقض وذكرنا له عدة شواهد.

وقاعدة الألباني في عدم قبول توثيق ابن حبان إذا انفرد بتوثيق الرواة مذكورة في عدة مواضع من كتبه نذكر منها على سبيل المثال الآتي:

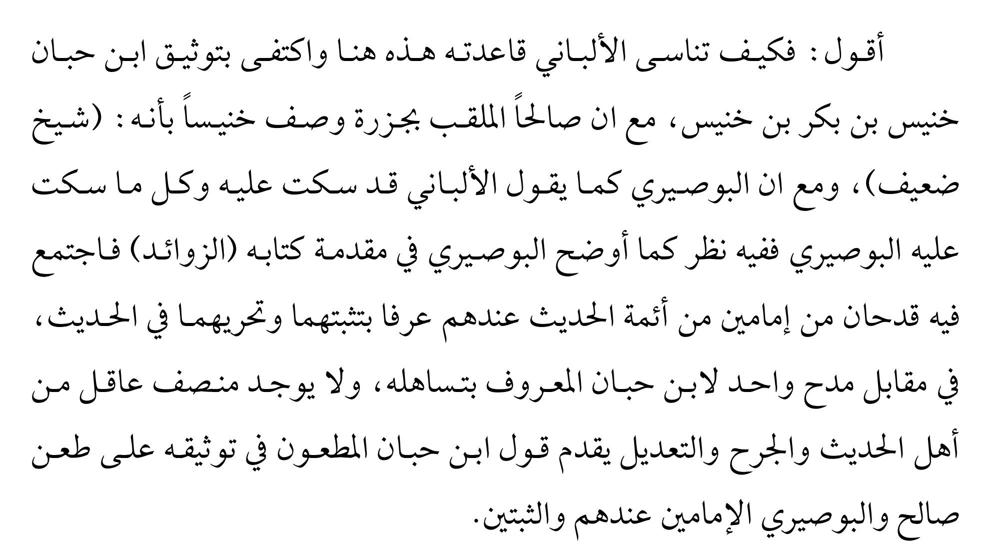
ففي كتابه (إرواء الغليل) وفي معرض حديثه عن حديث عمر وقوله (لا تغتسلوا بالماء المشمس فإنه يورث البرص) قال: (إنما علة هذا الإسناد حسان هذا، فإني لم أجد له ترجمة عند أحد سوى أن ابن حبان ذكره في «الثقات»، وما أظن أنه

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٤ ص ١٠.



يعرفه إلا في هذا الأثر، وهو معروف بتساهله في التوثيق)[١].

وفي الكتاب نفسه وعند حديثه عن احد الرواة المجهولين وهو (الحارث بن مسلم) قال: (الحارث بن مسلم مجهول كما قال الدارقطني، والهيثمي إنما اعتمد في توثيقه على إيراد ابن حبان إياه في «الثقات» وليس ذلك منه بجيد، لأن قاعدة ابن حبان في التوثيق فيها تساهل كبير حتى إنه ليوثق المجهولين الذين يصرح هو نفسه في بعضهم أنه لا يعرفه، ولا يعرف أباه كما حققته في «الرد على التعقيب الحثيث»)[٢] والشواهد من كتبه كثيرة جدا تركناها واكتفينا بهذين الشاهدين للاختصار.



أقول: فكيف تناسى الألباني قاعدته هذه هنا واكتفى بتوثيق ابن حبان خنيس بن بكر بن خنيس، مع ان صالحاً الملقب بجزرة وصف خنيساً بأنه: (شيخ ضعيف)، ومع ان البوصيري كما يقول الألباني قد سكت عليه وكل ما سكت عليه البوصيري ففيه نظر كما أوضح البوصيري في مقدمة كتابه (الزوائد) فاجتمع فيه قدحان من إمامين من أئمة الحديث عندهم عرفا بتثبتهما وتحريهما في الحديث، في مقابل مدح واحد لابن حبان المعروف بتساهله، ولا يوجد منصف عاقل من أهل الحديث والجرح والتعديل يقدم قول ابن حبان المطعون في توثيقه على طعن صالح والبوصيري الإمامين عندهم والثبتين.

إذن فالألباني قد خالف بتحسينه هذا الحديث قواعد الجرح والتعديل عامة وقواعده التي ارتضاها على وجه الخصوص فلا يعتد بمثل هذا التحسين؛ لأنه مخالف للمنهج العلمي ومتهم فيه باتباع هواه ومعتقده على حساب الحق والصواب.

(١) إرواء الغليل لمحمد ناصر الألباني ج١ ص٥٤.

(٢) المصدر السابق ص١١٥.



٦: تضعيفه لطريق جابر وأبي سعيد وابن عمر

قال الشيخ الألباني: (وأما حديث جابر، فرواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه المقدام بن داود، وقد قال ابن دقيق العيد: إنه وثق، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي «٥٣/٩»، ومن هذا الوجه أخرجه ابن عساكر «١/٢٤/١٣»)[١].

وقال أيضا:

(وأما حديث أبي سعيد، فرواه البزار والطبراني في «الأوسط»، وفيه علي بن عابس وهو ضعيف)[٢].

وقال أيضا:

(وأما حديث ابن عمر، فيرويه داود بن مهران الدباغ أبو سليمان: حدثنا عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن عبيد الله عن نافع عنه. أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» وابن عساكر «٢/٢٣/١٣»، وقال ابن أبي حاتم «٣٨٩/٢» عن أبيه: «هذا حديث باطل، يعني بهذا الإسناد، وامتنع أن يحدثنا، وقال: اضربوا عليه، داود، وقال الدارقطني: متروك، فهو آفة هذا الإسناد، وإنما ذكرته لبيان حاله)[٣].

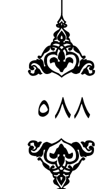
أقول: والألباني وان لم يستوعب جميع نقاط الضعف في هذه الطرق إلا أن تضعيفه بهذا المقدار كاف لرد هذه الطرق وإسقاطها عن الاعتبار فلا نزيد على ذلك طلبا للاختصار.

---

(١) السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الألباني ج٢ ص٣٢٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.



٧: كذبته الكبرى بان الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب

قال الألباني عامله الله بعدله: (وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب، لأن بعض طرقه حسن لذاته كما رأيت، وبعضه يستشهد به، والبعض الآخر مما اشتد ضعفه فنحن بما تقدم في غنى عنه، وكأنه لذلك رمز السيوطي له بالصحة)[١].

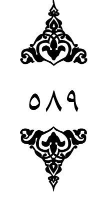
أقول: صدق من قال (كذّب ثم كذّب حتى يصدقك الناس، ثم كذّب وكذّب حتى تصدق نفسك) وهذا ما قام به الألباني عامله الله بعدله، فقد كذب على الناس في تحسينه أحد طرق الحديث المكذوب (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة) ثم كذب عليهم مرة أخرى بتصحيحه لطريق ثانٍ وثالث من طرق هذا الحديث المدسوس المقلوب، فانطلى كذبه على البسطاء، ومن ليس له دراية بعلم الحديث، وقواعد الجرح والتعديل، ثم وبعد أن صدقه الناس، كذب كذبته الأخيرة هذه على أمل أن يصدق نفسه، فقال: (وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب).

ولا أعلم كيف أمكنه رفع درجة الحديث من الحسن إلى الصحيح، هذا ان تنزلنا وقلنا بوجود حديث حسن في تلك الأحاديث، أليس مثل هذا الجمع هو جمع للنقيضين، وجمعاً النقيضين مستحيل لا يقول بإمكانه إلا مجنون لا عقل له، وذلك لان الصحيح هو: (المتصلُ السالمُ من الشذوذِ والعِلَّة، وأنْ يكون رُواتُه ذوي ضَبْطٍ وعدالةٍ وعدمِ تدليس)[٢]، أما الحديث الحسن فلا ينفك عن ضعف ما، ولو لم تكن فيه علة لصار صحيحا، فجعل الحديث الواحد صحيحا

---

(١) السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الألباني ج٢ ص٣٢٣.

(٢) المُوْقِظَةُ في علم مصطلح الحديث للذهبي ص١.



وليس له علة، وفي الوقت نفسه حسنا له علة، هو جمع للنقيضين كما هو واضح، إذن فرفع الألباني الحديث وجعله صحيحا مع اعترافه بأنه حسن رفع باطل ومستحيل.

ثم ولكي يعطي دليلا على كذبته هذه قال: (لأن بعض طرقه حسن لذاته كما رأيت، وبعضه يستشهد به، والبعض الآخر مما اشتد ضعفه فنحن بما تقدم في غنى عنه، وكأنه لذلك رمز السيوطي له بالصحة).

وقوله (لان بعض طرقه حسن لذاته) محض افتراء وقد كذبنا سابقا تحسين الألباني لطرق الحديث، وأثبتنا أن جميع طرق الحديث ضعيفة، ولا ينجبر ضعفها بحال من الأحوال، لأنها لم تأتِ إلا عن الكذابين وسيئي الحفظ والمدلسين.

وقوله (وبعضه يستشهد به) هو كذبة أخرى لان الشواهد لا يعتبر بها ما لم تكن صحيحة أو حسنة، وكلا الوصفين منتفيين عن هذا الحديث، فجميعها ضعيفة، والحديث الضعيف لا يصح الاستشهاد به كما أوضحناه في هذا البحث.

وقوله (والبعض الآخر مما اشتد ضعفه فنحن بما تقدم في غنى عنه) وهذا ما ينبغي أن ينطبق على جميع الطرق التي ذكرها الألباني، لا على بعضها دون بعضها الآخر، فما من طريق إلا وفيه كذاب أو مدلس أو ناصبي مبغض لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين متهم بوضعه لهذا الحديث وترويجه.

وقوله: (وكأنه لذلك رمز السيوطي له بالصحة) وهو عجيب منه فمتى صار يحتج بتصحيح السيوطي، وهو المعروف بالتساهل في تصحيح الأخبار، وخصوصا تلك التي تكون لها طرق كثيرة، حتى وان كانت شديدة الضعف، ومن تأمل في



كتبه وجد صحة ذلك، ووجد بأنه صحح وقوى في كتبه أحاديث لم يسبقه أحد إلى تقويتها، والألباني نفسه قد اعترف بهذه الحقيقة في كتابه (تمام المنة) فقال: (إن السيوطي معروف بتساهله في التصحيح والتضعيف فالأحاديث التي صححها أو حسنها فيه قسم كبير منها ردها عليه الشارح المناوي وهي تبلغ المئات إن لم نقل أكثر من ذلك وكذلك وقع فيه أحاديث كثيرة موضوعة مع أنه قال في مقدمته: «وصنته عما تفرد به وضاع أو كذاب» وقد تتبعتها بصورة سريعة وهي تبلغ الألف تزيد قليلا أو تنقص كذلك...ومن الغريب أن قسما غير قليل فيها شهد السيوطي نفسه بوضعها في غير هذا الكتاب فهذا كله يجعل الثقة به ضيقة نسأل الله العصمة)[١].

فيثبت بعد كل ما قدمنا كذب الألباني في تحسينه وتصحيحه لطرق هذا الحديث، وان تحسينه أو تصحيحه لم يكن مبنيا على أساس علمي مهني، وان رائحة التعصب الأعمى والتحيز البغيض على حساب الحقيقة تفوح من مناقشاته ومحاولاته البائسة لإثبات ما هو مشهور ضعفه ومعلوم كذبه.

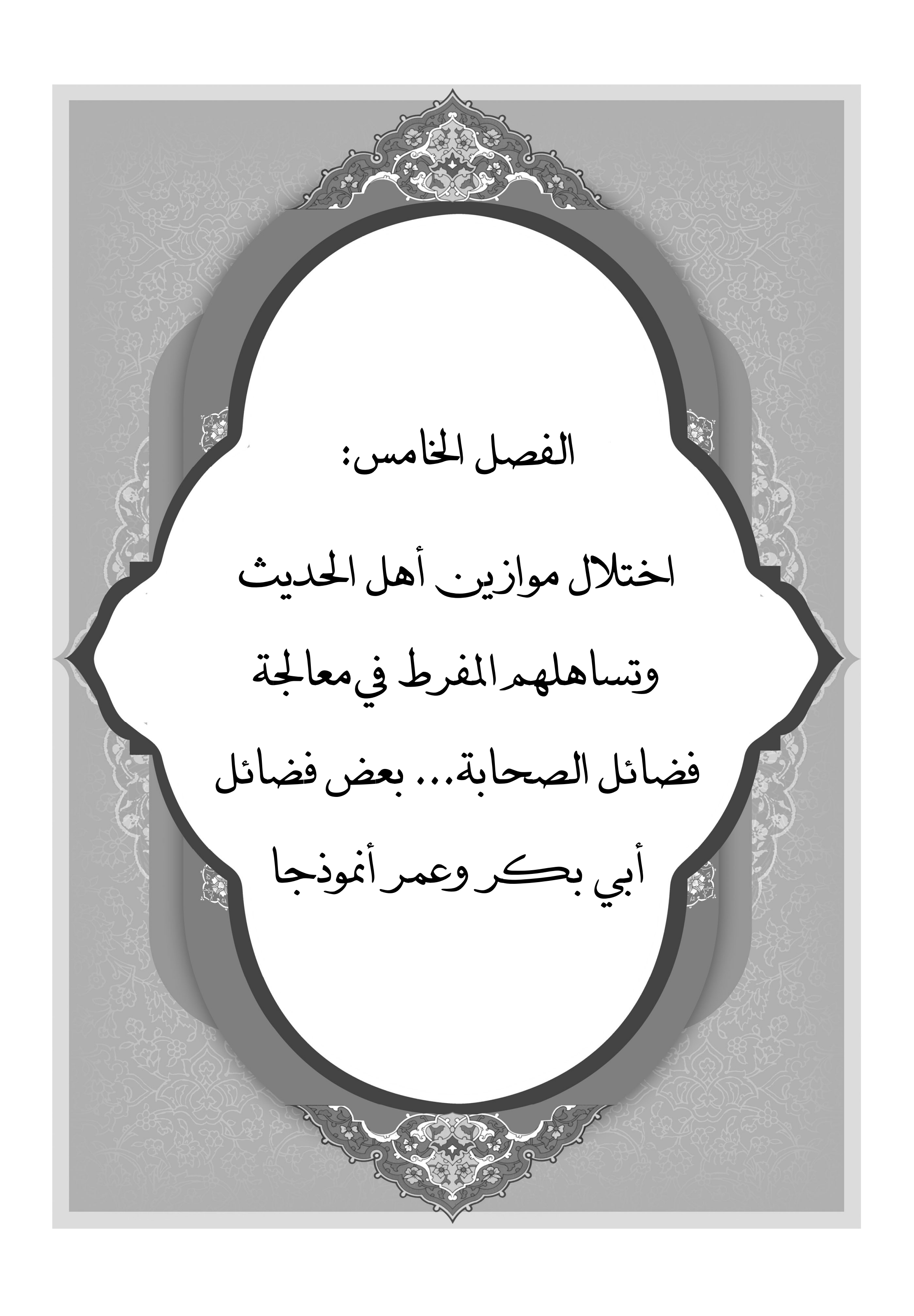
وبهذا نختم الكلام حول هذا الحديث الذي هو الحديث الخامس من أحاديث هذا الفصل، وبه أيضا يختم الكلام في هذا الفصل كله، واني لاعتذر شديد الاعتذار لأهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولا، وللقارئ الكريم ثانيا، عن عدم استقصاء جميع أحاديث فضائلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ورواياتها، وتحقيق ما قيل فيها من زور وبهتان، بسبب خروج مثل هذا الأمر عن طاقتي وعدم توفر أسباب ذلك في الوقت الحاضر، لان مثل هذا المشروع ينبغي أن تتفرغ له كوادر متخصصة ومتأهلة لمثل هذه البحوث الرجالية والروائية، نسأل الله

---

(١) تمام المنة لمحمد ناصر الألباني ج١ ص٢٩.



سبحانه أن يوفقنا أو يوفق بعض المؤمنين من الباحثين أو المؤسسات العلمية لذلك، ففيه خدمة جليلة ونصرة أكيدة لمذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو مشروع يستحق أن تفنى دونه الأعمار، وتنفق في سبيله الأموال، ولعل هذا البحث يكون بادرة خير وبذرة صلاح في تحقيق هذا المشروع الضخم، آمين يا رب العالمين.



الفصل الخامس:

اختلال موازين أهل الحديث وتساهلهم المفرط في معالجة فضائل الصحابة... بعض فضائل أبي بكر وعمر أنموذجا

من يقيس تعامل محدثي أهل السنة مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفضائلهم من جهة، ومع باقي الصحابة وبالخصوص الثلاثة منهم وعائشة من جهة أخرى، يرى العجب العجاب، فحينما يتعاملون مع فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يتعصبون في تطبيق قواعد الجرح والتعديل ويتزمتون في التقييم، حتى يصل بهم الحال إلى استعمال الكذب والتدليس واتباع الهوى والعصبية كما مر علينا في الفصل السابق كل ذلك في سبيل ردها ودحضها، لكنهم يبدون في غاية التسامح والتساهل حينما يتعلق الأمر في الصحابة الثلاثة وعائشة ومن هم بمستواهم من الأهمية عندهم.

وحينما يتعاملون مع أشخاص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفضائلهم فإنهم يحاولون الوقوف وقفة رجل واحد في تسفيهها تارة وتحريف معانيها ومداليلها تارة ثانية، أو المجيء بما يناقضها تارة ثالثة، أو قلب مفرداتها ونسبتها إلى صحابة آخرين، أو غير ذلك مما فصلناه وذكرناه في الفصل السابق، لكنهم وحينما يتعلق الأمر بفضائل غيرهم، يقفون وقفة رجل واحد



محاولين بجهدهم وغاية طاقتهم تصحيحها وإيجاد شواهد لها ومتابعات وتأويل ما فيها من تضارب وتناقض بوجوه تخفف وتحسن ما فيها من الاختلاف والتهافت، بل وإيجاد مخارج ووجوه حكمة حتى للأحاديث المكذوبة منها، فمن باب المثال انظر بعين الإنصاف إلى قول المناوي في (فيض القدير شرح الجامع الصغير) عند حديثه عن رواية (عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة)، قال المناوي: (أي يزهو ويضيء لأهلها كما يضيء السراج لأهل الدنيا وأنهم ينتفعون بهديه فيها كما ينتفع أهل الدنيا بضوء المصباح لما سبق أن العلماء يحتاج الناس إليهم في الجنة... قال الهيثمي: فيه عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمر الغفاري وهو ضعيف...ثم قال: غريب من حديث مالك تفرد به عنه الواقدي)[1]. فانظر كيف ان المناوي مع اعترافه بضعف هذا الحديث وكذبه شرحه بما لا مزيد عليه واوجد له وجهاً يحببه إلى النفوس والأسماع، بينما رأينا كيف تعاملوا مع حديث الطائر المشوي أو حديث الثقلين وكيف القوا عليهما شبهات لا تخطر على قلب بشر، وكيف كرهوا القارئ والسامع فيهما وفي مضامينهما.

والحاصل أنّ تعداد الفرق بين موقفهم من فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبين موقفهم من فضائل غيرهم، مما يطول شرحه، وتكثر شواهده، فتبقى الإشارة إليه أبلغ، والاختصار أوفق، وقد سقنا في هذا الفصل عدة شواهد على هذه الحقيقة، واكتفينا ببعض فضائل أبي بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، إنموذجاً لهذه الازدواجية في التقييم، والتناقض في الموقف، وعليها فليقس القارئ الكريم ما عداها.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٤ ص ٤٧٤.



الحديث الأول: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر

روي هذا الحديث في مصادر أهل السنة بسندين أحدهما ينتهي سنده إلى عمر بن الخطاب، والآخر ينتهي سنده إلى عبد الله بن عمر، فأما سند عمر فهو كما رواه إسحاق بن راهويه عن ابن المبارك قال حدثنا: (عبد الله بن شوذب، عن محمد ابن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن هزيل بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب لو وزن إيمان أبي بكر الصديق بإيمان أهل الأرض لرجحهم)[1] وهؤلاء كلهم ثقات عند أهل السنة فالحديث عندهم صحيح.

وأما حديث ابن عمر فقد أخرجه ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق) حيث قال: (أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي ثنا أبو القاسم بن مسعدة أنا حمزة بن يوسف أنا أبو أحمد بن عدي ثنا محمد بن أحمد بن بخيت نا أحمد بن عبد الخالق الضبعي نا عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد حدثني أبي عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح)[2].

ولنا على حديث عمر بن الخطاب عدة ملاحظات منها:

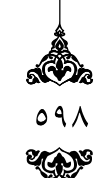
١: ان حديث عمر ليس حديثا نبويا وإنما هو من أقوال عمر وآرائه الشخصية

والحديث الأول وان كان صحيح السند عندهم على حسب موازينهم في الجرح والتعديل، إلا انه موقوف على عمر، أي انه من كلام عمر بن الخطاب وليس من كلام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد اعترفوا بالإجماع بان حديث

---

(١) مسند ابن راهويه: ج٣، ص٦٧١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٠ ص ١٢٦.



عمر الصحيح السند عندهم هو من قبيل الموقوف أي الذي لم يقله النبي الأعظم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ وإنما هو من آراء عمر بن الخطاب وأقواله، قال الفتني في (تذكرة الموضوعات): (في المقاصد «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر» عن عمر موقوفا بسند صحيح وعن ابن عمر مرفوعا بسند ضعيف)[١].

وقال العجلوني في (كشف الخفاء): (رواه إسحاق بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر من قوله)[٢]وعبارة (من قوله) تصريح بان هذا الحديث ليس من الأحاديث النبوية بل هو من الأحاديث العمرية والآراء الشخصية.

٢: ان حديث عمر وان صح سنده إلا انه لا قيمة علمية له ولا تثبت به فضيلة

لان إخباره برجحان إيمان أبي بكر على إيمان الناس هو إخبار عن المغيبات، والإخبار عن المغيبات لا يصح إلا أن يكون للمخبر اتصال بالغيب كالنبي والملك وأمثالهم، وعمر ليس كذلك قطعا.

وأما أن يكون الإخبار نقلا عمن له اتصال بالغيب كنقل المخبر عن النبي الأعظم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، وعمر هنا لم يقل اخبرنا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، ولو كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قد قاله لما أخفاه عمر بن الخطاب، ولما خفي عن الصحابة ولتناقلته الرواة ولشاع وذاع أمره.

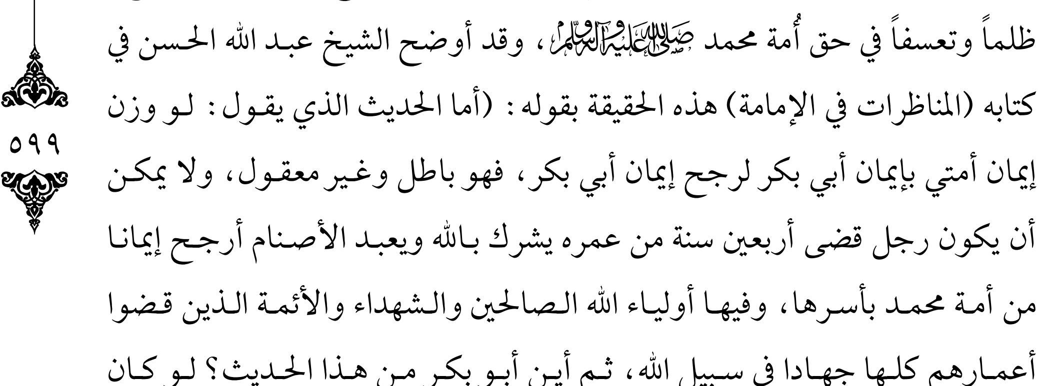
إذن فإذا لم يكن لعمر اتصال بالغيب، ولم يأخذه عمن له اتصال بالغيب، فهذا يعني ان تقييم عمر لإيمان أبي بكر هو تقييم شخصي لا يرجع إلى جهة موثوقة لها اطلاع على الغيب، وهو من كيس عمر، وآرائه الشخصية التي لا إلزامية لها ولا حجة فيها على غير عمر بن الخطاب.

(١) تذكرة الموضوعات للفتني ص٩٣.

(٢) كشف الخفاء للعجلوني ج ٢ ص.١٦٥



٣: ان في هذا الحديث منقصة وظلماً لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم



ان في قول عمر وتقييمه لإيمان أبي بكر، وانه لو وزن مع إيمان الناس لرجح، ظلماً وتعسفاً في حق أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أوضح الشيخ عبد الله الحسن في كتابه (المناظرات في الإمامة) هذه الحقيقة بقوله: (أما الحديث الذي يقول: لو وزن إيمان أمتي بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر، فهو باطل وغير معقول، ولا يمكن أن يكون رجل قضى أربعين سنة من عمره يشرك بالله ويعبد الأصنام أرجح إيمانا من أمة محمد بأسرها، وفيها أولياء الله الصالحين والشهداء والأئمة الذين قضوا أعمارهم كلها جهادا في سبيل الله، ثم أين أبو بكر من هذا الحديث؟ لو كان صحيحا لما كان في آخر حياته يتمنى أن لا يكون بشرا. ولو كان إيمانه يفوق إيمان الأمة ما كانت سيدة النساء فاطمة بنت الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، تغضب عليه وتدعو الله عليه في كل صلاة تصليها)[١].

٤: لا تكفي صحة السند وحدها لقبول متن الحديث ومضمونه

الثابت عند أهل السنة بحسب قواعدهم في تصحيح الأحاديث وتضعيفها: ان الحديث الصحيح لا يؤخذ به مطلقا، فكثير من الأحاديث عندهم قد صحت أسانيدها إلا أنهم أعرضوا عنها ولم يقبلوها، لوجود علة في المتن مخالفة للقرآن أو غيره من الثوابت الإسلامية، قال ابن حجر في (النكت على ابن الصلاح): (صحة الحديث وحسنه ليس تابعا لحال الراوي فقط، بل لأمور تنضم إلى ذلك من المتابعات والشواهد وعدم الشذوذ والنكارة)[٢]، والعلة موجودة كما أوضحنا، فلا مجال لقبول حديث عمر وتقييمه حتى وان صح سنده.

(١) المناظرات في الإمامة للشيخ عبد الله الحسن ص ٥٧٢ ـ ٥٧٣.

(٢) النكت على ابن الصلاح لابن حجر ج١ ص٤٠٤.



٥: هذا الحديث من ضمن الأحاديث المسروقة من أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

ان حديث عمر بن الخطاب في حق أبي بكر هو من الأحاديث المقلوبة، قد منح له بعد أن كان لغيره، وفقا للسياسة التي بيناها في غير موضع من هذا الكتاب، والتي أسميناها بسياسة روى قلب الأحاديث من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى غيرهم، فقد روى كثير من كتب أهل السنة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حق أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (إن السماوات والأرض لو وضعتا في كفة ثم وضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي).

قال ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق): (أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال أنا الشريف أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن الحسين بن طاهر بن يحيى الحسيني نا أبو عبد الله الكاتب النعماني نا أحمد بن محمد بن سعيد نا علي بن الحسن التيمي أنا جعفر بن محمد بن حكيم وجعفر بن أبي الصباح قالا نا إبراهيم بن عبد الحميد عن رقبة بن مصقلة العبدي عن أبيه عن جده قال أتى رجلان عمر بن الخطاب في ولايته يسألانه عن طلاق الأمة فقام معتمدا بشيء بينهما حتى أتى حلقة في المسجد وفيها رجل أصلع فوقف عليه فقال يا أصلع ما قولك في طلاق الأمة فرفع رأسه إليه ثم أومأ إليه بإصبعيه فقال عمر للرجلين تطليقتان فقال أحدهما سبحان الله جئنا لنسألك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيت منه بأن أومأ إليك فقال أو تدريان من هذا قالا لا قال هذا علي بن أبي طالب أشهد على رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) سمعته وهو يقول لو أن السماوات السبع وضعن في كفة ميزان ووضع إيمان علي في كفة ميزان لرجح بها إيمان علي)[1] وروى ابن عساكر

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٢ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١.



حديثا آخر فيه الفضيلة نفسها لكن بسند آخر، وقد أخرج السيد المرعشي النجفي في (شرح إحقاق الحق) كثيراً ممن روى هذا الحديث في كتبهم ومصنفاتهم فراجع[١].

ولكن القوم كعادتهم طعنوا في كل ما يرفع من شأن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، قال الذهبي في (ميزان الاعتدال) في ترجمة محمد بن تسنيم الوراق: (محمد بن تسنيم الوراق. ما أعرف حاله، لكن روى حديثا باطلا رواه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن قاضي المرستان، عن الجوهري، عن الدارقطني، عن محمد بن القاسم المحاربي، حدثنا محمد بن تسنيم، حدثنا جعفر بن محمد بن حكيم الخثعمي، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن رقبة بن مصقلة، عن عبد الله بن ضبيعة، عن أبيه، عن جده أن عمر بن الخطاب قال: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم يقول: إن السماوات والأرض لو وضعتا في كفة ثم وضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي)[٢].

أقول: ولا اعتقد إلا ان الذهبي قد كذب في زعمه عدم معرفته بـ(محمد بن تسنيم الوراق) لان محمد بن تسنيم هو من رجال ابن خزيمة الذين روى عنهم في صحيحه[٣]، وكذلك هو من رجال الطبراني في معجمه[٤]، وهو ممن ذكره ابن حبان في كتابه (الثقات) قائلا: (محمد بن تسنيم الحضرمي أبو الطاهر من أهل الكوفة يروي عن أبي نعيم وعبيد الله روى عنه يعقوب بن سفيان وأهل الكوفة)[٥]، وقال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (محمد بن تسنيم الحضرمي أبو الطاهر الوراق الكوفي

---

(١) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج ٥ ص ٦١٤.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٤٩٤.

(٣) راجع صحيح ابن خزيمة ج ٣ ص ٢١٦.

(٤) راجع مثلا المعجم الكبير للطبراني ج ٤ ص ٢١١.

(٥) الثقات لابن حبان ج ٩ ص ٩٦.



صدوق من الحادية عشرة)[١]، فكيف يعقل بعد كل هذا أن لا يدري الذهبي حال محمد بن تسنيم؟! لكنها العصبية وعدم الإنصاف الذي ليس له دواء.

وأما حديث ابن عمر فيرد عليه عدة ملاحظات منها

وحديث ابن عمر الذي أخرجه ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق) حيث قال: (أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي ثنا أبو القاسم بن مسعدة أنا حمزة بن يوسف أنا أبو أحمد بن عدي ثنا محمد بن أحمد بن بخيت نا أحمد بن عبد الخالق الضبعي نا عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد حدثني أبي عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله «صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم» لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح)[٢] يرد عليه اغلب ما ورد على حديث أبيه عمر بن الخطاب فلا نعيد، ويرد عليه إضافة إلى ذلك عدة أمور منها:

١: في احد طرقه عبد الله بن عبد العزيز وهو كذاب وأحاديثه عن أبيه لا يتابع عليها

لحديث ابن عمر طريقان في أحدهما (عبد الله بن عبد العزيز) المطعون في وثاقته وصدقه، وحديثه عن أبيه منكر، كما قال ابن عدي في (الكامل): (عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد يحدث عن أبيه عن نافع عن ابن عمر بأحاديث لا يتابعه أحد عليه ثنا محمد بن أحمد بن بخيت ثنا أحمد بن عبد الخالق الضبعي ثنا عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد أخبرني أبي عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: لو وزن إيمان

(١) تقريب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٦٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٠ ص ١٢٦.

أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح... قال الشيخ: وعبد الله بن عبد العزيز له غير ما ذكرت أحاديث لم يتابعه أحد عليه ولم أر للمتقدمين فيه كلاما والمتقدمون قد تكلموا فيمن هو أصدق من عبد الله بن عبد العزيز وإنما ذكرته لما شرطت في أول كتابي هذا)[1] وهذا كما لا يخفى إقرار بنكارة حديث ابن عمر وعدم اعتباره.

ولكن كيف سوغ لنفسه (الشيخ) الذي ادعى بان عبد الله بن عبد العزيز لم يأتِ في حقه كلام من المتقدمين، وقد نقل ابن حجر في (لسان الميزان) قدح عدة من أعلامهم القدماء فيه حيث قال: («عبد الله» بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن أبيه، قال أبو حاتم وغيره أحاديثه منكرة، وقال ابن الجنيد لا يساوي شيئا، وقال ابن عدي روى أحاديث عن أبيه لا يتابع عليها، «حدثنا» محمد بن أحمد بن عبد الخالق الضبعي ثنا عبد الله بن عبد العزيز حدثني أبي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح انتهى، وبقية كلام ابن الجنيد يحدث بأحاديث كذب وذكره ابن حبان في الثقات، وقال يعتبر حديثه إذا روى عن غير أبيه وفي روايته عن إبراهيم بن طهمان مناكير، وقال العقيلي له أحاديث مناكير ليس ممن يقيم الحديث)[2].

٢: في الطريق الثاني عيسى بن عبد الله ضعيف يسرق الحديث

وهذا الطريق رواه ابن عدي في (الكامل) فقال: (حدثنا زيد بن عبد العزيز ابن حبان قال: ثنا عيسى بن عبد الله بن سليمان القرشي قال: ثنا رواه بن الجراح

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٤ ص ٢٠١.

(٢) لسان الميزان لابن حجر ج ٣ ص ٣١٠.



قال: ثنا عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها)[١].

وهو ضعيف يسرق الحديث قال ابن عدي في المصدر نفسه: (عيسى بن عبد الله بن سليمان القرشي العسقلاني ضعيف يسرق الحديث)[٢].

٣: حديث ابن عمر مضطرب الإسناد كما في علل الدارقطني

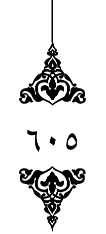
قال الدارقطني في (علل الدارقطني): (وسئل عن حديث هزيل بن شرحبيل عن عمر لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم فقال يرويه عبد الله ابن شوذب واختلف عنه فرواه ابن المبارك وأيوب بن سويد الرملي عن ابن شوذب عن محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن هزيل بن شرحبيل عن عمر وخالفهم رواد بن الجراح فرواه عن ابن شؤذب عن محمد بن جحادة عن طلحة بن مصرف عن هزيل عن عمر وخالفهم ضمرة بن ربيعة رواه عن ابن شؤذب عن بن جحادة عن سلمة عن عمرو بن شرحبيل ولم يقل عن هزيل ووهم وأصحها قول ابن المبارك ومن تابعه)[٣].

أقول: قوله (وأصحها قول ابن المبارك) إشارة منه إلى حديث عمر بن الخطاب الذي أثبتنا انه موقوف ومن آرائه الشخصية، وانه ليس من قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. فالحديث بكلا سنديه ضعيف لا يعتد به، ولا تصح نسبته بجميع طرقه إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٥ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٢) المصدر نفسه ص٢٥٨.

(٣) علل الدارقطني ج٢ ص٢٢٣ ـ ٢٢٤.



استماتتهم في سبيل إثبات هذا الحديث الضعيف

استمات علماء أهل السنة في سبيل تقوية حديث ابن عمر الضعيف، بغية إثبات ما هو مستحيل، فحاولوا تقويته تارة بالشواهد، وأخرى بالمتابعات، وثالثة بالتدليس والتعمية، لكن محاولاتهم ولله الحمد جميعها باءت بالفشل، لان جميع الشواهد والمتابعات التي حاولوا تقوية الحديث بها ضعيفة وساقطة عن الاعتبار، وسنستعرض فيما يأتي جملة من تلك المحاولات مع تبيان مواقع الخلل والضعف في تلك الشواهد والمتابعات المزعومة.

١: تدليس السخاوي واستماتته لإثبات هذا الحديث

قال السخاوي في (المقاصد الحسنة): (حَدِيث: لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ النَّاسِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ، إسحاق بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر من قوله، وراويه عن عمر هذيل بن شرحبيل، وهو عند ابن المبارك في الزهد ومعاذ بن المثنى في زيادات مسند مسدد، وكذا أخرجه ابن عدي في ترجمة عيسى بن عبد اللّه من كامله، وفي مسند الفردوس معا من حديث ابن عمر مرفوعا بلفظ: لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها، وفي سنده عيسى بن عبد اللّه بن سليمان وهو ضعيف، لكنه لم ينفرد به، فقد أخرجه ابن عدي أيضا من طريق غيره: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم، وله شاهد في السنن أيضا عن أبي بكرة مرفوعا: أن رجلا قال: يا رسول اللّه رأيت كأن ميزانا أنزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت، ثم وزن أبو بكر بمن بقي فرجح، الحديث)[1].

أقول: وتوجد عدة ملاحظات على كلام السخاوي نذكر منها:

(١) المقاصد الحسنة للسخاوي ص١٨٦.



ألف: إنصاف السخاوي في قوله ان الحديث من قول عمر لا من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قد أنصف السخاوي في الإشارة إلى ان الطريق الذي حكموا عليه بالصحة هو من قول عمر بن الخطاب لا من قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: (بسند صحيح عن عمر من قوله)، وكذلك أنصف في تصريحه بضعف حديث ابن عمر المروي عن عيسى بن عبد اللّه بن سليمان فقال: (وفي سنده عيسى بن عبد اللّه بن سليمان وهو ضعيف).

باء: تدليسه وإيهامه للقارئ بان للحديث متابعاً من دون أن يشير إلى ضعف سنده

ولكن السخاوي لم ينصف ولم يعدل في الحكم حينما قال: (لكنه ــ أي عيسى بن عبد الله بن طهمان ـ لم ينفرد به، فقد أخرجه ابن عدي أيضا من طريق غيره: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم) وسكوته عن الحكم على هذا الطريق الضعيف تدليس وإيهام للقارئ بان هذا الطريق المسكوت عنه صحيح لا غبار عليه، وزاد الأمر إيهاما حينما لم يبين اسم الراوي الذي روى عنه ابن عدي ذلك الطريق الثاني، لان السخاوي لو أورد اسم الراوي لبان تدليسه وإيهامه، لان راوي هذه الرواية هو (عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد) الذي استعرضنا حاله فيما سبق وبينا بأنه مطعون في عدالته وصدقه ووثاقته.

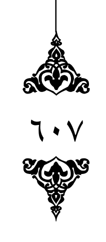
جيم: إثبات كذب ادعائه بان للحديث شاهداً صحيحاً

وكذلك لم ينصف السخاوي في قوله: (وله ـ أي لحديث ابن عمر الضعيف ـ شاهد في السنن أيضا عن أبي بكرة مرفوعا: أن رجلا قال: يا رسول اللّه رأيت كأن ميزانا أنزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت، ثم وزن أبو بكر بمن بقي فرجح، الحديث).

أقول: وسكوته عن تضعيف هذه الرواية من أعظم التدليس على القراء،

لان سكوته موهم بالصحة، لكن الحقيقة خلاف ذلك، لضعفها وسقوطها عن الاعتبار.

وهي كما رواها أبو داود في سننه كالتالي: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا الأَشْعَثُ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِى بَكْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا». فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرُجِحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجِحَ أَبُو بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجِحَ عُمَرُ ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ)[1].



وهذه الرواية ضعيفة لعدة أسباب منها:

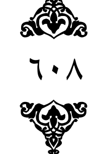
أولا: لان فيها محمد بن المثنى الذي كان في عقله شيء

محمد بن المثنى وهو (محمد بن المثنى بن قيس بن دينار، أبو موسى العنزي الزمن)[2] وهو وان كان ثقة عندهم، وروى له أصحاب الكتب الستة وغيرهم، إلا انه كان في عقله شيء، قال الخطيب البغدادي: (أخبرني محمد بن علي المقرئ، حدثنا أبو مسلم بن مهران الحافظ، حدثنا عبد المؤمن بن خلف النسفي قال: سألت أبا علي صالح بن محمد عن أبي موسى الزمن فقال: صدوق اللهجة، وكان في عقلة شيء... حدثنا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول: سمعت أبا علي صالح بن محمد يقول: كان شيخ بالبصرة يقال له أبو موسى الزمن في عقله شيء)[3].

(١) سنن أبي داود لابن الأشعث السجستاني ج٢ ص٣٩٨.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٤ ص ٥١.

(٣) المصدر السابق ص٥٢ ـ ٥٣.



ثانيا: وفيها محمد بن عبد الله المثنى لم يكن من فرسان الحديث وقد اختلط اختلاطا شديدا ولم يسمع من أشعث

ومحمد بن عبد الله المثنى بن عبد الله بن انس بن مالك الأنصاري القاضي، وهو من صغار أتباع التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة وغيرهم، وقد وثقوه، وهو وان كان ثقة عندهم إلا انه لم يكن من المتمرسين الأثبات في الحديث، وإنما كان من أهل القضاء والرأي، قال الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (أخبرني أبو بكر البرقاني، حدثني محمد بن أحمد الأدمي، حدثنا محمد ابن علي الإيادي، حدثنا زكريا الساجي قال: محمد بن عبد الله الأنصاري رجل جليل عالم لم يكن عندهم من فرسان الحديث مثل يحيى القطان ونظرائه غلب عليه الرأي)[1].

وقال أيضا: (أخبرنا أبو سعيد الماليني ـ قراءة ـ أخبرنا عبد الله بن عدي الحافظ. أخبرنا زكريا الساجي قال: حدثت عن يحيى بن معين قال: كان محمد بن عبد الله الأنصاري يليق به القضاء فقيل له: يا أبا زكريا فالحديث فقال:

للحرب أقوام لها خلقوا وللدواوين كتاب وحساب)[2]

وقد اختلط محمد بن عبد الله المثنى اختلاطا شديدا، قال المزي: (وقال أبو داود: تغير تغيرا شديدا)[3]، وعليه فيجب التوقف في قبول روايته، للقاعدة التي تبناها أهل الحديث من السنة وهي: عدم قبول رواية المختلط بعد الاختلاط، أو الذي يشك في أمره، فلا يدرى أحدث قبل الاختلاط أم بعده؟ قال ابن الصلاح في

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٥ ص ٥٤٢.



(مقدمة ابن الصلاح) عند حديثه عن (النوع الثاني والستون معرفة من خالط في آخر عمره من الثقات): (هذا فن عزيز مهم، لم أعلم أحداً أفرده بالتصنيف واعتنى به، مع كونه حقيقاً بذلك جداً. وهم منقسمون: فمنهم من خلط لاختلاطه وخرفه، ومنهم من خلط لذهاب بصره، أو لغير ذلك. والحكم فيهم: أنه يقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط، ولا يقبل حديث من أخذ عنهم بعد الاختلاط، أو أشكل أمره، فلم يدر هل أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده)[1].

وقال السيوطي في (تدريب الراوي): (فمنهم من خلط لخرفه أو لذهاب بصره أو لغيره فيقبل ما روي عنهم قبل الاختلاط ولا يقبل ما بعد أوشك فيه)[2]، ونحن على اقل التقادير نشك في هل ان حديث (كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرُجِحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ فَرُجِحَ أَبُو بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرُجِحَ عُمَرُ ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ) قد صدر عنه قبل الاختلاط أم بعده، فلا نقبل منه هذا الحديث ومن يريد ان يصحح هذا الحديث عليه أن يثبت أولا ان تحديثه بهذا الحديث قد وقع قبل الاختلاط.

ومحمد بن عبد الله المثنى إضافة إلى اختلاطه، فانه كان يقرأ من كتبه، وكتبه هذه لم تكن مصانة من التلاعب والدس، فانه كان له غلام يدخل في كتبه بعض الأحاديث من دون علمه، قال الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): (وقد روى الأنصاري أيضا حديث يزيد بن الأصم هذا هكذا. ويقال إن غلاما له أدخل عليه حديث ابن عباس)[3].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ج١ ص٨٧.

(٢) تدريب الراوي للسيوطي ج٢ ص٣٧٢.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٣ ص ٢٧.



وحتى كتبه هذه لم تسلم له، فقد تعرضت للتلف، فكان يحدث من كتب غلامه بأحاديث ضعيفة، قال الخطيب: (وسمعت أبا عبد الله ذكر الحديث الذي رواه الأنصاري عن حبيب بن الشهيد عن ميمون عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إحتجم وهو صائم فضعفه. وقال: كانت ذهبت للأنصاري كتب فكان بعد يحدث من كتب غلامه أبي حكم ـ أراه. قال: فكان هذا من تلك)[1].

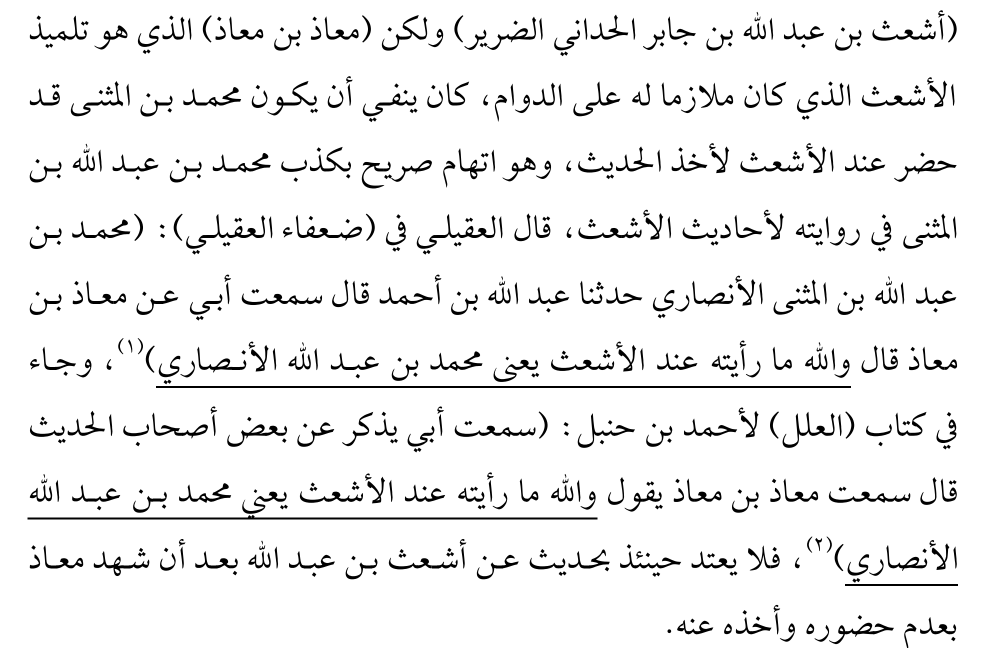
ومن كان حاله هذا ضعف حديثه وشك في صحة مروياته، قال السيوطي في (تدريب الراوي): (قال الحاكم في المدخل: المجروحون طبقات الأولى قوم وضعوا الحديث الثانية قلبوه فوضعوا لأحاديث أسانيدها الثالثة قوم حملوه الشره على الرواية عن قوم لم يدركوهم الرابعة قوم عمدوا إلى الموقوفات فرفعوها الخامسة قوم عمدوا إلى المراسيل فوصلوها السادسة قوم غلب عليهم الصلاح فلم يتفرغوا لضبط الحديث فدخل عليهم الوهم السابعة قوم سمعوا من شيوخ ثم حدثوا عنهم بما لم يسمعوا الثامنة قوم سمعوا كتبا ثم حدثوا من غير أصول سماعهم التاسعة قوم جيء إليهم ليحدثوا بها فأجابوا من غير أن يدروا أنها سماعهم العاشرة قوم تلفت كتبهم فحدثوا من حفظهم على التخمين)[2] وحديث الأنصاري داخل في ضمن هذه الطبقات من المجروحين قطعا، وعلى من يريد ان يثبت صحة حديثه المكذوب أن يثبت بأنه حدث من كتابه وليس من كتاب غلامه وان أحدا لم يدخله عليه، ومن دون إثبات ذلك خرط القتاد.

ثم ان محمد بن عبد الله بن المثنى قد روى هذه الرواية عن الأشعث، وهو

(١) المصدر السابق ص٢٨.

(٢) تدريب الراوي للسيوطي ج٢ ص٣٧١.





(أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني الضرير) ولكن (معاذ بن معاذ) الذي هو تلميذ الأشعث الذي كان ملازما له على الدوام، كان ينفي أن يكون محمد بن المثنى قد حضر عند الأشعث لأخذ الحديث، وهو اتهام صريح بكذب محمد بن عبد الله بن المثنى في روايته لأحاديث الأشعث، قال العقيلي في (ضعفاء العقيلي): (محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري حدثنا عبد الله بن أحمد قال سمعت أبي عن معاذ بن معاذ قال والله ما رأيته عند الأشعث يعني محمد بن عبد الله الأنصاري)[1]، وجاء في كتاب (العلل) لأحمد بن حنبل: (سمعت أبي يذكر عن بعض أصحاب الحديث قال سمعت معاذ بن معاذ يقول والله ما رأيته عند الأشعث يعني محمد بن عبد الله الأنصاري)[2]، فلا يعتد حينئذ بحديث عن أشعث بن عبد الله بعد أن شهد معاذ بعدم حضوره وأخذه عنه.

وقد حاول ابن حجر في تهذيب التهذيب إسقاط هذه التهمة عن محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري، عن طريق إسقاط شهادة معاذ بشهادة أخرى لنفس محمد بن عبد الله، يقر فيها بحضوره ويكذب من يزعم عدم حضوره عند الأشعث، فعدّها ابن حجر تعارضاً بين الشهادتين فتساقطا، قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (وقال معاذ: ما رأيته عند الأشعث قط... وقال الساجي: سمعت محمد بن المثنى يقول سمعت الأنصاري يقول: من زعم أصحاب أشعث ممن كان يلزمه أنه كان لا يراني إلى جنبه فهو من الكاذبين كأنه يعرض بمعاذ بن معاذ وعلى هذا فقد تعارضا فتساقطا)[3].

---

(١) ضعفاء العقيلي ج ٤ ص ٩٠ ـ ٩١.

(٢) العلل لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٢.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

أقول: لا يمكن أن تحل المسألة بهذه السذاجة يا ابن حجر، لان شهادة معاذ أقوى، وذلك لان معاذاً كان ملازما لأشعث بن عبد الله الحداني، ومن المختصين به والمرافقين له، وهو اثبت من محمد بن عبد الله الأنصاري، قال أحمد بن حنبل: (إليه المنتهى في التثبت بالبصرة)[1]، وقال يحيى بن سعيد: (ما بالبصرة، ولا بالكوفة، ولا بالحجاز، أثبت من معاذ بن معاذ)[2]، فإذا تعارضت شهادة الأثبت مع غيره فكيف يصح ان تساوى شهادة الأثبت مع غيره فتتساقط إن هذا لشيء عجيب، ثم إن معاذاً يتكلم عن شهادة حسية ميدانية فهو مرافق وملازم للأشعث، ولو كان محمد بن عبد الله الأنصاري قد حضر في مجالس الأشعث لشاهد حضوره، وتنبه على وجوده، وبما انه لم يره فمعناه انه لم يحضر، أما محمد بن عبد الله الأنصاري فهو يبرهن على حضوره بشهادة نفسه فقط دون أن يقدم برهانا آخر، وشهادة المرء لنفسه مطعون فيها لأنه يجر النار إلى قرصه، ولو كان محمد بن عبد الله الأنصاري قد حضر فعلا مجلس الأشعث لاستشهد بغيره، ولقال مثلا اسألوا فلانا وفلانا فإنهم قد رأوني في مجلس الأشعث وهو يحدثني أو يحدثنا كلنا، وبما انه لم يقدم دليلا خارجيا على حضوره فلا تقبل شهادته لنفسه لوحدها فتقدم حينئذ شهادة معاذ للأسباب السابقة، وتبطل محاولة ابن حجر لإسقاط الشهادتين في سبيل إنقاذ محمد بن عبد الله الأنصاري من ورطته.

فعلى من يريد تصحيح حديث أَبِي بَكْرَةَ: (أَنَّ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا». فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرُجِحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج٢ ص٢٧٣.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٣٤.

فَرُجِحَ أَبُو بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرُجِحَ عُمَرُ ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ)[1] أن يثبت صحة رواية محمد بن عبد الله الأنصاري وسماعه من الأشعث بدليل آخر غير شهادة محمد الأنصاري لنفسه بالسماع والحضور.





ثالثا: وفيها الأشعث وهو ممن اختلف في توثيق أحاديثه وفي حديثه أوهام

والأشعث هو (أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني أبو عبد الله البصري الأعمى) وهو من صغار التابعين، أخرج له أربعة من أصحاب الكتب الستة ولم يخرج له البخاري إلا حديثا واحدا معلقا، أما مسلم فلم يخرج له في صحيحه أي حديث، وهو ممن اختلف في توثيق أحاديثه، قال ابن حجر في (فتح الباري): (أشعث بن جابر وهو ابن عبد الله بن جابر نسب إلى جده وهو أبو عبد الله الأعمى البصري الحداني...وهو مختلف فيه)[2].

وقال احمد بن حنبل: (أشعث بن جابر الحداني ما أعلم إلا خيرا)[3]، وقال المزي: (وقال النسائي: ثقة)[4].

وقال الذهبي في (ميزان الاعتدال): (وقد أورده العقيلي في الضعفاء، وقال: في حديثه وهم)[5]، وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (وقال البزار ليس به بأس مستقيم الحديث وفرق بين الحمداني هذا وبين أشعث الأعمى فقال فيه لين

---

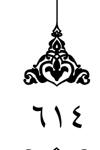
(١) سنن أبي داود لابن الأشعث السجستاني ج٢ ص٣٩٨.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ١٠ ص ١٠٠.

(٣) العلل لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٥٢٤.

(٤) تهذيب الكمال للمزي ج ٣ ص ٢٧٣.

(٥) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٢٦٦.



الحديث وقال ابن حبان في الثقات ما أراه سمع من أنس وقال العقيلي في حديثه وهم)[١].

أقول: فيجب على من يصحح رواية أبي بكرة: (أَنَّ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا». فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَحَ عُمَرُ ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ)[٢]، ان يثبت أولا ان هذه الرواية ليست من أوهام (أشعث بن عبد الله أو ابن جابر الحداني).

رابعا: وفي السند (الحسن) المعروف بـ(الحسن البصري) وكان كثير التدليس والإرسال وقد دلس هنا وأرسل

وهو (الحسن بن يسار أبو سعيد المشهور بالحسن البصري) وهو من الطبقة الوسطى من التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة كلهم، وروى له غيرهم، وهو من الرواة المكثرين وله عشرات الروايات ــ إن لم نقل مئات الروايات ــ في صحاحهم وسننهم ومسانيدهم، وهو من الذين ضخمت شخصياتهم ونسب لها الأساطير والألقاب الوهمية التي يكذبها واقعه العملي وشهادة معاصريه.

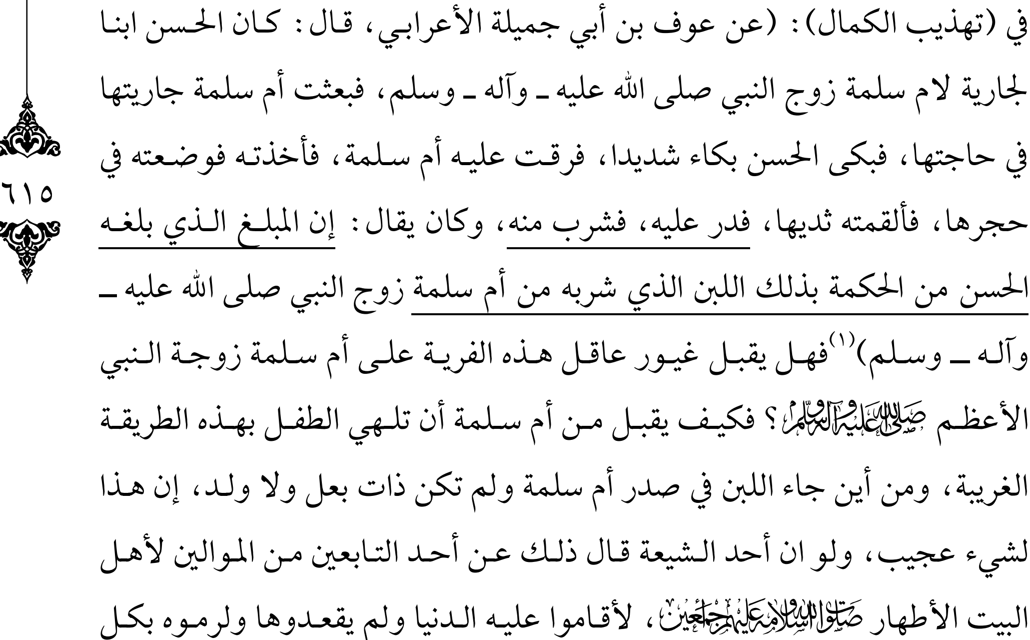
فرووا له حكاية باطلة مع أم سلمة زوجة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وإنها كانت تلقمه ثديها تلهيه عند بكائه إلى أن ترجع أمه، وان الحليب كان يدر عليه منها، مع العلم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد توفي قبل مجيء الحسن البصري بأكثر من عشر سنوات، وان أم سلمة لم يكن لها طفل حتى يدر حليبها، وان الذي حصل

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٣١٠.

(٢) سنن أبي داود لابن الأشعث السجستاني ج٢ ص٣٩٨.





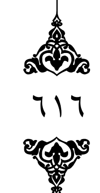
هو كرامة له، وان العلم الذي تعلمه في الكبر هو من بركة ذلك الحليب، قال المزي في (تهذيب الكمال): (عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي، قال: كان الحسن ابنا لجارية لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فبعثت أم سلمة جاريتها في حاجتها، فبكى الحسن بكاء شديدا، فرقت عليه أم سلمة، فأخذته فوضعته في حجرها، فألقمته ثديها، فدر عليه، فشرب منه، وكان يقال: إن المبلغ الذي بلغه الحسن من الحكمة بذلك اللبن الذي شربه من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم)[1] فهل يقبل غيور عاقل هذه الفرية على أم سلمة زوجة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟ فكيف يقبل من أم سلمة أن تلهي الطفل بهذه الطريقة الغريبة، ومن أين جاء اللبن في صدر أم سلمة ولم تكن ذات بعل ولا ولد، إن هذا لشيء عجيب، ولو ان أحد الشيعة قال ذلك عن أحد التابعين من الموالين لأهل البيت الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأقاموا عليه الدنيا ولم يقعدوها ولرموه بكل عظيمة، فانا لله وإنا إليه راجعون، فليس الدافع للإساءة إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير التقديس الأعمى.

ومن تقديسهم له أن جعلوه من ضمن سبعة أشخاص بهم يسقي الله سبحانه أهل الأرض وبهم يدفع عنهم السوء والمكاره والعذاب، قال المزي: (وقال الجمحي أيضا، عن همام، عن قتادة: يقال: ما خلت الأرض من سبعة رهط، يسقون، وبهم يدفع عنهم، قال قتادة: وإني أرجو أن يكون أحد السبعة)[2]، وهذا مثل سابقه كذب في كذب وهو من التقديس الكاذب والنابع من التعصب الطائفي، فهم لا يقبلون من الشيعة الإثني عشرية أن يقولوا بأن الأئمة الأطهار

---

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ٦ ص ١١٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٩.



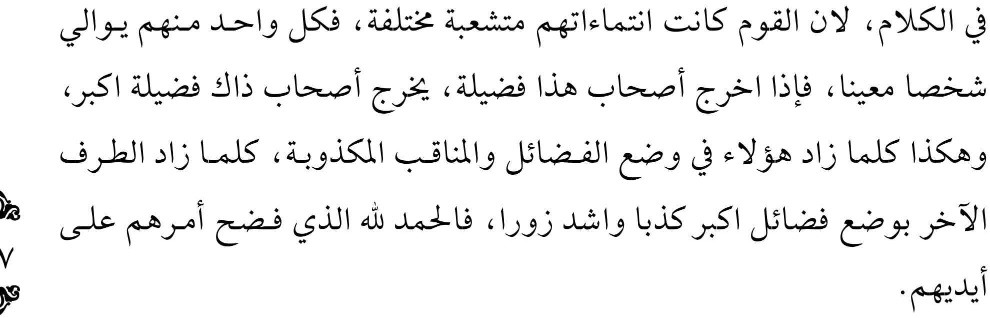
صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بهم يسقي الله أهل الأرض وبهم يدفع عن أهل الأرض أنواع العذاب، وهم أهل لذلك ولأكثر من ذلك، لكنهم يقبلون هذه الأكاذيب في حق من هم بمثل منزلة الحسن البصري الذي سيتبين لك شخصيته الحقيقية لاحقا.

ومن تقديسهم الأعمى له أن جعلوه أفضل من الصحابة، وإنهم لو أدركهم وأدركوه لما تقدموا عليه ولقدموه، قال المزي: (وعن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، قال: من سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وعروة ابن الزبير، ويحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وأم جعدة أم هاني بنت أبي طالب فما رأيت فيهم مثل الحسن، ولو أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، وله مثل أسنانهم ما تقدموه)[1]، فلم يدر القوم انهم ولكي يرفعوا من منزلة الحسن البصري وضعوا من أقدار الصحابة، فأي فضيلة تبقى لأبي بكر وعمر وعثمان وأمثالهم إذا كان مثل الحسن البصري مقدماً عليهم لو كان بمثل أسنانهم وأعمارهم.

ومن تعصبهم أن جعلوا الحسن البصري أفضل من ابن عباس، قال المزي: (وقال عبد الرزاق، عن معمر: قال لي عمرو بن دينار: أبو الشعثاء عندكم أعلم أو الحسن؟ قال: قل: ما تقول؟! إن من عندنا يزعم أن الحسن أعلم من أبن عباس، قال: وهل كان الحسن إلا من صبيان ابن عباس؟ قال: فقلت: وهل كان أبو الشعثاء إلا من صبيان الحسن؟! قال: وما هو عندنا بأعلم منه. قال عبد الرزاق: فقلت لمعمر: أفرطت، قال: إنه أفرط فأفرطت)[2]، وفي هذه الرواية يتضح ان وضع هذه الفضائل الكاذبة، كان بغرض المطاولة والممارة

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ٦ ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٥.





في الكلام، لان القوم كانت انتماءاتهم متشعبة مختلفة، فكل واحد منهم يوالي شخصا معينا، فإذا اخرج أصحاب هذا فضيلة، يخرج أصحاب ذاك فضيلة اكبر، وهكذا كلما زاد هؤلاء في وضع الفضائل والمناقب المكذوبة، كلما زاد الطرف الآخر بوضع فضائل اكبر كذبا واشد زورا، فالحمد لله الذي فضح أمرهم على أيديهم.

ومن تعصبهم للحسن البصري حكمهم على كل من يبغضه بأنه حروري، والحروري هم فرقة من فرق الخوارج الذين وصفهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم يمرقون ـ أي يخرجون ـ من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، قال المزي: (وقال موسى بن إسماعيل عن أبي هلال: كنا في بيت قتادة، فجاء الخبر أن الحسن توفي، فقلت: لقد كان غمس في العلم غمسته، فقال قتادة: لا والله، ولكن نبت فيه وتحقبه وتشربه، لا والله لا يبغض الحسن إلا حروري)[1]، ولا ادري بأي نص من كتاب أو سنة أدخل هذا الكذاب من يبغض الحسن البصري في فرقة الخوارج الكافرة، وكيف يمكن لهؤلاء ان يدعوا بأنهم يتبعون السنة النبوية، فأين نصوص السنة النبوية القائلة بان كل من يبغض الحسن البصري فهو من الخوارج، واكرر القول لو أن الشيعة الكرام وعلماءهم الأعلام قالوا بان كل من يكره الإمام الصادق أو الباقر صلوات الله وسلامه عليهما، أو غيرهما من الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فانه حروري خارجي مارق عن الإسلام، لرأينا كيف يسل أعلام السنة ومصنّفوهم السيوف ويكتبون عن هذه المقولة الكتب والتصانيف ردا وتفنيدا، ولرأينا كيف تصدر الفتاوى عن فقهائهم بهدر دم القائل لهذه المقالة وتكفيره، لكنهم يغمضون العين ويصمون الآذان عن قول قتادة هذا.

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٨.

وأعظم تعصب رأيته في حق الحسن البصري، والذي فاقوا به كل التوقعات، هو تشبيهه بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال المزي: (وقال ضمرة بن ربيعة، عن الأصبغ بن زيد: سمعت العوام بن حوشب يقول: ما أشبه الحسن إلا بنبي أقام في قومه ستين عاما يدعوهم إلى الله عز وجل)[1]، ولا ادري أي شيء كان في الحسن البصري هذا حتى يشبه بنبي أقام في قومه ستين عاما يدعوهم إلى الله سبحانه، وكيف يمكن أن يشبه مثل هذا بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين كلمهم الله سبحانه وكلموه ونزلت عليهم الشرائع والأحكام، وتحملوا اشد أنواع العذاب والآلام في سبيل محاربة الظلم والطواغيت، بينما الحسن البصري قضى عمره كاتبا لأئمة الجور وأهل الباطل من بني أمية، ولم يكن سليم الاعتقاد فقد كان متأرجحاً تارة مع المجبرة وأخرى مع القدرية، ومن أعوان الظلمة ظاهرا وباطنا، كما سنعرف كل ذلك لاحقا، فكيف تسول أنفس القوم لهم تشبيه مثل هذا الإنسان بالأنبياء العظام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والعجيب أنني لم أرَ بحسب ما تتبعت كلمة عتاب أو رد على من ادعى هذه الفرية، بينما سلّ القوم سيوفهم ورموا الشيعة بكل ما عندهم حينما وصف الشيعة أئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بان منازلهم مثل منازل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في أممهم، مع ان هذا حق وعليه نصوص نبوية وقرآنية موجودة في كتب المخالف قبل الموالف.

واني لاعتقد بأن بركة هذا التقديس والتكريم قد جاءت للحسن البصري بسبب ان آراءه وأقواله كانت أشبه الأقوال والآراء برأي عمر بن الخطاب وأقواله، فقد اخرج ابن سعد في (الطبقات الكبرى) عن: (وهب بن جرير بن حازم قال حدثنا أبي قال سمعت حميد بن هلال قال: قال لنا أبو قتادة عليكم بهذا الشيخ يعني

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ٦ ص ١٠٥.



الحسن بن أبي الحسن فإني والله ما رأيت رجلا قط أشبه رأيا بعمر بن الخطاب منه قال أخبرنا موسى بن إبراهيم قال حدثنا مهدي بن ميمون قال حدثنا محمد بن عبد الله ابن أبي يعقوب قال سمعت مورقا يقول قال لي أبو قتادة العدوي : إلزم هذا الشيخ وخذ عنه فوالله ما رأيت رجلا أشبه رأيا بعمر بن الخطاب منه)[1]، فلا عجب حينئذ من تقديس القوم للحسن البصري ورفع مكانته وجعله تارة أفضل من الصحابة، وأخرى كالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولو نقل لنا التاريخ وبنزاهة جميع أقوالهم، لربما رأيناهم يصيرونه أفضل من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فألف عين لأجل عين تكرم، ولأجل موافقة الحسن البصري لعمر بن الخطاب في الآراء والأقوال أكرموا عينه، ورفعوه منزلة، ولو خرج الحسن البصري اليوم من قبره وسمع بها لتعجب، ولظن بان القوم يتكلمون عن شخص آخر غيره، ولضحك حتى الموت.

ولكننا لو رجعنا إلى سيرة الحسن البصري العملية، وما نقل عنه من أفعال وأقوال واعتقادات، لا نرى لتلك الصورة المثالية الأسطورية السابقة وجوداً يذكر، لان سيرته العملية أثبتت بانه لم يكن محمود الفهم في القضاء وغيره، فعن الذهبي في (سير أعلام النبلاء) عن : (عبد الرزاق بن همام، عن أبيه، قال : ولي وهب القضاء زمن عمر بن عبد العزيز فلم يحمد فهمه. فحدثت به معمرا، فتبسم وقال : ولي الحسن القضاء زمن عمر بن عبد العزيز فلم يحمد فهمه)[2]، فأين هذا الكلام من تلك الصفات المثالية الكاذبة؟ وأين من لا يحمد فهمه من منازل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والصحابة والعلماء؟ إن هذا لشيء عجيب.

ولو توغلنا في شخصية الحسن البصري لم نجده إلا خادما من خدام السلطة

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٧ ص ١٦١.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٥٨٢.





وطغاتها، عاش على موائدهم صغيرا، وحفظ لهم الجميل كبيرا، فلم يكن يقبل لأحد الخروج عليهم، ورفع السيف بوجوههم، لردعهم عن باطلهم، وإقامة العدل في العباد والبلاد، قال الذهبي في (تذكرة الحفاظ): (وصار كاتبا في دولة معاوية لوالي خراسان الربيع بن زياد)[1].

وكان ينهى عن الخروج على الحجاج الفاسق الظالم الجبار، قال محمد بن سعد في (الطبقات الكبرى): (فكان الحسن ينهى عن الخروج على الحجاج ويأمر بالكف...تكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إنه والله ما سلط الله الحجاج عليكم إلا عقوبة فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ولكن عليكم السكينة والتضرع...حدثنا عمرو بن يزيد العبدي قال سمعت الحسن يقول لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه...)[2].

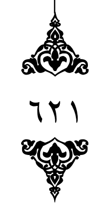
وكان يفتي بمتابعة الحاكم الظالم حتى في معصية الله سبحانه، قال المزي في (تهذيب الكمال): (لما ولي عمر بن هبيرة العراق. أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي، فأمر لهما ببيت، وكانا فيه شهرا أو نحوه...فجاء عمر يتوكأ على عصا له، فسلم ثم جلس فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إلي كتبا أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله، فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجا؟ فقال الحسن: يا أبا عمرو أجب الأمير ـ أي أطعه ـ... فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما، فأكثر منها للحسن)[3]، فأي محدث وأي

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٧١.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٧ ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٣) تهذيب الكمال للمزي ج ٦ ص ١١٣ ـ ١١٤.



عالم وأي تقي هذا؟! ألم يسمع أو يروِ قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأن (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[1]؟ فكيف يأمر بإجابة أمير الظالمين وهو ظالم يأمر بالظلم والعصيان؟ أسئلة نترك جوابها للقارئ الكريم.

فهذه منزلته من حيث العلم والتقوى وخوف الله سبحانه، أما منزلته من حيث العقيدة فأعجب وأعجب، فقد كان متأرجحا ما بين القدرية والمجبرة، وقد نقلت عنه أقوال وتصريحات يطول ذكرها هنا، فمن أحب الاستزادة فليرجع إلى ترجمته في (سير أعلام النبلاء) للذهبي[2]، وجميع التراجم التي ترجمت حياته وأقواله، لكن الذهبي حاول أن يخفف لغاية في نفسه وطأة هذه الفاجعة فقال: (فلعلها هفوة منه ورجع عنها ولله الحمد)[3]، وقال في (ميزان الاعتدال): (وقد بدت منه هفوة في القدر لم يقصدها لذاتها، فتكلموا فيه، فما التفت إلى كلامهم، لأنه لما حوقق عليها تبرأ منها)[4]، أقول: نعم قد رجع الحسن البصري عن قوله بالقدر، لكن رجوعه عنه كان ظاهريا، لان بعض معاصريه قد هدده بإيصال خبره وشكايته إلى السلطان وإنزال العقوبة بحقه إن لم ينتهِ عن قوله بالقدر فلذلك انتهى، كما صرح بذلك محمد بن سعد في (الطبقات الكبرى) حيث قال: (أخبرنا عارم بن الفضل قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال أنا نازلت الحسن في القدر غير مرة حتى خوفته السلطان فقال لا أعود فيه بعد اليوم)[5]، ومثل هذا الرجوع لا يساوي فلسا، وهو مرفوض ومردود عليه وعلى الذهبي.

(١) الحديث مشهور صحيح راجع مسند احمد بن حنبل ج١ ص١٣١، وغير ذلك.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٥٨٠ ـ ٥٨١.

(٣) المصدر السابق ص٥٨٣.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٥٢٧.

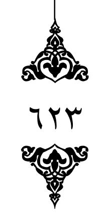
(٥) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج٧ ص١٦٧

أما منزلة الحسن البصري من حيث الفقه والرواية فحدث ولا حرج، فلم يكن الرجل من أهل الحديث ولا من أقاربه، فهو من حيث الفتوى فقد اعترف القاصي والداني بأنه كان يفتي في كثير من الأحيان برأيه الشخصي، ولم يكن يعتمد على رواية أو آية في فتاواه، قال محمد بن سعد في (الطبقات الكبرى): (أخبرنا روح بن عبادة قال حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري أن أبا سلمة بن عبد الرحمن قال للحسن بن أبي الحسن أرأيت ما تفتي الناس أشياء سمعته أم برأيك فقال الحسن لا والله ما كل ما نفتي به سمعناه ولكن رأينا خير لهم من رأيهم لأنفسهم)[1].

أما من حيث الحديث والرواية فأدهى وأمر، فقد كان لا يضبط الأحاديث النبوية بنفس نصها المسموع والصادر عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فكان من المعروفين بنقل الروايات الشريفة بالمعنى لأنه لم يكن يستطيع حفظها كما هي، قال محمد بن سعد: (أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثنا ابن عون قال كان الحسن يحدث بالحديث والمعاني... حدثنا جرير بن حازم قال كان الحسن يحدثنا الحديث يختلف فيزيد في الحديث وينقص منه ولكن المعنى واحد قال أخبرنا عفان ابن مسلم قال حدثنا مهدي يعني ابن ميمون قال حدثنا غيلان بن جرير قال قلت للحسن يا أبا سعيد الرجل يسمع الحديث فيحدث به لا يألو فيكون فيه الزيادة والنقصان قال ومن يطيق ذلك)[2]، وهو خلل عظيم في عرف المحدثين حتى إن قسما منهم رد رواية من ينقل الروايات بالمعنى، وقوله (ومن يطيق ذلك) حجة فارغة يهدف من خلالها تبرير خلل أحاديثه، وإلا فان عامة المحدثين هم ممن يحفظ

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٧ ص ١٦٥.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٨ ـ ١٥٩.



الحديث مثل ما سمعه، فان كان الحسن البصري محدثا فيجب عليه أن ينقل بالنص، فان لم يستطع تنحى عن هذه المهمة وترك الميدان لرجاله.

وكان يحدث بالحديث ثم ينسى فلا يدري من حدثه، فعن محمد بن سعد في طبقاته قال: (أخبرنا عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد قال حدثت الحسن بحديث فإذا هو يحدث به قال قلت يا أبا سعيد من حدثكم قال لا أدري قال قلت أنا حدثتكم به)[1].

وكان يكذب في نسبة الأحاديث والروايات إلى أصحابها، فأما أن ينسب الرواية إلى شخص ولكنه في الحقيقة لم يدرك ذلك الشخص ولم يلتق به ولم يخبره بالحديث أصلا، قال المزي في (تهذيب الكمال): (روى عن: أبي بن كعب «ع» ولم يدركه وثوبان «س» ولم يلقه وعمار بن ياسر «د»، ولم يسمع منه، وعمر بن الخطاب «د»، ولم يدركه...)[2]، ومن ذلك كذبته بأنه أخذ بحجزة سبعين بدريا، أي انه شاهدهم واخذ عنهم الرواية، وقد كذبه ابن المديني كما في (سير أعلام النبلاء) للذهبي: (قال يعقوب بن شيبة: قلت لابن المديني: يقال عن الحسن: أخذت بحجزة سبعين بدريا، فقال: هذا باطل، أحصيت أهل بدر الذين يروي عنهم فلم يبلغوا خمسين، منهم من المهاجرين أربعة وعشرون)[3]، وكذلك كذبه قتادة بقوله: (ما شافه الحسن بدريا بحديث)[4].

وكان الحسن البصري يكذب ويقول حضرت في الزمن الفلاني وسمعت

(١) الطبقات الكبرى: ج٧ ص١٦٥.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ج ٦ ص٩٧ ـ ٩٨.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٥٦٦ ـ ٥٦٧.

(٤) المصدر السابق ص٥٦٧.



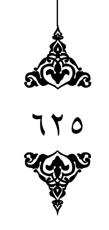
فلاناً يقول كذا وكذا، وهو في الحقيقة لم يحضر في ذلك المكان ولم يسمع من فلان بأنه حدث بكذا وكذا، كما كان يقول خطبنا ابن عباس بالبصرة، وهو لم ير ابن عباس ولا حضر خطبته، قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (وقال علي ابن المديني: ... ولم يسمع من ابن عباس وما رآه قط كان الحسن بالمدينة أيام كان ابن عباس بالبصرة وقال أيضا في قول الحسن خطبنا ابن عباس بالبصرة قال إنما أراد خطب أهل البصرة)[1].

وكذلك كان الحسن البصري يحدث عن أشخاص مجهولين لا أحد يعرفهم غيره، وربما لم يكن لهم وجود إلا في مخيلته، قال المزي في (تهذيب الكمال): (قال علي ابن المديني: والذين روى عنهم الحسن البصري من المجهولين: أحمر السدوسي، وأسيد بن المتشمس، وأنس بن حكيم الضبي، وجون بن قتادة البصري، وحبيب السلمي، عن عمر، وحكيم بن دينار، وحنتف بن السجف، ودغفل بن حنظلة، وسعد مولى أبي بكر، وعتي بن ضمرة السعدي، وعمرو بن تغلب وقبيصة بن حريث...)[2].

أقول: والعجيب ان أهل الحديث لم يكذبوا الحسن البصري هذا رغم جميع هذه الأكاذيب، ولكنهم حكموا بالكذب على كثير من رواة الشيعة ـ الذين اعترف أهل السنة أنفسهم بوثاقتهم ـ لمجرد أن احدهم كان يقول بالرجعة أو يروي حديث الطائر المشوي في فضائل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، أو غير ذلك من الأسباب التافهة، ولكنهم أغمضوا العين عن كل أكاذيب الحسن البصري وأمثاله لا لشيء إلا لأنهم من أهل السنة، أو ممن روى لهم البخاري ومسلم، أو غير ذلك من

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٢٣٣.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ج ٣ ص٢٤٥.



الأسباب التي تعمي إبصار أهل الجرح والتعديل عن رؤية الواضحات وقبول البديهيات، فانا لله وإنا إليه راجعون.

والحسن البصري إضافة إلى كل ما ذكر كان مشهوراً بالإرسال والتدليس، وقد اجتمعت كلمتهم على أن لا يقبل من روايته إلا ما اسند منها وما صرح فيها بالتحديث، أما مراسيله فليست بحجة، وكذلك عنعنته، قال محمد بن سعد في (الطبقات الكبرى): (...وكان ما أسند من حديثه وروى عمن سمع منه فحسن حجة وما أرسل من الحديث فليس بحجة)[(١)].

وفي (علل الترمذي): (قال أبو عيسى ومن ضعف المرسل فإنه ضعف من قبل أن هؤلاء الأئمة حدثوا عن الثقات وغير الثقات فإذا روى أحدهم حديثا وأرسله لعله أخذه عن غير ثقة قد تكلم الحسن البصري في معبد الجهني ثم روى عنه)[(٢)]، أقول: وكلام الحسن البصري عن (معبد الجهني) نقله عبد الله بن عدي في (الكامل) قائلا: (حدثنا الحسين بن يوسف البندار، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا بشر بن معاذ، أخبرنا مرحوم بن عبد العزيز، حدثني أبي وعمي قالا: سمعنا الحسن يقول: إياكم ومعبد الجهني، فإنه ضال مضل)[(٣)].

وقال الذهبي في (تذكرة الحفاظ): (وهو مدلس فلا يحتج بقوله «عن» «في» من لم يدركه، وقد يدلس عمن لقيه ويسقط من بينه وبينه والله أعلم)[(٤)].

وقال الذهبي أيضا في (ميزان الاعتدال): (كان الحسن كثير التدليس، فإذا

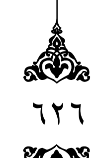
---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٧ ص ١٥٨.

(٢) علل الترمذي لمحمد بن سورة ص ٤١٠.

(٣) الكامل لعبد الله بن عدي ج ١ ص ٥٣.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٧٢.



قال في حديث عن فلان ضعف لحاجة ولا سيما عمن قيل إنه لم يسمع منهم، كأبي هريرة ونحوه، فعدوا ما كان له عن أبي هريرة في جملة المنقطع. والله أعلم)[١].

وقال في (سير أعلام النبلاء): (والحسن مع جلالته فهو مدلس، ومراسيله ليست بذاك، ولم يطلب الحديث في صباه)[٢]، وقال في المصدر نفسه: (إنما أعرض أهل الصحيح عن كثير مما يقول فيه الحسن: عن فلان، وإن كان مما قد ثبت لقيه فيه لفلان المعين، لان الحسن معروف بالتدليس، ويدلس عن الضعفاء، فيبقى في النفس من ذلك، فإننا وإن ثبتنا سماعه من سمرة، يجوز أن يكون لم يسمع فيه غالب النسخة التي عن سمرة والله أعلم)[٣].

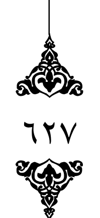
أقول: والحسن البصري قد عنعن في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيُ حَدَّثَنَا الأَشْعَثُ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِى بَكْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا». فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرُجِحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ فَرُجِحَ أَبُو بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرُجِحَ عُمَرُ ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ــ صلى الله عليه ـ وآله ــ وسلم ــ)[٤]، فلا تقبل عنعنته وفقا لاعترافات أعلام أهل السنة، فيثبت ضعف هذا الحديث وعدم صلاحيته ليكون شاهدا لحديث ابن عمر الضعيف

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٥٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٥٧٢.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٥٨٨.

(٤) سنن أبي داود لابن الأشعث السجستاني ج٢ ص٣٩٨.



والقائل: (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح)[١].

إضافة إلى كون الحديث معنعناً عن الحسن البصري وان عنعنته غير مقبولة، حتى مع ثبوت المعاصرة، والسماع، فان في الحديث مثلبة أخرى وهي أن الحسن البصري ليس له سماع مباشر من (أبي بكرة) وان هنالك واسطة ما بينه وبين أبي بكرة قد تم حذفها من السند، فيصبح بذلك الحديث مرسلاً، ومراسيل الحسن البصري لا يعتد بها كما بينا سابقا، وفيما يأتي جملة ممن قالوا وصرحوا بعدم سماع الحسن البصري من أبي بكرة، قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (وقد روى بالإرسال عن طائفة: كعلي، وأم سلمة، ولم يسمع منهما، ولا من أبي موسى، ولا من ابن سريع، ولا من عبد الله بن عمرو، ولا من عمرو بن تغلب، ولا من عمران، ولا من أبي برزة، ولا من أسامة بن زيد، ولا من ابن عباس، ولا من عقبة بن عامر ولا من أبي ثعلبة، ولا من أبي بكرة...)[٢].

وقال سليمان بن خلف الباجي في (التعديل والتجريح): (وأنكر أبو الحسن الدارقطني ويحيى بن معين أن يكون الحسن سمع من أبي بكرة وذكر أبو الحسن أن الأحنف بن قيس بينهما)[٣].

وقال الباجي أيضا في المصدر نفسه: (قال أبو بكر سئل يحيى بن معين فقال لم يسمع الحسن من أبي بكرة ولا سمع من جابر بن عبد الله ولا من أبي هريرة)[٤].

فيتلخص من جميع ما مر ان الشاهد الذي ادعى السخاوي وجوده هو شاهد

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٠ ص ١٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٥٦٦.

(٣) التعديل والتجريح لسليمان بن خلف الباجي ج ١ ص ٤٨٦.

(٤) التعديل والتجريح لسليمان بن خلف الباجي ج ١ ص ٤٨٩.



ضعيف الإسناد للأسباب التالية:

١: وجود محمد بن المثنى الذي كان في عقله شيء.

٢: وجود محمد بن عبد الله المثنى، الذي لم يكن عندهم من فرسان الحديث، والذي اختلط اختلاطا شديدا، والذي كان يقرأ من كتبه التي لم تكن مصانة عن التلاعب والدس، وانه لم يسمع من (أشعث بن عبد الله) كما شهد بذلك معاذ، فعلى من يريد إثبات هذا الشاهد، إن يثبت بان هذا الحديث كان قبل اختلاط محمد بن عبد الله المثنى على نحو القطع فإذا شك في ذلك لم يقبل وفقا لما بيناه من قبل، وان هذا الحديث لم يكن مما دس في كتبه وزيد فيها من غلامه، وان يثبت سماع محمد بن عبد الله المثنى من أشعث بن عبد الله بشاهد من غير كلامه هو.

٣: وجود أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني المختلف في توثيقه، وفي حديثه وهم، فعلى من يريد تصحيح هذا الشاهد الضعيف أن يرد مطاعن الذين قدحوا في عدالته، ويثبت أن هذا الحديث ليس من أوهامه.

٤: وجود الحسن البصري الذي لم يكن محمود الفهم في القضاء والفتوى، وكان قدريا او مجبرا، وكان ممن يفتي برأيه دون الاعتماد على آية أو رواية، والذي كان لا يحسن ان ينقل الروايات بالنص فينقلها بالمعنى، ولا يدري من حدثه بالحديث وينسى عمن نقله، وكان ينقل عن المجهولين الذين لا احد يعرفهم غيره، ويكذب في سماعه فيدعي السماع من شخص أو الحضور في مكان فيكذب في ادعائه، وهو فوق كل هذا وغيره مشهور بالإرسال والتدليس، لا تقبل عنعنته ولا إرساله ما لم يبين السماع ويظهر الواسطة، ولا يقتصر تدليسه على الذين لم يلقهم بل كان تدليسه شاملا حتى مَن ثبت سماعه عنهم، إضافة إلى اعتراف جمع من

أعلامهم بعدم سماع الحسن البصري من أبي بكرة، فالحديث مرسل، وما أرسله الحسن البصري لا يكون حجة.

فلهذه الأسباب وغيرها نمنع من صحة هذا الشاهد المكذوب وبه يرد على السخاوي ومحاولاته اليائسة في سبيل تصحيح حديث ابن عمر المكذوب (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح)[(١)].

خامسا: كيف يوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي بكر وغيره ويقاس في ميزان واحد؟

وفي هذا الحديث فاجعة كبيرة، إذ كيف يمكن أن يقاس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مع غيره، ويوزن في مقابل أبي بكر، فأين أبو بكر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمهما قيل في حقه، ومهما ابتدع في فضله، ومهما ذكر من مآثره سواء كانت صادقة أو كاذبة، فان هذا كله لا يبرر ولا يجعل من أبي بكر عدلاً للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولا يصيره أهلا لان يوضع في الميزان قبال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فالموازنة باطلة منذ الأساس، ولا يوجد وجه للقياس بين أبي بكر والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومجرد جعل أبي بكر وغيره بل الأمة جميعها مقابل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ظلم واضح لشخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فالحديث وان ظن القوم بأنه يثبت فضيلة لأبي بكر إلا انه يثبت مثلبة اكبر وأعظم لشخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إذ يجعله في معرض المساواة مع عامة أفراد الأمة.

ولعل هذه الموازنة غير المنصفة هي التي جعلت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يغضب بعد أن بين ذلك الشخص حلمه، وغضب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم دليل على عدم دخول هذه الرؤية في الرؤيا الصالحة، وإذا لم تكن رؤيا صالحة كانت أضغاث أحلام لا غير.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٠ ص ١٢٦.



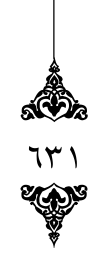
٢: خطأ الحاكم النيسابوري في تصحيح هذا الشاهد الضعيف

وبما مر من كلام ونقاش لذلك الشاهد المزعوم الذي ادعاه السخاوي سابقا، يتبين خطأ الحاكم النيسابوري بتصحيحه لحديث الرؤيا المزعوم، حيث رواه في كتابه (المستدرك على الصحيحين) وحكم عليه بالصحة قائلا: (أخبرني أبو عبد الرحمن ابن أبي الوزير التاجر، ثنا أبو حاتم الرازي، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، ثنا أشعث بن عبد الملك الحمراني، عن الحسن، عن أبي بكرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: «من رأى منكم رؤيا؟» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»)[1].

أقول: ويرد عليه جميع ما ورد على السخاوي من أجوبة وتعليقات قد مرت في النقاط السابقة، فلا نطيل في الجواب.

غير ان الحاكم النيسابوري زعم عقب روايته لهذا الرواية المكذوبة وجود شاهد لها فقال: («وشاهده» حديث سعيد بن جمهان عن سفينة الذي «حدثناه» أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا حميد بن عياش الرملي ثنا المؤمل بن إسماعيل ثنا حماد بن سلمة عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى أم سلمة رضي الله عنها قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلى الصبح ثم اقبل على أصحابه فقال أيكم رأى الليلة رؤيا قال فصلى ذات يوم فقال أيكم رأى رؤيا فقال رجل أنا رأيت يا رسول الله كأن ميزانا دلي به من السماء فوضعت في كفة ووضع أبو بكر في كفة

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص٧١.



أخرى فرجحت بأبي بكر فرفعت وترك أبو بكر مكانه فجيء بعمر بن الخطاب فوضع في الكفة الأخرى فرجح به أبو بكر فرفع أبو بكر وجيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرى فرجح عمر بعثمان ثم رفع عمر وعثمان ورفع الميزان قال فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال خلافة النبوة ثلاثون عاما ثم تكون ملكاً قال سعيد بن جمهان فقال لي سفينة امسك سنتي أبي بكر وعشر عمر وثنتي عشرة عثمان وست علي رضي الله عنهم أجمعين * وقد أسندت هذه الروايات بإسناد صحيح مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وآله*)[1].

أقول: وهذا شاهد ضعيف لا يعتد به لأسباب كثيرة منها:

ألف: فيه مؤمل بن إسماعيل ضعفه الجمهور منهم البخاري وغيره

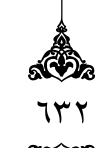
وهو كما عن الرازي في (الجرح والتعديل): (مؤمل بن إسماعيل أبو عبد الرحمن مولى آل عمر بن الخطاب)[2]، وهو من طبقة صغار أتباع التابعين، لم يرو له البخاري في صحيحه إلا حديثا واحدا معلقا، وكذلك لم يروِ عنه مسلم في صحيحه، وروى له أربعة من أصحاب الكتب الستة وآخرون، وهو ضعيف، كثير الوهم والغلط، منكر الحديث، دفن كتبه وحدث من حفظه فكان يخطئ كثيرا.

قال المزي في (تهذيب الكمال): (مؤمل بن إسماعيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمان البصري... قال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين: ثقة. وقال عثمان بن سعيد الدارمي: قلت ليحيى بن معين: أي شيء حال مؤمل في سفيان؟ فقال: هو ثقة...وقال أبو حاتم: صدوق، شديد في السنة، كثير الخطأ.

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ٧١.

(٢) الجرح والتعديل للرازي ج ٨ ص ٣٧٤.

وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا داود عن مؤمل بن إسماعيل، فعظمه ورفع من شأنه إلا انه يهم في الشيء. وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات". وقال غيره: دفن كتبه فكان يحدث من حفظه، فكثر خطؤه)[1].



وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد): (مؤمل بن إسماعيل ووثقه ابن معين وضعفه الجمهور)[2]، وقال في موضع آخر: (مؤمل بن إسماعيل وثقه ابن حبان وضعفه جماعة)[3]، وقال في موضع ثالث: (مؤمل بن إسماعيل وثقه ابن معين وابن حبان وضعفه البخاري وغيره)[4].

أقول: ولا عبرة بتوثيق يحيى بن معين، لان توثيقه خاص بأحاديث مؤمل بن إسماعيل التي يحدث بها عن سفيان، وهو خارج عن محل كلامنا، وكذلك لا يقبل توثيق ابن حبان له لأنه متهاون في التوثيق فلا يؤخذ بقوله إذا خالف فيه المشهور، وكذلك لا ينفعه قول أبي داود ووصفه بأنه شديد في السنة وأمثال ذلك، لان هذه الأمور ليس لها مدخلية في الوثاقة، فقد يكون الراوي ثقة لكنه ليس شديدا في السنة.

وكذلك لا يقبل توثيق من وثقه لسبب آخر وهو ان توثيقهم جاء مجملا، ومن جرح المؤمل فقد جرحه بجرح مفسر، والجرح المفسر مقدم قطعا على التوثيق المجمل، وبالخصوص إذا جاء الجرح من البخاري وأمثاله.

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٩ ص ١٧٦ ـ ١٧٩.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٥ ص ٤٩.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٩.

(٤) المصدر السابق ص١٧٨.



باء: وفيه حماد بن سلمة الذي اختلط، والذي كانت الأحاديث تدس في كتبه

وهو (حماد بن سلمة بن دينار البصري) من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة، ولم يرو له البخاري إلا حديثا في الشواهد، وهو عندهم ثقة شديد التسنن، إلا انه ممن ثبت اختلاطه، وبحسب القاعدة التي ذكرناها سابقا من (أنه يقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط، ولا يقبل حديث من أخذ عنهم بعد الاختلاط، أو أشكل أمره، فلم يدر هل أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده)[1]، وهذه الرواية يرويها حماد بن سلمة عن سعيد بن جمهان، ولم أر أحداً من أهل الحديث يقول بأن أحاديثه عن سعيد بن جمهان كانت قبل الاختلاط، فهي إن لم نقطع بوقوعها بعد الاختلاط، فعلى اقل التقادير تكون مشكوكاً فيها، وفي الحالتين لا تقبل وفقا للقاعدة السابقة.

وقد وصفه بالاختلاط الحافظ برهان الدين سبط بن العجمي في كتابه (نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط)[2]، وكذلك فعل خير الدين الزركلي في (الأعلام) حيث قال: (حماد بن سلمة بن دينار البصري الربعي بالولاء، أبو سلمة: مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، ومن النحاة. كان حافظا ثقة مأمونا، إلا أنه لما كبر ساء حفظه فتركه البخاري، وأما مسلم فاجتهد وأخذ من حديثه بعض ما سمع منه قبل تغيره)[3]، أقول: وقد رجعت إلى صحيح مسلم فلم أره قد نقل حديثا عن حماد بن سلمة عن سعيد بن جمهان، مما يدل على ان سماعه من سعيد قد جاء بعد الاختلاط والتغير.

وحماد بن سلمة إضافة إلى تغيره واختلاطه فلم تكن كتبه مصانة عن

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ج١ ص٨٧.

(٢) المصدر نفسه ص٩٦.

(٣) الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٢ ص ٢٧٢.

التحريف والدس والتزوير، قال عبد الله بن عدي في (الكامل) في معرض حديثه عن بعض أحاديث حماد بن سلمة: (...إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي قال كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث حتى خرج خرجة إلى عبادان فجاء وهو يرويها فلا أحسب إلا شيطانا خرج إليه في البحر فألقاها إليه قال أبو عبد الله سمعت عباد بن صهيب يقول إن حماد بن سلمة كان لا يحفظ فكانوا يقولون إنها دست في كتبه وقد قيل إن ابن أبي العوجاء كان ربيبه فكان يدس في كتبه هذه الأحاديث. قال الشيخ: وأبو عبد الله بن الثلجي كذاب وكان يضع الحديث ويدسه في كتب أصحاب الحديث بأحاديث كفريات فهذه الأحاديث من تدسيسه)[1].

أقول: فيجب على من يريد تصحيح هذه الرواية أن يثبت أولا وبدليل قاطع أنها صدرت عن حماد بن سلمة قبل الاختلاط، وان يثبت ثانيا أنها لم تكن من ضمن الروايات التي دست في كتبه من قبل ابن أبي العوجاء أو غيره.

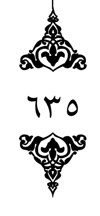
جيم: وفيه سعيد بن جمهان الأسلمي البصري وهو مختلف في وثاقته وعدالته

وهو من الطبقة التي تلي الوسطى من التابعين، لم يرو له البخاري في صحيحه ولا مسلم، وفي حديثه عجائب، وهو ممن يكتب حديثه ولكن لا يحتج به، وهو أيضا ممن لا يتابع على حديثه، قال المزي في (تهذيب الكمال): (وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتج به. وقال أبو أحمد بن عدي: روى عن سفينة أحاديث لا يرويها غيره، وأرجو أنه لا بأس به، فإن حديثه أقل من ذلك. وقال أبو عبيد الآجري، عن أبي داود: ثقة. وقال في موضع آخر: هو

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٢ ص ٢٦٠.

ثقة إن شاء الله، وقوم يضعفونه، إنما يخاف ممن فوقه وسمى رجلا، يعني: سفينة)[1].

وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (وقال البخاري في حديثه عجائب...وقال الساجي لا يتابع على حديثه)[2].



أقول: ولا تنافي بين ما ذهب إليه ابن أبي حاتم مع ما ذهب إليه بعض من توثيقه، لان الراوي ربما يكون ثقة ويكتب حديثه ولكنه لا يحتج به، وعدم الاحتجاج لا من حيث الوثاقة وعدمها بل من حيث أمور خارجية تستدعي ذلك، إضافة إلى أن لقيا سعيد بن جمهان مع سفينة مشكوك فيها، لذلك خيف من روايته عن سفينة، ولذلك أيضا روى عن سفينة أحاديث لا يرويها غيره، فالواجب التوقف في حديثه عن سفينة، ثم لو ثبتت لقياه مع سفينة فان الواجب عدم الاحتجاج بحديثه عملا بقول أبي حاتم.

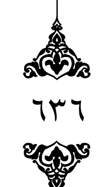
فهذه الرواية بعد كل هذه الملاحظات التي مرت ضعيفة مطعون في صحتها، وتصحيح الحاكم النيسابوري لها من أعظم الظلم واشد أنواع المحاباة على حساب الحق والعلم.

هذا تمام الكلام حول حديث (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح)، وبقيت أقوال ومحاولات تصحيحية أخرى للقوم تركناها للاختصار، لان غرضنا هو الاستشهاد وعرض النماذج وليس الاستقصاء لجميع تلك الموارد والرد عليها لان ذلك يحتاج إلى تأليف مستقل.

---

(١) تهذيب الكمال للمزي ج١٠ ص٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ج٤ ص١٣.



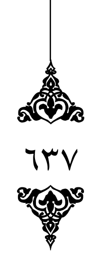
الحديث الثاني: لو كان بعدي نبي لكان عمر... وما في معناه

اقتضت خطة السلطة الحاكمة منذ استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على جعل إحدى أولوياتها الاهتمام بأمرين مهمين:

الأول: محاولة إنزال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من مرتبته العالية المرموقة الكاملة إلى مراتب أدنى فأدنى بحسب الطاقة والجهد، حتى يتساوى مع سائر الناس، وإذا أمكن أن يصير أقل شأنا من سائر الناس فبها ونعمت، لذلك جعلوه صلى الله عليه وآله وسلم يبدو في كتبهم يتصرف بتصرفات لا تنسجم مع تصرفات سائر الناس، فيبول واقفا، ويغضب ويسب ويلعن ويضرب من غير ذنب ولا استحقاق، ولا علم له بأبسط قواعد الحياة ومستلزمات المعيشة، كما في قصة تأبير النخل المكذوبة، ولا يعرف كيف يتصرف حيال ما يواجهه من مشاكل وصعوبات في أثناء دعوته للناس فيحتاج من يرشده ويشير عليه فينبري عمر بن الخطاب لتعليمه وإرشاده وينبري آخرون لتوضيح الأمور له وإفهامه، والشواهد على هذه الأمور كثيرة جدا.

الثاني: رفع رموز السلطة وجميع من يناصرهم ويؤيدهم من مراتبهم التي هي كسائر الناس إلى مراتب الأنبياء والرسل، وإعطاء الحصانة لجميع من عاصر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وإغلاق باب الأخذ والرد عليهم، وتعديلهم جملة وتفصيلا، وتبرير جميع ما صدر عنهم، ورمي من يتعرض لهم أو يحاول فهم حقيقة ما شجر بينهم، بالزندقة والبدعة والخروج عن الطاعة والجماعة، وإلصاق كل ما يمكن أن يخرجه من الدين ومن صف المسلمين ومن زمرة الموحدين به.

والحديث الذي نحن بصدد الكلام عنه داخل في ضمن كلا الأمرين، لأنه ينزل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من مستواه وعليائه، وكونه خامس الأنبياء من



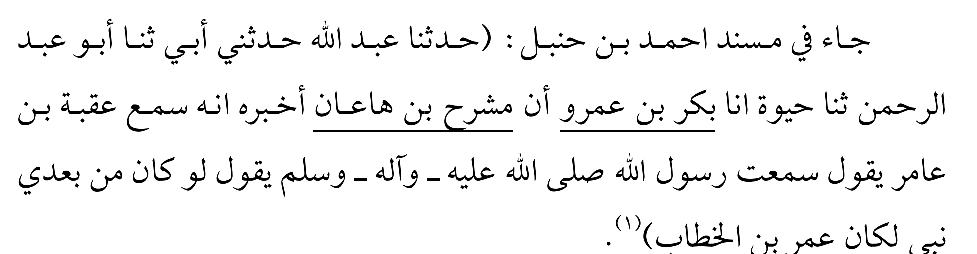
أولي العزم، وخاتم المرسلين وسيدهم وأحبهم إلى الله سبحانه، إلى مرتبة المساواة مع عمر بن الخطاب وغيره من سائر الناس، وإلا فما معنى إخراجهم لحديث (لو لم ابعث فيكم لبعث عمر بن الخطاب) أو أمثال ذلك؟! أليس الهدف منه المساواة ما بين النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعمر بن الخطاب وان منزلتهما واحدة وان عمر ابن الخطاب بإمكانه أن يسد مسد النبي الأعظم ويأخذ مكانه، وفي هذا ظلم عظيم، إذ كيف يساوى بين النبي الأعظم وبين رجل قضى ثلث عمره ان لم نقل أكثره في جاهلية جهلاء يعبد الأصنام ويسجد للأحجار ويفعل أنواع الشرك والمعاصي والمخالفات، إلى أن منّ الله سبحانه عليه وعلى سائر المسلمين بالخروج من كل هذا ببركة وجود النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبعثته، فكيف يقبل عاقل أن يساوي بينهما، وهل هذا إلا كمثل من يساوي بين الدر والحجر وبين التبر والتراب، فجميع الخلق بالنسبة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بما فيهم عمر وسائر الصحابة هم بمنزلة التراب والحجر بالنسبة إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو درة عالم الإمكان وذهبه.

وكذلك الحديث داخل في ضمن مخطط رفع رموز السلطة وإعطائها منزلة الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بهدف إسكات المعارضين وإخضاعهم وكسر شوكتهم، لكن الله سبحانه فضح بلطفه من روى مثل هذه الأحاديث، لأنها لم ترو عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بسند صحيح يركن إليه ويطمأن به، وكانت فضيحتهم اكبر وخزيهم أشد وأعظم حينما صحح القوم هذه الأكاذيب على رغم نكارتها وضعفها ووضعها، وهذا ما سنتعرف على تفاصيله في الصفحات القادمة إن شاء الله سبحانه.

بعض نصوص هذا الحديث المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قـد ورد حـديث نبـوة عمـر المزعومـة في عـدة أسـانيد وبألفـاظ متقاربـة، سنستعرضها فيما يأتي من كلام مع تبيان مواقع الخلل فيها.

الحديث الأول في مسند احمد بن حنبل



جاء في مسند احمد بن حنبل: (حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو عبد الرحمن ثنا حيوة انا بكر بن عمرو أن مشرح بن هاعان أخبره انه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول لو كان من بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب)[1].

أقول: ويرد على هذه الرواية عدة ملاحظات مهمة، منها:

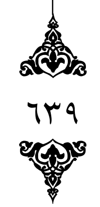
أولا: لان احمد بن حنبل أمر بحذف هذه الرواية من المسند لنكارتها إلا ان ابنه أبقاها

قد عرفنا في احد فصول هذا الكتاب، ان كتاب المسند لأحمد بن حنبل، هو من الكتب التي تم التلاعب بها من ابنه عبد الله أو من أشخاص آخرين، وان كثيرا من الأحاديث التي أمر احمد بن حنبل ابنه عبد الله بحذفها من المسند لضعفها أو نكارتها أو وضعها لم تحذف منه، وان ابنه عبد الله قد أبقاها في كتاب أبيه على الرغم منه، وهذا الحديث الذي بين أيدينا هو من الأحاديث التي تدخل في ضمن هذا المخطط، فقد صرح موفّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمّد الشهير بـ: ابن قدامة المقدسي في كتابه (المنتخب من العلل للخلال) بان احمد بن حنبل قد أمر ابنه بالضرب على هذا الحديث وعدم إخراجه في المسند فقال: (وقال إبراهيم بن الحارث: إن أبا عبد الله سئل عن حديث عقبة بن الحارث: «لو كان بعدي نبي

---

(١) مسند احمد لأحمد بن حنبل ج ٤ ص١٥٤.

لكان عمر»؟. فقال: اضرب عليه؛ فإنه عندي منكر)[1] وعليه فلا وجه لنسبته إلى احمد بن حنبل، بل حكمه عليه بالنكارة من أقوى أدلة ضعفه، وذلك لاعتقاد المخالفين بتفوق احمد بن حنبل على كثير من نظرائه من المحدثين وأهل الجرح والتعديل.





ثانيا: لوجود بكر بن عمرو المجهول العدالة والوثاقة

قال الرازي في (الجرح والتعديل): (بكر بن عمرو المعافري المصري إمام مسجد جامع مصر... وسألته ـ أي أبا حاتم الرازي ـ عنه فقال: شيخ. حدثنا عبد الرحمن انا حرب بن إسماعيل فيما كتب إلي قال سألت أحمد بن حنبل عن بكر ابن عمرو المعافري قال: يروى له)[2].

أقول: وهذه الألفاظ (شيخ، يروى له) ليست صريحة في التوثيق، فكم من شيخ لا يساوي حديثه فلسا واحدا، وكم من شخص يروى عنه وهو ضعيف هالك، وصحاحهم ومسانيدهم وسننهم وسائر مصادرهم حافلة بالرواة الذين روي عنهم ولكنهم ضعفاء أو كذابون أو مدلسون أو غير ذلك، وعليه فعبارة (شيخ) أو (يروى عنه) ليست صريحة في توثيق هذا الراوي.

وأكثر ما وصف به هو العبادة والفضل، قال الذهبي في (الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة): (بكر بن عمرو المعافري...عابد قدوة)[3]، وقال الذهبي أيضا في (تاريخ الإسلام): (وكان له فضل وعبادة. قال أبو حاتم:

(١) المنتخب من العلل للخلال لموفّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمّد الشهير بـ: ابن قدامة المقدسي ص١٧ الرقم ١٠٦.

(٢) الجرح والتعديل للرازي ج ٢ ص ٣٩٠.

(٣) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج ١ ص ٢٧٤.





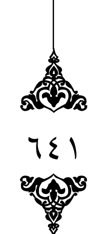
شيخ)[١]، وقال ابن حجر: (بكر بن عمرو المعافري المصري إمام جامعها صدوق عابد من السادسة مات في خلافة أبي جعفر بعد الأربعين)[٢].

وكونه صاحب عبادة وفضل لا يعني انه ثقة، إذ كثرة العبادة والفضل والصلاح عندهم لا تقتضي أن يكون ذلك العابد الصالح الفاضل ثقة، بل العكس هو الصحيح، فقد صرح القوم ان واحدة من أسباب رمي الراوي بالضعف وقلة الضبط هو كونه من أهل الصلاح وكثرة العبادة، بدعوى ان الحديث والرواية تحتاج إلى تفرغ ومدارسة وتنقل في البلدان والكتابة والتقييد وغير ذلك، ومن يتفرغ للعبادة والصلاح لا يستطيع القيام بهذه المهام، لذا كان أهل العبادة والصلاح متهمين على الدوام بقلة الضبط، وقلب الأسانيد، والكذب والرواية عن كل من هب ودب، وغير ذلك من القوادح، وقد فصل الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي هذه القاعدة في كتابه (شَرْحُ عِلَلِ التِّرْمِذِيِّ) بالقول: (ذكر الترمذي: أنه رب رجل صالح مجتهد في العبادة، ولا يقيم الشهادة ولا يحفظها، وكذلك الحديث لسوء حفظه وكثرة غفلته...وروى مسلم في مقدمة كتابه «لن ترى الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث»... وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن أبي أسامة قال: «إن الرجل يكون صالحاً ويكون كذاباً»... وروى أبو نعيم بإسناده عن ابن مهدي قال: «فتنة الحديث أشد من فتنة المال وفتنة الولد، ولا تشبه فتنته فتنة، كم من رجل يظن به الخير قد حمله فتنة الحديث على الكذب»...قال أبو قلابة: عن علي بن المديني: سئل يحيى بن سعيد عن مالك بن دينار، ومحمد بن واسع، وحسان بن أبي سنان فقال: «ما

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٩ ص ٧٩.

(٢) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ١٣٥.



رأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث، لأنهم يكتبون عن كل ما يلقون لا تمييز لهم فيه»... ويروى عن أبي عبد الله بن مندة قال: «إذا رأيت في حديث ثنا فلان الزاهد فاغسل يدك منه»، وقال ابن عدي: «الصالحون قد وسموا بهذا الاسم إن يرووا أحاديث في فضائل الأعمال موضوعة بواطيل، ويتهم جماعة منهم بوضعها»)[1].

إذن فكون بكر بن عمرو المعافري من أهل الصلاح والعبادة لا يلزم منه توثيقه وقبول حديثه بل العكس فكونه من أهل العبادة والصلاح موجباً لغسل اليد من روايته، وموجباً لاتهام هذا الراوي بالغفلة وسوء الحفظ بل والكذب فيما لو جاء بحديث منكر، وبكر بن عمرو المعافري قد جاء بحديث منكر كما صرح احمد ابن حنبل من قبل حينما أمر ولده بالضرب على هذا الحديث لأنه منكر، فلا شك حينئذ من كون هذا الحديث من أكاذيب بكر بن عمرو المعافري، أو من أكاذيب غيره لكنه رواه بسبب ان بكر بن عمرو المعافري من أهل الصلاح والعبادة الذين يروون كل غث وسمين من دون دراية وتمييز.

وليت ان الأمر توقف عند هذا الحد، فقد ورد تصريح واضح من ابن القطان بعدم علمه لعدالة بكر بن عمرو المعافري، كما ان الدارقطني أمر بالنظر في أمره، قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (بكر بن عمرو المعافري المصري إمام جامعها... قلت: وقال ابن القطان لا نعلم عدالته وذكره ابن حبان في الثقات وقال توفي بعد الأربعين ومائة وقال الحاكم سألت الدارقطني عنه فقال ينظر في أمره)[2]،

(١) شَرْحُ عِلَلِ التِّرْمِذِيِّ للحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي المسألة الثالثة من ضعف من أهل العبادة لسوء حفظه ص١٣١.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٤٢٦.

وهو صريح في جهالة عدالته ووثاقته، فإذا ضممنا جهالته مع كونه من أهل العبادة والصلاح المعروفين بقلة الضبط والكذب في الحديث وروايتهم للمناكير، نصل وعلى اقل التقادير إلى حتمية التوقف والتحفظ عن قبول روايته وبالخصوص التي يشهد عليها بالنكارة والغرابة، والرواية التي نحن بصدد الكلام عنها مشمولة بهذا الأمر حتما فقد شهد احمد بن حنبل بأنها منكرة، وسيأتي كلام الترمذي وشهادته بأنها غريبة، فالرواية مشتملة على جهالة وغرابة ونكارة فلا ريب في ضعفها، ولا عبرة حينئذ بتوثيق أمثال ابن حبان لأنه وكما كررنا مرارا معروف بالتساهل في توثيق الضعفاء والمجهولين.

ومما تقدم يعلم إفراط الذهبي وشذوذه في تعديل بكر بن عمرو المعافري ووصفه بأنه احد الأثبات، كما في (تاريخ الإسلام) حيث قال: (بكر بن عمرو المعافري الزاهد...وكان أحد الأثبات)[1]، ولا احد غير الذهبي وصفه بأنه من الأثبات، ولو كان من الأثبات فعلا لما خفي أمره عن ابن القطان والدارقطني والحاكم وغيره من شيوخ الحديث وأصحاب الجرح والتعديل، فعدم معرفتهم بهذا الأمر وعدم ذكره في ترجمته دليل على ان هذا القول هو من أوهام الذهبي واجتهاداته غير المستندة إلى دليل وشاهد فتكون مردودة عليه.

ثالثا: لوجود مشرح بن هاعان الذي كان يخطئ ويخالف ويروي المناكير التي لا يتابع عليها

وهو مشرح بن هاعان المعافري، أبو مصعب المصري، من الطبقة التي تلي الوسطى من التابعين، روى له أربعة من أصحاب الكتب الستة، ولم يرو له مسلم في صحيحه ولا النسائي أي حديث، وله عدة طامات تمنع كل واحدة منها من

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص٣٨٧.



الأخذ بروايته والقول بوثاقته، منها كونه صاحب رواية للمناكير، ومنها انه كان من أعوان الحجاج بن يوسف الثقفي وبالتحديد كان على المنجنيق الذي رميت به الكعبة المشرفة في حرب الحجاج مع ابن الزبير، وقد هدمت الكعبة وأحرقت بفعل هذا المنجنيق، فعليه لعائن الله وعلى من أمره إلى يوم الدين، والذي يروي عن عقبة بن عامر مناكير لا يتابع عليها، والذي كان يخطئ ويخالف، وقد انقلبت عنه صحائفه فبطل الاحتجاج به، وغير ذلك من الطامات، والتي سنتعرف عليها فيما يأتي من تصريحات:

قال الذهبي في (تاريخ الإسلام): («مشرح بن هاعان» أبو مصعب المعافري المصري...وثقه ابن معين، وقد لينه ابن حبان فقال: له مناكير...وكان على المنجنيق الذي رمى به الكعبة)[١].

وقال الذهبي أيضا في (ميزان الاعتدال): (مشرح بن هاعان...عن عقبة بن عامر. صدوق، لينه ابن حبان. وقال عثمان بن سعيد، عن ابن معين: ثقة. قال ابن حبان: يكنى أبا مصعب. يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها...فالصواب ترك ما انفرد به. وذكره العقيلي فما زاد في ترجمته أكثر من أن قيل: إنه ممن جاء مع الحجاج إلى مكة، ونصب المنجنيق على الكعبة)[٢].

وقال ابن حبان في (كتاب المجروحين): (مشرح بن هاعان...يروي عن عقبة ابن عامر أحاديث مناكير لا يتابع عليها، روى عنه ابن لهيعة والليث وأهل مصر، والصواب في أمره ترك ما انفرد من الروايات والاعتبار بما وافق الثقات)[٣].

---

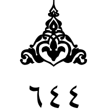
(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٧ ص ٤٧٠.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٤ ص ١١٧.

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان ج ٣ ص ٢٨.

وقد كرر ابن حبان ذكره في كتاب (الثقات) فقال: (مشرح بن هاعان من أهل مصر يروي عن عقبة بن عامر روى عنه أهل مصر يخطئ ويخالف)[1].

وقال ابن الجوزي في (الموضوعات): (وقال ابن حبان: انقلبت على مشرح صحائفه فبطل الاحتجاج به)[2].





أقول: لا ينفع توثيق ابن معين وغيره لمشرح بن هاعان، لان توثيقهم مجمل، ومن جرحه كابن حبان وغيره فقد جرحه بجرح مفسر، والجرح المفسر مقدم بلا أدنى شك على التوثيق المجمل، وحتى لو قيل جدلا بوثاقته، فان حديثه عن عقبة منكر لا يتابع عليه وحديث نبوة عمر بن الخطاب مروي عن عقبة فيكون منكرا، إضافة إلى ان انفراده بحديث لا يقبل منه، وسيأتي تصريح الترمذي بأن حديث نبوة عمر بن الخطاب مما انفرد به مشرح بن هاعان فلا يقبل منه حينئذ هذا الانفراد.

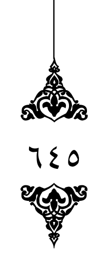
ثم إني لأعجب كيف سمح البعض لنفسه بتوثيق مشرح بن هاعان هذا وقبول حديثه وقد رمى الكعبة بالمنجنيق وهدمها وأحرق ستائرها ودمر أسوارها، فكيف يكون مثل هذا الفاسق الكافر ثقة مقبول الرواية، بينما يضعفون رجال الشيعة وأتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأسباب تافهة وحجج واهية وقد مرت بعضها.

رابعا: حكم ابن الجوزي على الحديث بأنه موضوع

ومن أعظم الضربات التي وجهت إلى هذا الحديث حكم ابن الجوزي على الحديث بالوضع في كتابه (الموضوعات) بقوله: (الحديث الثاني: أنبأنا

(١) الثقات لابن حبان ج ٥ ص ٤٥٢.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٣٢١.



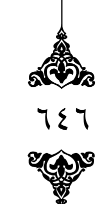
إسماعيل بن أحمد قال أنبأنا إسماعيل بن مسعدة قال أنبأنا حمزة قال أنبأنا ابن عدي قال حدثنا علي بن الحسن بن قديد قال حدثنا زكريا بن يحيى الوقاد قال حدثنا بشر بن بكر عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن غضيف بن الحرث عن بلال بن رباح قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: "لو لم أبعث فيكم لبعث عمر". قال ابن عدي وحدثنا عمر بن الحسن بن مضر الحلبي قال حدثنا مصعب بن سعد أبو خيثمة قال حدثنا عبد الله ابن واقد قال حدثنا حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لو لم أبعث فيكم لبعث عمر " هذان حديثان لا يصحان عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم. أما الأول: يحيى كان من الكذابين الكبار. قال ابن عدي: كان يضع الحديث، وأما الثاني فقال أحمد: ويحيى بن عبد الله بن واقد ليس بشيء. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: انقلبت على مشرح صحائفه فبطل الاحتجاج به)[1].

فيثبت من جميع ما مر ان حديث (لو كان من بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب)[2]، الذي أخرجه احمد في مسنده بالسند المتقدم هو من الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة باعتراف ابن الجوزي، أو هو من الأحاديث المنكرة التي ينبغي أن لا تكتب ولا تثبت في الصحاح كما قال أحمد بن حنبل، لذلك لم يخرجه أحد من أصحاب الصحاح، ولو كان يساوي فلسا لما رغبوا عنه.

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٣٢١.

(٢) مسند احمد لأحمد بن حنبل ج ٤ ص١٥٤.



الحديث الثاني والثالث في سنن الترمذي والمعجم الكبير للطبراني

جاء في سنن الترمذي: (حدثنا سلمة بن شبيب أخبرنا المقري عن حياة بن شريح عن بكر بن عمرو عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم: لو كان نبي بعدي لكان عمر بن الخطاب)[١].

وقال الطبراني في (المعجم الكبير): (حدثنا هارون بن ملول المصري ثنا أبو عبد الرحمن المقري ثنا حياة بن شريح عن بكر بن عمرو عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال لو كان بعدي نبي لكان عمر)[٢].

أقول: وسند هذا الحديث هو نفس سند الحديث السابق، فكل ما ورد على الحديث السابق من مؤاخذات يرد على هذا الحديث أيضا فلا نطيل.

الحديث الرابع: في معجم الطبراني عن عصمة بن مالك الخطمي

وقد اخرج الطبراني في (المعجم الكبير) الحديث عن أحمد بن رشدين المصري ثنا خالد بن عبد السلام الصدفي ثنا الفضل بن المختار عن عبد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي: (قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ــ وسلم لو كان نبي بعدي لكان عمر بن الخطاب)[٣].

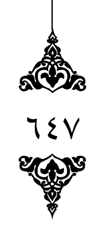
أقول: والحديث بهذا الطريق باطل أيضا لا يحتج به، لعدة أسباب منها:

---

(١) سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج ١٧ ص ٢٩٨.

(٣) المصدر السابق ص ١٧٨.



أولا: لوجود احمد بن رشدين في إسناده وهو ضعيف

وهو أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين، وقد وصفه الهيثمي بالضعف في عدة مواضع من كتابه (مجمع الزوائد)[١]، ووصفه ابن الجوزي بالكذاب في كتابه (الموضوعات) قال المتقي الهندي في (كنز العمال): (...وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: فيه أحمد بن رشدين كذاب)[٢]، وقد نقل عبد الله بن عدي في (الكامل) اتهامه بالكذب عن عدة من معاصريه فقال: (أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين سعد أبو جعفر المصري سمعت محمد بن سعد السعدي يقول سمعت أحمد بن شعيب النسائي يقول كان عندي أخو ميمون وعدة فدخل ابن رشدين هذا فصعقوا به وقالوا له يا كذاب فقال لي ابن رشدين ألا ترى ما يقولون لي فقال له أخو ميمون أليس أحمد بن صالح إمامك قال نعم فقال سمعت علي بن سهل يقول سمعت أحمد بن صالح يقول انك كذاب)[٣].

وقال سبط بن العجمي في (الكشف الحثيث): (أحمد بن محمد بن الحجاج ابن رشدين بن سعد أبو جعفر المصري قال ابن عدي كذبوه وأنكرت عليه عدة أشياء)[٤].

وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين...سمعت منه بمصر ولم أحدث عنه لما تكلموا فيه)[٥].

---

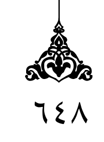
(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٦ ص ٢٩٤، و ج ١٠ ص ٦٩، وغير ذلك.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٢ ص ١٢١.

(٣) الكامل لعبد الله بن عدي ج ١ ص ١٩٨.

(٤) الكشف الحثيث لسبط بن العجمي ص ٥٨.

(٥) الجرح والتعديل للرازي ج ٢ ص ٧٥.



وقال عبد الله بن عدي في (الكامل): (ولحجاج أحاديث غير ما ذكرت وكان نسل رشدين قد خصوا بالضعف رشدين ضعيف وابنه حجاج هذا ضعيف وللحجاج ابن يقال له محمد ضعيف ولمحمد ابن يقال له أحمد بن محمد بن الحجاج ابن رشدين ضعيف)[١]، فجميع آل رشدين خصوا بالضعف فأحمد ضعيف وكذلك أبوه محمد ضعيف وكذلك جده حجاج ضعيف وكذلك رشدين ضعيف أيضا، وهو من النوادر في علم الجرح والتعديل.

ثانيا: لوجود الفضل بن المختار في الإسناد وهو مجهول منكر الحديث يروي الأباطيل

وهو الفضل بن المختار، أبو سهل البصري، ذكره العقيلي في (ضعفاء العقيلي) بقوله: (الفضل بن المختار منكر الحديث)[٢]، وقال الرازي في (الجرح والتعديل): (الفضل بن المختار البصري...نا عبد الرحمن قال سألت أبي عنه فقال هو مجهول وأحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل)[٣].

وقال الذهبي في (ميزان الاعتدال): (الفضل بن المختار...قال أبو حاتم: أحاديثه منكرة، يحدث بالأباطيل. وقال الأزدي: منكر الحديث جدا. وقال ابن عدي: أحاديثه منكرة، عامتها لا يتابع عليها)[٤].

وقد تفنن الهيثمي في تضعيفه في (مجمع الزوائد) فقال: (الفضل بن المختار وهو منكر الحديث ضعيف جدا)[٥]، وقال في موضع آخر: (الفضل بن المختار وهو

---

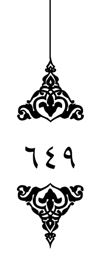
(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٢ ص ٢٣٤.

(٢) ضعفاء العقيلي للعقيلي ج ٣ ص ٤٤٩.

(٣) الجرح والتعديل للرازي ج ٧ ص ٦٩.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٣٥٨.

(٥) مجمع الزوائد للهيثمي ج ١ ص ٢٤٤.



منكر الحديث يحدث بالأباطيل)[١]، وقال في موضع ثالث: (الفضل بن المختار وهو ضعيف جدا)[٢]، هذا وقد صرح الهيثمي ببطلان حديث نبوة عمر بقوله: («باب قول النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لو كان بعدي نبي» عن عصمة قال. قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر. رواه الطبراني وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لو كان الله باعثا رسولا بعدي لبعث عمر بن الخطاب. رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد المنعم بن بشير وهو ضعيف)[٣].

إذن فالحديث بهذا الإسناد باطل بلا ريب.

الحديث الخامس: في تاريخ مدينة دمشق وغيره

قال ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق): (أنا أبو بكر الخطيب أنا أبو الفتح محمد بن الحسين بن محمد بن جعفر السمعاني المعروف بقطيط نا أحمد بن محمد بن الحسين الصفار التستري من حفظه نا سعيد بن أحمد أبو سعيد النيسابوري نا ظالم ابن كاظم أبو يعيش نا خلف بن حمود البخاري نا عبد الله بن مسلمة نا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) لعمر بن الخطاب لو كان بعدي نبي لكنته)[٤].

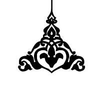
أقول: وهذا الحديث منكر بهذا السند، وقد صرح غير واحد من أعلامهم بنكارته، منهم ابن عساكر نفسه بعد إيراده لهذا الخبر حيث قال: (قال الخطيب هذا

(١) مجمع الزوائد ج١ ص ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٥.

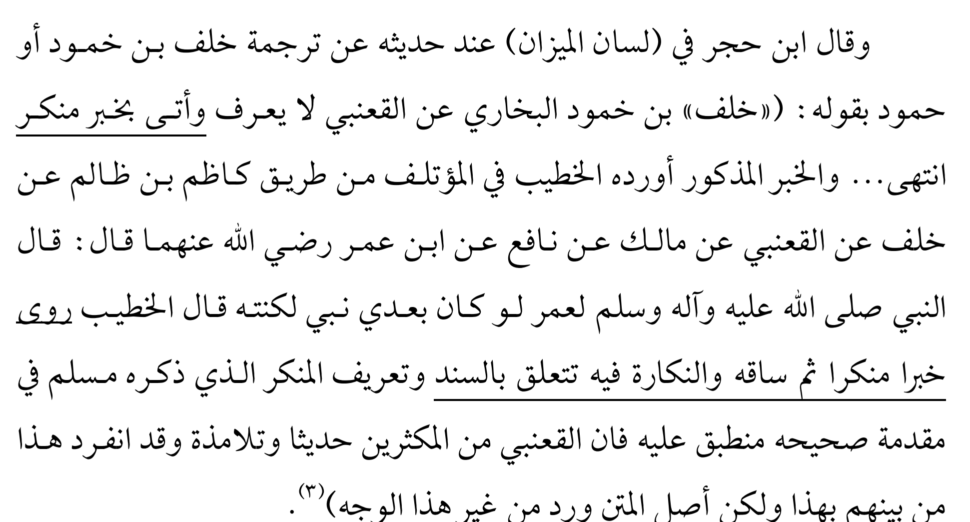
(٣) المصدر السابق ج ٩ ص ٦٨.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٤ ص ١١٦.





حديث منكر)[١]. وقال المتقي الهندي بعد إيراد هذا الخبر أيضا: (أورده ــ الخطيب في رواة مالك وابن عساكر عن ابن عمر، وقال: منكر)[٢].



وقال ابن حجر في (لسان الميزان) عند حديثه عن ترجمة خلف بن خمود أو حمود بقوله: («خلف» بن خمود البخاري عن القعنبي لا يعرف وأتى بخبر منكر انتهى... والخبر المذكور أورده الخطيب في المؤتلف من طريق كاظم بن ظالم عن خلف عن القعنبي عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر لو كان بعدي نبي لكنته قال الخطيب روى خبرا منكرا ثم ساقه والنكارة فيه تتعلق بالسند وتعريف المنكر الذي ذكره مسلم في مقدمة صحيحه منطبق عليه فان القعنبي من المكثرين حديثا وتلامذة وقد انفرد هذا من بينهم بهذا ولكن أصل المتن ورد من غير هذا الوجه)[٣].

أقول: عبارة (ولكن أصل المتن ورد من غير هذا الوجه) موهمة وحمالة لوجوه، فقد يظن البعض ان معنى ورود هذا المتن من غير هذا الوجه المنكر هو وجود سند صحيح لهذا الحديث، والحقيقة هي ان لا سند صحيح لهذا الحديث على رغم ورود هذا المتن في أكثر من طريق وفيما سبق استعرضنا جميع الطرق وأثبتنا إما ضعفها أو وضعها أو نكارتها، وعليه فليس من حق ابن حجر أن يترك هذه الحقيقة عائمة ومبهمة فيعبر عنها بعبارة تحمل عدة معانٍ ووجوه، وكان ينبغي عليه أن يصبح شجاعا وعلى قدر المسؤولية ويقول بضعف جميع هذه الطرق مراعاة للمنهج العلمي وتبيانا للحق وقولا به حتى لو كان هذا الحق على خلاف هواه وميوله المذهبية.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٤ ص ١١٦.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١١ ص ٥٨١.

(٣) لسان الميزان لابن حجر ج ٢ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

وبهذا انهينا مناقشة جميع طرق حديث نبوة عمر بن الخطاب، وقد وصلنا بالقارئ الكريم إلى نتيجة قطعية وحاسمة في عدم وجود طريق واحد صحيح لهذا الحديث ومعنى أن لا يوجد لهذا الحديث طريق صحيح هو كونه مكذوباً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو من الأحاديث التي وضعتها السلطة وأعوانها في سبيل أهداف سبق وبيناها آنفا.

استماتة محدثي أهل السنة لتصحيح هذا الحديث الضعيف المنكر

على الرغم من ضعف جميع طرق حديث نبوة عمر بن الخطاب ونكارته سندا ومتنا، إلا أن محدثي أهل السنة وكعادتهم قاموا بمحاولات كثيرة ومستميتة في سبيل إثبات هذا الحديث وتصحيحه أو تحسينه، إلا ان هذه المحاولات جاءت متحيزة وغير علمية، وسنستعرض فيما يأتي جملة من تلك المحاولات مع تبيان مواقع الخلل فيها، وسنقتصر على المهم منها وترك ما هو مكرر أو ليس له أهمية كبيرة.

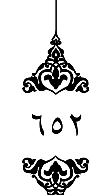
١: محاولة الترمذي لتحسين هذا الحديث على رغم كونه غريبا

حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ حَدَّثَنَا الْمُقْرِئُ عَنْ حَيْوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ مِشْرَحِ بْنِ هَاعَانَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ـ: « لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ». ـ قَالَ الترمذي ـ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ مِشْرَحِ بْنِ هَاعَانَ)[1].

أقول: لقد وقع علماء أهل السنة في حيص وبيص جراء محاولتهم لفهم ما يعنيه الترمذي بقوله (حسن) أو (حسن غريب) أو (صحيح حسن) أو غيرها من

---

(١) سنن الترمذي ج٥ ص٢٨٢ مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب.



الاصطلاحات التي أنشأها واستخدمها في حكمه على الأحاديث والروايات في كتابه السنن وغيره، فوقعوا في خلط عجيب واختلاف شديد في تحديد المعنى الدقيق لمصطلحات الترمذي عموما، ولمصطلح الحسن على وجه الخصوص، وهذا الخلط والاختلاف والحيرة منهم ناتج عن خلط واختلاف في استعمال الترمذي نفسه لهذا المصطلح، وكذلك الفرق ما بين التعريف الذي أطلقه الترمذي على الحديث الحسن في مرحلة التنظير، وما بين تطبيقه لهذا المصطلح في مرحلة العمل.

والترمذي قد عرف مراده بالحديث الحسن في آخر كتابه (العلل الصغير) بقوله: (وما ذكرنا في هذا الكتاب حديث حسن فإنما أردنا به حسن إسناده عندنا كل حديث يروى لا يكون في إسناده من يتهم بالكذب ولا يكون الحديث شاذا ويروى من غير وجه نحو ذاك فهو عندنا حديث حسن)[(١)]، فالحديث الحسن وفقا لهذا التعريف ينبغي أن تتوافر فيه ثلاثة شروط أساسية هي:

١: أن لا يكون في إسناده راوٍ متهم بالكذب.

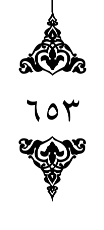
٢: أن لا يكون هذا الحديث شاذا.

٣: أن لا يأتي من طريق واحد بل يأتي من أكثر من طريق.

ولكن الترمذي وفي مقام التطبيق العملي لم يكن يحسن أو يراعي هذه الشروط في حكمه على الأحاديث، والشواهد على هذا الأمر كثيرة جدا نختار منها شاهدا واحدا ونترك الباقي روما في الاختصار، فقد اخرج في (سنن الترمذي) حديثا حكم عليه بأنه حسن صحيح، وهو: (حدثنا الحسن بن علي الخلال. حدثنا أبو عامر العقدي. حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه، عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال «الصلح جائز بين المسلمين،

---

(١) العلل الصغير للترمذي ص٧٥٨ معاني الاصطلاح للترمذي.



إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما. والمسلمون على شروطهم، إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما». ـ قال الترمذي ـ هذا حديث حسن صحيح)[١].

ولكننا لو رجعنا إلى رجال سند هذا الحديث لوجدنا فيهم (كثير بن عبد الله ابن عمرو بن عوف المزني) قال ابن حبان في (كتاب المجروحين): (روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب. وكان الشافعي رحمه الله يقول: كثير بن عبد الله المزني ركن من أركان الكذب)[٢]، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد): (كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف وقد أجمعوا على ضعفه)[٣]، فشرط (أن لا يكون في إسناده راوٍ متهم بالكذب) مفقود هنا لان كثير بن عبد الله اتهمه الشافعي بالكذب، ويروي عن أبيه عن جده نسخة موضوعه، وهذا الحديث الذي صححه وحسنه الترمذي منها فهو عن أبيه عن جده، ومع ذلك صحح الترمذي هذا الحديث وحسنه.

وكم من حديث أيضا يعترف الترمذي بأنه (لم يأتِ أو لم يروَ إلا من هذا الوجه) ولكنه مع ذلك يحسنه وأمثلته كثيرة جدا، فيتغافل أو يغفل ما اشترطه للحديث الحسن وهو (أن لا يأتي من طريق واحد بل يأتي من أكثر من طريق).

وقد وجّه للترمذي نقد كثير على ترتيب اصطلاحاته والجمع بينها في مكان واحد، وكذلك انتقد في التضارب ما بين القاعدة التي يضعها وما بين تطبيق تلك القاعدة في الواقع الخارجي، فعلى سبيل المثال فقد: (استشكل جماعة من أهل الاصطلاح اجتماع الغرابة والحسن في حديثٍ واحدٍ، وهذا باعتبار تعريف الغريب

---

(١) سنن الترمذي ج ٢ ص٤٠٣.

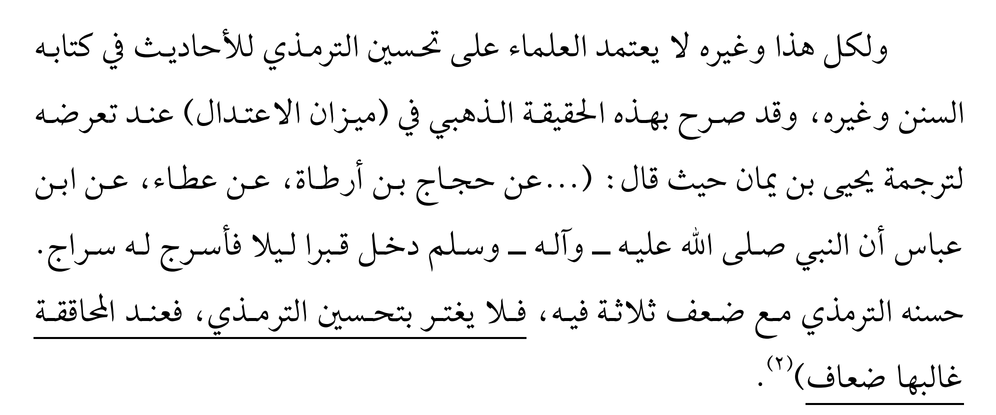
(٢) كتاب المجروحين لابن حبان ج ٢ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ج ١ ص ٢٠٣.





عندهم بأنه «الحديث الذي يتفرد به راو إما في متنه أو في إسناده أو هما معاً»، وباعتبار تعريف الحسن عند الترمذي على ما أصَّلَه في «العلل الصغير» بقوله: «وما ذكرنا في هذا الكتاب حديث حسن، فإنما أردنا حسن إسناده عندنا، وهو كلُّ حديثٍ لا يكون في إسناده من يتهم بالكذب، ولا يكون شاذاً، ويروى من غير وجهٍ نحو ذاك، فهو عندنا حديث حسن» ووجه الإشكال هاهنا: كيف يجتمع الحسن والغرابة، مع أن الترمذي اعتبر في الحسن تعدد الطرق؟ كيف يكون غريباً والأمر كذلك؟)[١] وقد حاول بعضهم جاهدا أن يجيب على هذا الإشكال لكنه لم يأتِ بطائل ولم يسطر إلا ما هو مجرد استحسانات وترقيعات لا تطمئن النفس إليها وقد اعرضنا عن إيرادها طلبا للاختصار.



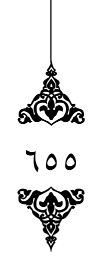
ولكل هذا وغيره لا يعتمد العلماء على تحسين الترمذي للأحاديث في كتابه السنن وغيره، وقد صرح بهذه الحقيقة الذهبي في (ميزان الاعتدال) عند تعرضه لترجمة يحيى بن يمان حيث قال: (...عن حجاج بن أرطاة، عن عطاء، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم دخل قبرا ليلا فأسرج له سراج. حسنه الترمذي مع ضعف ثلاثة فيه، فلا يغتر بتحسين الترمذي، فعند المحاققة غالبها ضعاف)[٢].

وقال الذهبي أيضا عند ترجمة (كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف): (قال ابن معين: ليس بشيء. وقال الشافعي وأبو داود: ركن من أركان الكذب،

---

(١) انظر: لسان المحدثين (مُعجم يُعنى بشرح مصطلحات المحدثين القديمة الحديثة ورموزهم وإشاراتهم وجملة من مشكل عباراتهم وغريب تراكيبهم ونادر أساليبهم) تأليف: محمد خلف سلامة ج٣ ص١٣٦.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٤ ص ٤١٦.



وضرب أحمد على حديثه. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال أبو حاتم: ليس بالمتين.... وأما الترمذي فروى من حديثه: الصلح جائز بين المسلمين. وصححه، فلهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي)[١]، وقوله (لا يعتمد العلماء) ومن دون تقييد يدل على إن عدم الاعتداد بتصحيح الذهبي ليس خاصا بالذهبي بل هو فعل عامة العلماء، فهذا هو حال تصحيحاته فما بالك بما يحسنه الترمذي، وما بالك بما يحسنه ويحكم عليه بالغرابة؟! لان الحديث الصحيح عندهم واضح التعريف بيّن الحد، والكلام والاختلاف هو في الحديث الحسن والغريب، فمن لا يحسن أن يصحح فهو في تحسين الأحاديث اشد، وفي الحكم عليها بالغرابة اشد واشد.

وقال الزيلعي في (نصب الراية): (قال ابن دحية في العلم المشهور وكم حسن الترمذي في كتابه من أحاديث موضوعة وأسانيد واهية)[٢]، وتوجد كلمات أخرى تدل على هذا المعنى لابن تيمية وللألباني تركناها طلبا للاختصار وفيما ذكرنا عبرة لمعتبر.

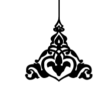
أقول: الحق والإنصاف يقتضي أن لا نحكم على جميع ما صححه الترمذي أو حسنه أو ضعفه بعدم الاعتماد، وفي المقابل لا نأخذ ولا نسلم بجميع ما يصححه أو يحسنه أو يضعفه، بل ينبغي أن نسلك في ذلك مسلك الوسطية الممدوحة، فلا نستعجل في الترك أو الأخذ وننظر في تلك التصحيحات والتحسينات فان توافرت فيها الشروط أخذنا بها وإلا تركناها ولم نعتمدها.

وحديث نبوة عمر بن الخطاب الذي حسنه الترمذي لم يأتِ وباعتراف

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧.

(٢) نصب الراية للزيلعي ج ٢ ص ٢٦٠.



الترمذي نفسه إلا من (حَدِيثِ مِشْرَحِ بْنِ هَاعَانَ) وهذا خلاف شرط الحسن عند الترمذي، لان شرط الحسن عنده هو (أن لا يأتي من طريق واحد بل يأتي من أكثر من طريق) وهو مفقود هنا، فلا يعتد حينئذ بتحسينه ويكون مشمولا بقول الذهبي وغيره.



٢: تصحيح الحاكم النيسابوري لحديث نبوة عمر وموافقة الذهبي له

قال الحاكم النيسابوري في (المستدرك على الصحيحين): (أخبرني عبد الله بن محمد بن إسحاق الخزاعي، بمكة، ثنا أبو يحيى بن أبي مسرة، ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا حيوة بن شريح، عن بكر بن عمرو، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم يقول: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب». ـ قال الحاكم ــ: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»)[1].

وقد وافقه الذهبي في (تلخيص المستدرك): بقوله: (صحيح)[2].

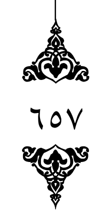
أقول: ولم يحسن الحاكم النيسابوري ولا الذهبي في تصحيح هذا الحديث المكذوب، وذلك لعدة أسباب منها:

ألف: اتفقت كلمة أهل السنة على ان الحديث الصحيح هو وكما قال ابن الصلاح في مقدمته: (أما الحديث الصحيح فهو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معللا)[3]،

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص٨٥ لو كان بعدي نبي لكان عمر.

(٢) تلخيص المستدرك للذهبي ج٣ ص٩٢.

(٣) مقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن ص ١٥ ـ ١٦، وقال محيي الدين النووي (المجموع ج١ ص٥٩) (فالصحيح ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة).



وهذا التعريف لا ينطبق على حديث نبوة عمر بن الخطاب، لان وصف العدل والضبط وانتفاء العلة منتفية عن هذا الحديث.

فمن حيث عدالة الرواة وضبطهم، فقد علمنا مما سبق ان بكر بن عمرو المعافري غير معلوم العدالة، كما صرح به ابن القطان، وأمر الدارقطني أن ينظر في أمره[١]، وهو نص صريح على كونه مجهولا أو مستور الحال، ومن كان مجهولا أو مستور الحال لا يعد من رجال الصحيح، أما من حيث الضبط فقد ذكرنا ان بكر بن عمرو معروف بالصلاح والعبادة المعروفين بقلة الضبط والكذب في الحديث ورواية المناكير وغير ذلك من الأمور التي كانت مشهورة عن المعروفين بالصلاح والعبادة.

وكذلك الحال بالنسبة لمشرح بن هاعان فانه مقدوح في العدالة والضبط صاحب مناكير لا يتابع عليها وبالخصوص عن عقبة، ويخطئ ويخالف، وانقلبت عليه صحائفه فبطل الاحتجاج به،وكان ممن رمى الكعبة بالمنجنيق واحرقها، إلى غير ذلك من الأمور التي سبق وتعرضنا لها بالتفصيل.

وأما من حيث وجود العلة فالحديث منكر كما صرح به احمد بن حنبل[٢]، وقد أمر احمد بن حنبل ابنه أن يضرب عليه ويخرجه من المسند، والنكارة علة، فينخرم شرط آخر من شروط التعريف السابق للحديث الصحيح.

باء: ان لعلماء الحديث من أهل السنة وفقهائهم وأساطينهم تحفظاً كبيراً من تصحيح الحاكم لأحاديث كتابه المستدرك، ولهم تصريحات مهمة بهذا الشأن، ولم أجد فيما تتبعت من كلماتهم من يأخذ بجميع تصحيحات الحاكم في كتابه

---

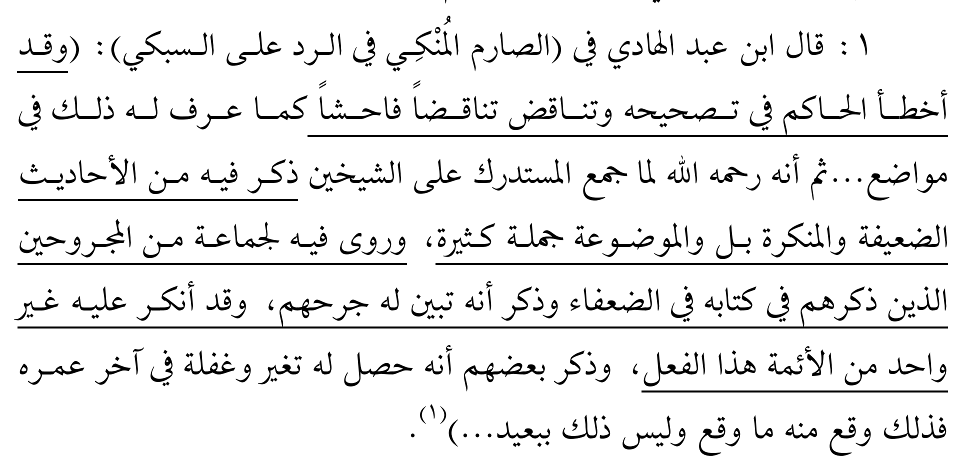
(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٤٢٦.

(٢) المنتخب من العلل للخلال لموفّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمّد الشهير بـ: ابن قدامة المقدسي ص١٧ الرقم ١٠٦.

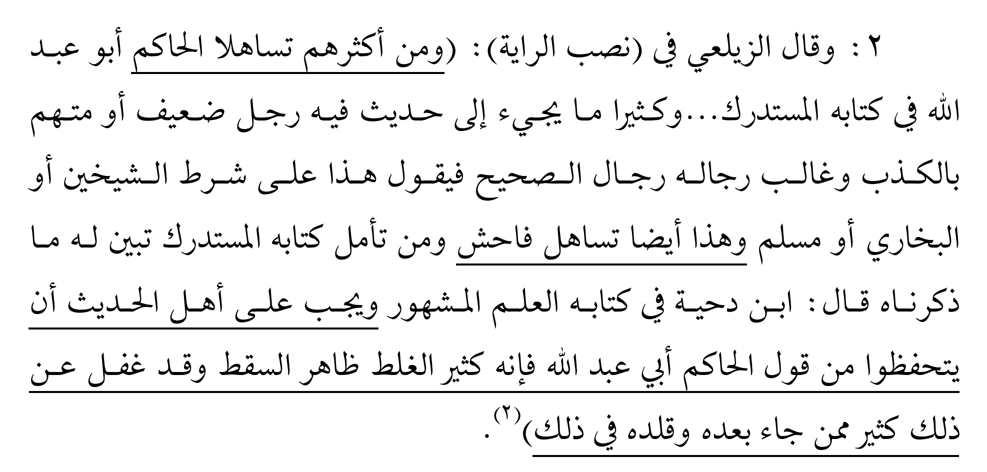




المستدرك، بل على العكس وجد من رفض جميع تصحيحاته، لكن الأغلب فصلوا في ذلك، وفيما يأتي جملة من أقوالهم:



١: قال ابن عبد الهادي في (الصارم المُنْكِي في الرد على السبكي): (وقد أخطأ الحاكم في تصحيحه وتناقض تناقضاً فاحشاً كما عرف له ذلك في مواضع...ثم أنه رحمه الله لما جمع المستدرك على الشيخين ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة جملة كثيرة، وروى فيه لجماعة من المجروحين الذين ذكرهم في كتابه في الضعفاء وذكر أنه تبين له جرحهم، وقد أنكر عليه غير واحد من الأئمة هذا الفعل، وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره فذلك وقع منه ما وقع وليس ذلك ببعيد...)[١].



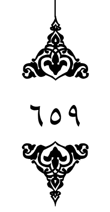
٢: وقال الزيلعي في (نصب الراية): (ومن أكثرهم تساهلا الحاكم أبو عبد الله في كتابه المستدرك...وكثيرا ما يجيء إلى حديث فيه رجل ضعيف أو متهم بالكذب وغالب رجاله رجال الصحيح فيقول هذا على شرط الشيخين أو البخاري أو مسلم وهذا أيضا تساهل فاحش ومن تأمل كتابه المستدرك تبين له ما ذكرناه قال: ابن دحية في كتابه العلم المشهور ويجب على أهل الحديث أن يتحفظوا من قول الحاكم أبي عبد الله فإنه كثير الغلط ظاهر السقط وقد غفل عن ذلك كثير ممن جاء بعده وقلده في ذلك)[٢].

٣: وقال السخاوي في (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع): (من الكتب التي تقيد فيها بالصحة كتاب المستدرك على الصحيحين أو أحدهما للحاكم وهو

(١) الصَّارِمُ الْمُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق عقيل بن محمد المقطري، تقديم الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ص٥١.

(٢) نصب الراية للزيلعي ج ١ ص ٤٦٣.

كثير التساهل بحيث أدرج في كتابه هذا الضعيف بل والموضوع المنافيين لموضوع كتابه)[1].



٤ : قال الذهبي في (ميزان الاعتدال): (محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري الحاكم، أبو عبد الله الحافظ، صاحب التصانيف. إمام صدوق، لكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة، ويكثر من ذلك، فما أدري هل خفيت عليه فما هو ممن يجهل ذلك، وإن علم فهذه خيانة عظيمة)[2].

٥ : وقال الذهبي أيضا في (تذكرة الحفاظ): (ولا ريب ان في المستدرك أحاديث كثيرة ليست على شرط الصحة بل فيه أحاديث موضوعة شان المستدرك بإخراجها فيه)[3]

٦ : وفي (مقدمة ابن الصلاح): (وهو واسع الخطو في شرط الصحيح متساهل في القضاء به فالأولى أن نتوسط في أمره فنقول ما حكم بصحته ولم نجد ذلك فيه لغيره من الأئمة إن لم يكن من قبيل الصحيح فهو من قبيل الحسن يحتج به ويعمل به إلا أن تظهر فيه علة توجب ضعفه)[4].

٧ : وقد علق ابن جماعة على كلام ابن الصلاح السابق بالقول: (والصواب أنه يتتبع ويحكم عليه بما يليق بحاله من الحسن أو الصحة أو الضعف ووافقه العراقي وقال إن حكمه عليه بالحسن فقط تحكم)[5].

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ج٤ ص٦٨.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٦٠٨.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١٠٤٢.

(٤) مقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٥) تدريب الراوي للسيوطي ج١ ص١٠٧.



أقول: ويتبين من كلمات القوم وجوب التحفظ من تصحيحات الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرك، لأنه كثير الغلط، ولأنه من المشهورين بكثرة التساهل، ومن أدلة تساهله إيراده وإدراجه كثيراً من الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة والساقطة وتصحيحه لكثير منها، إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود الأحاديث الصحيحة في كتاب المستدرك، والإنصاف يقضي بعدم ترك جميع ما صححه والحكم عليه بالكذب كما فعل بعضهم، ولا الأخذ بجميع تصحيحاته، والأولى أن يتبع منهج الوسطية في ذلك، فيتتبع تصحيحه للحديث ويحكم عليه بما هو أهله.

وحديث نبوة عمر بن الخطاب مشمول بهذه القاعدة، لان الحاكم قد تساهل في تصحيحه كما أوضحنا، لأنه غير داخل في تعريف الصحيح، وعليه فلابد أن نخضعه إلى منهج الوسطية السابق ونحكم عليه بما يليق به، وقد حققنا ذلك من قبل وتبين لنا ان الحديث ضعيف وهو أيضا منكر كما قال احمد بن حنبل.

٣: محاولة السيوطي الرد على ابن الجوزي لإخراجه الحديث في كتاب الموضوعات

سبق وان أوضحنا حكم ابن الجوزي على الحديث بالوضع في كتابه (الموضوعات) بقوله: (الحديث الثاني: أنبأنا إسماعيل بن أحمد قال أنبأنا إسماعيل بن مسعدة قال أنبأنا حمزة قال أنبأنا ابن عدي قال حدثنا علي بن الحسن ابن قديد قال حدثنا زكريا بن يحيى الوقاد قال حدثنا بشر بن بكر عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن غضيف بن الحرث عن بلال بن رباح قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: "لو لم أبعث فيكم لبعث عمر". قال ابن عدي وحدثنا عمر بن الحسن بن مضر الحلبي قال حدثنا مصعب بن



سعد أبو خيثمة قال حدثنا عبد الله بن واقد قال حدثنا حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو لم أبعث فيكم لبعث عمر" هذان حديثان لا يصحان عن رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم. أما الأول: زكريا بن يحيى كان من الكذابين الكبار. قال ابن عدي: كان يضع الحديث، وأما الثاني فقال أحمد: ويحيى بن عبد الله بن واقد ليس بشيء. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: انقلبت على مشرح صحائفه فبطل الاحتجاج به)[1].

لكن السيوطي في كتابه (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) أراد أن يرد على ابن الجوزي حكمه بوضع هذا الحديث، ويثبت صحته أو حسنه على اقل التقادير، فقال: («قلت» زكريا ذكره ابن حبان في الثقات، وابن واقد هو أبو قتادة الحراني وثقه ابن معين وأحمد وغيرهما ومشرح ثقة صدوق روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال أبو العباس الزوزني في كتاب شجرة العقل حدثنا علي ابن الحسين بالرقة حدثنا أبو عبد الله محمد بن عتبة المعروف بالرملي حدثنا الحسين ابن الفضل الواسطي حدثنا عبد الله بن واقد عن صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عبد الله بن جبير الحضرمي قال: قال رسول الله لعمر لو لم أبعث لبعثت، وقد ورد من حديث أبي بكر وأبي هريرة قال الديلمي أنبأنا أبي أنبأنا عبد الملك بن عبد الغفار أنبأنا عبد الله بن عيسى بن هارون أنبأنا عيسى بن مروان حدثنا الحسين ابن عبد الرحمن بن حمران حدثنا إسحاق بن نجيح عن عطاء بن ميسر الخراساني عن أبي هريرة رفعه لو لم أبعث فيكم لبعث عمر أيد الله عمر بملكين يوقفانه ويسددانه فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صوابا، قال الديلمي تابعه راشد بن سعد

(١) الموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٣٢١.

عن المقدام بن معدي كرب عن أبي بكر الصديق والله أعلم)[١].

أقول: وتتلخص كلمات السيوطي هذه عن عدة دعاوى فاسدة مكذوبة نبينها من خلال نقاط ليسهل الرد عليها:

ألف: محاولته توثيق زكريا بن يحيى الوقار الكذاب

وقوله: (زكريا ذكره ابن حبان في الثقات)، تمويه وتدليس لان ابن حبان مع انه وثقه إلا انه قال فيه أيضا: (زكريا بن يحيى أبو يحيى الوقار من أهل مصر يروي عن سفيان بن عيينة ثنا عنه إسماعيل بن داود بن وردان المصري وغيره من شيوخنا يخطئ ويخالف...)[٢]، وقوله يخطئ ويخالف قدح لا مدح، ومع ذلك فلا اعتداد بتوثيق ابن حبان بوصفه متساهلاً بتوثيق المجهولين والضعفاء وهذا المورد من ذاك.

والسيوطي لجهله أو تدليسه ذكر توثيق ابن حبان لزكريا بن يحيى الوقار المصري وبتره، ولم يذكر باقي الأقوال فيه، فقد ذكره العقيلي في كتابه (ضعفاء العقيلي)[٣]، وقال عبد الله بن عدي في (الكامل): (زكريا بن يحيى أبو يحيى الوقار مصري يضع الحديث ويوصلها وأخبرني بعض أصحابنا عن صالح جزرة أنه قال: ثنا أبو يحيى الوقار وكان من الكذابين الكبار...يروي عن قوم ثقات أحاديث موضوعات والصالحون قد رسموا بهذا الرسم ان يرووا في فضائل الأعمال موضوعة بواطيل ويتهم جماعة منهم بوضعها)[٤]، وقال ابن كثير في (قصص الأنبياء): (كذبه غير واحد من الأئمة والعجب أن الحافظ ابن عساكر سكت

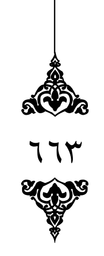
---

(١) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي ج١ ص٢٧٧.

(٢) الثقات لابن حبان ج ٨ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٣) ضعفاء العقيلي ج ٢ ص٨٧.

(٤) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٣ ص ٢١٥ـ ٢١٧.



عنه)[١]، بل ان السيوطي نفسه قد اعترف في كتابه (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) بضعف زكريا بقوله: (زكريا بن يحيى الوقار المصري. قرأ على نافع بن أبي نعيم، وتفقه بابن وهب وابن القاسم وأشهب. وكان فقيهًا، ولم يكن بالمحمود في روايته)[٢]، إذن فمحاولة السيوطي توثيق زكريا بن يحيى هي محاولة فاشلة.

باء: محاولته توثيق ابن واقد أبو قتادة الحراني الكذاب المجمع على تركه وتضعيفه

وقوله (وابن واقد هو أبو قتادة الحراني وثقه ابن معين وأحمد وغيرهما) فيه إخفاء للحقيقة وتدليس على الجهال، لان أبا قتادة الحراني هذا قد اتفق أصحاب الحديث على تركه وتضعيفه بل ومنهم من صرح بتكذيبه، فقد ذكره البخاري في (التاريخ الكبير) بقوله: (عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني، تركوه، منكر الحديث)[٣]، وهذا من اشد أنواع الجرح عند البخاري وهو جرح مفسر، لان البخاري كان يعبر بـ(منكر الحديث) عن الراوي الذي لا تحل الرواية عنه، كما قال الذهبي في (ميزان الاعتدال): (ونقل ابن القطان أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه)[٤]، وكذلك ذكره البخاري في كتابه (الضعفاء الصغير)[٥] ومعروف عندهم ان البخاري يذكر في هذا الكتاب الرواة الهالكين الذين لا ترجى في حديثهم فائدة.

---

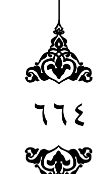
(١) قصص الأنبياء لابن كثير ج ٢ ص ٢٢٣.

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ج١ ص٤٤٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م.

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ج ٥ ص ٢١٩.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٦.

(٥) الضعفاء الصغير للبخاري ص ٧١.



وقد ضعفه كثير من أهل الحديث، منهم النسائي في (كتاب الضعفاء والمتروكين) حيث قال: (عبد الله بن واقد الحراني أبو قتادة متروك الحديث)[١]، وقال عبد الله بن عدي في (الكامل): (عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني مولى بني حمان سمعت الحسين بن أبي معشر يقول أبو قتادة عبد الله بن واقد مولى بني تميم من أهل خراسان كان ينزل حران يحمل على حفظه فيغلط...وقال ابن أبي حاتم أيضا: سألت أبي عن أبي قتادة الحراني فقال: تكلموا فيه، منكر الحديث، وذهب حديثه...وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: متروك الحديث)[٢].

وقال الذهبي في (ميزان الاعتدال): (عبد الله بن واقد، أبو قتادة الحراني...وقال أبو زرعة، والدارقطني: ضعيف...وقال ابن حبان: كان أبو قتادة من عباد الجزيرة فغفل عن الإتقان، فوقعت المناكير في أخباره، فلا يجوز أن يحتج بخبره)[٣].

وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): (قال البزار لم يكن بالحافظ...يقول أبي حنيفة وكان يغلط ولا يرجع إلى الصواب...وقال صالح جزرة ضعيف مهين وقال الجريري غيره أوثق منه وهذه العبادة يقولها الجريري في الذي يكون شديد الضعف...وقال الحاكم أبو أحمد حديثه ليس بالقائم وقال أبو نعيم الأصبهاني روى عن هشام وابن جريج منكرات)[٤].

فمما سبق وغيره مما لم نذكره نصل إلى نتيجة قطعية وهي ان أهل الجرح والتعديل مجمعون على كون عبد الله بن واقد ضعيفا لا يحتج بحديثه، وهو ما صرح

---

(١) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٢٠١.

(٢) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٤ ص ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٥١٧ ـ ٥١٨.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٦ ص ٦١ ـ ٦٢.



به ابن حجر بقوله في (طبقات المدلسين): (عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني متفق على ضعفه)[١]، وإذا اجتمعت كلمتهم واتفقت على تضعيف شخص ما فلا عبرة حينئذ بشذوذ البعض.

وأضيف إلى ما سبق ان يحيى بن معين قد تضاربت أقواله في خصوص عبد الله بن واقد، كما نقل عبد الله بن عدي في (الكامل) حيث قال: (عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني... ثنا ابن حماد حدثني عبد الله بن أحمد سمعت يحيى بن معين يقول عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني ليس بشيء ثنا أحمد بن عمير قال سمعت عباس الدوري سمعت يحيى بن معين يقول أبو قتادة الحراني ثقة ثنا ابن حماد ثنا عباس عن يحيى قال أبو قتادة الحراني ليس به بأس ولكن كان كثير الغلط قال وسمعت يحيى مرة أخرى يقول أبو قتادة عبد الله بن واقد الحراني ليس بشيء)[٢]، فلا يمكن الاعتماد لا على توثيق يحيى بن معين ولا على تضعيفه لان تضارب الأقوال من شخص واحد وفي راوٍ واحد يستدعي سقوط هذه الأقوال على اقل التقادير، هذا إن لم نقل بان يحيى بن معين كان يقول في البداية بوثاقته ثم بعد ذلك عاد لرأي الأغلبية وحكم بكونه ليس بشيء.

فيبقى عندنا توثيق احمد بن حنبل وهو لا يعتد به أمام تلك الكثرة الكاثرة من القادحين بأبي قتادة، رغم أني رأيت بأن احمد بن حنبل لا يقول بوثاقته مطلقا، فأحمد بن حنبل مع اعترافه بأنه ثقة لكنه رماه بداء آخر هو الاختلاط والتدليس، فلا قيمة حينئذ لحديث ثقة يدلس وقد اختلط، قال ابن حجر في (تقريب التهذيب): (عبد الله بن واقد الحراني أبو قتادة أصله من خراسان متروك

---

(١) طبقات المدلسين لابن حجر ص٥٥.

(٢) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٤ ص ١٩٢ ـ ١٩٣.



وكان أحمد يثني عليه وقال لعله كبر واختلط وكان يدلس من التاسعة مات سنة عشر ومائتين)[١]، وقال ابن حجر أيضا في (طبقات المدلسين): (عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني متفق على ضعفه وصفه أحمد بالتدليس)[٢].

وبهذا ينكشف كذب السيوطي، وتبوء محاولته لتوثيق عبد الله بن واقد بالفشل.

جيم: السيوطي يوثق أبا قتادة حينما يتعلق الأمر بعمر بن الخطاب ويكذبه حينما يتعلق الأمر بفاطمة الزهراء

اتضح لنا مرارا وتكرارا تناقض محدثي أهل السنة وعلمائهم في التعامل ما بين فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما بين فضائل غيرهم من الصحابة وبالخصوص الثلاثة وعائشة بنت أبي بكر، وسنشاهد فيما يأتي صورة من أوضح صور ذلك التناقض والتحيز، صورة يرسمها لنا السيوطي في نفس كتابه (اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة)، فالسيوطي وكما رأينا سعى سعيا حثيثا خالف فيه المنهج والأمانة العلمية، وأخفى الحقيقة ودلس على قرائه، من أجل توثيق أبي قتادة الحراني، من أجل أن يحافظ ويصحح فضيلة من فضائل عمر بن الخطاب، التي شهد لها بالوضع والكذب القاصي والداني.

وقد كرر السيوطي هذا العمل الدنيء في أثناء محاولته لتصحيح حديث آخر مروي عن أبي قتادة الضعيف، وهو: (...حدثنا أبو قتادة عبد الله بن واقد حدثنا ابن جريج عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله قال لأبي بكر ألا أبشرك برضوان الله الأكبر قال بلى يا رسول الله قال إن الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لك خاصة)[٣]، فقد علق ابن الجوزي على هذا الحديث في كتابه

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٥٤٤.

(٢) طبقات المدلسين لابن حجر ص ٥٥.

(٣) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي: ج١، ص٢٦٤.

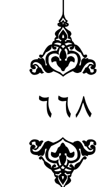


(الموضوعات) بقوله: (هذا الحديث لا يصح من جميع طرقه... قال أبو بكر الخطيب: هذا حديث لا أصل له عند ذوي المعرفة بالنقل...وأما حديث عائشة ففيه عبد الله بن واقد قال أحمد ويحيى: ليس بشيء. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: غفل من الإتقان وحدث على التوهم فوقعت المناكير في أخباره)[1]، لكن السيوطي خالف الحق وحاول أن يصحح الحديث ويخالف طعن ابن الجوزي بقوله في (اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة): («قلت» قال فيه أحمد ما به بأس)[2]، فترك السيوطي كلمات جميع أعلام أهل السنة وطعونهم على أبي قتادة وأصر على التمسك بكلام احمد بن حنبل لأنه رأى منه منفذا ومخرجا يستطيع من خلاله تصحيح فضيلة من فضائل أبي بكر.

لكن هذه الاستماتة من السيوطي لتوثيق عبد الله بن واقد تتبدل حينما يتعلق الأمر بفضائل سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، ففي حديث: (...حدثنا عبد الله بن واقد أبو قتادة الجراحي عن سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي كان كثيرا ما يقبل نحر فاطمة، فقلت يا رسول الله أراك تفعل شيئا لم تفعله قال أو ما علمت يا حميراء أن الله عز وجل لما أسرى بي إلى السماء أمر جبريل فأدخلني الجنة ووقفني على شجرة ما رأيت أطيب منها رائحة ولا أطيب ثمرا فأقبل جبريل يفرك ويطعمني فخلق الله في صلبي منها نطفة فلما صرت إلى الدنيا واقعت خديجة فحملت بفاطمة كلما اشتقت إلى الجنة ورائحة تلك الشجرة شممت نحر فاطمة فوجدت رائحة تلك الشجرة منها وأنها ليست من نساء أهل الدنيا ولا تضل كما يضل نساء أهل الدنيا)، فعلق السيوطي على هذا الحديث ما نصه:

(١) الموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٣٠٧.

(٢) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي ج١ ص٢٦٤.



(«قلت» قال الذهبي في الميزان هذا حديث موضوع مهتوك الحال أو ما اعتقد أن أبا قتادة رواه قال ثم وجدت له إسناداً آخر رواه الطبراني عن عبد الله بن سعيد الرقي عن أحمد بن أبي شيبة الرهاوي عن أبي قتادة فهو الآفة والله أعلم)[1].

أقول: فلماذا عدّ السيوطي أبا قتادة هنا آفة، واتخذه ذريعة لتكذيب فضيلة كهذه من فضائل سيدة نساء العالمين، واستشهد بكلام الذهبي لتحقيق هذا الغرض، بينما ضرب بعرض الجدار كلمات الذهبي وغيره وأصر على توثيقه في فضائل أبي بكر وعمر بن الخطاب، وهل هذا إلا دليل آخر على تحيز القوم وتضاربهم في منهجية التعامل مع فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفضائل غيرهم من الصحابة وبالخصوص رموز الدولة وأركان السلطة الحاكمة.

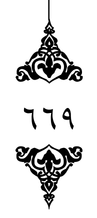
هذا بعض ما يتعلق بتصحيح السيوطي لحديث نبوة عمر بن الخطاب وقد تركنا عدة ملاحظات أخرى للاختصار ولان ما سبق من الملاحظات يغني عن ذكر ما لم نأتِ على تسطيره.

٤: محاولة صاحب كتاب (تنزيه الشريعة المرفوعة) تصحيح الحديث

قال علي بن محمد بن عرّاق الكناني في كتابه: (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة): (حديث لو لم أبعث فيكم لبعث عمر «عد» من حديث بلال بن رباح وفيه زكريا بن يحيى الوقار ومن حديث عقبة بن عامر وفيه عبد الله بن واقد متروك ومشرح بن هاعان لا يحتج به «تعقب» بأن زكريا ذكره ابن حبان فى الثقات وابن واقد قدمنا قريبا أن أحمد وثقه ومشرح ثقة روى له أبو داود

(١) المصدر السابق ص٣٦٠.

والترمذي وابن ماجه وللحديث شاهد من حديث أبي بكر وأبي هريرة أخرجهما الديلمي «قلت» ومن حديث عصمة ابن مالك أخرجه الطبراني في الكبير ومن حديث أبي سعيد الخدري أخرجه الطبراني في الأوسط وأسانيد الكل ضعيفة فيتقوى بعضها ببعض والله أعلم)[1].



أقول: ومحاولة صاحب هذا الكتاب تقوية هذا الحديث الضعيف بطرق أخرى ضعيفة هي محاولة سقيمة لا طائل منها، وقد مر وسبق أن ناقشنا مثل هذا الموضوع، وأثبتنا ان الحديث الضعيف لا يمكن أن يتقوى بحديث ضعيف آخر، وقدمنا عدة تصريحات عن علماء أهل السنة ومحدثيهم بعدم إمكان تصحيح الطريق الضعيف بمثله، حتى وان تعددت هذه الطرق وكثرت، بل ان الحديث الضعيف لا تزيده كثرة الطرق الضعيفة إلا ضعفا فراجع.

تم إلى هنا بحمد الله وشكره الفصل الخامس، وبه يتم جميع فصول هذا الكتاب الموسوم بـ(فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين) راجين من الله سبحانه القبول، ومن أهل بيت العصمة والطهارة الرضا والتوفيق والتسديد، ومن القراء الكرام غض الطرف عما فيه من خلل وقصور وإطالة، والحمد لله أولا وآخرا والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبد الله وأهل بيته الطيبين الأطهار، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد بن عرّاق الكناني ج١ ص٣٧٣ الحديث رقم ٩٢، حققه وراجع أصوله وعلق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله بن محمد الغماري.

فهرس المصادر

١.	أبكار الأفكار في أصول الدين / سيف الدين الآمدي / تحقيق: أ.د أحمد محمد المهدي / مطبعة دار الكتب والوثائق القومية / مركز تحقيق التراث القاهرة ٢٠٠٢.

٢.	إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة / للحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري / موافق لطبعة دار الوطن / ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣.	الأحكام / ابن حزم / المطبعة: مطبعة العاصمة - القاهرة / الناشر: زكريا علي يوسف / ملاحظات: قوبلت على نسخة أشرف على طبعها الأستاذ العلامة أحمد شاكر.

٤.	أدب الإملاء والاستملاء / السمعاني / شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام بإشراف: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٩٨٩م / الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان.

٥.	الأدب المفرد / البخاري / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٦ - ١٩٨٦م / الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان.

٦. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد / إمام الحرمين الجويني / حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد / الناشر مكتبة الخانجى.

٧. إرواء الغليل / محمد ناصر الألباني / إشراف: زهير الشاويش / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م / الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان.

٨. الاستذكار / ابن عبد البر/ تحقيق: سالم محمد عطا ـ محمد علي معوض / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ٢٠٠٠م / المطبعة: بيروت دار الكتب العلمية.

٩. الاستيعاب / ابن عبد البر/ تحقيق: علي محمد البجاوي / المطبعة: بيروت ـ دار الجيل / الناشر: دار الجيل.

١٠. أسد الغابة / ابن الأثير/ الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان / انتشارات إسماعيليان ـ طهران.

١١. إسعاف المبطأ برجال الموطأ / جلال الدين السيوطي / تحقيق: موفق فوزي جبر/ المطبعة: دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت / الناشر: دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

١٢. أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد / ابن حزم الظاهري / تحقيق وتعليق مسعد عبد الحميد السعدني / مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣. الإصابة / ابن حجر / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض / الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٥ / الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت.



١٤. أضواء البيان / الشنقيطي / تحقيق: مكتب البحوث والدراسات / سنة الطبع: ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م / المطبعة والناشر: بيروت دار الفكر للطباعة والنشر.

١٥. أضواء على السنة المحمدية / محمود أبو رية / الطبعة: الخامسة / نشر البطحاء / الطبعة الخامسة، مزيدة محققة.

١٦. الأعلام / خير الدين الزركلي / الطبعة: الخامسة / سنة الطبع: أيار ـ مايو ١٩٨٠ / الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان.

١٧. الاقتراح في فن الاصطلاح / للحافظ ابن دقيق العيد / الناشر: مُلتقى أهل الحديث www.ahlalhdeeth.com.

١٨. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال / علاء الدين مغلطاي / تحقيق: أبي عبد الرحمن أبي محمد عادل بن محمد أسام بن إبراهيم / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١م / المطبعة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر / ردمك: ٢ ـ ١٦ ـ ٥٧٠٤ ـ ٩٧٧.

١٩. الإمام مسلم وصحيحه / لعبد المحسن بن حمد العباد البدر / الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة / السنة الثالثة ـ العدد الأول، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

٢٠. إمتاع الأسماع / المقريزي / تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩م / الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٢١. الأنساب / السمعاني / تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨م / الناشر: دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.



٢٢. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث / المؤلف الحافظ ابن كثير/ تأليف أحمد محمد شاكر / الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٢٣. بحار الأنوار/ العلامة المجلسي / الطبعة: الثانية المصححة / سنة الطبع: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م / الناشر: مؤسسة الوفاء بيروت لبنان / ملاحظات: دار إحياء التراث العربي.

٢٤. بدائع الفوائد / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة / الطبعة الأولى، ١٤١٦ ـ ١٩٩٦ / تحقيق: هشام عبد العزيز عطا ـ عادل عبد الحميد العدوي ـ أشرف أحمد الج.

٢٥. البداية والنهاية / ابن كثير/ تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨م / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢٦. بصائر الدرجات / محمد بن الحسن الصفار/ تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي / سنة الطبع: ١٤٠٤ ـ ١٣٦٢ ش / المطبعة: مطبعة الأحمدي طهران / الناشر: منشورات الأعلمي طهران.

٢٧. بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب "الأحكام" للإشبيلي / علي بن محمد ابن القطان / المحقق: الحسين آيت سعيد / الناشر: دار طيبة ـ الرياض ـ الطبعة: الأولى / سنة الطبع١٤١٨ هـ.

٢٨. البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح ومس بضرب من التجريح / أحمد بن عبد الرحيم العراقي / المحقق: كمال بن يوسف الحوت / الناشر: دار الجنان ـ الطبعة: الأولى ـ سنة الطبع١٤١٠ هـ



٢٩. تاريخ ابن معين، الدارمي / يحيى بن معين / تحقيق: الدكتور أحمد محمد نور سيف / المطبعة: دار المأمون للتراث - دمشق.

٣٠. تاريخ أسماء الثقات / عمر بن شاهين / تحقيق: صبحي السامرائي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٤ / المطبعة: دار السلفية - تونس.

٣١. تاريخ الإسلام / الذهبي / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٩٨٧م / المطبعة: لبنان / بيروت - دار الكتاب العربي.

٣٢. التاريخ الصغير/ البخاري / تحقيق: محمود إبراهيم زايد / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٦ / المطبعة: دار المعرفة - بيروت.

٣٣. تاريخ الطبري / الطبري / مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣م / الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان / ملاحظة: قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة "بريل" بمدينة لندن في سنة ١٨٧٩ م).

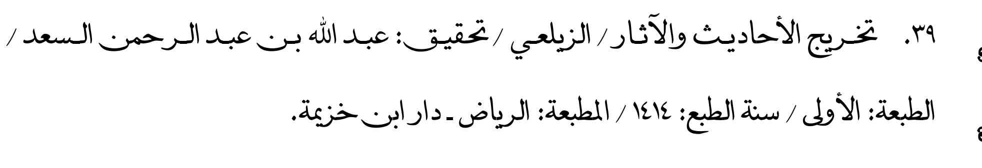
٣٤. التاريخ الكبير/ البخاري / الناشر: المكتبة الإسلامية - ديار بكر - تركيا.

٣٥. تاريخ اليعقوبي / اليعقوبي / الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان.

٣٦. تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٧ - ١٩٩٧م / الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٧. تاريخ مدينة دمشق / ابن عساكر / تحقيق: علي شيري / سنة الطبع: ١٤١٥ / المطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٣٨. تحرير علوم الحديث / عبد الله بن يوسف الجديع / الناشر: الجديع للبحوث والاستشارات - ليدز - / الطبعة: الأولى - سنة الطبع ١٤٢٤هـ.



٣٩. تخريج الأحاديث والآثار / الزيلعي / تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٤ / المطبعة: الرياض - دار ابن خزيمة.

٤٠. التخريج ودراسة الأسانيد / حاتم بن عارف الشريف / الناشر: ملتقى أهل الحديث.

٤١. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي / عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / الناشر: مكتبة الرياض الحديثة - الرياض / تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.

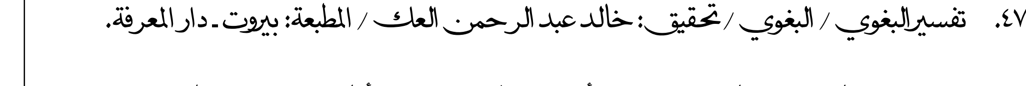
٤٢. تذكرة الحفاظ / الذهبي / الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان / صحح عن النسخة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية.

٤٣. تذكرة الموضوعات / طاهر الفتني الهندي / الناشر: المطبعة الميمنية.

٤٤. التعديل والتجريح / سليمان بن خلف الباجي / تحقيق: الأستاذ أحمد البزار / المطبعة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - مراكش.

٤٥. تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس / أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني / المحقق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي / الناشر: مكتبة المنار - الأردن / الطبعة: الأولى.

٤٦. تغليق التعليق / ابن حجر / تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٥ / المطبعة: عمان - الأردن - المكتب الإسلامي، دار عمار.





٤٧. تفسير البغوي / البغوي / تحقيق: خالد عبد الرحمن العك / المطبعة: بيروت - دار المعرفة.

٤٨. تفسير القرطبي / القرطبي / تصحيح: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش / سنة الطبع: ١٤٠٥ - ١٩٨٥م / الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٤٩. التفسير الكبير المعروف بتفسير الرازي / الرازي / الطبعة: الثالثة.

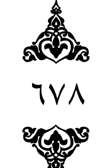
٥٠. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المشهور بتفسير الآلوسي / أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي / قرأه وصححه محمد حسين العرب / بإشراف هيأة البحوث والدراسات / نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٥١. تقريب التهذيب / ابن حجر / دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥م / الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان / ملاحظات: طبعة مقابلة على نسخة بخط المؤلف وعلى تهذيب التهذيب وتهذيب الكمال.

٥٢. التقريب والتيسير لمعرفة سنن الهادي البشير/ يحيى بن شرف الدين النووي / المحقق: محمد بن عثمان الخشت / الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٥هـ.

٥٣. تقييد العلم / أحمد بن علي الخطيب البغدادي / المحقق: يوسف العش / الناشر: دار إحياء السنة النبوية - الطبعة: الثانية - سنة الطبع ١٩٧٤م.

٥٤. تمام المنة / محمد ناصر الألباني / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤٠٩ / الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن / ملاحظات: طبعة جديدة منقحة ومزيدة / الطبعة الأولى ١٣٧٣.



٥٥. التمهيد / ابن عبد البر/ تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري / سنة الطبع: ١٣٨٧ / المطبعة والناشر: المغرب وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.

٥٦. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة / لأبي الحسن علي بن محمد ابن عرّاق الكناني / حققه وراجع أصوله وعلق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله ابن محمد الغماري.

٥٧. تنوير الحوالك / جلال الدين السيوطي / تصحيح: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٨ ـ ١٩٩٧م / الناشر: منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٥٨. تهذيب التهذيب / ابن حجر / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

٥٩. تهذيب الكمال / المزي / الوفاة: ٧٤٢ / تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: ١٤٠٦ ـ ١٩٨٥م / الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.

٦٠. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار / محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني / الناشر: المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة / تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

٦١. الثقات / ابن حبان / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٣٩٣ / المطبعة: مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند / الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية.



٦٢. جامع الأحاديث / جلال الدين السيوطي / ويشتمل على جمع الجوامع للإمام السيوطي / والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني / النسخة الوحيدة المرتبة هجائيا في قسمي الأقوال والأفعال.

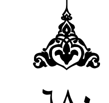
٦٣. الجامع الصغير/ جلال الدين السيوطي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠١ ـ ١٩٨١م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

٦٤. جامع بيان العلم وفضله / ابن عبد البر/ سنة الطبع: ١٣٩٨ / المطبعة: بيروت ـ دار الكتب العلمية.

٦٥. الجرح والتعديل / الرازي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٣٧١ ـ ١٩٥٢م / المطبعة: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدر آباد الدكن ـ الهند / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ملاحظات: عن النسخة المحفوظة في كوپريلي (تحت رقم ٢٧٨) وعن النسخة المحفوظة في مكتبة مراد ملا (تحت رقم ١٤٢٧) وعن النسخة المحفوظة في مكتبة دار الكتب المصرية (تحت رقم ٨٩٢)جامع التحصيل في أحكام المراسيل / أبو سعيد بن خليل ابن كيكلدي أبو سعيد العلائي / المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي / الناشر: عالم الكتب ـ بيروت / الطبعة: الثانية ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦.

٦٦. حاشية السندي على النسائي / ابن عبد الهادي / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٦٧. الحد الفاصل / الرامهرمزي / تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب / الطبعة: الثالثة / سنة الطبع: ١٤٠٤ / الناشر: دار الفكر ـ بيروت.



٦٨. الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام / محمد ناصر الدين الألباني / الطبعة الأولى / سنة الطبع ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م / الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض.

٦٩. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة / لجلال الدين السيوطي / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ مصر / الطبعة: الأولى ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م.

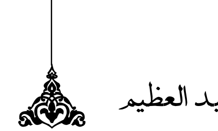
٧٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني / الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الرابعة، ١٤٠٥.

٧١. خصائص مسند الإمام أحمد / محمد بن عمر بن أحمد المديني أبو موسى / الناشر: مكتبة التوبة ـ الرياض، ١٤١٠.

٧٢. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه / أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي / تحقيق وتقديم: حسن السقاف / الطبعة: الثالثة، مزيدة ومنقحة / سنة الطبع: ١٤١٣ ـ ١٩٩٢م / الناشر: دار الإمام النووي ـ عمان ـ الأردن.

٧٣. ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق / محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / المحقق: محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير المياديني / الناشر: مكتبة المنار ـ الزرقاء / الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٧٤. رياض الصالحين / يحيى بن شرف النووي / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١١ ـ ١٩٩١م / الناشر: دار الفكر المعاصر بيروت لبنان.



٧٥. زيادات أبي الحسن القطان على سنن ابن ماجة / للدكتور مسفر الدميني / مجلة البيان ـ العدد [١١] صـ ١٨ شعبان ١٤٠٨ ـ أبريل ١٩٨٨.

٧٦. سؤالات الآجري لأبي داود / سليمان بن الأشعث / تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٨ ــ ١٩٩٧م / الناشر: مكتبة دار الاستقامة ــ السعودية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان.

٧٧. سؤالات البرقاني / الدارقطني / تحقيق: مجدي السيد إبراهيم / الناشر: مكتبة القرآن.

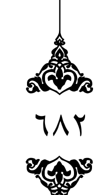
٧٨. سؤالات حمزة / الدارقطني / تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤م / الناشر: مكتبة العارف ـ الرياض.

٧٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها / تأليف: محمد ناصر الدين الألباني / الناشر مكتبة المعارف الطبعة الأولى.

٨٠. السلسلة الضعيفة / محمد ناصر الدين الألباني / مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية ــ المجاني ــ من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٨١. سنن ابن ماجه حققه وعلق عليه وأخرج أحاديثه الدكتور بشار عواد معروف، ط. دار الجيل ـ بيروت.

٨٢. سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.



٨٣. سنن أبي داود / ابن الأشعث السجستاني / الجزء: ١ / تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٠ ـ ١٩٩٠م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / ملاحظات: طبعة جديدة منقحة ومفهرسة / أخرجه وراجعه ووضع فهارسه: مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر.

٨٤. سنن الترمذي / الترمذي / تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

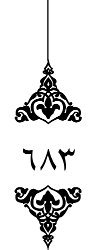
٨٥. سنن الدارمي / عبد الله بن بهرام الدارمي / سنة الطبع: ١٣٤٩ / المطبعة: مطبعة الاعتدال ـ دمشق / ملاحظات: طبع بعناية محمد أحمد دهمان.

٨٦. السنن الكبرى / البيهقي / الناشر: دار الفكر.

٨٧. السنن الكبرى / النسائي / تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١١ ـ ١٩٩١م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٨٨. سنن النسائي / النسائي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٣٤٨ ـ ١٩٣٠م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

٨٩. سير أعلام النبلاء / الذهبي / إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط / تحقيق: حسين الأسد / الطبعة: التاسعة / سنة الطبع: ١٤١٣ ـ ١٩٩٣م / الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.



٩٠. شرح إحقاق الحق / السيد المرعشي / تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي / تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي / الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - ايران.

٩١. شرح الزرقاني على الموطأ / تأليف: الزرقاني / طبعة دار الكتب العلمية.

٩٢. شرح علل الترمذي لابن رجب / زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي المعروف (بابن رجب الحنبلي) / المحقق: د.نور الدين عتر مع مقدمة تحقيق د.همام عبد الرحيم سعيد. / مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث.

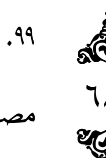
٩٣. شرح مسلم / النووي / سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٩٨٧م / الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

٩٤. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٣٧٨ - ١٩٥٩م / الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٩٥. شواهد التنزيل / الحاكم الحسكاني / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١١ - ١٩٩٠م / الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

٩٦. الصارم المنكي في الرد على السبكي / ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي / طبعة مصر سنة ١٩٠٢.

٩٧. الصحاح / الجوهري / تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٩٨٧م / الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.



٩٨. صحيح ابن حبان / ابن حبان / تحقيق: شعيب الأرنؤوط / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣م / الناشر: مؤسسة الرسالة.

٩٩. صحيح ابن خزيمة / ابن خزيمة / تحقيق وتعليق وتخريج وتقديم: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٩٩٢م / الناشر: المكتب الإسلامي.

١٠٠. صحيح ابن خزيمة / ابن خزيمة / تحقيق وتعليق وتخريج وتقديم: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٩٩٢م / الناشر: المكتب الإسلامي.

١٠١. صحيح البخاري / البخاري / سنة الطبع: ١٤٠١ - ١٩٨١م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / ملاحظات: طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول.

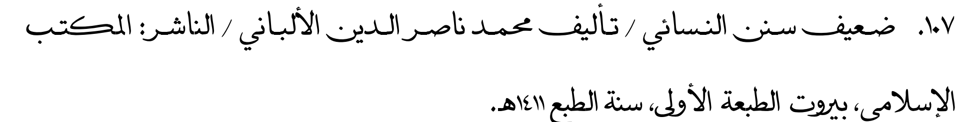
١٠٢. صحيح الترغيب والترهيب / محمد ناصر الدين الألباني / الناشر: مكتبة المعارف - الرياض / الطبعة: الخامسة.

١٠٣. صحيح مسلم / مسلم النيسابوري / الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان / ملاحظات: طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة.

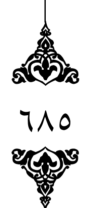
١٠٤. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة / أبي العباس أحمد بن محمد ابن محمد بن علي بن حجر الهيتمي / الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت / الطبعة الأولى، ١٩٩٧ / تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط.

١٠٥. ضعفاء العقيلي / العقيلي / تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١٨ / المطبعة: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٠٦. ضعيف سنن ابن ماجه / محمد ناصر الدين الألباني / الناشر: المكتب الإسلامي بيروت / الطبعة: الأولى / سنة الطبع ١٤٠٨هـ.



١٠٧. ضعيف سنن النسائي / تأليف محمد ناصر الدين الألباني / الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١١هـ.



١٠٨. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي / طبعة مصر، سنة ١٩٣٧.

١٠٩. طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي / المحقق: محمود محمد الطناحي ـ عبد الفتاح الحلو / الناشر: فيصل عيسى البابي الحلبي / سنة النشر: ١٣٨٣ ـ ١٩٦٤.

١١٠. الطبقات الكبرى / محمد بن سعد / المطبعة: دار صادر ـ بيروت.

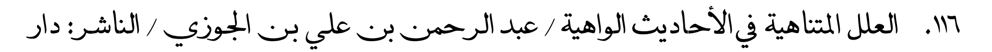
١١١. ظلال الجنة في تخريج "السنة" لابن أبي عاصم / تأليف محمد ناصر الدين الألباني / الناشر: المكتب الإسلامي / الطبعة: الأولى لسنة ١٤٠٠للهجرة.

١١٢. العلل / أحمد بن حنبل / تحقيق: الدكتور وصي الله بن محمود عباس / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٨ / المطبعة: المكتب الإسلامي ـ بيروت / الناشر: دار الخاني ـ الرياض.

١١٣. علل الترمذي / محمد بن سورة / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤٠٣ / المطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

١١٤. علل الدارقطني / الدارقطني / تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٥ / المطبعة: دار طيبة ـ الرياض.

115. العلل الصغير للترمذي / محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي / الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت / تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.



116. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية / عبد الرحمن بن علي بن الجوزي / الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى، ١٤٠٣ / تحقيق: خليل الميس.





117. عمدة القاري / العيني / المطبعة: بيروت - دار إحياء التراث العربي.

118. الفايق في غريب الحديث / جار الله الزمخشري / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٧هـ / الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

119. فتح الباري / شهاب الدين ابن حجر العسقلاني / الطبعة: الثانية / المطبعة والناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

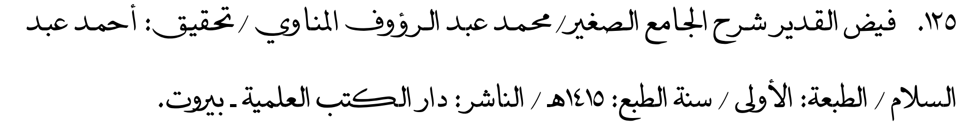
120. فتح المغيث شرح ألفية الحديث / شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي / الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

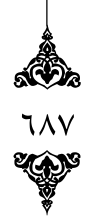
121. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري

122. فضائل الصحابة / أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي / الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

123. فضائل الصحابة / أحمد بن حنبل / المحقق: وصي الله بن محمد عباس / الناشر: دار ابن الجوزي / سنة النشر: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م / الطبعة الثانية.

124. فهارس صحيح مسلم بشرح النووي / النووي / الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.





١٢٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير/ محمد عبد الرؤوف المناوي / تحقيق: أحمد عبد السلام / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢٦. القاموس الفقهي / الدكتور سعدي أبو حبيب / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤٠٨هـ / المطبعة: دار الفكر ـ دمشق ـ سوريا.

١٢٧. قصص الأنبياء / أبي الفداء إسماعيل بن كثير/ تحقيق: مصطفى عبد الواحد / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٣٨٨هـ / المطبعة: دار التأليف ـ مصر / الناشر: دار الكتب الحديثة.

١٢٨. الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة / شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن الذهبي الدمشقي / قابلها بأصل مؤلفيهما وقدم لهما وعلق عليهما: محمد عوامة / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٣هـ / المطبعة: دار القبلة للثقافة الاسلامية ـ جدة / الناشر: مؤسسة علوم القرآن ـ جدة.

١٢٩. الكافي/ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي / تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري / الطبعة: الثالثة / سنة الطبع: ١٣٨٨هـ / المطبعة: حيدري / الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

١٣٠. الكامل في التاريخ / عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير/ سنة الطبع: ١٣٨٦هـ / المطبعة: دار صادر ـ بيروت.

١٣١. كتاب الضعفاء والمتروكين / النسائي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦م / الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.



١٣٢. كتاب العين / الخليل الفراهيدي / تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤٠٩ / الناشر: مؤسسة دار الهجرة.

١٣٣. كتاب المجروحين / ابن حبان / تحقيق: محمود إبراهيم زايد / توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع ـ عباس أحمد الباز ـ مكة المكرمة.

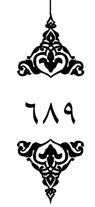
١٣٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / الزمخشري / سنة الطبع: ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦م / الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم ـ خلفاء.

١٣٥. الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث / إبراهيم بن محمد بن سبط ابن العجمي أبو الوفا الحلبي الطرابلسي / الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ـ بيروت / الطبعة الأولى، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ / تحقيق: صبحي السامرائي.

١٣٦. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس / الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي / الطبعة: الثالثة / سنة الطبع: ١٤٠٨هـ / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٣٧. كشف الظنون / حاجي خليفة / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١٣٨. الكفاية في علم الرواية / أبي أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي / تحقيق: الدكتور أحمد عمر هاشم / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٥هـ / الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.



١٣٩. الكلم الطيب / ابن تيمية / تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني / الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت / الطبعة: الثالثة - ١٩٧٧.

١٤٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري / ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا / سنة الطبع: ١٤٠٩هـ / الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

١٤١. اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة / جلال الدين السُّيوطي / الناشر: دار الكتب العلمية.

١٤٢. لسان العرب / ابن منظور / سنة الطبع: محرم ١٤٠٥ / الناشر: نشر أدب الحوزة - قم - إيران.

١٤٣. لسان المحدثين (مُعجم يُعنى بشرح مصطلحات المحدثين القديمة والحديثة ورموزهم وإشاراتهم وشرح جملة من مشكل عباراتهم وغريب تراكيبهم ونادر أساليبهم) / محمد خلف سلامة / مصدر الكتاب: ملفات ورد نشرها المؤلف في ملتقى أهل الحديث / قام بفهرسته وإعداده للشاملة: أبو أكرم الحلبيّ من أعضاء ملتقى أهل الحديث.

١٤٤. لسان الميزان / ابن حجر / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٣٩٠ - ١٩٧١م / الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان / ملاحظات: الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكن عمرها الله إلى أقصى الزمن سنة ١٣٢٩ هجرية.

١٤٥. المبسوط / السرخسي / سنة الطبع: ١٤٠٦ - ١٩٨٦م / الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر

والتوزيع - بيروت - لبنان / ملاحظات: قد باشر جمع من حضرات أفاضل العلماء تصحيح هذا الكتاب بمساعدة جماعة من ذوي الدقة من أهل العلم والله المستعان وعليه التكلان.

١٤٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / الهيثمي / سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨م / الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان / ملاحظات: طبع بإذن خاص من ورثة حسام الدين القدسي مؤسس مكتبة القدسي بالقاهرة.

١٤٧. مجموع الفتاوى / لابن تيمية / الطبعة الأولى دار الوفاء ومكتبة العبيكان / سنة الطبع ١٩٩٧ - ١٤١٨.

١٤٨. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي / الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي / المحقق: د. محمد عجاج الخطيب / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

١٤٩. محو السنة أو تدوينها / حسين غيب غلامي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٩ - ١٩٩٨م / المطبعة: الهادي / الناشر: مؤسسة الهادي.

١٥٠. مروج الذهب ومعادن الجوهر / المسعودي / المطبعة دار الطباعة العامرة - مصر سنة ١٢٨٣هـ.

١٥١. المستدرك / الحاكم النيسابوري / إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي / ملاحظات: طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة.

١٥٢. مستدرك سفينة البحار / الشيخ علي النمازي الشاهرودي / تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة / ردمك: ٩٦٤-٤٧٠-٢٠٣-٤.

١٥٣. المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص / محمد بن عبد الله أبو



عبد الله الحاكم النيسابوري / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأولى، ١٤١١ ـ ١٩٩٠ / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

١٥٤. المستصفى / الغزالي / تصحيح: محمد عبد السلام عبد الشافي / سنة الطبع: ١٤١٧ ـ ١٩٩٦م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان / ملاحظات: طبعه وصححه: محمد عبد السلام عبد الشافي.

١٥٥. مسند ابن راهويه / إسحاق بن راهويه / تحقيق: الدكتور عبد الغفور عبد الحق حسين برد البلوشي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٢ / المطبعة: مكتبة الإيمان ـ المدينة المنورة.

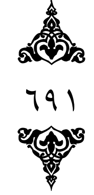
١٥٦. مسند أبي داود الطيالسي / سليمان بن داود الطيالسي / الناشر: دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان / ملاحظات: طبعة مزيدة بفهارس للأحاديث النبوية الشريفة.

١٥٧. مسند احمد / الإمام احمد بن حنبل / الناشر: دار صادر ـ بيروت ـ لبنان.

١٥٨. المسند الجامع المعلل / تأليف أبي الفضل السيد أبي المعاطي النوري / تحقيق د. بشار عواد معروف أحمد عبد الرزاق عيد، أيمن إبراهيم الزاملي، محمود محمد خليل / الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة.

١٥٩. مشارق الأنوار على صحاح الآثار / القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي / دار النشر / المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٦٠. مشاهير علماء الأمصار / ابن حبان / تحقيق: مرزوق علي إبراهيم / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١١ / المطبعة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة.





١٦١. المصنف / ابن أبي شيبة الكوفي / تحقيق وتعليق: سعيد اللحام / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: جمادى الآخرة ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان / ملاحظات: طبعة مستكملة النص ومنقحة ومشكولة ومرقمة الأحاديث ومفهرسة / راجعه وصححه وأشرف على إخراجه: مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر.

١٦٢. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تنسيق: الدكتور سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٦٣. المعارف / ابن قتيبة / تحقيق: دكتور ثروت عكاشة / المطبعة: القاهرة ـ دار المعارف.

١٦٤. معجم لغة الفقهاء / محمد قلعجي / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨م / الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

١٦٥. معرفة الثقات / العجلي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٥ / الناشر: مكتبة الدار ـ المدينة المنورة.

١٦٦. معرفة السنن والآثار / البيهقي / تحقيق: سيد كسروي حسن / المطبعة: لبنان بيروت ـ دار الكتب العلمية.

١٦٧. المغني / عبد الله بن قدامة / الطبعة: جديدة بالأوفست / الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.



١٦٨. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة / شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي / (المتوفى: ٩٠٢هـ) / المحقق: محمد عثمان الخشت / الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت / الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٦٩. مقدمة ابن الصلاح / عثمان بن عبد الرحمن / تعليق وشرح وتخريج: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٦ - ١٩٩٥م / الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١٧٠. مقدمة فتح الباري / ابن حجر / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨م / الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان / ملاحظات: الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠١ هجرية.

١٧١. الملل والنحل / الشهرستاني / تحقيق: محمد سيد كيلاني / المطبعة: دار المعرفة / الناشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان.

١٧٢. المناظرات في الإمامة / الشيخ عبد الله الحسن / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٥ / المطبعة: مهر / الناشر: أنوار الهدى.

١٧٣. مناقب الأئمة الأربعة للباقلاني تحقيق الدكتورة سميرة فرحات، طبع دار المنتخب العربي ببيروت لسنة ١٤٢٢.

١٧٤. مناهج المحدثين للدكتور سعد بن عبد الله الحميد، اعتني به أبو عبيدة ماهر صالح آل مبارك، طبعة دار علوم السنة.

١٧٥. المنتخب من العلل للخلال / الخلال - ابن قدامة / المحقق: أبو معاذ طارق بن عوض الله / الناشر: دار الراية / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٩ - ١٩٩٨.



١٧٦. المنتخب من العلل للخلال / المحقق: أبو معاذ طارق بن عوض الله / المحقق: أبو معاذ طارق بن عوض الله / الناشر: دار الراية / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٩ ـ ١٩٩٨.

١٧٧. منهاج السنة النبوية / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / الناشر: مؤسسة قرطبة / الطبعة الأولى، ١٤٠٦ / تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

١٧٨. المواقف / الإيجي / تحقيق: عبد الرحمن عميرة / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٧ ـ ١٩٩٧م / المطبعة: لبنان ـ بيروت ـ دار الجيل.

١٧٩. الموضوعات / ابن الجوزي / ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان / الطبعة: الأولى / الناشر: المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة / سنة الطبع: ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦م.

١٨٠. الموطأ / الإمام مالك / تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان / صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي / سنة الطبع: ١٤٠٦ ـ ١٩٨٥م.

١٨١. الموقظة في علم مصطلح الحديث / محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله / المحقق: علي بن أحمد الرازحي / الناشر: دار الآثار.

١٨٢. ميزان الاعتدال / الذهبي / تحقيق: علي محمد البجاوي / الطبعة: الأولى / الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان / سنة الطبع: ١٣٨٢ ـ ١٩٦٣م.

١٨٣. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر / أبو الفضل أحمد بن علي ابن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) / المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي / الطبعة: الطبعة الأولى / الناشر: مطبعة سفير بالرياض عام (١٤٢٢هـ).



١٨٤. نصب الراية / الزيلعي / اعتنى بهما: أيمن صالح شعبان / الطبعة: الأولى / المطبعة: مطابع الوفاء ـ المنصورة / الناشر: دار الحديث ـ القاهرة / سنة الطبع: ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م / ردمك: ٩٧٧ ـ ٥٢٢٧ ـ ٦١ ـ ٥.

١٨٥. نفحات الأزهار / السيد علي الميلاني / الطبعة: الأولى / المطبعة: مهر / الناشر: المؤلف / سنة الطبع: ١٤١٤ / ملاحظات: نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار للعلم الحجة آية الله السيد حامد حسين اللكهنوي.

١٨٦. النكت على مقدمة ابن الصلاح / بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر / الناشر: أضواء السلف ـ الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م / تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلافريج.

١٨٧. نيل الأوطار / الشوكاني / الوفاة: ١٢٥٥ / الناشر: دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان / سنة الطبع: ١٩٧٣.

١٨٨. هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة ومعه تخريج الألباني للمشكاة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي الناشر: دار ابن القيم ـ الدمام ـ الطبعة: الأولى ـ سنة الطبع ١٤٢٢هـ.

١٨٩. الوافي بالوفيات / الصفدي / تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى / المطبعة: بيروت ـ دار إحياء التراث / سنة الطبع: ١٤٢٠ ـ ٢٠٠٠م.

١٩٠. وسيلة المآل / أحمد بن الفضل الحضرمي / نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق.

١٩١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / ابن خلكان / تحقيق: إحسان عباس / المطبعة: لبنان ـ دار الثقافة.

المحتويات

الفصل الأول:

السنة النبوية المطهرة أهميتها ومراحل تدوينها حتى العصر العباسي



الفصل الثاني:

تدوين السنة النبوية في العصر العباسي بين تدخل السلطة وتحريف المدونين



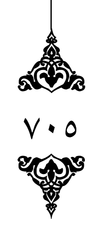




الفصل الثالث:

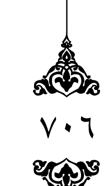
تناقضات مناهج المحدثين واضطراب قواعد الجرح والتعديل عندهم

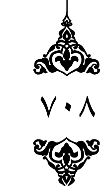




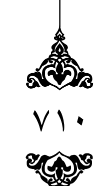
الفصل الرابع:

بعض فضائل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وموقف محدثي أهل السنة منها







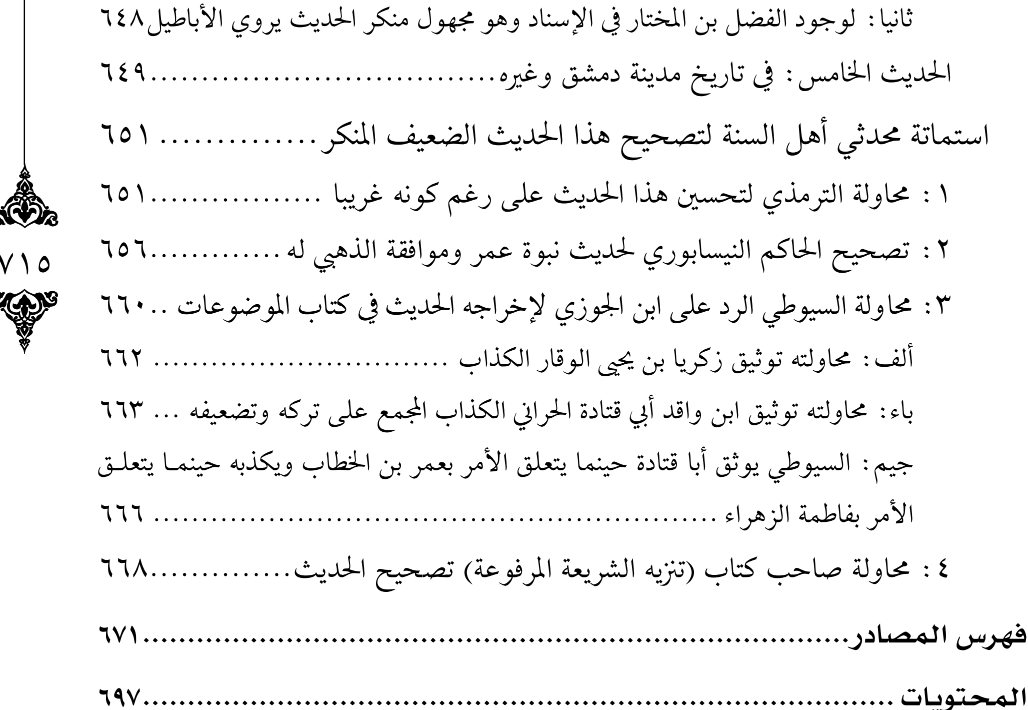




الفصل الخامس:

اختلال موازين أهل الحديث وتساهلهم المفرط في معالجة فضائل الصحابة... بعض فضائل أبي بكر وعمر أنموذجا







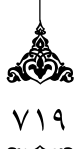


اصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	إبكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبدالله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي



١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج١	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٢	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٢	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٣	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي



٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمدعلي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة — ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد — البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبدالستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبدالسادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار